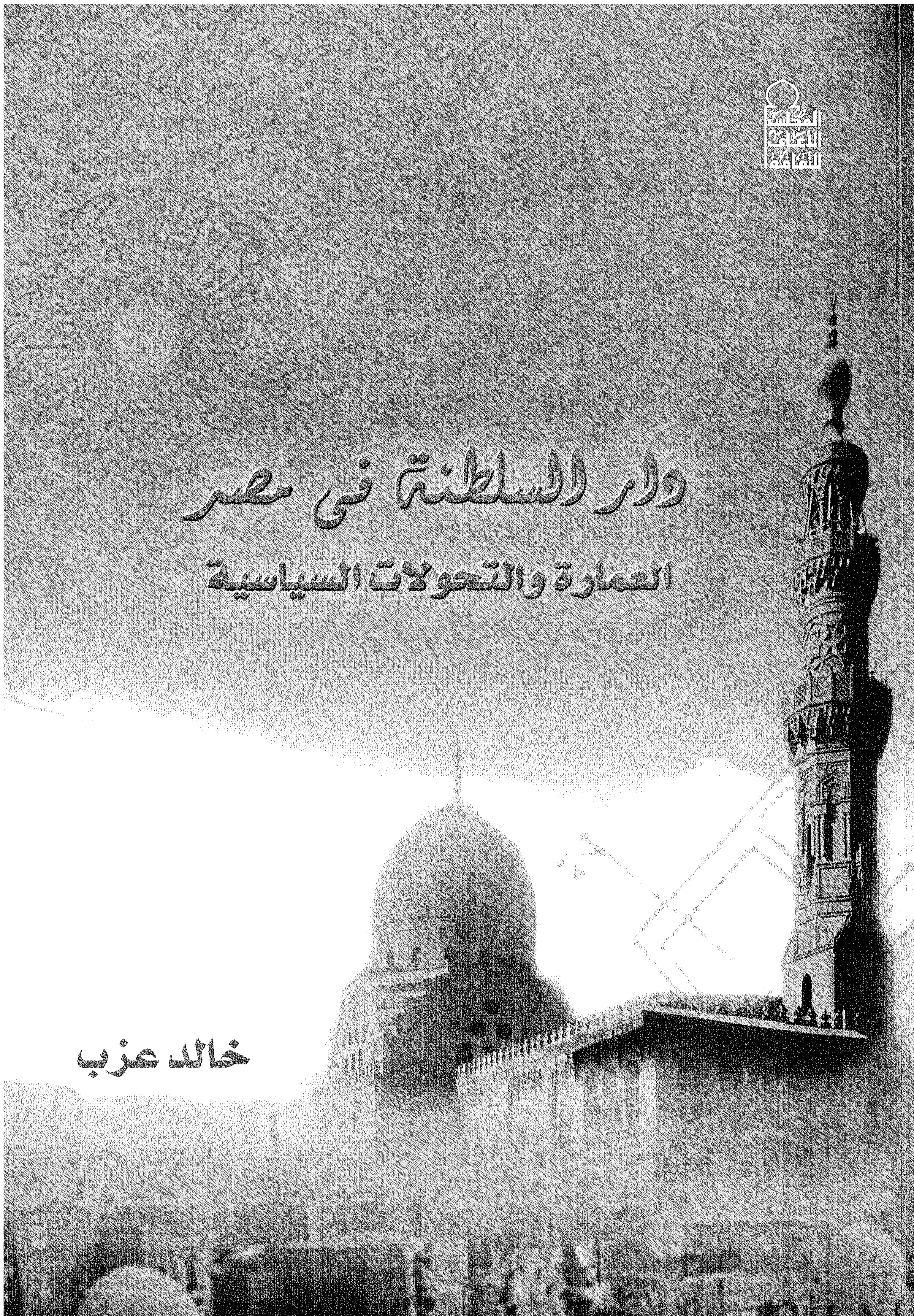


دار السلطنة في مصر

العمارة والتحول السياسي

خالد عزب



المجلس الأعلى للثقافة

دولة السلطنة في مصر

العمارة والتحويلات السياسية

خالد عزب



المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية	
عزب ، خالد . دار السلطنة فى مصر : العمارة والتحويلات السياسية . تأليف : خالد عزب - ط ١ - القاهرة ؛ المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٧ : ٢٥٦ ص ؛ ٢٤ سم . ١ - العمارة الإسلامية . (أ) العنوان ٧٢٢,٥	رقم الإيداع ٢٠٠٧/٧١٦٧ الترقيم الدولى X - 262 - 437 - 977 I.S.BN. طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 E.Mail: asfour@onebox.com

المقدمة

منذ أن بدأت الدراسات الأثرية للعمارة الإسلامية في القرن التاسع عشر اعتمدت المنهج الوصفي للعمائر القائمة. هذا المنهج أخذ مساحة كبيرة من هذه الدراسات امتدت حتى القرن العشرين، وشهد القرن العشرون مولد دراسات وصفية تعتمد على الوثائق، وهذه المرحلة من الدراسات كانت ضرورية للتعرف على الأنماط المعمارية وأنواع المنشآت، وبلغت هذه الدراسات مرحلة النضج في كلية الآثار بجامعة القاهرة مع ظهور عدد من الأساتذة الذين أخذوا على عاتقهم تقديم العمارة الإسلامية في صورة متكاملة. ولذا بات حقل الدراسات الأثرية المعمارية متخماً بالدراسات التي أنجزها هؤلاء الأساتذة، وبات من المهم التحول إلى الدراسات التحليلية للعمارة الإسلامية بعد أن توافرت لها القاعدة الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة، التي أرى أنها ليست سوى مقدمة لمثل هذا النوع من الدراسات قد تحتل الأخذ منها والرد عليها، وقد يتفق البعض مع ما جاء فيها وقد يختلف البعض الآخر معها.

وبداية فإن عنوان هذه الدراسة "دار السلطنة في مصر - العمارة والتحويلات السياسية" يثير العديد من التساؤلات لعل أبرزها هو كيفية تناول العلاقة بين العمارة والسياسة. هذا التناول رأيت أن يكون من خلال شقين، الشق الأول يركز على الدراسة النظرية لنمط هذه العلاقة، وهو ما يشكل الإطار الحاكم لها. الشق الثاني، الدراسة التطبيقية التي تكشف مدى ما ذهبت إليه في الدراسة النظرية.

وواجهت خلال فترة البحث وجمع المعلومات صعوبات شتى منها ندرة المراجع والمصادر المطبوعة التي تتحدث مباشرة في موضوع الدراسة. وكانت أكثر الدراسات نضجاً في هذا المجال دراسة أولج جرابار عن "العمارة والقوة"^١ والتي ركز فيها على مدى إظهار العمارة الحربية لقوة السلطة الحاكمة. كما حملت دراسات ناصر الرباط^٢ العديد من المضامين السياسية. كان على أن أُلجأ إلى الوثائق والمصادر والمراجع لاستخلاص المعلومات التي تخدم موضوع الدراسة. ودارت في ذهني في هذه المرحلة أسئلة لا حصر لها كنت أدونها لكي أصل من خلالها إلى ما أريد. منها ماهية العلاقة بين السلطة والسياسة، والعلاقة بين المجتمع المدني والعمارة؟ وكيف تم التحول من النمط المعماري الإسلامي إلى النمط المعماري الغربي؟.

ومعظم الأسئلة التي دارت في ذهني وجدت أنها تبحث في نهاية الأمر عن طبيعة العلاقة بين السلطة والعمارة. لذا بات على أن أبحث عن منهج ملائم لدراسة هذه العلاقة. فوقع اختياري على مقر الحكم وعمارته كنموذج للدراسة، وبينت في التمهيد أسباب اختياره. فقد كان علماء المسلمين سباقين في وضع أطر عامة لسياسة العمران في الحضارة الإسلامية. وكانوا يركزون على دور السلطة السياسية، في حركة العمران الذي انحصر في مجال السياسة العامة وركزوا على مقر الحكم والشروط العامة التي يجب أن تتوافر فيه، وهي شروط يجب أن تتوافر أيضاً في المدن. وهذا يرجع إلى أن المجتمع المدني لدى المسلمين كان متكفلاً بحركة

العمران داخل المدن من خلال قانون حاكم لهذه الحركة هو فقه العمارة؛ ومن خلال مؤسسة الأوقاف التي تكفلت بتمويل حركة العمران وإنشاء المنشآت العامة. برز دور الدولة في حركة العمران في مؤلفات علماء السياسة الشرعية. وبرز دور المجتمع من خلال الوقفيات وسجلات المحاكم الشرعية وكتابات فقهاء المسلمين عن فقه العمارة. لذا كان مقر الحكم في مصر وما طرأ عليه من تحولات هو محور هذه الدراسة لأنه يبرز دور السياسة في صياغة حركة العمران خاصة مع المركزية الشديدة للحكم في مصر، تلك المركزية التي نراها في سطوة مقر الحكم على العاصمة المصرية منذ العصر الأيوبي إلى عصر الخديوي إسماعيل.

تناول الفصل الأول من الدراسة نشأة مقر الحكم في مصر منذ فتح العرب لها. فتعرض لبناء مدينة الفسطاط عاصمة، وبساطة مقر الحكم بها، فهذه المدينة لم تشهد داراً للإمارة إلا عندما بنى عبد العزيز بن مروان داراً للإمارة عرفت بدار الذهب، ثم بناء ضاحية العسكر مقراً لحكم العباسيين في مصر إلى أن بنى أحمد بن طولون القطائع مقراً لحكمه، ثم عودة مقر الحكم إلى العسكر بعد قضاء العباسيين على الدولة الطولونية. وتعرض الفصل لاتخاذ الحصون كمقار للحكم منعزلة عن العاصمة، وهو ما تجسد في القاهرة حصن الفاطميين في مصر. تحول هذا الحصن بمرور الوقت ومع سقوط الدولة الفاطمية إلى جزء من التكوين الحضري للعاصمة المصرية، وكان الحكام قد أدركوا سرعة اندماج الحصون في الحياة الحضرية للمدن؛ لذا ومع الحروب الصليبية أدركوا أهمية اتخاذ القلاع التي شيدت على الجبال أو على الهضاب مقار للحكم. وهذا يفسر اتجاه صلاح الدين الأيوبي لتشييد قلعة الجبل كمقر للحكم.

خصص الفصل الثاني لنشأة القلعة. مرت قلعة الجبل بمرحلتين أساسيتين، الأولى هي مرحلة التأسيس وهي موضوع الفصل، هذه المرحلة بدأت على يد صلاح الدين وامتدت إلى انتقال الكامل بن العادل إلى القلعة ليتخذها مقراً لحكمه عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م. وفي هذه المرحلة باتت القلعة تستكمل مقوماتها باعتبارها مقراً للحكم. وتناول الفصل التغييرات التي طرأت على القلعة إلى عصر الأشرف خليل. وتوقف الباحث عند اتخاذ الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة مقراً لحكمه وبين مدى أهمية قلعة الجبل في تلك الفترة.

جاء الفصل الثالث ليبين المرحلة الثانية التي مرت بها القلعة باعتبارها مقراً. وتتمثل في عصر الناصر محمد بن قلاوون. حيث وصلت القلعة في هذه المرحلة إلى قمة ازدهارها، واستكملت مقوماتها على أنها مقر لحكم مصر والبلاد التابعة للسلطنة المملوكية وتتمثل هذه المقومات في :

– المساجد بخاصة المسجد الجامع للقلعة.

– دار العدل.

– القصر الأبلق.

– قاعة الأعمدة.

– الحوش السلطاني.

– النطاق الشمالى وما يحتويه من طباق للجند وأسوار ودواوين ودار النيابة.

– الإسطبل.

– الميدان.

هذه الدراسة الرأسية صاحبها دراسة أفقية موازية لها للتحويلات التى طرأت على القلعة منذ عصر الناصر محمد إلى دخول الفرنسيين مصر، وما طرأ على القلعة من تقسيم في العصر العثمانى نتيجة لطبيعة الحكم في ذلك العصر، وما أحدثه الفرنسيون من تدمير في القلعة.

تناول الفصل الرابع القلعة في عهد محمد على وخلفاؤه. تدل أعمال محمد على في القلعة على استيعابه لتقنيات العصر، ولنا في ذلك ثلاثة إجراءات اتخذها:

الأول: إنشاؤه قلعة فوق جبل المقطم أعلى قلعة الجبل.

الثاني: إقامة أبواب جديدة للقلعة تسمح بمرور العربات التى بدأت تشيع في مصر منذ دخول الفاطميين.

الثالث: تشييده دارا للصناعات الحربية في القلعة المكان الذى شغله جند العزب في العصر العثماني.

كما أحدث إضافات وتجديدات أخرى في القلعة ذكرها الباحث منها: سراى الحرم وسراى الجوهرة ودار الضرب وسراى العدل والقصر الأحمر ومسجده، وعكس هذا الفصل مدى اهتمام خلفاء محمد على بالقلعة والإضافات والتجديدات التى أحدثوها.

تعرض الفصل الخامس لانتقال مقر الحكم من القلعة إلى القصور وتتبع جذور القصور مقر الحكم في مصر إلى عصر محمد على حيث تنقل بين القلعة وقصورى الأزبكية وأثر النبى إلى أن استقر في قصر شبرا. وفى عهد عباس حلمى الأول تنقل بين القلعة وقصره بالحلمية وقصر العباسية، وتنقل سعيد باشا بين قصوره والقلعة. واستقر مقر الحكم في عهد الخديوى إسماعيل في قصر عابدين الذى شيد على طراز عصر النهضة الفرنسى المستحدث ليواكب اتجاهه نحو تغريب مصر وتحويلها إلى نمط الحكم الغربى.

وقد وجدنا أنه من الضرورى بعد هذه الدراسة أن أنطلق من الحديث عن بنية العمارة، وذلك بتفكيك هذه البنية في محاولة للفهم ووجدت من خلال هذا التفكيك أن العلاقة بين العمارة والسياسة تقوم على ثلاثة مستويات كانت هذه المستويات هى محور الفصل السادس بعنوان "العلاقة بين العمارة والسياسة - رؤية تحليلية-"، وفى هذا الفصل تم دراسة ثلاثة مستويات من العلاقة بين العمارة والسياسة، المستوى الأول العمارة شاهداً سياسياً، وفى هذا المستوى تكون العمارة سجلاً للعديد من الأحداث السياسية التى مرت عليها، أو حدثت في المنشأ المعماري، أو تركت أثرها عليه والمستوى الثانى الرمزية السياسية للعمارة وفى هذا المستوى تجسد العمارة قوة الدولة وتوجهاتها السياسية. ومثل هذا النوع من العماثر شاع في العمارة الإسلامية. تتمثل هذه الرمزية في عدد من التعابير المعمارية، يحمل بعضها مضمونا حضاريا، وبعضها الآخر مضمونا سلطويا سياسيا، ويجمع بينهما بعض العماثر ذات التعابير المتعددة. المستوى الثالث يتمثل في

العلاقة الفكرية بين السياسة والعمارة. وهذه العلاقة هي التي تحكم طبيعة العمارة وموضوعاتها وحركيتها وتخطيطها. وهي تنبع من التوجه السياسي للسلطة، هذا التوجه يكون أيديولوجيا، ينعكس على العمارة في صور متعددة، وهو لا يحدث دفعة واحدة، بل يطل على العمارة القائمة على مراحل حتى يكسبها - عند التحول من نمط إلى نمط بتغير السلطة - شخصية جديدة، تعرف عند الأثاريين والمعماريين بالطراز المعماري.

أخيراً فإنني أتقدم بخالص الشكر إلى الزملاء الأعزاء الذين لولا دفعهم لي ما خرج هذا العمل بصورته الراهنة، وهم حلمى النمنم، ومحمد السيد، وهبة الله حجازي، فلهم خالص التحية والتقدير.

الحواشي

٢ ومن هذه الدراسات دراسة، نحو إعادة تقييم للثقافة الفنية الأموية، التي نشرت في مجلة أبواب، العدد ١٩، دار الساقى، لندن ١٩٩٩ م.

١ Olg Graber, power and archecture. in archiecture .of islam world. london 1977

تمهيد

ارتبطت الدراسات المتعلقة بالعمارة في العصور الإسلامية المختلفة برؤى جزئية، ترى الأجزاء المتفرقة دون جمعها تحت مظلة واحدة. ومن هنا نبعت هذه الدراسة لجمع هذه الأجزاء، في محاولة لفهمها وطرح رؤية تحلل أسباب وجود العديد من الأنماط المعمارية.

وهنا نشير إلى أن ثم ثلاثة مستويات من العماثر، المستوى الأول: يتعلق بالسلطة، ويتمثل في مقر الحكم أيًا كان موقعه من العاصمة أو المدينة. والمستوى الثاني: يتعلق بالخدمات والمرافق داخل المدينة، وهذا المستوى مشترك بين السلطة والمجتمع، ويبرز بصفة خاصة في مؤسسة يمكن أن نعتبرها وسيطة، هي مؤسسة الأوقاف. والمستوى الثالث: عماثر المحكومين، وهي لا تخضع لسيطرة السلطة إذ إن حركة العمران داخل الأحياء تخضع للسيطرة الجماعية لقاطنيها ولحقوق أفراد المجتمع.

ونستطيع أن نحدد ما سبق ذكره من خلال تحديد الأنوار طبقا للغة علماء السياسة الشرعية والفقهاء. فالمدينة في العصور الإسلامية تشكلت فيها المسؤولية عن طريق الولاية أو ما نعرفه حاليا بالمسؤولية، فهناك ولاية عامة وولاية جماعية وولاية خاصة. فالولاية العامة دورها كان يتجسد في أغلب الأحيان في السلطة الحاكمة ونراه بصفة خاصة في دار الإمارة والمسجد الجامع وأسوار المدن. والولاية الجماعية تظهر في الهياكل الحضرية الوسيطة واستمرارها كالأحياء السكنية والتنظيمات الحرفية والدروب المشتركة والمكبات الجماعية وغير ذلك. أما دور الولاية الخاصة فيرتبط بالحياة الفردية من بناء المساكن واستعمالها اليومي والتصرف فيها.

وموضوع هذا الكتاب يتعلق بالمستوى الأول؛ إذ إن عماثره ترتبط بالسياسة ارتباطا وثيقا، ونستطيع أن نقول إنها عماثر ذات طبيعة سياسية بحتة، وإن تداخلت هذه الطبيعة مع عوامل أخرى كالعامل الديني في المسجد الجامع أو مساجد الصلوات الخمس، أو عامل فقه العمارة أو قانون العمران عند وقوعها في داخل المدن.... الخ. ولكنها في النهاية منشآت ذات طبيعة سلطوية. والبحث يحاول أن يفسر طبيعة العلاقة بين العمارة والسلطة^١ الحاكمة.

ولذا جاء عنوان هذه الكتاب كما يلي "دار السلطنة في مصر - العمارة والتحويلات السياسية" والمقصود بالتحويلات انتقال السلطة من جماعة إلى جماعة أو من فرد إلى فرد، وهذا الانتقال يكون له في أغلب الأحوال أثر مباشر على العمارة، يتضح بصفة خاصة في مقر الحكم. وهذا المقر إما أن يستمر في ضوء انتقال السلطة في أداء دوره ووظائفه. وإما تتغير طبيعة هذه الوظائف تبعا لمراسم السلطة الجديدة وتقاليدها، أو يتغير التركيب الداخلي لهذا المقر تبعا لنمط السلطة الجديدة. أو ينتقل مقر الحكم إلى مكان آخر جديد بعيدا عن المقر القديم الذي يكون في بعض الأحيان محاطا بأنصار السلطة القديمة. وقد يكون المقر الجديد محاولة من السلطة لإثبات وجودها على الساحة السياسية للبلاد. معطيات متعددة في هذا المجال تحاول الدراسة استكشافها.

لقد وقف علماء السياسة الشرعية، وهم المعنيون بالدراسات السياسية في العصور الإسلامية عند الماوردي^٢ وكتابه "الأحكام السلطانية"^٣، وبقي كتابه لقرون طويلة الأساس المرجعي لتحديد مؤسسات الدولة الإسلامية^٤. ولم يحاول أحد أن يرصد ما طرأ من تطور نتيجة لانتقال السلطة وتغير تركيبها. ويعد

مقر الحكم وما اشتمل عليه من معالم صورة يمكن من خلالها استكمال ما جاء في كتاب الماوردي الذي وقف عند نموذج بغداد.

كان الماوردي الذي عاش في العصر العباسي، منظرًا لمقر الحكم في صورته البسيطة والتي نراها في الفسطاط، ثم في صورته الأكثر تركيبًا والتي نراها في بغداد. لقد عبر تأسيس الفسطاط عن المشروع الفكري والحضاري للدولة الإسلامية آنذاك، فعمرو بن العاص أراد أن يكون مجتمع الفسطاط منفتحًا على المجتمع المصري لذا لم يشيد سورًا للفسطاط، بل جعلها مدينة مفتوحة وشجع الأقباط على الإقامة بها، وشيدوا كنائس فيها. بينما حملت الدولة الفاطمية مشروعًا يقوم على فرض الخلافة الفاطمية الإسماعيلية في مصر، ولذا كان مقر حكمهم منعزلًا عن المصريين، ولم يشرعوا في كسب المجتمع إلا في عصر ضعفهم حين شيدوا مشاهد وأضرحة لآل البيت لكسب العاطفة الدينية عند المصريين. وحمل صلاح الدين مشروعًا دفاعيًا في وجه الهجمة الصليبية؛ لذا بات تشييد قلعة الجبل والأسوار في العاصمة المصرية همّة الأول. بينما كانت دولة المماليك دولة تقوم على القوة العسكرية لأفرادها، لذا بات الاستيلاء على مقر الحكم آنذاك استيلاءً على حكم مصر وبلاد الشام. وظلت القلعة رمزًا للسلطة في العصر العثماني.

ومع مجيء محمد علي بدأت المفاهيم السياسية في التغير، وأصبح دور الدولة يتعاظم داخل المجتمع، حتى صارت حياة الأفراد مرهونة بسياسات الدولة، ومع انتقال مقر الحكم إلى المدينة بعد سنوات من عزله، أصبحنا أمام نقلة سياسية وعمرانية. فالحاكم الذي كان يتحصن خلف الأسوار، أجبرته المدفعية على مغادرة الحصن. وصار مقر حكمه في داخل المدينة وسط الناس متحصنًا بالمدينة والناس. وتحولت المدينة كلها إلى مقر للحكم، فبها قصر الحاكم والدواوين أو الوزارات. واستتبع هذا إخضاع المجتمع لسيطرة السلطة من خلال فكرة الدولة التي تنظم كل شيء وتحدد أهدافه طبقًا لسياستها، فأصبحت الشوارع منظمة والتعليم منظمًا، وحتى وقت الناس خاضعًا لفكرة النظام الذي يفرض هيمنة الدولة على كل شيء^٥.

تقلص في ضوء ما سبق دور الولاية الجماعية والولاية الخاصة إلى أبعد حد ممكن تصوره لصالح الدولة. فبعدما كانت حركة العمران تخضع لسلطة المجتمع المتمثلة في فقه العمارة، والتي كانت قانون يطبقه الجميع دون الرجوع إلى الدولة. فرضت الدولة على المجتمع قوانين عمرانية ومعمارية وأنشأت جهازًا يتولى تنفيذ هذه القوانين ورقابة حركة العمران في المجتمع، هو ديوان الأشغال^٦.

ومن هذا المنطلق يحاول البحث رسم صورة متكاملة لطبوغرافية مقر الحكم منذ صورته البسيطة في الفسطاط حتى صورته المركبة في القاهرة إلى صورته الأكثر تركيبًا ووضوحًا في قلعة الجبل. كما يرصد البحث أثر التحولات السياسية على هذا المقر في العصور المختلفة. ومدى تأثير هذا المقر بتركيبه السلطة الحاكمة. وما طرأ من تغير على مقر الحكم نتيجة لتغير نمط السلطة وفكرها مع أسرة محمد علي.

لذا بات من الضروري تحديد مفهوم التغيير، فالتغيير يقصد به الخروج عن النمط المعتاد. أما التطور فهو إحداث إضافات تتواءم مع المستجدات. وما حدث في العصور الإسلامية المتلاحقة هو تطور طبيعي وتلقائي نتيجة للخبرة المتراكمة. أما ما حدث في عصر أسرة محمد علي فهو تغيير جذري في نمط الحكم وطبيعته وبالتالي في طبيعة مقر الحكم وتركيبته. ولم يجر هذا دفعة واحدة، بل جاء على مراحل متتالية وصلت أوجها في عصر الخديوي إسماعيل.

الحواشي

- ١ السلطة: تعنى السلطة السيطرة على الآخرين من قبل جماعة أو فرد، وهى مبنية على الاعتراف بكفاءة ذلك الفرد أو تلك الجماعة وسعة اطلاعهم وفضائلهم الأخلاقية الخ / الاعتراف بحق فرد معين في اتخاذ القرارات في المواقف المهمة بالنسبة للأفراد أو الجماعة. وفى الحالة الأولى: تتطابق السلطة مع فكرة القوة. أما في التعريف الثانى فلا يستلزم بالضرورة فكرة القوة. إذ يمكن منح السلطة لشخص يملك درجة عالية من المصداقية والثقة في عيون الآخرين رغم عدم تمتعه بأى مصدر شرعى للسلطة. أ. ف بتروفسكى وم. ج ياروشفسكى، معجم علم النفس المعاصر، ص ١٢٣. محرر الطبعة العربية سعد الفيشاوى، ترجمة حمدي عبد الجواد وعبد السلام رضوان. مراجعة د. عاطف أحمد. دار العالم الجديد، القاهرة ١٩٩٧ م.
- ٢ الماوردي: أبو الحسن على بن حبيب البصرى الشافعي، علم من أعلام الفكر الإسلامى، فقيه حافظ من أكبر فقهاء الشافعية ورجل من أبرز رجال السياسة في الدولة العباسية وأنيب متقن عاش بين ٣٦٤ هـ و ٤٥٠ هـ. له كتب في السياسة مثل: الأحكام السلطانية وتسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك وأدب الدنيا والدين، وكتب في الفقه مثل الحاوى والإقناع. انظر ترجمته في: السبكى، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية، ج ٣، ٣١٤٣، القاهرة ١٤٠٠ هـ.
- ٣ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٤ لؤى صاقي، العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، ص ٢١: ٤٤، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن فيرجينيا ١٩٩٦ م.
- ٥ تيموثى ميتشل، استعمار مصر، ص ٨ - ٩، ١٠٩ - ١١٠. ترجمة بشير السباعى وأحمد حسان، سينا للنشر ١٩٩٠ م.
- ٦ أنشئ هذا الديوان سنة ١٨٦٤ م، وكان أول رئيس له هو نوبار باشا، انظر حول هذا الديوان، ثناء عميرة، تحديث مدينة القاهرة، ص ١٣٦، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر ١٩٩٥ م.

الفصل الأول

مقر الحكم في مصر من الفتح الإسلامي
حتى بداية العصر الأيوبي



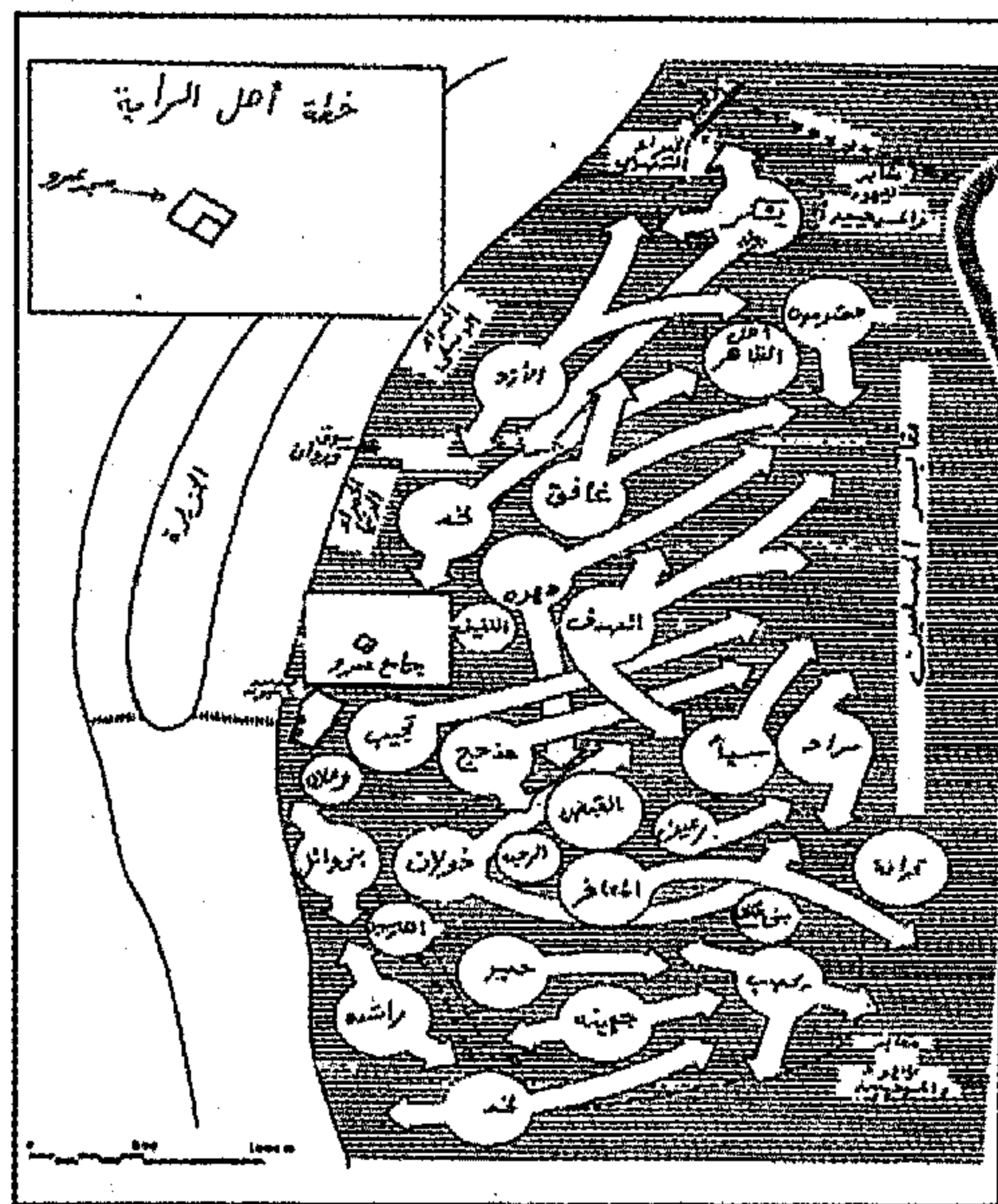
de la Mosquée Amir N° 20

Photogr. Artistique G. Lelièvre

جامع عمرو بن العاص - الفسطاط

وبين المسجد الجامع سوى الطريق^٢. ويعود دور المسجد مقراً لإدارة الحكم إلى كون إمام المسلمين في الصلاة هو الحاكم الذي يتأط به شئونهم، واستغلال داره في شئون الحكم إلى بساطة الدولة الإسلامية عند نشأتها، ولكن أدت التطورات المتلاحقة بدءاً من عهد عمر بن الخطاب^{١٣هـ} - ٦٣٤م / ٢٣هـ - ٦٤٤م إلى اتساع الدولة، واستلزم ذلك استحداث الدواوين^٤؛ لمساعدة الحاكم في إدارة دفة شئون الحكم، وهو ما حول الحكم تدريجياً إلى حكم يعتمد على الإدارة من خلال الدواوين لا على الفرد.

أدت التطورات المتلاحقة في حركة الفتوح الإسلامية إلى تأسيس قواعد ثابتة لجيوش المسلمين في العراق كالبصرة والكوفة، هذه القواعد شيدت الفسطاط على غرارها سنة ٢١هـ / ٦٤٢م ووزعت خططها على القبائل التي شاركت في فتح مصر. وكانت خطط المدينة تعكس تكوين الجيش الفاتح، وهو ما يؤكد كون الفسطاط عند إنشائها قاعدة عسكرية للجيش الفاتح، مثل خطط الفارسين الذين أسلموا وشاركوا في الفتح، وخطط الحمراوات^٥ التي تنسب إلى عجم الشام الذين أسلموا قبيل فتح مصر.

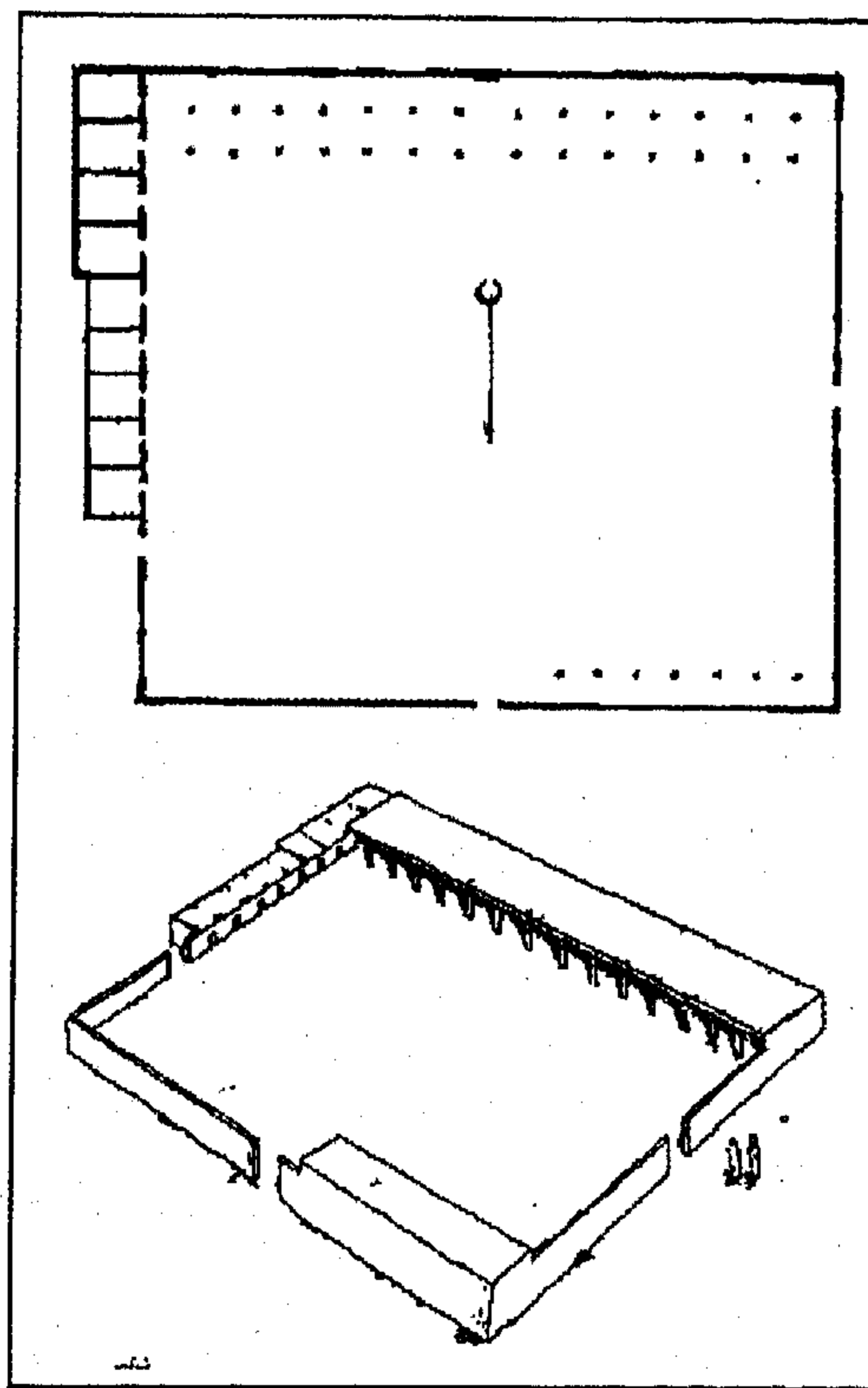


خطط الفسطاط

شهدت مصر منذ الفتح الإسلامي ٢١هـ / ٦٤١م وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تحولات سياسية أثرت بشدة على اختيار الحاكم لموقع مقر الحكم، وعلى طبيعته من البساطة إلى التركيب، ومن الاتصال بما حوله إلى الانفصال عما حوله وتحوله إلى حصن، ومن الحصن الذي يعبر عن التحول إلى نمط المجتمع المدني على النمط الأوروبي.

كان المسجد في المدينة المنورة هو مكان الالتقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، بوصفه نبياً مرسلًا وحاكماً، واستمر هذا الوضع في عهد الخلفاء الراشدين^٦، ولذا لم يكن في الفسطاط في بداية عهدها دار إمارة خاصة، بل كان مسجد عمرو والدار التي يقيم بها والي بمثابة دار إمارة^٧.

اختط عمرو بن العاص عند تأسيسه للفسطاط سنة ٢١هـ / ٦٤٢م داراً له بجوار المسجد الجامع، لا يفصل بينها



المسجد النبوي - مسقط أفقي ومنظور

كان موقع القسطنطينية حصينا بطبيعته لذا لم تتم إحاطته بسور عند إنشاء المدينة، إذ يحميها جبل المقطم من الشرق والجنوب، ويحميها مجرى مائى طبيعى هو نهر النيل من الغرب، ولم يبق من القسطنطينية غير جانب واحد مفتوح هو الجانب الشمالى، ولم يهتم عمرو بتحصين هذا الجانب، وربما كان السبب في ذلك أنه لم يخش تعرضه للأخطار من هذا الجانب، كما أنه كان المجال الطبيعى لنمو القسطنطينية.

سمح عمرو بن العاص لبنى وهذان ومن والاهم أن يقيموا على الضفة الغربية من النيل، حيث بنى لهم حصنا في الجزيرة. يعتصمون به عند الخطر، وشرع في بناء الحصن سنة ٢١هـ/٦٤٢م. وأتمه سنة ٢٢هـ/٦٤٣م. ومن المحتمل أن عمرا كان يهدف من وراء ذلك إلى زيادة تأمين الجانب الغربى من القسطنطينية. بتأسيس القسطنطينية انتهت مرحلة فتح مصر، وبدأت مرحلة فتح بلاد المغرب، وبتأسيس القيروان ٤٥هـ/٦٦٥م بدأت مرحلة إتمام فتح المغرب.

كان فتح المغرب يعنى تحول مصر من ولاية حدودية تتولى فتح ما جاورها من البلاد. إلى ولاية داخلية إيداناً بتقلص الدور العسكرى للقسطنطينية وتحولها من قاعدة عسكرية إلى مدينة طبيعية، وهذا ما حدث بالفعل، وعزز ذلك اتخاذ القسطنطينية مركزاً إدارياً لحكم مصر، واندماج المصريين في المجتمع العربى بالمدينة بمرور الوقت.

ظلت القسطنطينية بلا دار مستقلة للإمارة إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان في خلافة عبد الملك بن مروان داراً سميت "دار الذهب" سنة ٦٧هـ/٦٨٦م. وهى ذات قبة مذهب، لفرط سعتها كانت تعرف بالمدينة، اتخذها عبد العزيز بن مروان مقراً له^٧ ثم مقراً لأمراء الدولة الأموية في مصر من بعده^٨. كانت هذه الدار تقع غرب مسجد عمرو بن العاص. وهو ما يعضد الارتباط العضوى بين المسجد الجامع ودار الإمارة في المدن الإسلامية التى شيدت في تلك العصور الإسلامية المبكرة^٩. هذا الارتباط نشأ عن طبيعة الحكم آنذاك؛ إذ كان الحاكم يشترط فيه أن يكون عالماً بأمور الدين والدنيا. وكان من وظائفه إمامة المسلمين في الصلاة والخطابة فيهم يوم الجمعة. لكن حدث في مراحل

تالية أن انفصل مقر الحكم عن المسجد نتيجة لتغير طبيعة الطبقة الحاكمة.

جاء بناء دار الإمارة بالقسطنطينية على هذه الدرجة من القخامة ليدل على طبيعة التحول الحضري الذى حدث في المدينة، والذى ارتبط باستقرار الحكم لبنى أمية، وازدهار الدولة الإسلامية، ومن هذه الإجراءات تعريب الدواوين سنة ٨٧هـ/٧٠٦م. هذا الإجراء الذى جعل اللغة الرسمية لمكتابات الدولة هى اللغة العربية بدلا من اللغة اليونانية^{١٠}، وهو ما يعنى أن أهل مصر من القبط صار عليهم تعلم اللغة العربية حتى ولو لم يكونوا مسلمين، هذا الإجراء ساعد على اندماج المصريين في المجتمع العربى بالقسطنطينية.

وكان إحراق مروان بن محمد ١٢٧هـ-٧٤٤م/١٣٢هـ-٧٥٠م "الدار المذهبة" بالقسطنطينية في أثناء فراره منها، رمزا لنهاية سلطة بنى أمية في مصر وبداية سلطة جديدة، إذ إن تدمير مقر ولاية مصر الأمويين يعنى نهاية عصرهم.

وكان على العباسيين أن يوطدوا نفوذهم في مصر، في وقت تحولت فيه القسطنطينية إلى مدينة حضرية، حيث اندمجت القبائل العربية في المجتمع المديني. وكان للأمويين أنصار في هذا المجتمع، لذا سعى العباسيون إلى تأسيس مقر حكم جديد لهم ولعسكرهم، الأمر الذى يوفر لهم الأمن، وهاجس الأمن بدأ يسيطر على الخلفاء والأمراء والولاة نتيجة لتتابع الأحداث بدءا من مقتل عثمان بن عفان وعلي ابن أبى طالب، انتهاء بالصراع الأموى العباسي.

هذا فضلا عن اتساع رقعة العالم الإسلامي، وما استلزمه ذلك من تحول في طبيعة الحكم. هذا الأمر الذى سبق أن أدركه عمر بن الخطاب حين أسس الدواوين، واستوعبه عبد الملك بن مروان بتعريبه النقود والدواوين ليعطى للدولة شخصيتها الدولية التى كانت مؤهلة لها.

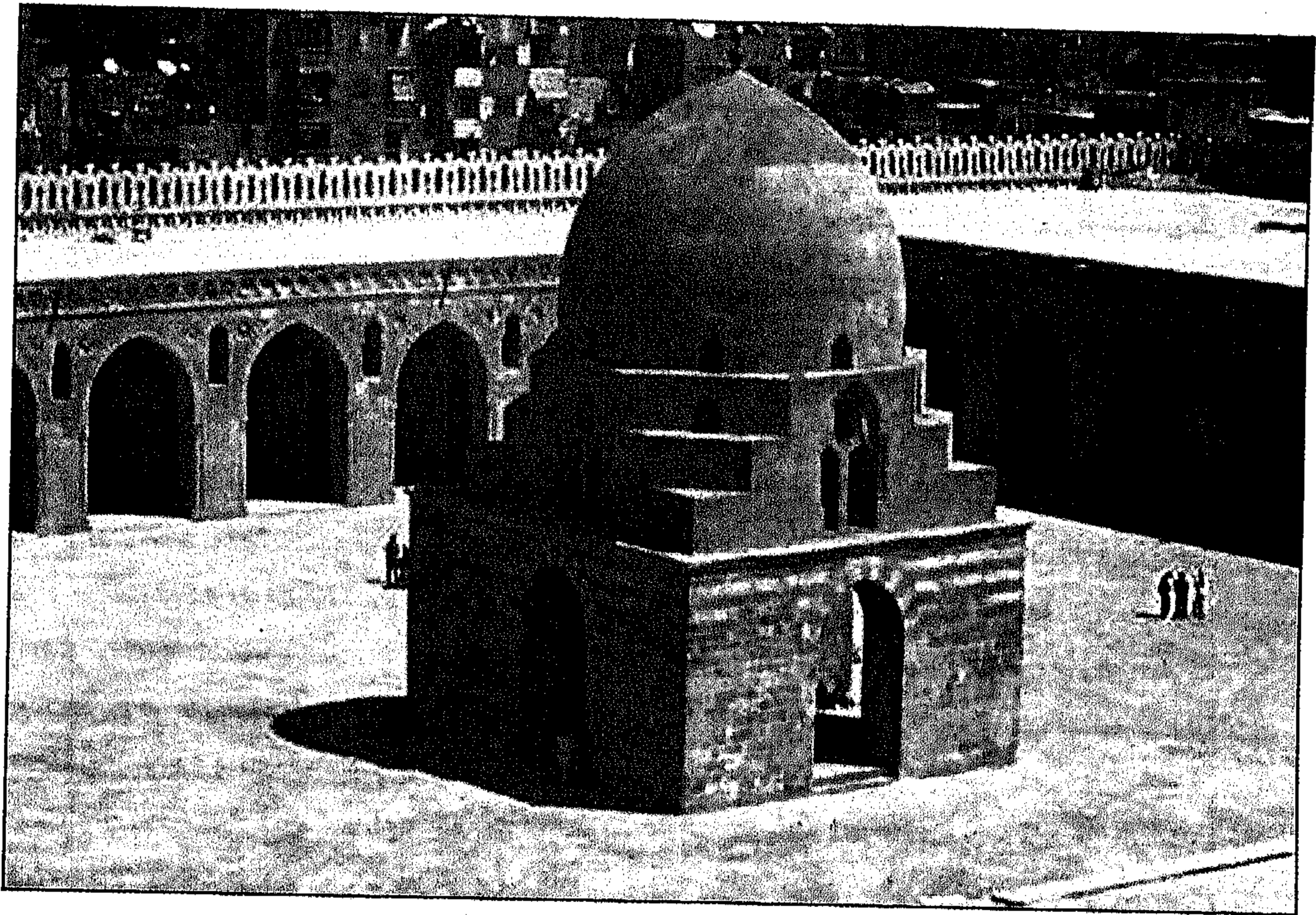
لم يكن مقر حكم العباسيين منعزلا عن القسطنطينية، بل كان امتداداً لها، وهذا الامتداد يعبر عن أن الحكم العباسي هو امتداد لمفهوم الحكم الوراثي الذى عرف في عهد بنى أمية، فمفهوم ودور الخلافة لم يختلف كثيرا بين

العهدين. ولكن الذي اختلف هو العناصر التي اعتمدت عليها الخلافتان في توطيد حكمهما، فالأمويون اعتمدوا على العرب بينما اعتمد العباسيون على العناصر الفارسية والتركية^{١١}.

وقد كان لوجود عرب موالين للأمويين في الفسطاط ومساندة عمرو بن العاص لهم أثر في عدم تفكير الأمويين في إقامة مقر جديد للحكم في مصر. علما بأنهم نقلوا مقر الخلافة من الكوفة إلى دمشق مقر ولاية الشام التي استقر بها معاوية حاكما من قبل عثمان بن عفان. لما تم النصر للعباسيين اختط صالح بن علي وأبو عون العسكر، وجعلا بها مسجدا جامعاً وداراً للإمارة وسكن الجند حولهما في خطط^{١٢}. وذكر البلوي أن دار الإمارة بالعسكر كان يطلق عليها بلد الإمارة لفرط سعتها^{١٣}. وفي ولاية السري بن الحكم (٢٠٠ - ٢٠٥ هـ / ٨١٦ - ٨٢٠ م) أذن للناس بالبناء حول العسكر حتى اتصل عمرانها بالفسطاط^{١٤}. وتحولت العسكر إلى مدينة حضرية منذ ذلك التاريخ، يعنى هذا

أننا أمام ظاهرة تحول المدن المؤسسة قواعد عسكرية إلى مجتمعات حضرية بمرور الوقت. وتاريخ هذا التحول المرتبط بأمر السري بن الحكم هو في أغلب الظن إقرار لواقع بدأ فعلا في العسكر، فضلا عن رغبة السري في تغيير التركيبة السكانية حول العسكر التي كان سكانها الأصليون موالين للعباسيين.

ثم جاء أحمد بن طولون وقطائعه نموذجا سوف نرى صدق له عند دراسة التحولات السياسية وأثرها على العمارة، إذ رغب ابن طولون الذي استقل بمصر عن دولة العباسيين أن يكون له مقر حكم يعبر عن مدى قوته واستقلاله، وكان الدافع الظاهر لبناء هذا المقر هو ضيق العسكر به وبخاصيته^{١٥} التي بدأت تتضخم نتيجة لطموحه. بنى ابن طولون مسجدا جامعاً للقطائع على جبل يشكر، وهو مساحة مرتفعة عما حوله ليكون المسجد معلما بارزا في المدينة يرمز لسلطة ابن طولون. وبالمسجد تأثيرات معمارية وفنية من مدينة سامراء.



جامع أحمد بن طولون - القطائع

من بلاد تسيطر عليها الخلافة العباسية وخطر القرامطة، والاختلاف المذهبي بين المصريين والفاطميين، فضلا عن قدوم الفاطميين بجيوشهم التي كانت بحاجة إلى مكان تعسكر فيه حول مقر الخليفة لتحميه. لذا فقد كان تشييد مقر جديد للحكم أمرا حتميا.

وقع هذا المقر في مكان منعزل عن المقار الثلاثة السابقة لحكم مصر وهي القسطنطين والعسكر والقطائع، حيث كانت الأخيرتان امتدادا طبيعيا للأولى، ولم يكن سور يفصل بينهما، لاستقرار الأوضاع السياسية في مصر إلى حد ما. وإن كان ابن طولون قد شيد سورا حول قصره ليوفر الأمن له^{١٨}، وقلعة في جزيرة الروضة ليحتمي بها من خطر العباسيين^{١٩}، إلا أنه لم يشيد سورا حول القطائع.

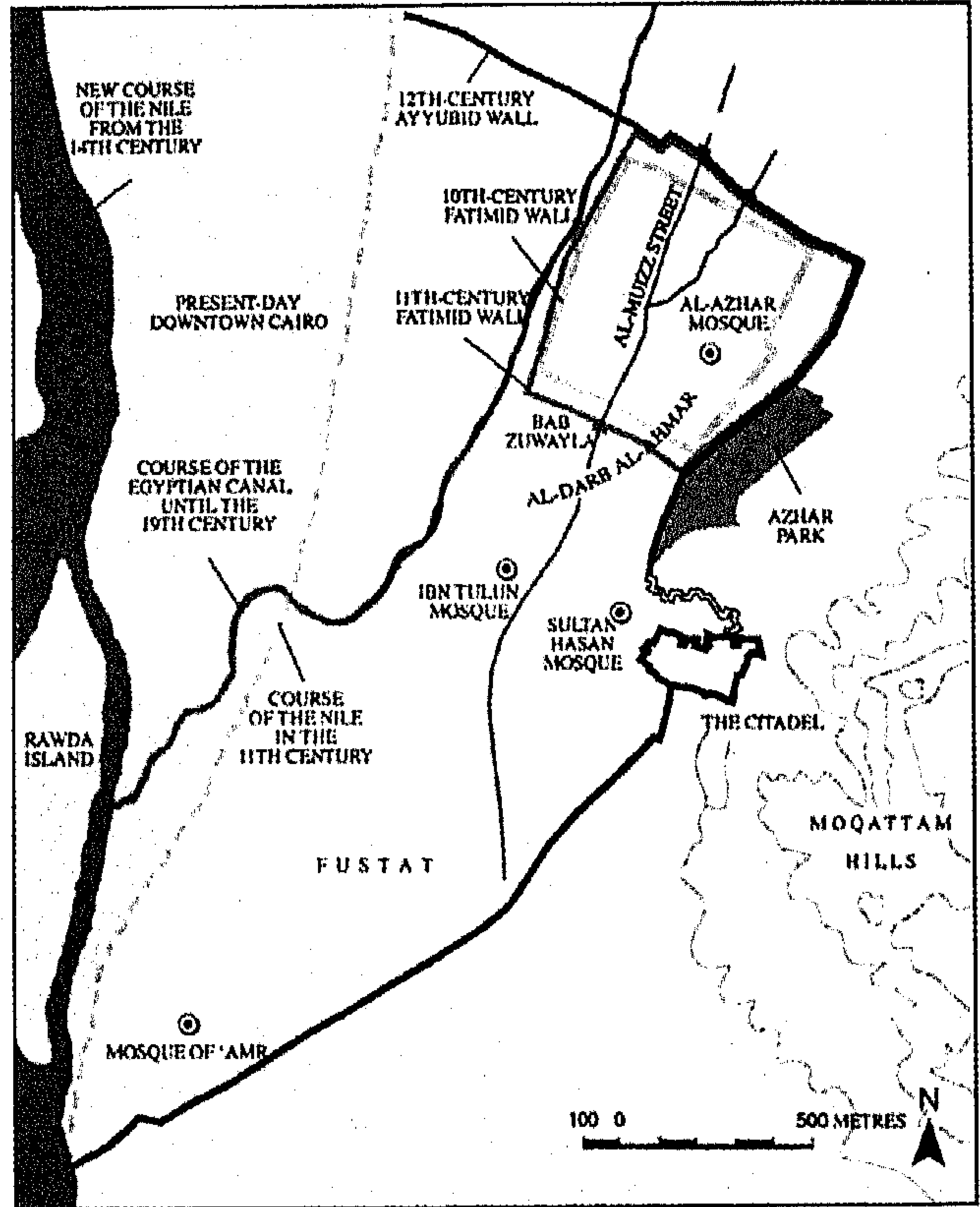
أدى تراكم الخبرات لدى الحكام إلى الاقتناع بضرورة اتخاذ نموذج جديد لمقر الحكم يوفر الأمن الذي كان كل الحكام يبتغونه. فالنموذج الأول البسيط في عمارته والذي وإن كان قد تطور بمرور الوقت ليشمل المسجد الجامع ودار الإمارة والدواوين ودار الضرب وخطط إقامة الجند سرعان ما يتدمج في الكتلة العمرانية للعاصمة كما حدث في القسطنطين والعسكر. وهو ما يستدعي تشييد مقر جديد للحكم عند كل تحول أو انتقال للسلطة. لذا بات عزل مقر الحكم عن العاصمة هو الحل الأمثل، فانتشر تبعا لذلك نموذج الحصن الذي يضم كل مؤسسات الحكم بالإضافة إلى قصر الحاكم وجنده داخل سور يفصل بين المقر والعاصمة.

الحصن

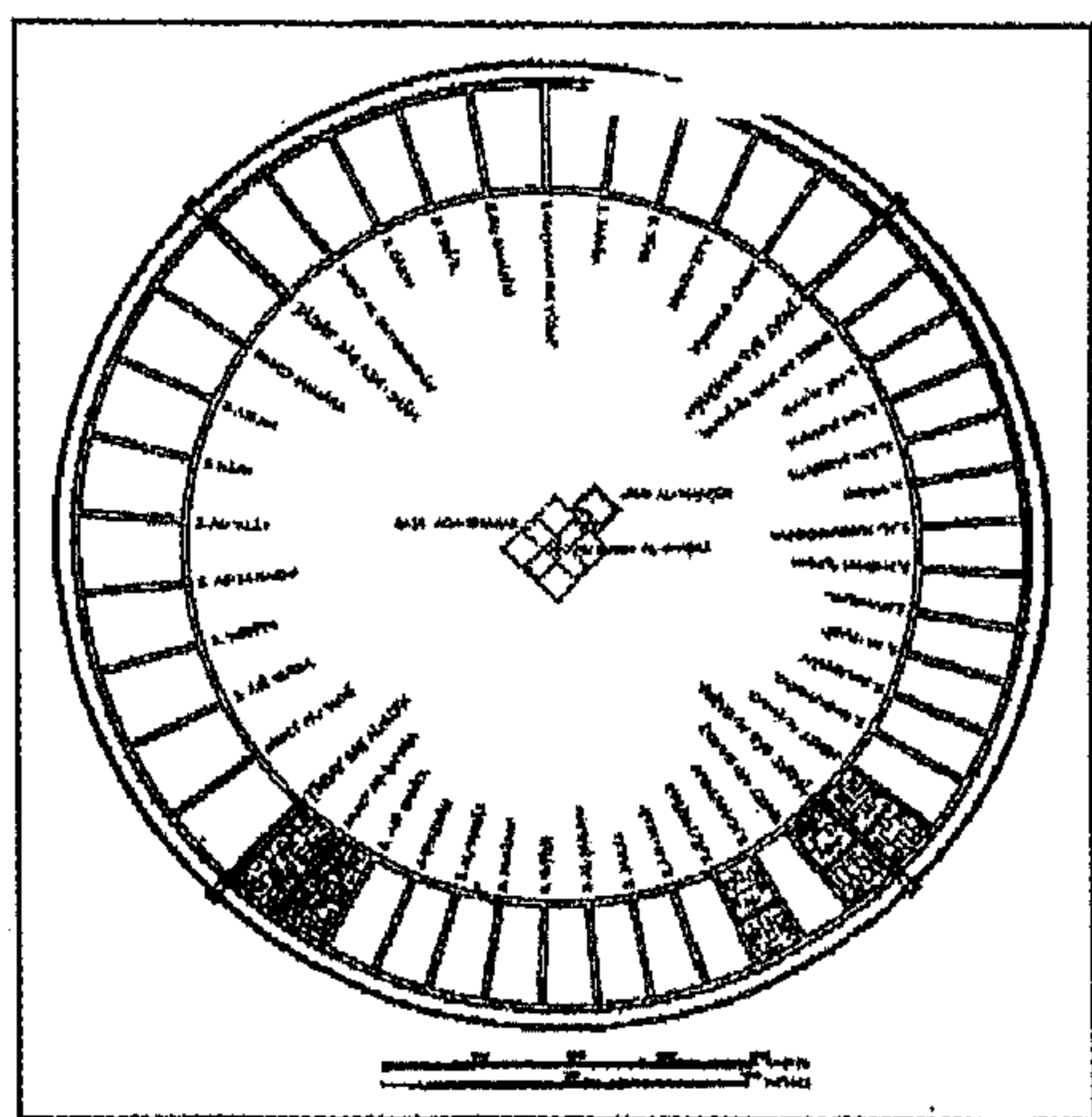
مثلت الحصون كمقار حكم نموذجا بدأ العالم الإسلامي يعرفه في ظل الاضطرابات السياسية، لذا كان على الحكام أن يحتتموا في حصون^{٢٠}. عبر عن ذلك تشييد أبي جعفر المنصور ببغداد حصنا في ظل عدم استقرار الأوضاع في الكوفة والهاشمية^{٢١}. بنيت ببغداد حصنا حصينا دائري الشكل ذي سلسلة من الحلقات الدفاعية المتداخلة معزول بعضها عن بعض بحيث إذا استطاع العدو أن يخترق إحداها واجه موانع أخرى تحول بينه وبين غرضه.

ولعل الاتساع والعمارة اللذين اتصف بهما قصره والميدان الملحق به، كان تأثيرا وافدا أيضا من العمارة العراقية آنذاك. وقطع ابن طولون مدينته على عسكره وأتباعه ولذا سميت بالقطائع^{٢٢}. ولكن دوام الحال من المحال إذ سرعان ما سعى العباسيون إلى القضاء على دولة الطولونيين ونجحوا في ذلك، وقاموا بتدمير قصر بني طولون وكل ما يرمز إلى سلطتهم في المدينة. عاد مقر الحكم مرة أخرى إلى دار الإمارة في العسكر، وهي مقر الولاة العباسيين منذ استيلائهم على مصر وسقط كذلك حتى دخول الفاطميين مصر^{٢٣}.

مثل قيام خلافة فاطمية في مصر حدثا مهما، إذ منذ ذلك الحين أصبحت مصر دولة غير تابعة، وكان على الفاطميين القادمين من الغرب أن يتخذوا مقرا جديدا للحكم، ويعود ذلك لأسباب عديدة، لعل أهمها: قرب مصر



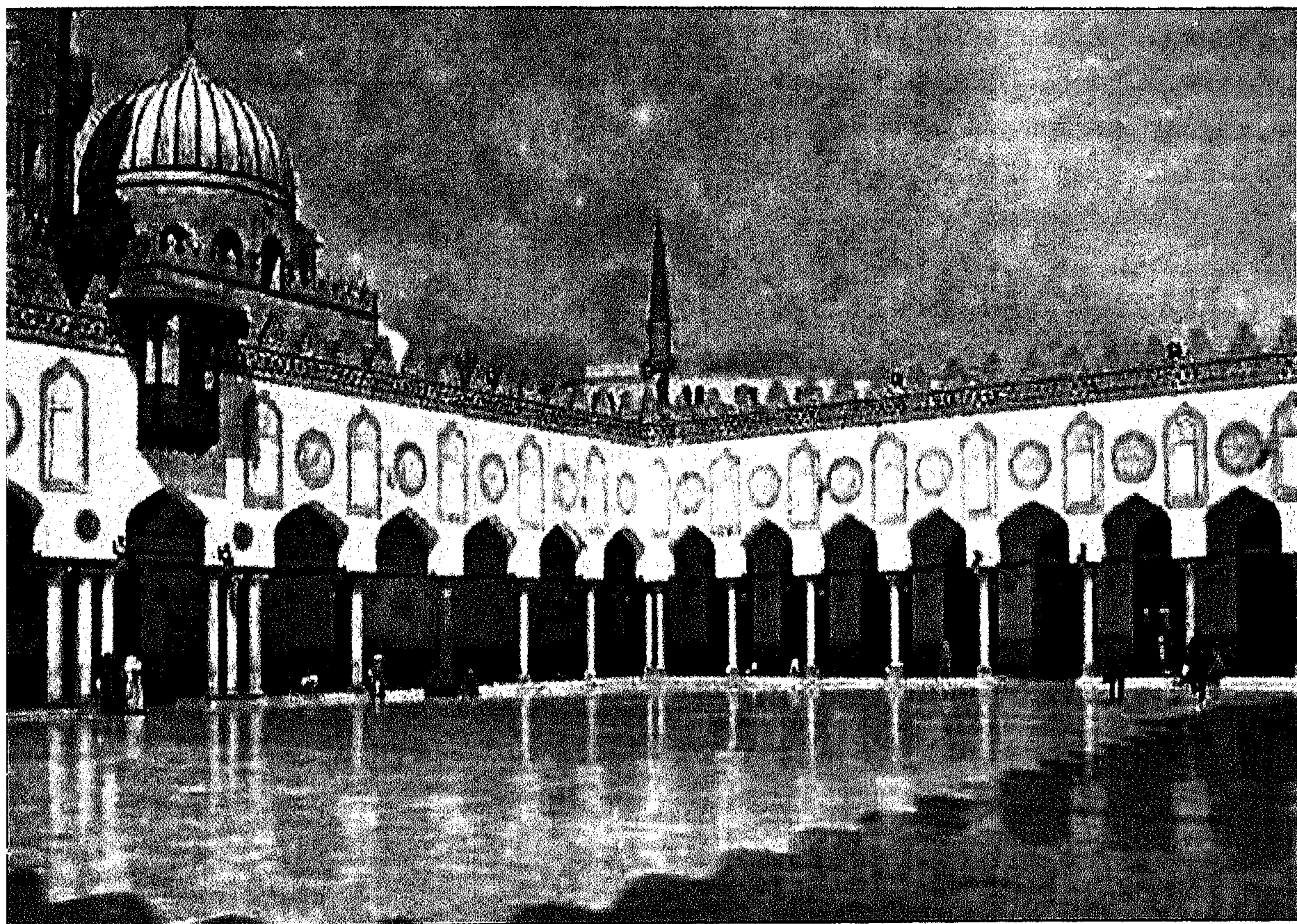
عواصم مصر الإسلامية: القسطنطين، القطار، القاهرة



مدينة بغداد - تخطيط

وجاء تخطيطها ليوحى بالرهبة، وبكثرة الاستعدادات الأمنية بحيث يشعر الإنسان وكأنه يدخل قصرا محاطا بتحصينات غير مسبقة^{٣٣}.

جاء جوهر الصقلي^{٣٤} إلى مصر وهو ينوي تشييد مقر حصين للحكم الفاطمي، وذلك بأوامر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م)^{٣٥} شيد جوهر القاهرة حصنا يحيط به سور به أبواب ويضم بداخله قصور الخلفاء، ومسجدا جامعاً هو الجامع الأزهر، ومن الملاحظ أن الدواوين بقيت في دار الإمارة الطولونية المجاورة^{٣٦} للمسجد الطولوني إلى أن نقلها يعقوب بن كلس إلى داره بالقاهرة^{٣٧} وبالإضافة إلى الدواوين، ارتبطت دار الضرب بأي حراك جغرافي لمركز الحكم. وبالرغم من



الجامع الأزهر - القاهرة

انتقال مقر الحكم من الفسطاط إلى العسكر ثم إلى القطائع ثم إلى القاهرة. فقد ظلت دار الضرب بالفسطاط لكونها عاصمة مصر، بيد أن تداعيات الشدة المستتصرية في أواسط القرن ٥ هـ / ١١ م، فرضت تحويل الحصن الفاطمي إلى مدينة ملكية أكثر انفتاحاً على المجتمع المصري، وهو ما أدى فيما بين عامي ٥١٥ - ٥١٩ هـ / ١١٢١ - ١١٢٥ م إلى إنشاء دار ضرب بالقاهرة^{٢٧}، أكتسب حصن القاهرة طابعا مدنيا، إذ سمح لبعض الفئات القريبة من السلطة بالإقامة فيه، ولكن مع سقوط الدولة الفاطمية أباح صلاح الدين الحصن لعامة المصريين^{٢٨}، وهذا يعني أن سقوط الدولة أنهى وظيفة الحصن كمقر للحكم في مصر، ولكن ظل هذا المقر يؤدي دوره إلى حين تأسيس المقر الجديد للدولة الأيوبية.

ويثير نموذج الحصن كمقر للحكم العديد من التساؤلات؟. إذ إن كلا من بغداد والقاهرة شيد ليكون مقرا للحكم ولكن هناك فروقا واضحة بينهما. لقد عبرت القاهرة عن مفهوم قوة السلطة وأضافت إلى ذلك فصل الحصن الملكي عن المراكز الحضرية تماما، فقد كانت الأسوار والبوابات - على عكس ما حدث في بغداد - ستارا يفصل الحاكم عن الشعب ولم تشيد لتحيط بالمجتمع ككل بدءا من الحكام نزولا إلى عامة الشعب^{٢٩}. وتكررت ظاهرة فصل الحصن عن المركز الحضري عند تأسيس الميرانيين^{٣٠} لحصن فاس الجديدة الذي عرف بالبيضا ليكون مقرا لحكمهم ينفصل عن مدينة فاس القديمة التي عرفت بفاس البالي، وذلك في عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٦ م، ويبعد الحصن الملكي عن المدينة الحضرية بمسافة قدرها ٦٧٥ مترا^{٣١}.

اختلف مفهوم كل من أبي جعفر المنصور والمعز لدين الله الفاطمي للحصن وأهدافه وعبر كلاهما عن ذلك بطريقته:

إذ وصف أبو جعفر بغداد بأنها (مشرعة للعالم كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأحواز وفارس والبحرين وما يتصل بذلك فإليها ترقى وبها ترسو، وكذلك ما يأتي من الموصل وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن بدجلة، وما يأتي من مصر والمغرب مما يحمل في

السفن بالفرات فيها يحط وينزل ومدرجة أهل الجبل وكور خراسان)^{٣٢}. إن ما جاء في وصف أبي جعفر المنصور، يعبر عن رغبته في أن تكون بغداد مقرا لحكم هذه الأقاليم، في وقت كان فيه رسوخ لفكرة عالمية ديار الإسلام. ولأنه رغب في أن يعم السلام دولة الخلافة العباسية، حمل مقر حكمه اسم دار السلام أو مدينة السلام.

بينما كان لقاء المعز لدين الله مع أهل مصر معبرا عن طبيعة مقر حكمه وحكمه إذ قال لهم "هل بقي منكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر فسل نصف سيفه وقال هذا نسبي، ونثر عليهم الدنانير. وقال هذا حسبي! فقالوا سمعنا وأطعنا"^{٣٣}. وهكذا مجد اسم القاهرة قوة السلطة في وقت بدأت تتلاشى فيه عالمية ديار الإسلام.

وهناك سؤال يطرح نفسه: هل نجح الحصن مقرا للحكم؟ تشير تجربتا بغداد والقاهرة الإجابة عن هذا السؤال. إذ لم يستمر الحصن مقر حكم دائم على الرغم من نجاح القاهرة في صد هجومي للقرامطة عند تأسيسها أحدهما في ربيع الأول ٣٦١ هـ / ٩٧١ م، وثانيهما في ٣٦٣ هـ / ٩٧٢ م^{٣٤}، فقد كان للعامل الاقتصادي وضعف السلطة الفاطمية أثره في تحول الحصن لأداء دور مدني أوسع، ثم لسقوط الدولة أثره في إنهاء وظيفة الحصن كمقر للحكم.

وكان للصراع الدامي الداخلي بين أبناء البيت العباسي أثره في إنهاء وظيفة المدينة المدورة (بغداد) كمقر للحكم، إذ كان للصراع بين الأمين والمأمون أثره في تدمير الحصن^{٣٥}، وما تلى ذلك من أحداث وصراعات أدت في النهاية إلى إنهاء وظيفة الحصن سريعا. وعلى الرغم من إعادة تحصين المدينة في عهد المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥١ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م)^{٣٦}، وفي عهد المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م)، إلا أن السور هنا دار حول المدينة. وكان الهدف منه حمايتها وليس حماية مقر الحكم الذي تمثل في دار الخلافة أو في قصور الخلفاء والوزراء التي دار حولها سور أيضا^{٣٧}.

كان البحث عن نموذج آخر يصلح مقرا للحكم هو هدف حكام المسلمين خاصة بعد أن أثبت نموذج الحصن عدم قدرته على الصمود، أمام التغييرات السياسية

والتحديات التي تواجه السلطة. فمع اضطراب السلطة أو تغييرها يندمج الحصن في العاصمة وهو ما حدث في بغداد والقاهرة.

نموذج القلعة

القلعة استحكام حربي يبنى للدفاع عن المدن أو عن الطرق التجارية. والقلعة في اللغة هي: الحصن الممتنع في جبل، كما أنها الحصن المشرف صعب المرتقي^{٢٨}. واستعمال القلاع مقرر للحكم نتج عن حاجة الحاكم إلى الأمن^{٢٩} والسيطرة، ولذا وردت القلعة castle في الموسوعة البريطانية للدلالة على المكان المحصن الذي يعطى صاحبه القدرة على الدفاع عنه إما بحكم العوامل الطبيعية، وإما بما تصنعه يد الإنسان، وهي مسكن النبلاء يتم اختياره على أرض ملائمة ليسهل مهمة السيطرة على المدينة أو القرية في حال قيام ثورة فيها^{٣٠}، وهذا التعريف يعبر عن مفهوم ودور القلاع في أوروبا، والتي بنيت لتحمي وتفرض نفوذ الإقطاعيين على الأرض والإنسان الذي يمتلكه هذا الإقطاعي^{٣١}.

بينما شيدت القلاع لتدافع عن حدود العالم الإسلامي وعرفت في بادئ الأمر بالربط^{٣٢}، وتطورت عمارتها إلى أن أصبحت متينة البنين، وتحولت العديد من التحصينات الدفاعية في شمال العراق وبخاصة حول الموصل إلى مدن قلاعية. أغرت حكامها أحيانا بأن يستقلوا عن البوالة؛ ظهر هذا في عصر ضعف الدولة العباسية (٢٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٧ - ١٢٥٨ م) خاصة أن معظم قلاع شمال العراق جبلية مما زاد في حصانتها. كان الخليفة العباسي قد عين عماد الدين زنكي والياً على الموصل عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م^{٣٣}، ومن هذه المنطقة بدأت رحلة الجهاد ضد الصليبيين، والتي وصل الأمر فيها إلى تولية صلاح الدين الأيوبي حكم مصر وبلاد الشام. عندما استتب حكم مصر لصلاح الدين فكّر في مشروع طموح، وهو تحصين حواضر مصر بسور حصين تكون به قلعة تمثل المفصل القوى الذي يشد هذه الأسوار بعضها ببعض، أو تكون بمثابة نقطة ارتكاز قوية في هذه التحصينات^{٣٤}، وبالتالي مقرر لحكم مصر. ويجب النظر في خطة صلاح الدين هذه إلى كونها خطة لتحصين مصر

وبصفة خاصة مدينتي القسطنطين والقاهرة معا على أنها خطة لحماية المصريين من الخطر الصليبي، والذي سبق أن عانت منه البلاد وكان سبباً مباشراً لقدم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين إلى مصر^{٣٥}، خاصة أن التهديد الصليبي بغزو مصر ظل قائماً^{٣٦}، وجاء تشييد القلعة لتكون ملاذاً أخيراً في حالة سقوط المدينة في يد الأعداء. يمكن من خلاله استردادها^{٣٧}. كان صلاح الدين كذلك في حاجة إلى مقر جديد للحكم، فدار الوزارة التي أقام بها في القاهرة^{٣٨} كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولة الفاطمية، وبمنصبه هو في أواخر أيامها كثنائي رجل في السلطة، وكان في حاجة إلى مكان لإقامة جنده خاصة فرقة الصلاحية^{٣٩} وخصوصاً بعد أن وزع القصور الفاطمية على أمرائه.

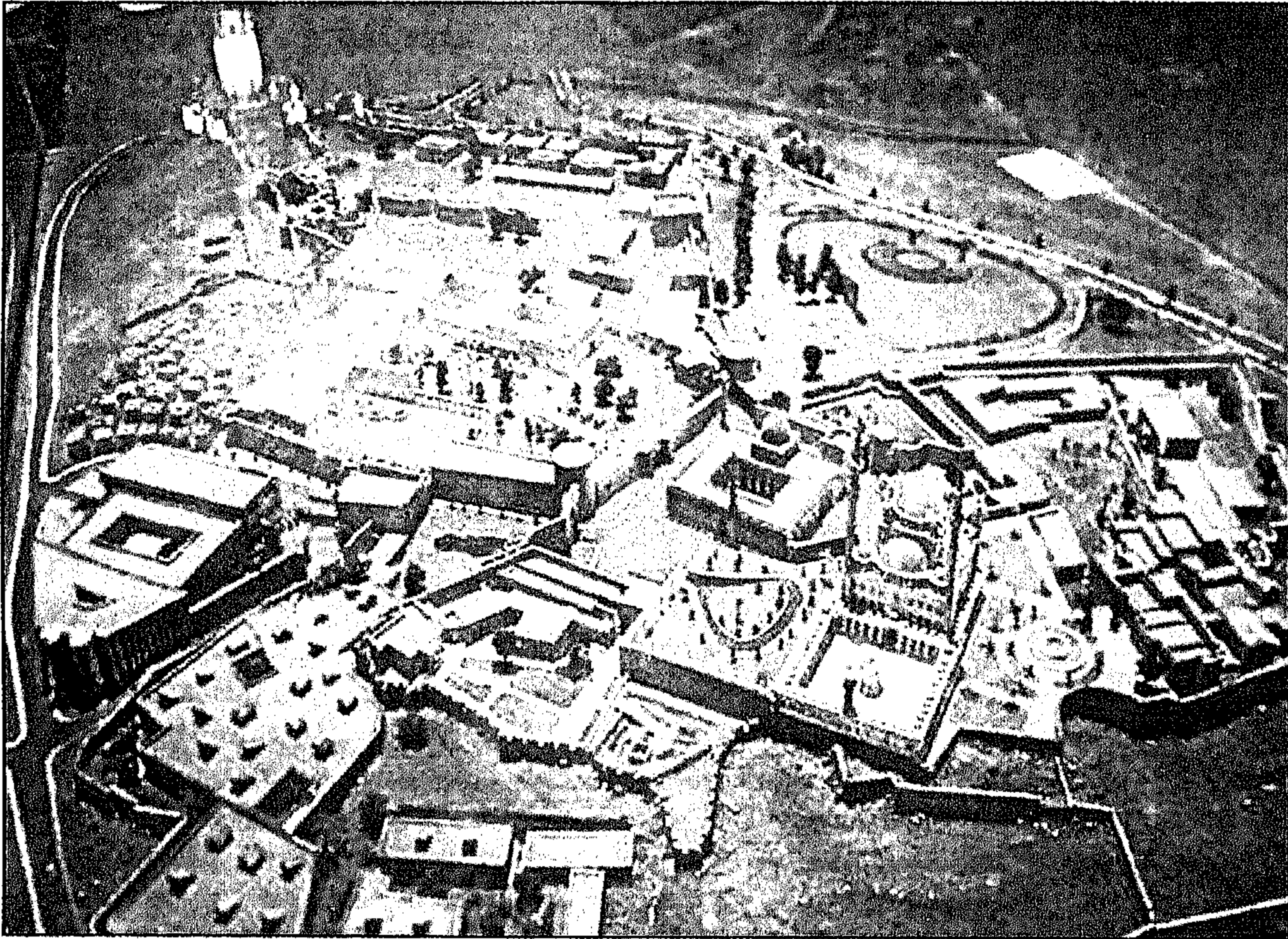
وهكذا رغب صلاح الدين في أن تؤدي القلعة وظائف متعددة، كمقر له ومقر لإيواء جنده، ولتثبيت صورته كسلطان ومؤسس لعصر جديد بتأسيس مقر للحكم يرمز لهذا العصر. والجديد في عصر صلاح الدين في مصر هو اتخاذ القلعة مقراً للحكم، وهي استحكام حربي يوفر الأمن في ظل الاضطراب السياسي الذي ساد العالم الإسلامي حينئذ. فحينما كان صلاح الدين في بلاد الشام يضم دمشق وما حولها لدولته تعرض لمحاولتين لاغتياله على يد طائفة الحشاشين، الذين كانوا يحقدون عليه لأنه قضى على الدولة الفاطمية المصدر الروحي لهم. وفي الفترة نفسها تم القضاء على ثلاث محاولات للتمرد عليه من الموالين للفاطميين في مصر وهو ما انعكس على الإجراءات الأمنية المحيطة بصلاح الدين^{٤٠}.

لقد جاء صلاح الدين إلى مصر من الشام وهو متأثر بما رآه من قلاع في مدنها، فقد ولد في قلعة تكريت^{٤١} وعاش طفولته في مدينة بعلبك المحصنة، ودخل في خدمة نور الدين محمود في سنة ١١٥٢ م في سن الرابعة عشرة، وفي عام ١١٥٤ م انتقل إلى دمشق مع والده الذي عين حاكماً عليها وعمه أسد الدين شيركوه الذي عين قائداً للجيش النوري. وسرعان ما ظهرت مواهب صلاح الدين واختاره نور الدين في عدة مناصب، وقضى السنوات الخمس عشرة التالية في

آسيا الصغرى والشام في القرنين الحادى عشر والثانى عشر. مثل قلاع دمشق وحلب وحماة وحمص في سورية والموصل وتكريت وسنجار في العراق وقونية وقيصريه في آسيا الصغرى كل هذه القلاع تنتمى للتوجه نفسه، وكانت مقار للحكم لإمارات مستقلة ظهرت في القرنين السادس والسابع الهجريين، الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين مع انهيار الدولة السلجوقية^{٢٢}، إن بناء وتجديد تلك القلاع، كان يبشر بعهود جديدة جذورها غير عربية وميولها عسكرية. وكثير من مؤسسى تلك الأسر الحاكمة كانوا في الأصل قوادا في الجيوش السلجوقية أو أتاكبا لأمرأ سلجوقيين وكانوا أيضا فرسانا يتحدثون التركية. وينتمون إلى طائفة عسكرية سنية أسلمت مؤخرا وباتت تهيمن على الوضع السياسى^{٢٣}؛ لذا لم يكن تولى الممالك الأتراك حكم مصر شيئا مستغربا في ظل هذه الأوضاع مع استمرار اتخاذهم للقلعة مقراً للحكم.

صحبة نور الدين في رحلاته وحملاته الحربية ما بين المدن والقلاع الحصينة التى تقع في نطاق ملكه ومهاجما للقلاع والمدن الصليبية وتعلم كيف يحكم دولة إقطاعية وكيف يقود جيشاً^{٢٤}. ومن المحتمل أنه في تلك الفترة نفسها اعتنق الأهداف العريضة للجهاد الإسلامى وإحياء السنة وإستراتيجية نور الدين في التعامل مع الصليبيين، وشهد صلاح الدين تجديد عدد من قلاع الشام بعد حدوث زلزالين ضربا المنطقة في عامى ١١٥٧م و١١٧٠م، مما أثر في قلاع حمص ودمشق وحلب وبلبك والتي تم إعادة بنائها وتحصينها حتى تقاوم التطورات الجديدة في آلية الحصار.

مثلت قلعة الجبل في ضوء ما سبق أكثر من مجرد اهتمام بالدفاع والأمن أو التقدم في أساليب البناء وتقنيات الحصار. لقد كانت أحد المظاهر الطبيعية للتغيير في التعبير المعمارى في العالم الإسلامى آنذاك. والذى تجلى في بناء وإعادة تجديد القلاع كمقار للأمراء في كل أنحاء



قلعة الجبل - المدينة الملكية والحصن

الحواشي

١ عبد الحى الكتانى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية والولايات الدينية، ص ٧٦: ٨٦، نشر دار الكتاب العربى بيروت، دون تاريخ.

٢ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، ص ٩٦، ليدن ١٩٢٢. حورية سلام (دكتورة) الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة القسطنطينية حتى العصر الفاطمي، ص ٧٢، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢.

٣ جاء في فتوح مصر لابن عبد الحكم، روايتان ثانيتان حول دار عمرو، تروى أولاها أن دار عمرو هي تلك التي اختطها ابنه عبد الله عند المسجد الجامع حيث بنى دارا على تربيعة الكعبة الأولى، والرواية الثانية تذكر أن عمرا قد اختط إلى جوار المسجد دارا أراد أن يجعلها لعمربن الخطاب إلا أن الخليفة رفض وكتب إلى عمرو (أنى لرجل في الحجاز أن تكون له دار بمصر) والروايتان لا أستطيع الأخذ بهما، لعل فيهما، ذلك أن عمرو بن العاص كان من الطبيعي أن يبنى دارا له يسكن فيها إلى جوار دار ابنه، وأن يتجاور الاثنان في السكن، خاصة أن عبد الله قدم وهو كبير السن، واستقر بها إلى أن مات. ومن المحتمل أن يكون قد ضم دار والده إلى داره، سكن من قدم من الأمراء دار والده، واعتبرت مقرا لهم لقربها من المسجد الجامع. والرواية الثانية قد تكون من المبالغات التاريخية التي كثيرا ما ترددها كتب التاريخ. ويعود تعدد الروايات في هذا الشأن لدى ابن عبد الحكم إلى أن المؤرخين دأبوا على تسجيل ما يتردد من روايات. وكان القارئ قديما يستطيع تمييز الصحيح منها لعله بقواعد الجرح والتعديل ونقد المتن من خلال علم مصطلح الحديث. انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٩٢، ٩٧.

٤ شوقى أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٩٢، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٧.

٥ خطط الحمراوات ثلاث: دنيا ووسطى وقصوى، وسميت بذلك لنزول الروم بها. وهم حمر الألوان. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيمن العلائي، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ص ٩١، دار الآفاق الجديدة. بيروت ١٩٨٧ م؛ يوسف أحمد، القسطنطينية، ص ١٤-١٧. سلسلة المحاضرات الأثرية القاهرة ١٩١٧ م.

٦ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٢٨-١٢٩.

٧ اتخذ عبد العزيز بن مروان من حلوان مقرا لحكمه فيما بعد، وكان قد بدأ في تشييدها من عام ٦٧هـ / ٦٨٦ م بهدف أن تكون منتزها له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام، ولكن ظهور طاعون في القسطنطينية سنة ٧٠هـ / ٨٨٩ م جعله يتخذ من حلوان مقرا للحكم، وكان قد شيد بها قصرا ودورا. وعاد مقر الحكم إلى القسطنطينية سنة ٨٧هـ / ٧٠٦ م في أثناء ولاية عبد الله بن عبد الملك. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة والقضاة، ص ٤٩، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨ م؛ ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٤،

ص ١٩. دار صادر بيروت ١٩٥٧ م؛ سعاد ماهر (دكتورة)، القاهرة القديمة وأحيائها، ص ١١٧، المكتبة الثقافية، العدد (٧٠)، ١٩٦٢.

٨ الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٩.

٩ على سبيل المثال دار الإمارة في واسط التي شيدها الحاج بن يوسف الثقفي. انظر، عبد القادر المعاضيدى (دكتور)، واسط في العصر العباسي، ص ١٢٤. دائرة الشؤون الثقافية، بغداد. ١٩٨٢ م.

١٠ أحمد مختار العبادى (دكتور)، أحداث مصر الإسلامية والمغرب والأندلس، ص ٤٦٢، بحث في كتاب أئمة التاريخ الإسلامي، ج ١، القسم الأول، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢ م.

١١ عماد الدين خليل (دكتور)، القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، ص ٤٣ - ٥٧. مكتبة النور، القاهرة ١٩٨٥.

١٢ أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١، ٣٢٦ - ٣٢٧، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣.

١٣ البلوى، عبد الله بن محمد المدني، سيرة أحمد بن طولون، ص ٥٥ - ٥٦، تحقيق محمد كرد على، طبعة دمشق ١٩٣٩ م.

١٤ استقل السري بن الحكم بحكم مصر عن الدولة العباسية، مستغلا الاضطرابات التي سادت الدولة العباسية في أثناء الصراع بين الأمن والمأمون. الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٦٦-١٦٧؛ سامح عبد الرحمن فهمى (دكتور)، دولة بنى السري أول من استقلت بمصر عن الدولة العباسية، ص ٧٢ - ١١٠، مجلة دراسات أثرية إسلامية، المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٩١ م.

١٥ البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٨٠ - ٨١.

١٦ المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج ١، ص ٣١٢ - ٣١٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣٢٧.

١٧ المقريزى، الخطط المقرئية، ج ١، ص ٣٠٥.

١٨ المقريزى، الخطط المقرئية، ج ١، ص ٣١٥.

١٩ المقريزى، الخطط المقرئية، ج ٢، من ص ١٧٨؛ ١٨١؛ فريد شافعى (دكتور)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، ص ٥٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٤.

٢٠ شيد الحاج بن يوسف الثقفى (٨٢ - ٨٦ هـ / ٧٠٢ - ٧٠٥ م) واسط بين الكوفة والبصرة وجعلها مدينة مسورة حصينة لكي تساعد في السيطرة على العراق ومدينتيه الكبيرتين الكوفة والبصرة. تعد واسط من أوائل الحصون التي شيدت لتكون مقرا للحكم يعبر عن قلق الحاكم الأمنى وحاجته للسيطرة على الإقليم الذى يحكمه، عبد القادر سليمان المعاضيدى (دكتور)، بناء المدن العسكرية، ص ٢٧٦. بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح، الجزء الثالث بغداد ١٩٨٨ م.

٢١ لم يستقر بنو العباس قبل تأسيس بغداد على عاصمة لهم إذ أقام أبو العباس هاشمية الأنبار، ونقل أبو جعفر الحكم منها إلى الحيرة، ثم أسس هاشمية الكوفة، غير أنه وقعت بهذه المدينة واقعة الراوندية التي كاد يقتل فيها المنصور، ولهذا السبب كره المنصور الإقامة فيها بعد أن قضى على حركة الراوندية، كما كره الإقامة فيها لعامل آخر هو مجاورة أهل الكوفة أنصار العلويين، فقد كان لا يأمنهم على نفسه، وكانوا قد أفسدوا عليه جنده، وتحتم على المنصور البحث عن موضع جديد أفضل من المواضع السابقة تتوفر فيه جميع المزايا الاستراتيجية. السيد عبد العزيز سالم (دكتور) العصر العباسي الأول، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، مؤسسة الشباب، الإسكندرية. ١٩٨٤.

٢٢ لمزيد من المعلومات عن تحصينات بغداد انظر: عبد القادر المعاضيدى، بناء المدن العسكرية، ٢٢٣ - ٢٤٠.

٢٣ جوهري الصقلي: هو أبو الحسن بن عبد الله الرومي الصقلي، قاضي جوش الفاطميين لفتح مصر، وأسس حصن القاهرة ليكون مقرا لحكمهم بها. لمزيد من التفاصيل انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٦٨. مؤسسة الرسالة ١٩٨١ م؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٣٧٥: ٣٨٠. تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت بدون تاريخ.

٢٤ ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية في خطط المعزية القاهرة، ص ١٢، تحقيق - أيمن فؤاد سيد (دكتور)، الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦ م.

٢٥ المقريزي، الخطط المقريزية، ج ١، ص ٣٩٧.

٢٦ المقريزي، الخطط المقريزية، ج ١، ص ٣٩٧.

٢٧ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٣٣-٣٤: أحمد الصاوي (دكتور) مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٢٩، بيروت - بدون تاريخ؛ محمد أبو الفرج العشي (دكتور) مصر القاهرة على النقود العربية الإسلامية، ص ١١، ج ٢، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٧١ م.

٢٨ المقريزي، الخطط المقريزية، ج ١، ٣٦٤.

٢٩ Olg graber. power and architecture. p75

٣٠ ورث الميرنيين الموحدين في حكم المغرب، وهم ينتمون إلى قبائل زناتة البربرية، ظل حكمهم في المغرب من القرن ٨٦/ ١٢ م إلى القرن ٩/ ١٥ م. كان لهم دور كبير في مساعدة بني نصر حكام غرناطة بالأندلس في مقاومة الصليبيين. وشيدوا العديد من المنشآت الحضارية التي مازالت باقية حتى اليوم خاصة في مدينة فاس ومن أشهر ملوكهم الأمير عبد الحق بن محيو، وأبو يوسف يعقوب، وأبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب. لمزيد من التفاصيل عنهم انظر: كليفورد بوزروث، الأسرار الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٥٩: ٦٢. ترجمة حسين اللبودي، مراجعة سليمان العسكري (دكتور)، عين للدراسات ومؤسسة الشراع العربية. القاهرة ١٩٩٥ م؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي (دكتور) موسوعة المغرب العربي، ج ٢، ص ١٩٧: ٢٤١، مكتبة مدبولي ١٩٩٤ م.

٣١ روجيه لوتونوفو، فاس في عهد بني مرين، ص ٢٦. ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧ م.

٣٢ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، البلدان، ص ٢٢٧ - ٢٣٨. لبنان ١٨٩٢ م.

٣٣ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ١٤.

٣٤ عبد الرحمن زكي (دكتور)، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، ص ٦٢، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، ١٩٦٩ م.

٣٥ مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص ١٣٩ - ١٤٠، دار الرشيد بغداد ١٩٨٢ م.

٣٦ عبد العزيز حميد صالح (دكتور)، التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، كتاب الجيش والسلاح، ج ٢، ص ٢٥٦.

٣٧ عبد العزيز حميد صالح، التحصينات الدفاعية، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

٣٨ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٩٠، دار صادر بيروت، ١٩٦٨ م.

٣٩ بدأت تظهر ضرورة ملحة إلى توفير الأمن للحكام في الدولة الإسلامية بعد تكرار محاولات اغتيال الحكام ومن ذلك اغتيال على ابن أبي طالب في مسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ / ٦٦٥ م ومحاوله اغتيال معاوية بن أبي سفيان والتي ترتب عليها اتخاذ المقاصير في المساجد الجامعة. والمقصورة عبارة عن حاجز من الخشب الخروط توضع خلف المحراب الهدف منها حجب الحاكم عن الناس أثناء الصلاة. وقد كره الفقهاء اتخاذ المقاصير في المساجد لتفريقها الصفوف، وكان أول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان في مسجد دمشق، وأقدم مقصورة باقية موجودة في مسجد القيروان، وهي تعود إلى القرن ٥ هـ / ١١ م. وقد عملت مقصورة في مسجد عمرو ابن العاص في القسطنطين في ولاية قرطبة بن شريك في عهد خلافة عبد الملك بن مروان في القرن ١ هـ / ٧ م. الزركشي. إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص ٣٧٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٠٣ هـ. صالح لمعي (دكتور)، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ص ٩٧، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤ م. حسين مؤنس (دكتور)، المساجد، ص ١٤٨ - ١٤٩، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٣٧)، الكويت ١٩٨١ م.

٤٠ Encyclopaedia britanica. vol 5, p.38,39. 1972

٤١ Olg graber, Power and architecture, p 69

٤٢ الرباط: ربط الشيء يربطه أي يشده، والرباط ما يربط به والرباطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر، ومنها أصبح الرباط المواظبة على الأمر، كذلك المواظبة على الطهارة والصلاة والجهاد، ورباطت أي لازمت. الأربعة منشآت حربية يقيم فيها المرابطون طوال العام لمواجهة أي هجوم محتمل على الثغور الإسلامية، انتشرت الأربعة على طول سواحل البحر المتوسط خاصة في العصر العباسي الذي تقيى منه رباطان

٤٦ سهيل زكار (دكتور)، حطين مسيرة التحرير، ص ٨٩. دار حسان دمشق ١٩٨٤م.

٤٧ كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص ١٢، ترجمة د. جمال محرز، مراجعة د. عبد الرحمن زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٤٨ دار الوزارة الفاطمية، كانت تقع في موضع الخانقاه التي شيدها السلطان بيبرس الجاشنكير وشيدت على أرضها منشآت أخرى، شيد دار الوزارة بدر الجمالي أو ابنه الأفضل وربما أكملها الأفضل. يرجع المقريري أن مشيدها هو الملك الأفضل. ظلت مقرا لوزراء الدولة. الفاطمية إلى أن ولى صلاح الدين الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد وألغى الخلافة. قلم يتحول عنها لمكان آخر بل ظل يتخذها مقرا له. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٥٠؛ المقريري، الخطط المقريرية، ج ١، ص ٤٢٨.

٤٩ سهيل زكار (دكتور)، حطين مسيرة التحرير، ص ٩٢.

٥٠ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ١، ص ٦٩٥.

٥١ تقع تكريت اليوم في العراق، وهي عاصمة محافظة صلاح الدين.

٥٢ أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ٢٥٢، ٢٥٣: ٤٢، ج ٢، ص ٥٣٥؛ المقريري، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١، ص ٤٢، ٣٥.

٥٣ Nasser O. Rabbat, The citadel of cairo, p 16 Leiden. New York, Kolen. 1995

٥٤ Nasser O. Rabbat, The citadel, p16

في تونس الأول رباط المنستير الذي شيده هرثمة بن أعين في الفترة ما بين ١٧٩-١٨١هـ/ ٧٩٥-٧٩٧م. والثاني رباط سوسة الذي شيد سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١-٨٢٢م. ويعبر الوقت استغلت الأربطة كمنشآت لإقامة فقراء المسلمين أو لرعاية النساء اللاتي لا عائل لهن أو المفترقات أو المطلقات واستخدمت الأربطة أيضا لإقامة الصوفية ومن هنا جاء الخلط بينها وبين وظيفة الخانقاه. محمد عبد الهادي شعيرة (دكتور)، من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ٤٤٠: ٤٤٢. بحث ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للآثار في البلاد العربية، القاهرة ١٩٦٥م. إبراهيم شيوخ، قصر هرثمة بن أعين بالمنستير، رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٦٤م. محمد سيف النصر أبو الفتوح (دكتور) منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، ص ٣٥٢: ٣٦١. رسالة دكتوراه كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٨٠م. سعد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن، ص ٨١. دار البشير عمان ١٩٨٧م. Neji Djelloul, Les Fortifications en Tunisie, Fortifications en Tunisie, p 42: 53. Tunisie 1999

٤٢ علاء نورس (دكتور) مدن القلاع، ص ٢٦٧: ٢٧٦. بحث ضمن كتاب المدينة والحياة المدنية، الجزء الثاني، بغداد ١٩٨م.

٤٤ بول كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٦٧. ترجمة أحمد دراج (دكتور)، مراجعة جمال محرز (دكتور)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٤٥ محمد مصطفى زيادة (دكتور) الدولة الأيوبية، ص ٤٦٠ - ٤٦٢. بحث ضمن كتاب الحضارة المصرية، المجلد الثاني، مكتبة مصر. أسامة عبد النعيم (دكتور)، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، ص ٥٣، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢م.

الفصل الثاني

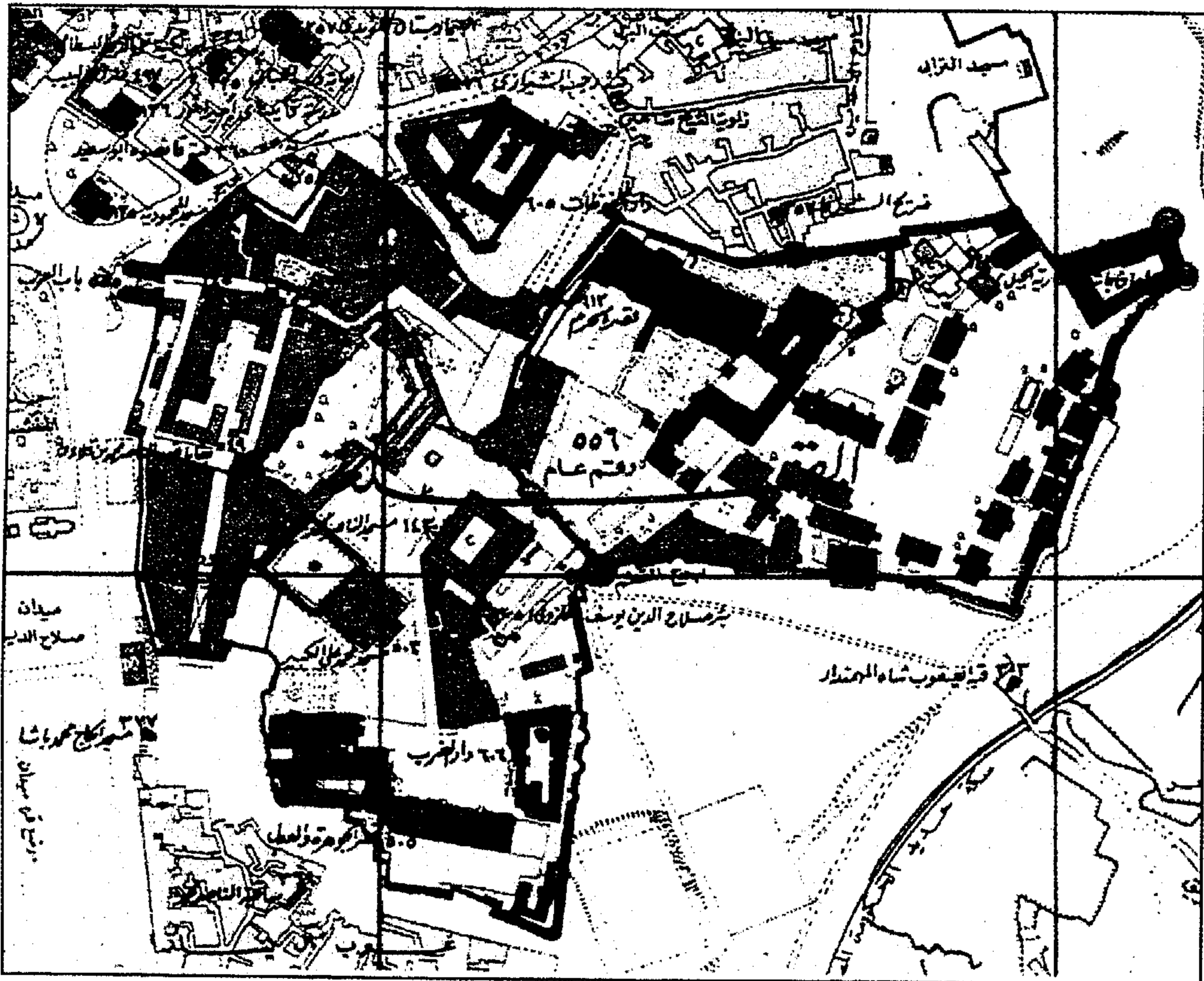
نشأة القلعة

التأسيس والتكوين

مرت قلعة الجبل بمرحلتين أساسيتين، الأولى هي مرحلة التأسيس التي بدأت على يد صلاح الدين وانتهت بانتقال الكامل بن العادل الأيوبي إلى القلعة ليتخذها مقرا لحكمه عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م^١. في هذه المرحلة باتت القلعة تستكمل مقوماتها كحصن حربي ومقر للحكم. والمرحلة الثانية تبدأ من عصر الكامل إلى نهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون، ونستطيع أن نعتبرها فترة تكوين مقومات القلعة كمقر للحكم، وبعد حكم الناصر لم تضاف إلى القلعة منشآت جديدة تدل على تحولات مثيرة، سوى بعض الإضافات والتعديلات والتجديدات خاصة في العصر العثماني. يبقى عصر محمد علي فترة حاسمة في تاريخ القلعة، إذ حدث فيه تغير في التعبير المعماري كان انعكاسا للوضع السياسي الجديد، وهو ما سيأتي الكلام عنه في حينه.

طور التأسيس

بنيت القلعة على نتوء صخري ارتفاعه ٧٥ مترا يمتد غربا من جبل المقطم وهو في منتصف الطريق بين القاهرة والفسطاط. وطبقا لرواية المقرئى اختار صلاح الدين موقع القلعة بنفسه بواسطة تعليق ثلاث قطع من اللحم في ثلاثة مواقع. كان موقع الرصد هو أكثر هذه المواقع التي بقي فيها اللحم أطول فترة ممكنة دون أن يفسد. وهو ما يوضح لنا أهمية المميزات البيئية والصحية في اختيار الموقع. وبالرغم من ذلك وقع اختيار صلاح الدين على موقع القلعة الحالي لأسباب استراتيجية^٢. فهذا الموقع يطل ويهيمن على مدينة القاهرة في الشمال الغربى ومدينة الفسطاط في الجنوب. والمسافة بينهما نادرة السكان، والممر أو الطريق الشمالى الجنوبى بينهما. فضلا عن أنه قريب منهما بوضع يكفل للقلعة الإمدادات في حالة



قلعة الجبل - المخطط العام

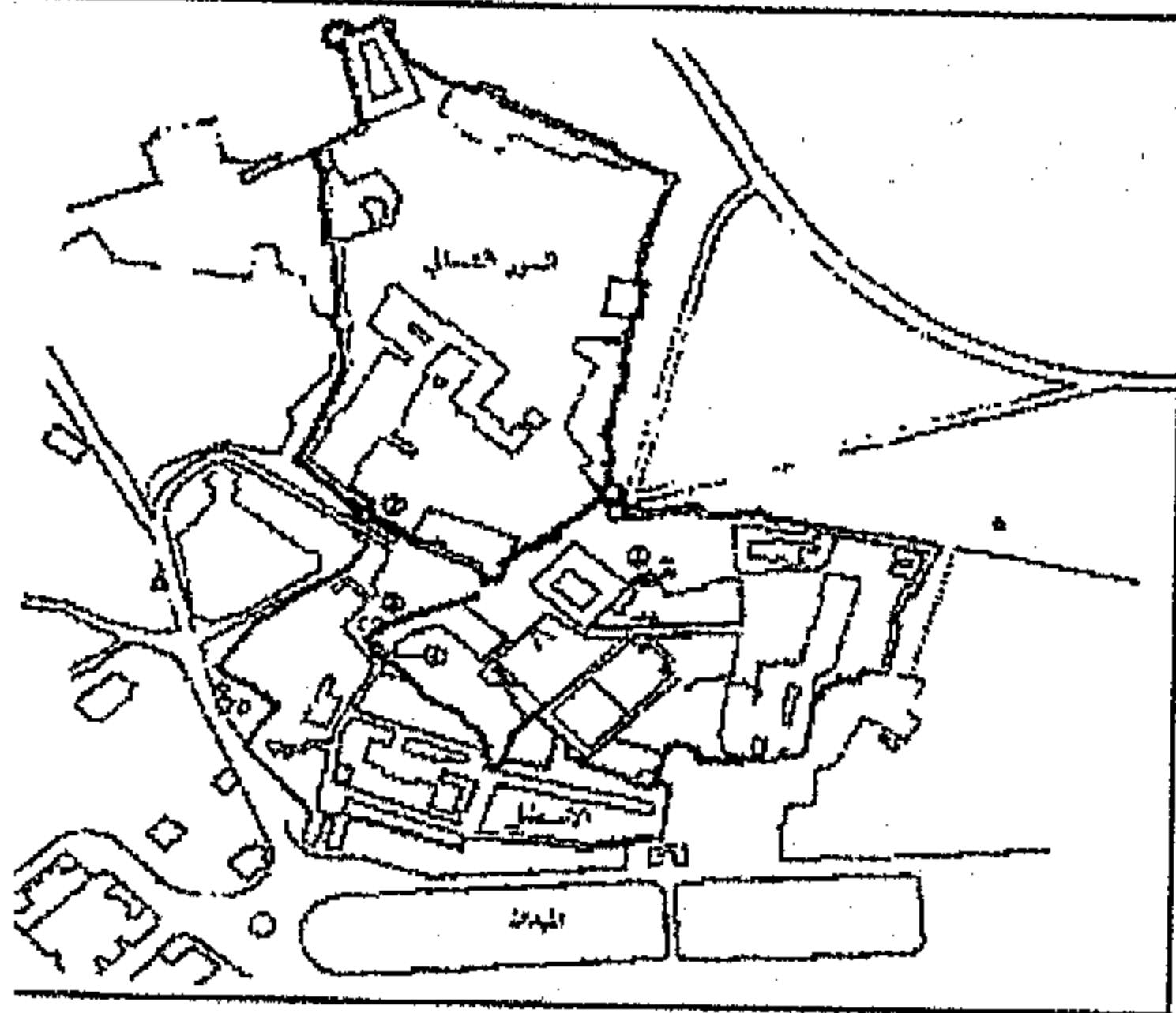
الولاية دورهم في حالة وجودهم بها. ولاشك أنه ألحق بالقبّة مسجد أو مصلّى لأداء الصلوات الخمس في المكان المنعزل. ومن المحتمل أنه كان في موضع أو في جزء من موضع مسجد سعد الدولة. ولفرط أهمية قبّة الهواء وما جرى بها من أحداث فقد ظلت ذكرها تتردد في المصادر التاريخية، وشيد في موضع القلعة عشرة مساجد في العصر الفاطمي^١ بقى منها الآن مسجدان: مسجد سعد الدولة الذي شيد في موقعه مسجد الناصر محمد بن قلاوون ومسجد قسطة الذي شيد في موقعه مسجد سارية الجبل^٢. وهدمت بعض هذه المساجد عند تأسيس القلعة^٣.

قلعة الجبل في عهد صلاح الدين

إذا أردنا أن نحلل التطور الطبوغرافي للقلعة طبقاً للتحوّلات السياسية المختلفة التي طرأت عليها فلا بد من أننا سنتعامل مع مشيدها، وكذلك من أدخلوا تعديلات جوهرية عليها.

قلعة الجبل

استخدم بهاء الدين قراقوش الأسرى الصليبيين في بناء القلعة^٤، وهو ما وفّر عليه الكثير من الأموال والوقت اللازم لتدبير العمالة اللازمة لأعمال قطع الأحجار في منطقة الخندق المتاخمة للقلعة والتي تفصل القلعة عن جبل المقطم. وتوحى ملحوظة ابن جبّير حول قطع الأحجار بأن هذه الأحجار

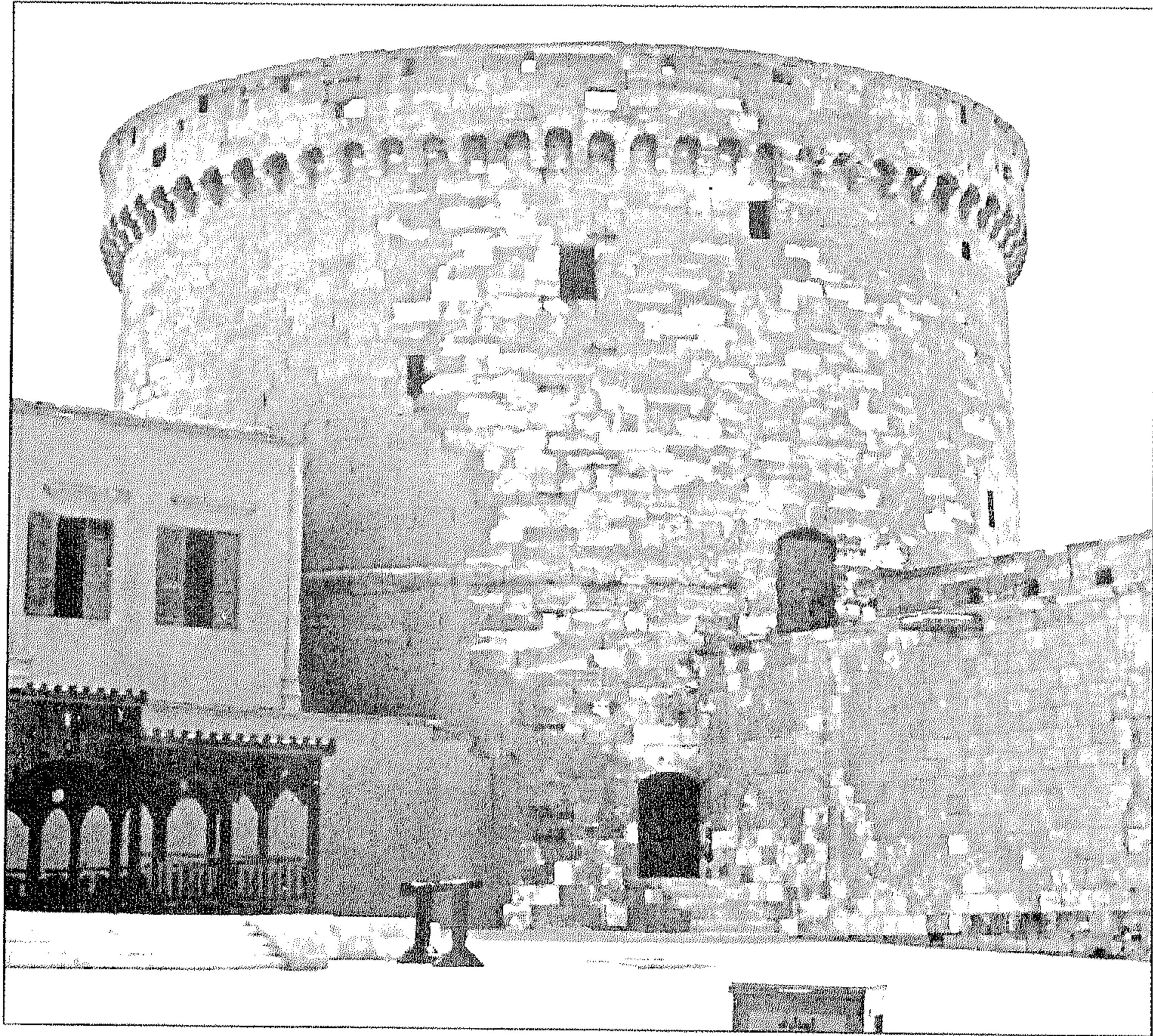


القلعة في العصر الأيوبي

الحصار. وموقعها منعزل عما حولها مما يجعلها ملجأ آمناً للحاكم في حالات الاضطرابات السياسية. فضلاً عن تأثر صلاح الدين بنمط القلاع الجبلية في الشام والعراق. لم يكن صلاح الدين ورجاله أول من التفت إلى أهمية موقع القلعة، فقد كان متنزهاً، إذ شيد فيه حاتم بن أبي هرثمة قبّة الهواء وذلك فيما بين عامي ١٩٤-١٩٥ هـ / ٨٠٩-٨١١ م^٥. واستعملت من قبل الولاة العباسيين وأقام بها الخليفة المأمون عند زيارته لمصر، ودارت بها العديد من الأحداث السياسية إلى أن دمرت مع تدمير الجيش العباسي للقصر والميدان الطولوني اللذين كانا يقعان أسفلها^٦، وكان ابن طولون ومن خلفه قد اعتنوا بها لذا عدما العباسيون جزءاً من رموز السلطة الطولونية المستقلة عن دولة الخلافة. يرى كازانوف أن مكان قبّة الهواء كان يقع في المكان المعروف حالياً بمتحف الشرطة والقاعة الأشرقية المكتشفة حديثاً^٧، غير أن ناصر الرباط قد أجرى سلسلة من التحليلات انتهت فيها إلى أن موقعها في موقع مسجد الناصر محمد بن قلاوون^٨ والذي ذهب إلى يقرب من الصواب، إذ إن هذا الموقع شغل جزءاً منه مسجد سعد الدولة والذي يرجح أنه شيد لأداء الصلاة في هذا الموقع المنعزل عن العمران وربما أسسه حاتم ابن هرثمة مع تشييده القبّة وهذا المسجد ربما جدد في العصر الفاطمي، ومن الطبيعي أن تشيد قبّة الهواء في اتجاه العسكر، حاضرة العباسيين في مصر، فضلاً عن أن هذا الموقع نستطيع أن نرى منه الأهرامات والنيل حينئذ. والمكان الذي اقترحه كازانوف لموقع قبّة الهواء كان يطل على صحراء جرداء في العصر العباسي. وإذا دققنا في سبب ترجيح كازانوف له سنجد أنه اعتمد على مقولة المقرئ إن قبّة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل^٩ ولم يحدد اتجاهها. وتعلق الأمر هنا باستنتاج من كازانوف. غير أن معطيات الموقع وما تحته من امتداد عمراني ترشح ما ذهب إليه ناصر الرباط. وما سبق يعطينا دلالات على أن هذا الموقع له جاذبيته السلطوية منذ فترة مبكرة. وقبّة الهواء نرجح أنها كانت تسمح لمن يجلس بها بالاستمتاع بما يراه منها من معالم، فضلاً عن أنه من المرجح إلحاق مراقب بها للإقامة وتساعد على أداء

يعد الفصل الذي زاد فيه قراقوش ليفصل بين موضع القلعة وجبل المقطم، والذي جعل منه خندقاً عميقاً من أكبر أعمال تأمين القلعة^{١٤}. ويعتقد بعض الباحثين أن قلعة قراقوش هي القسم الشمالى فقط من القلعة الحالية، ومن هؤلاء كازانوفا^{١٥} بينما يرجح البعض أن يكون قراقوش شيد أجزاء من القسم الجنوبى ومنهم كريزويل^{١٦} وتعطى المعطيات التاريخية والتحليلية أن قراقوش شيد القسمين معا ولكن حدود القسم الجنوبى تعرضت للتغيير نتيجة لكثافة العمران وتتابعه في هذا القسم. والدليل على أن القسمين نفذوا معا ضمن مخطط القلعة هو القياسات التى أوردها العماد الأصفهانى من الوثائق الرسمية للدولة الأيوبية، والذي أفاد بأن محيط القلعة بما فيه أبراجها

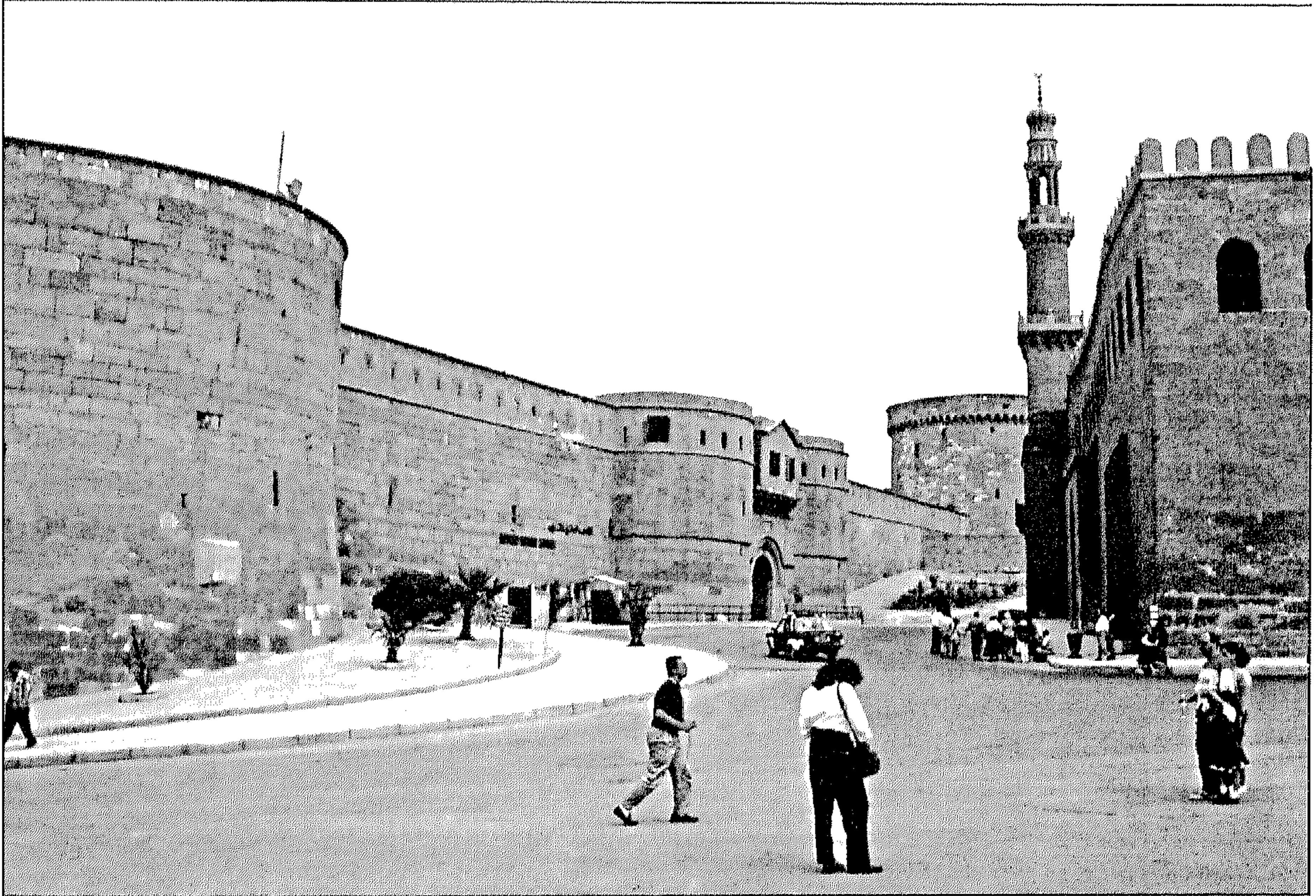
كانت تستخدم في بناء أبراج وأسوار القلعة، وهو ما يوفر المال والوقت والجهد. واعتمد بعض الباحثين على ما ذكره ابن جبير في دحض ما فهم خطأ من رواية عبد اللطيف البغدادى عن استخدامه أحجار الأهرامات الصغيرة في الجيزة في بناء القلعة، غير أن رواية البغدادى تفيد أنه استخدم هذه الأحجار في بناء جسر بين الجيزة والفسطاط، يتكون من أربعين عقداً^{١٧}، غير أنه اكتشفت أثناء أعمال الكشف عن أسوار صلاح الدين الشرقية في عام ١٩٩٨م، نصوص هيروغليفية بالسور تعود إلى عصر الدولة القديمة تثبت استخدام قراقوش لأحجار من منطقة أهرامات الجيزة غير أنه يبدو أنه قد تراجع عن ذلك لعدم جدوى نقل الأحجار من الجيزة إلى موقع السور وبالتالى إلى القلعة.



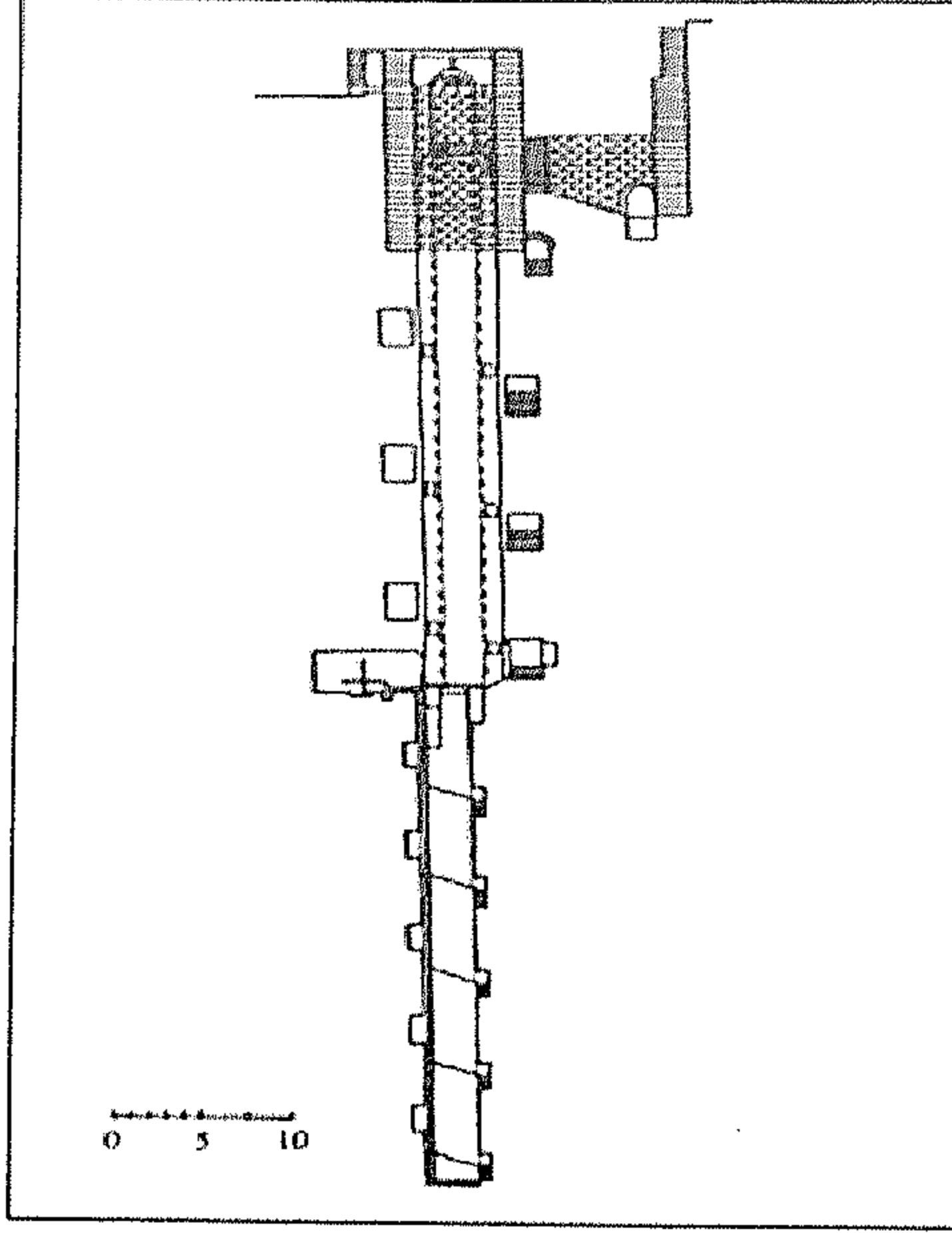
برج المقطم

محمد علي في القرن التاسع عشر. ووصل إلى أن محيط النطاق الشمالى يقرب من ١٤٠٠م تاركاً ما بين ٥٤٥-٧٠٠م غير داخلين في حساباته، واقتضى كريسويل أن هذا الفرق يبدأ من برج المقطم والبرج الوسطاني، وتوقف مفترضاً أن الحفريات في النطاق الجنوبي ستؤدي إلى نتائج جديدة. وإذا أردنا أن نبحث عن هذا الفارق في حسابات كازانوفنا فعلياً أن نفترض أن النطاق الجنوبي يبدأ من امتداد كل من برج المقطم والبرج الوسطاني. آخذين في الاعتبار أن هذا السور تعرض للتجديد بخاصة الامتداد من برج المقطم الذى ينتمى إلى يكن باشا الذى أعاد تجديده في عام ١٧٨٥م. والجزء الممتد من البرج الوسطاني حتى متحف الشرطة الحالى رمت أجزاء منه وجددت أجزاء أخرى في عهد محمد على يدل على ذلك المقارنة بين الوضع

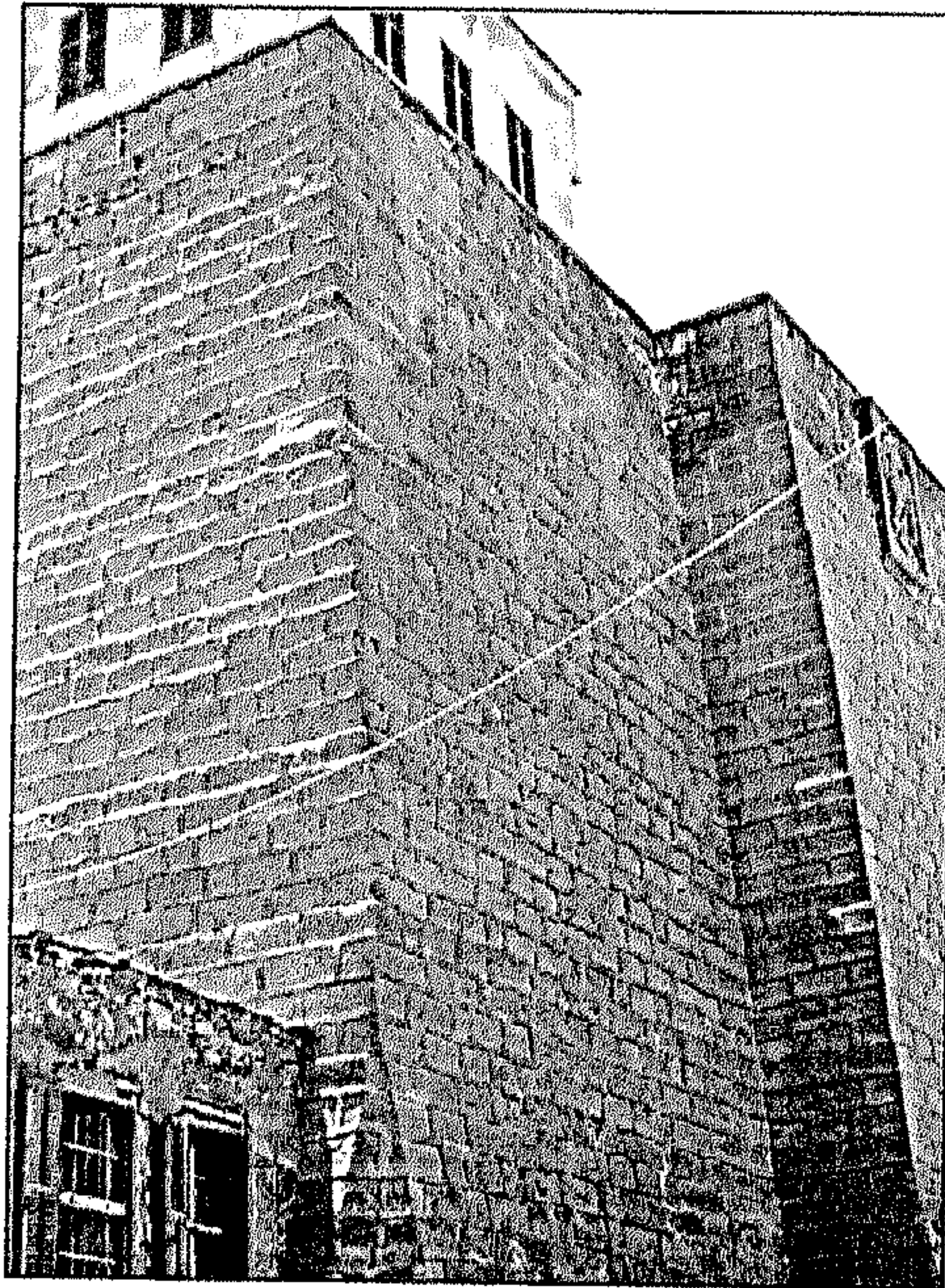
هو ٣٢١٠ أذرع هاشمية، وهو إما ٢١٠٣م أو ١٩٧٧م. واستخدم كل من كازانوفنا وكريسويل الرقم الأول لإعادة بناء صورة قلعة قراقوش. وفى أثناء دراستهما اكتشفا أن الرقم المذكور أكبر من محيط النطاق الشمالى للقلعة، ولكنه أصغر من مجموع النطاقين الشمالى والجنوبى معاً. وقدمتا تفسيرين مختلفين لهذا التناقض^٧. ومع أن حسابات كازانوفنا نتج عنها نقص في ٣٠٠م لسور القلعة، فقد تمسك بأن النطاق الشمالى للقلعة كان يشكل القلعة الأصلية. أما النطاق الجنوبى وهو النطاق الملكى بدأ يفكر فيه صلاح الدين بعد الانتهاء من بناء النطاق العسكرى أو الشمالى ولم يتم بناؤه إلا في عصر الكامل، وأوضح كريسويل أن كازانوفنا ضمن في حساباته أبراجاً وأقساماً بناها السلطان الكامل وليس صلاح الدين، وأجزاء من الأسوار بناها



برج المقطم وبرج القلعة والبرج الوسطاني



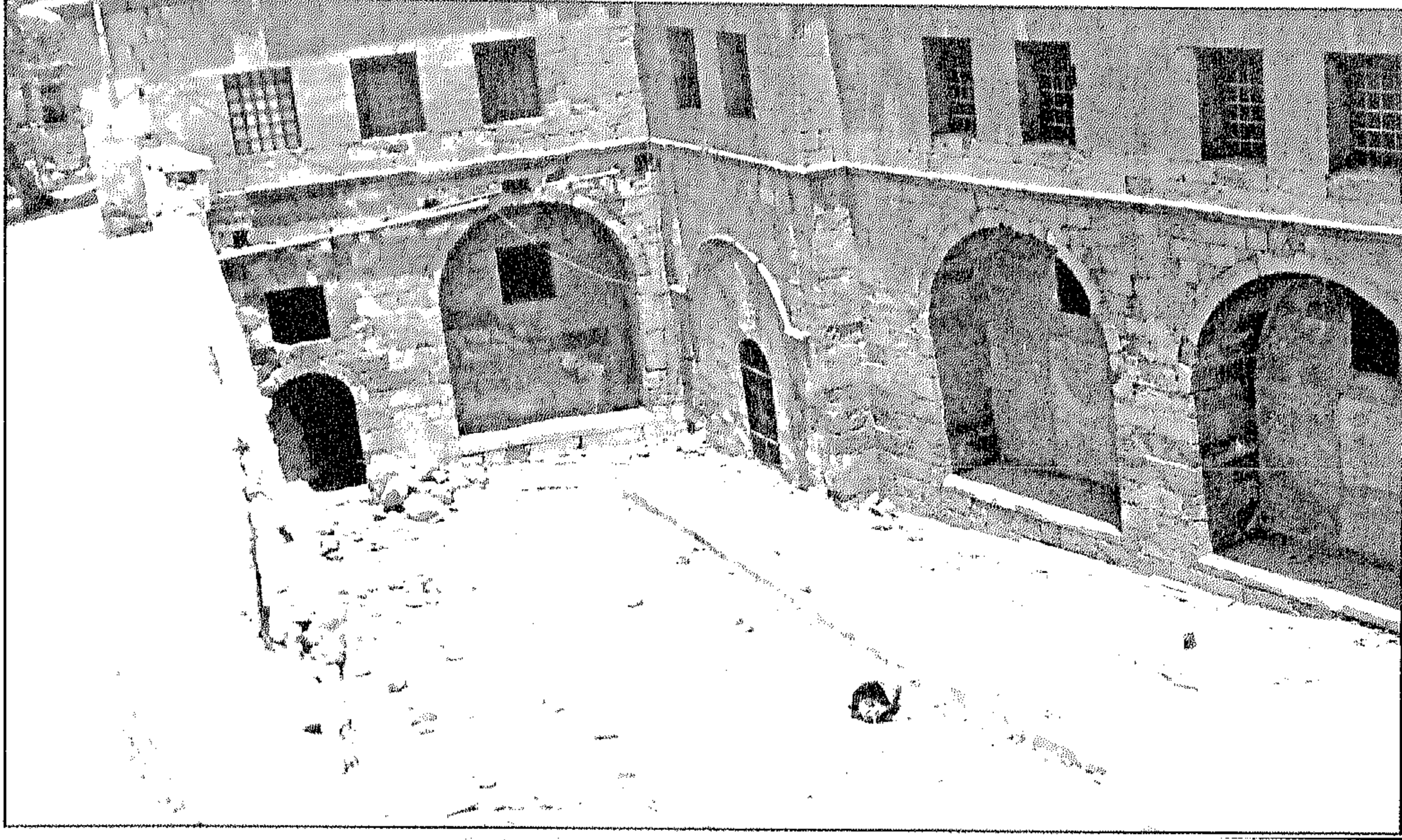
بئر يوسف



برج الشيخ

الحالي وما جاء في خريطة وصف مصر. ويرى كريزويل أن السور داخل النطاق الجنوبي والذي يمتد مسافة ٦٥ م جنوب غرب برج المقطم إلى البرج العثماني المضلع الذي على بئر يوسف^{١٨}. ربما يكون جزءا من الحصن الأصلي وهو ما أكدته شواهد كشف عنها في الثمانينيات من القرن العشرين. ويقع برج مماثل بين البئر والركن الجنوبي لمسجد الناصر محمد، ويرتبط البرج الأخير بالبرج الأول بسور يعود لفترة متأخرة، ويثير وجود هذه الأبراج إلى جوار بئر الماء تساؤلات عديدة منها أن الاهتمام بالبئر يعود إلى أنه يشكل حافة القلعة، وأن الأبراج أحدثت بها تعديلات أو أعيد بناؤها في موضع الأبراج القديمة، فضلا عن أنه من المنطقي أن يكون بئر الماء في داخل القلعة.

وإعادة تخيل الجزء الباقي من قلعة قراقوش في النطاق الجنوبي أمر ممكن إذا بدأنا بتصور هذا الجزء وفقا لمعطياته، فالجزء الممتد من البرج الوسطاني إلى برج الشخص^{١٩} والذي يقع غالبا في موقع برج قديم يعود لعصر قراقوش، هذا الجزء لا شك أنه يعود إلى تخطيط القلعة الأيوبية. ويتخلله باب السر الكبير الذي يشكل أحد محاور الدخول إلى القلعة وموقعه حاليا الباب الوسطاني الذي شيد فوقه في تجديدات محمد على بالقلعة. وهذا الباب كان المدخل إلى النطاق السلطاني بالقلعة ولا يفتح هذا الباب إلا في مناسبات محددة، ويشكل مع الممر الصخري الأيوبي الذي كان يدخل إليه من باب كان يفتح على ميدان القلعة. ومدخل الباب المدرج الذي دلت حفائر القلعة عام ١٩٨٨ أنه كان يقع في موقع أسفل نص تجديد القلعة الذي يرجع إلى عصر محمد علي^{٢٠}، كان الباب المدرج يفضي إلى النطاق الشمالي بالقلعة وما زال باقيا منه السلم الصاعد والمدخل المنكسر الذي يفضي إلى النطاق وكلاهما جدد مرارا خاصة قبة المدخل المنكسر التي جددت في عصر الناصر محمد بن قلاوون كما هو ثابت بأركانها. والباب المدرج كان له محور آخر يفضي إلى باب السر الكبير، علما بأن النسر الأيوبي ذا الرأسين ما زال موجودا أعلى برج الشخص، وهذا البرج يقع على حافة الطرف الشمالي للنطاق الجنوبي وهو يشرف على الممر الصخري الذي حفره قراقوش لكي



موقع حفائر القلعة - سنة ١٩٨٨

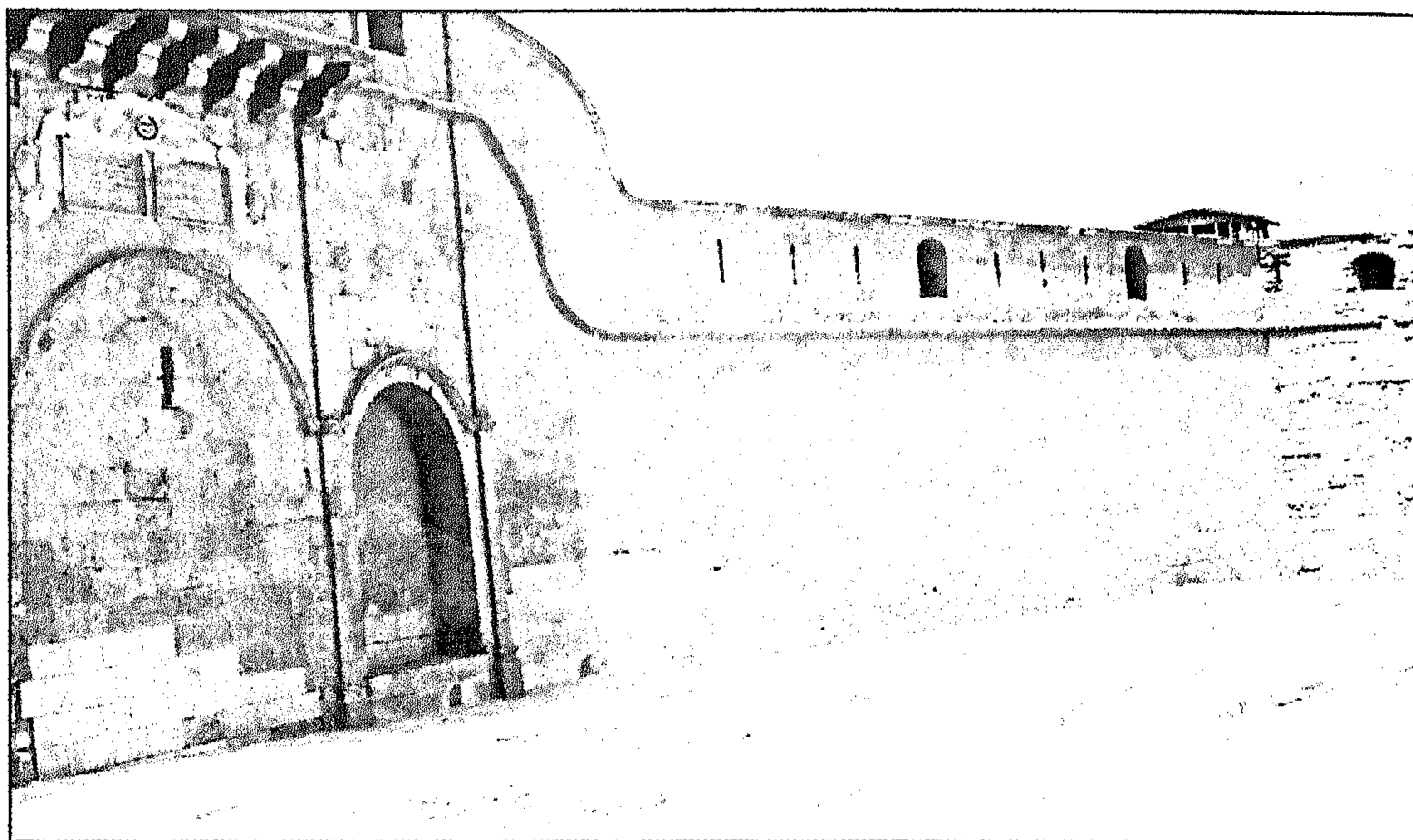
والعمري يحدد أن هذه المعاملة تبدأ من القصر الأبلق الذي شيده الناصر محمد بن قلاوون، الذي أعاد تنظيم وبناء هذا النطاق من القلعة خلال فترات حكمه في القرن ١٤ هـ / ١٤ م.

ويعود اختلاف معاملة أسوار كل نطاق عن الآخر إلى وظيفة كل منهما، وإن كنا رأينا أبراجاً في النطاق الجنوبي أيضاً، ولكن وجود هذا النطاق في اتجاه المدينة خفف من حدة الحاجة إلى وجود أبراج به فضلاً عن التخطيط المسبق من قبل قراقوش ليكون به قصر السلطان ليطل على الميدان أسفل القلعة. لقد كانت الأولويات الحربية عند تأسيس القلعة تقتضي الاهتمام بإنهاء النطاق الشمالي أولاً في ظل حرب تدور رحاها في بلاد الشام. هذا النطاق هو الخاص بالجيش المدافع عن القلعة ومصر. لذا وجه قراقوش اهتمامه له فشيده به في المقدمة برجي الرملة والحداد كبرجين أماميين كبيرين للدفاع عن القلعة ومراقبة المنطقة خارجها. وفي الوقت نفسه اهتم باستكمال النطاق الجنوبي، ولكن يبدو أن الظروف السياسية حالت دون ذلك كما حالت دون استكمال أسوار العاصمة المصرية^{٢٢}.

يصعد عن طريقه إلى القلعة فضلاً عن وجود سور يصل بينه وبين برج الرفرف^{٢٣}، والذي يحتمل أنه يرجع إلى قلعة قراقوش ولكنه جدد.

قدم لنا ابن فضل الله العمري أدلة تؤكد ما سبق ذكره؛ فأسوار النطاق الجنوبي عبارة عن ستارة حجرية تكون أحياناً جزءاً من منشأة تصل بين أطراف هذا النطاق وليس بها ممرات. ويذكر العمري ذلك بقوله "فأما القلعة، فهي على نشز عال..... وهي مبنية على ذلك النشز، ترتفع في موضع وتنخفض في آخر، يدور بها سور حجر بأبراج وبدنات إلى أن ينتهي إلى القصر الأبلق الناصري المستجد بناؤه، ثم من هناك تتصل بدور الملك وليست على أوضاع أبراج القلاع"^{٢٤}.

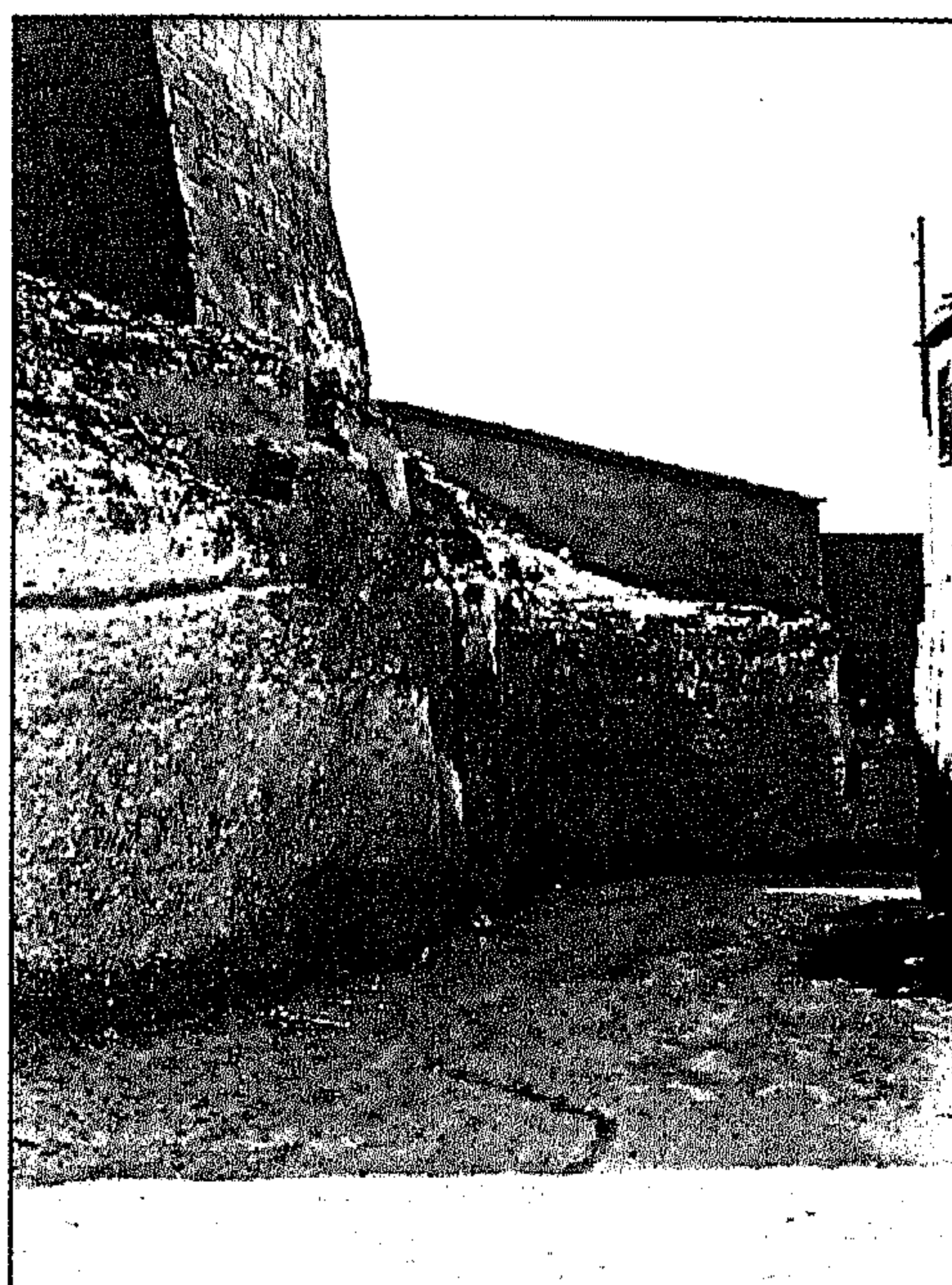
وإشارة العمري هنا توضح معاملتين مختلفتين للأسوار. الأولى هي معاملة النطاق الشمالي التي تشتمل على أبراج تتخلل الأسوار الحربية^{٢٥}. والمعاملة الثانية هي معاملة النطاق الجنوبي، وهي ستارة حجرية قد تكون جزءاً من منشأة قائمة بالقلعة وربما تم هدم الستارة القديمة لتدمج المنشأة الجديدة في محيط النطاق،



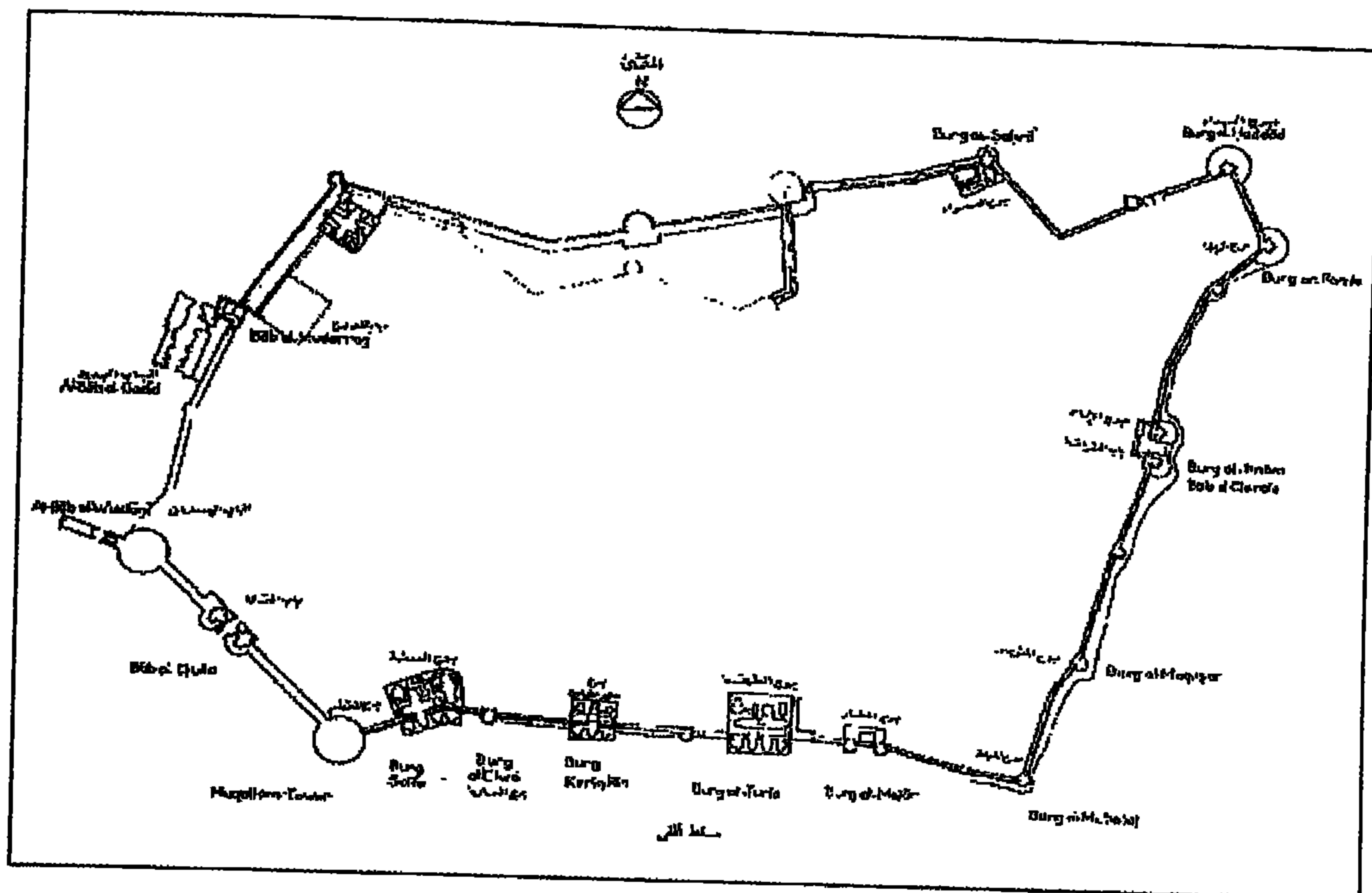
نص تجديد القلعة - عصر محمد علي



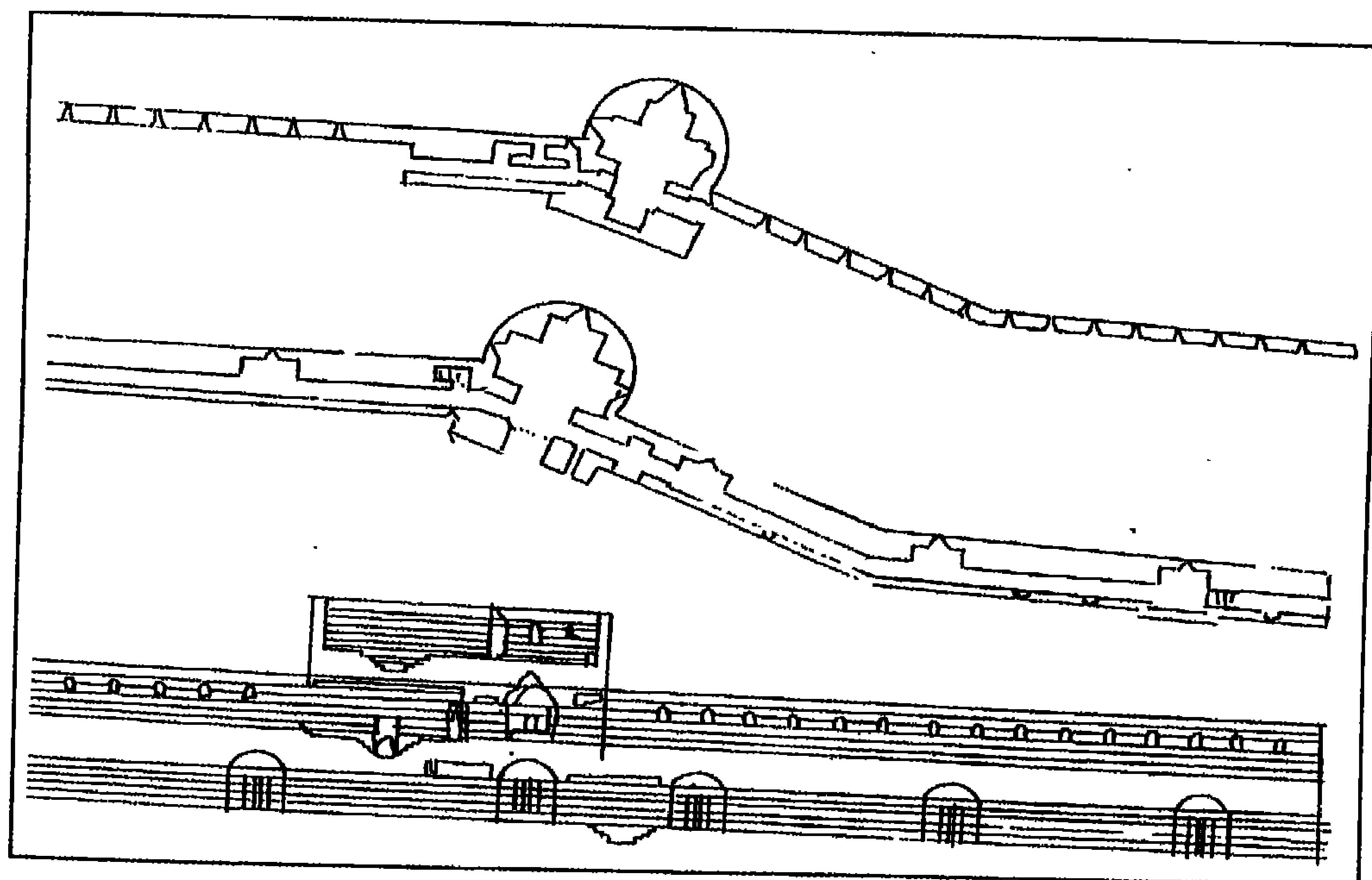
الممر الصخري



الممر الصخري



النطاق الشمالي وأسواره - قلعة الجبل

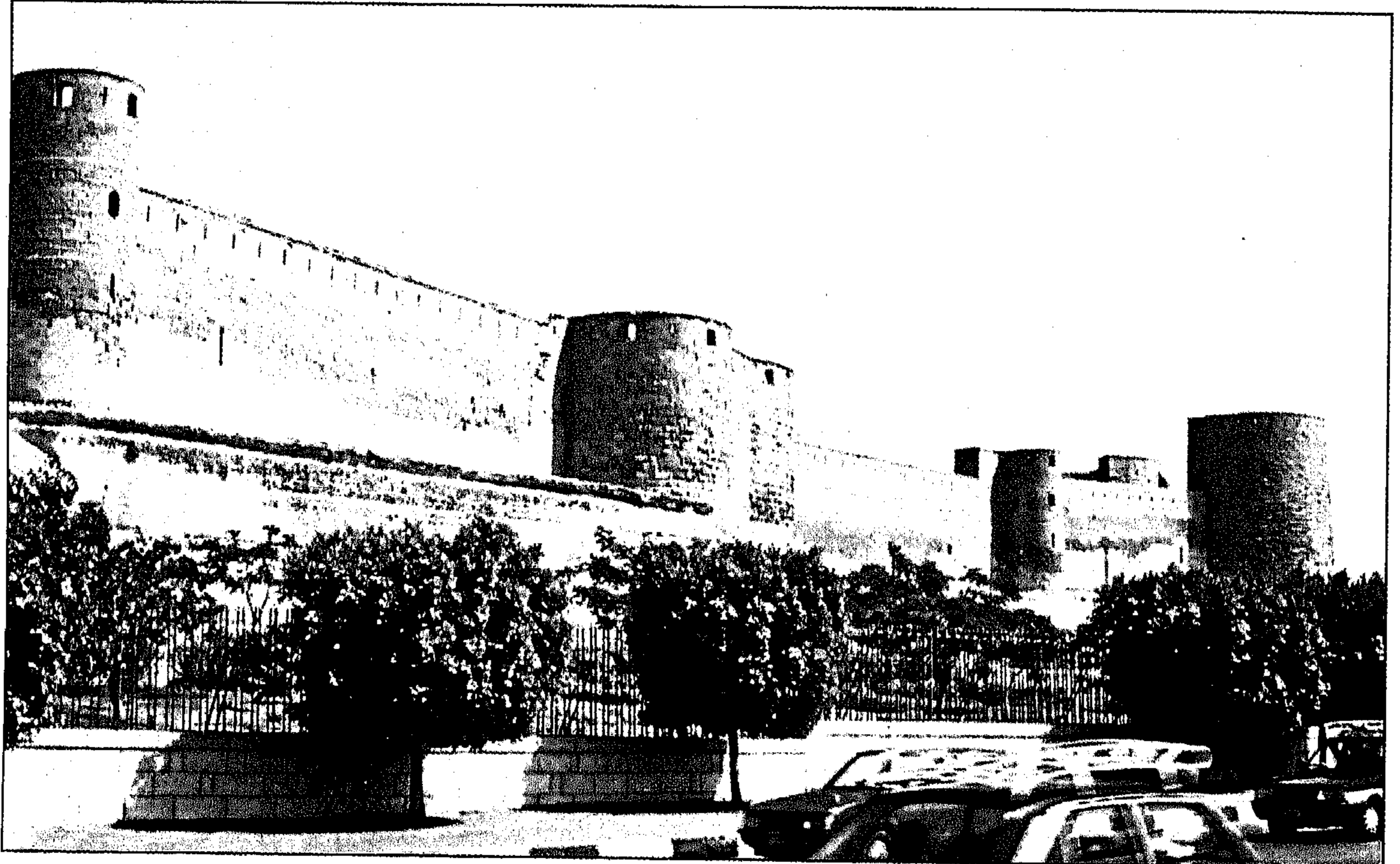


برج المقوصر

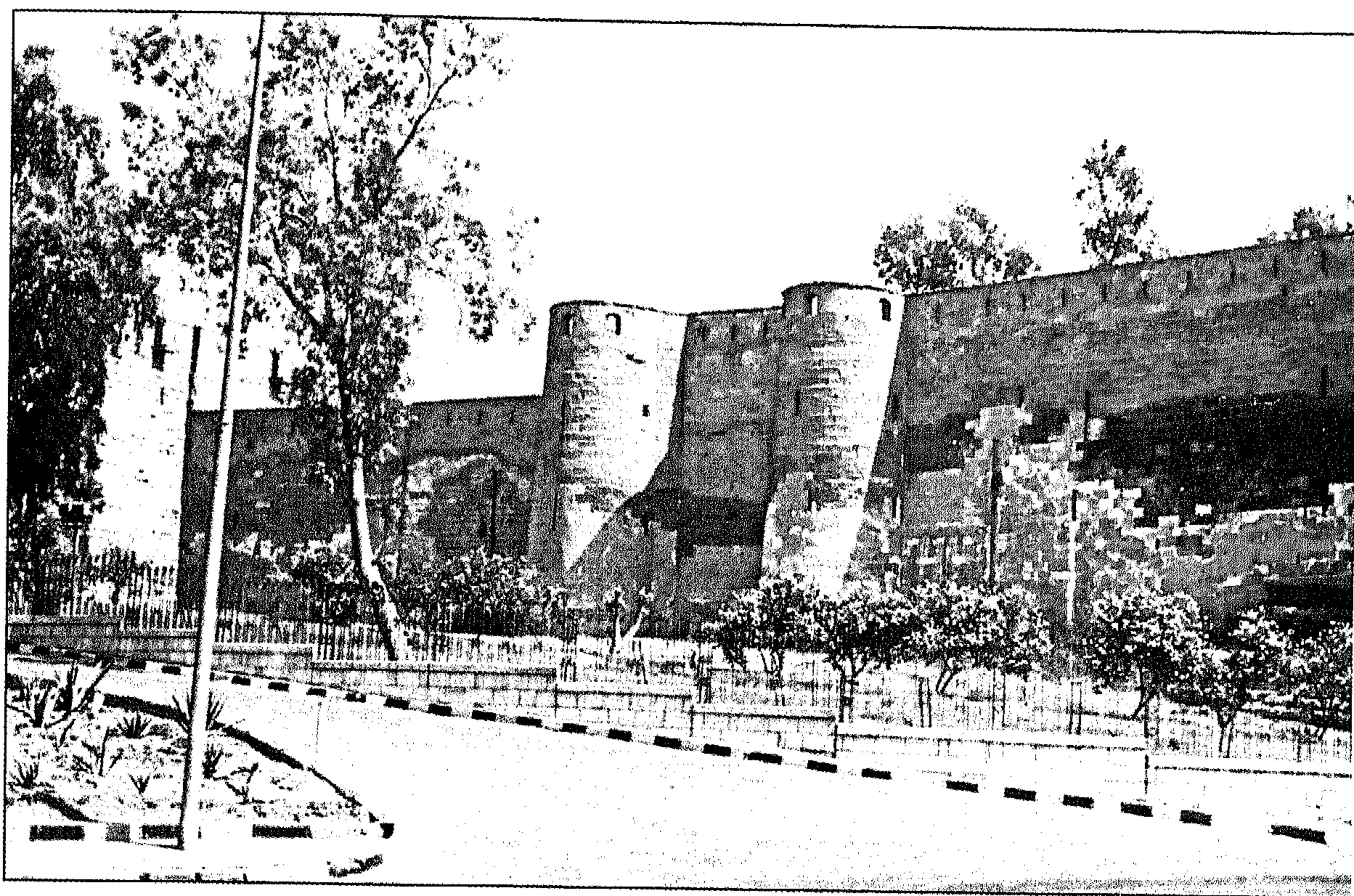
مقرًا للحكم علما بأن ابن جببر الذي شاهد القلعة عند تشييدها أقر بأنها شيدت لتكون حصنا ومقرا للحكم^{٢٥}. والمعطيات التاريخية التي أشرنا إليها سابقا تؤكد أن صلاح الدين شيد القلعة مقرا للحكم ومفصلا قويا يربط أسوار العاصمة .

ونستطيع أن نطرح تساؤلا مفاده: هل كان ممكنا أن يترك قراقوش النطاق الجنوبي دون إعمار؟ على الرغم من وجوده على حافة الممر الصاعد إلى القلعة من داخل العاصمة، فضلا عن وجود بئر المياه به، بالإضافة إلى حاجة الأيوبيين إلى مقر آمن بعيدا عن القاهرة التي اكتظت بالسكان، إضافة إلى أن وجود السلطان بجوار جنده يكفل له سيطرته عليهم وحمايتهم له. كان من الصعب على قراقوش فعل ذلك إذ كان لا يستطيع تركه دون منشآت إذ سيسهل تركه محاصرة القلعة التي جاءت حصانتها من ارتفاعها عما حولها.

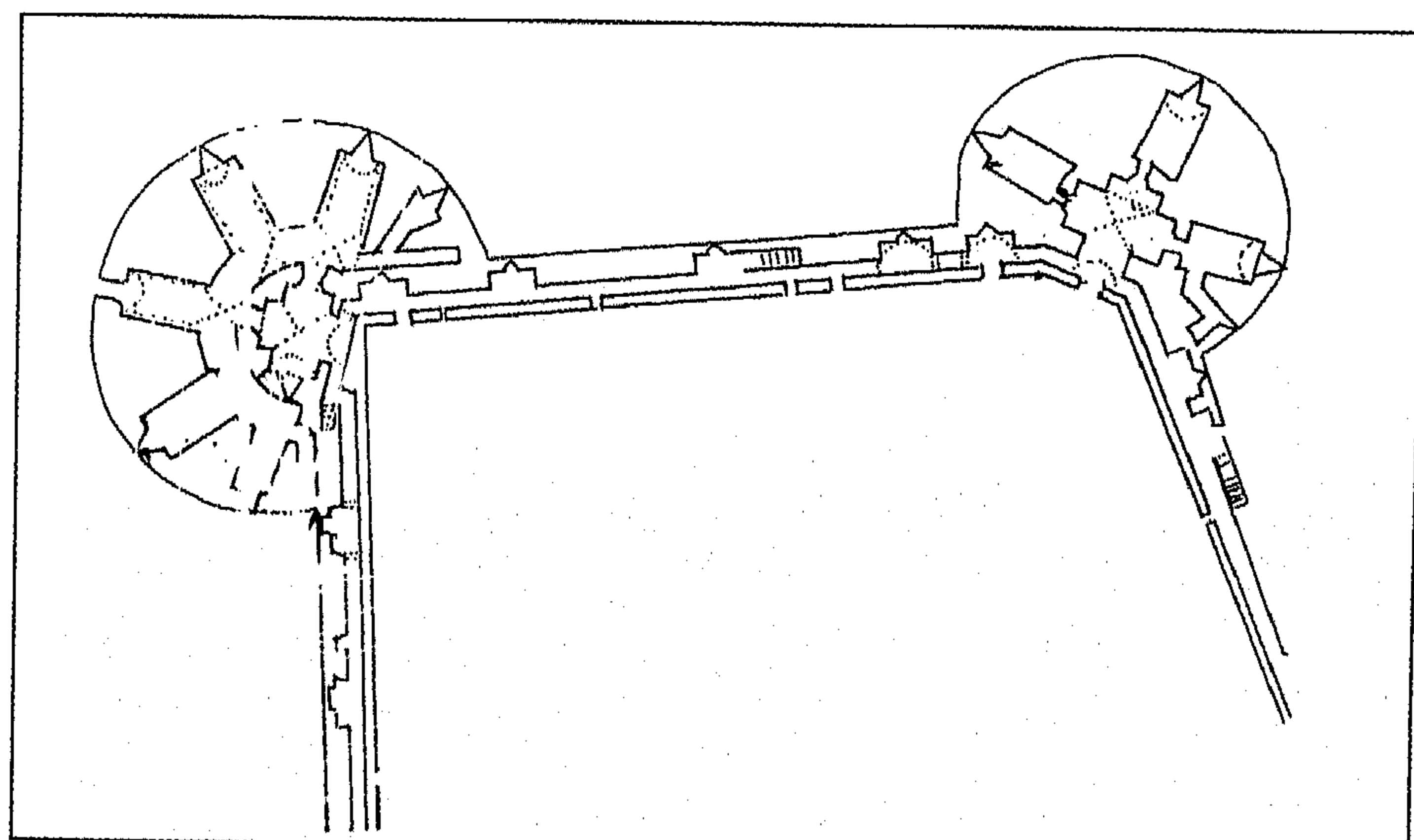
وينبهنا كذلك العمرى إلى ملحوظة مهمة وهي انتهاء أسوار النطاق الجنوبي إلى القصر الأبلق الذي بنى خارج النطاق الجنوبي، إذ رفعه الناصر محمد على قاعات مقبية من أرض نطاق الإسطبلات لكي تكون أرضيته في مستوى أرضية النطاق الجنوبي، وهذه القاعات هي المسجلة على خريطة الكولونيل جران ١٨٩٦م. تحت اسم "قبوات مدمرة" ونستطيع أن نحدد حافة القلعة من برج الشخص إلى أن تبدأ المباني التي رفعها الناصر محمد بن قلاوون، من أرضية نطاق الإسطبلات، وتشمل قبوات من ثلاثة طوابق وقاعتين مقببتين، وهذا يعنى أن القصر الأبلق شيد خارج النطاق الجنوبي للقلعة. إن الفارق بين تصور أن القلعة شيدت في الأصل في إطار النطاق الشمالى فقط، وبين تشييدها منذ أول الأمر بنطاقين رئيسيين، هو الفارق بين اتخاذ القلعة مفصلا قويا يربط أسوار القاهرة والقسطاط وبين اتخاذها بالإضافة إلى ذلك



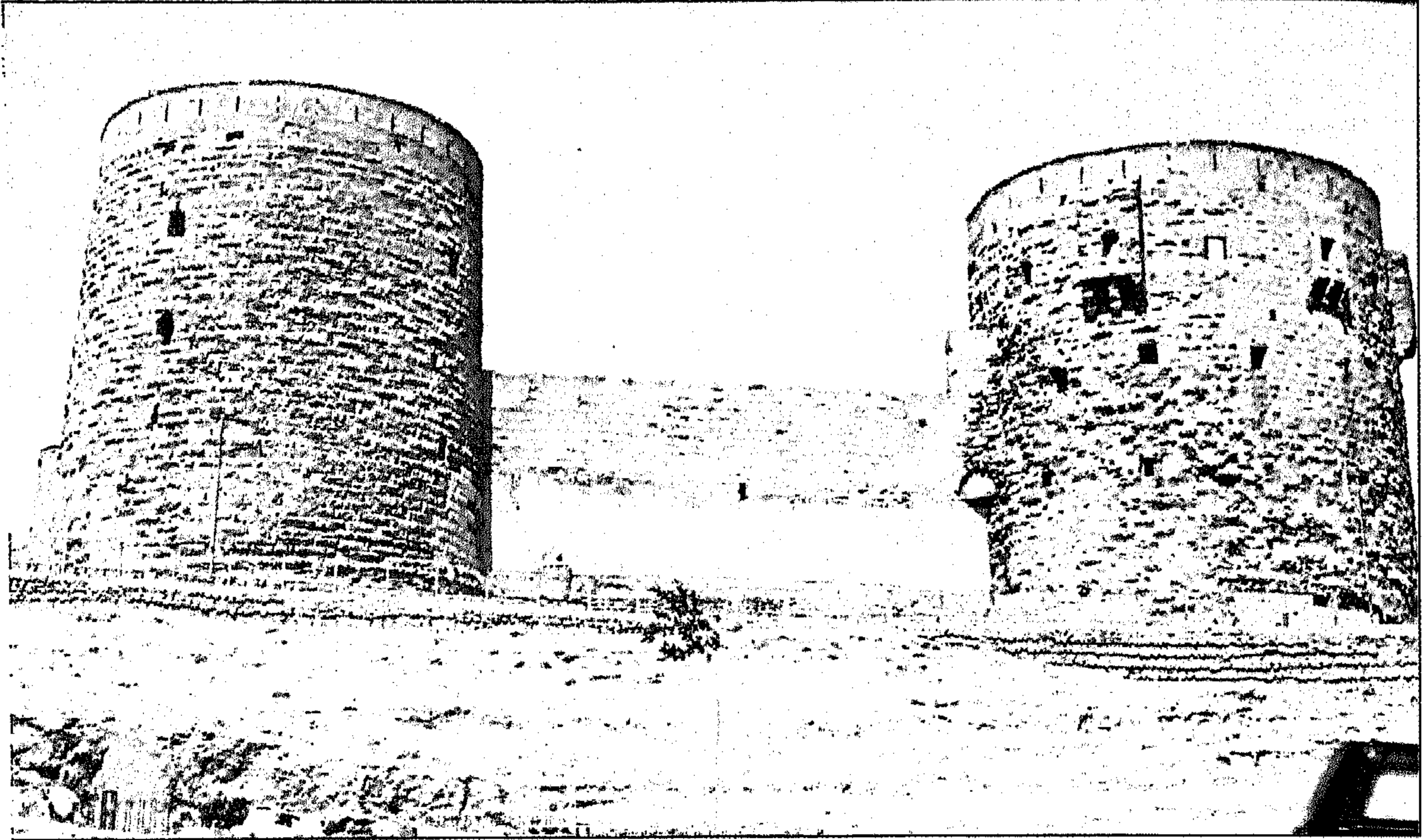
أسوار وأبراج القلعة



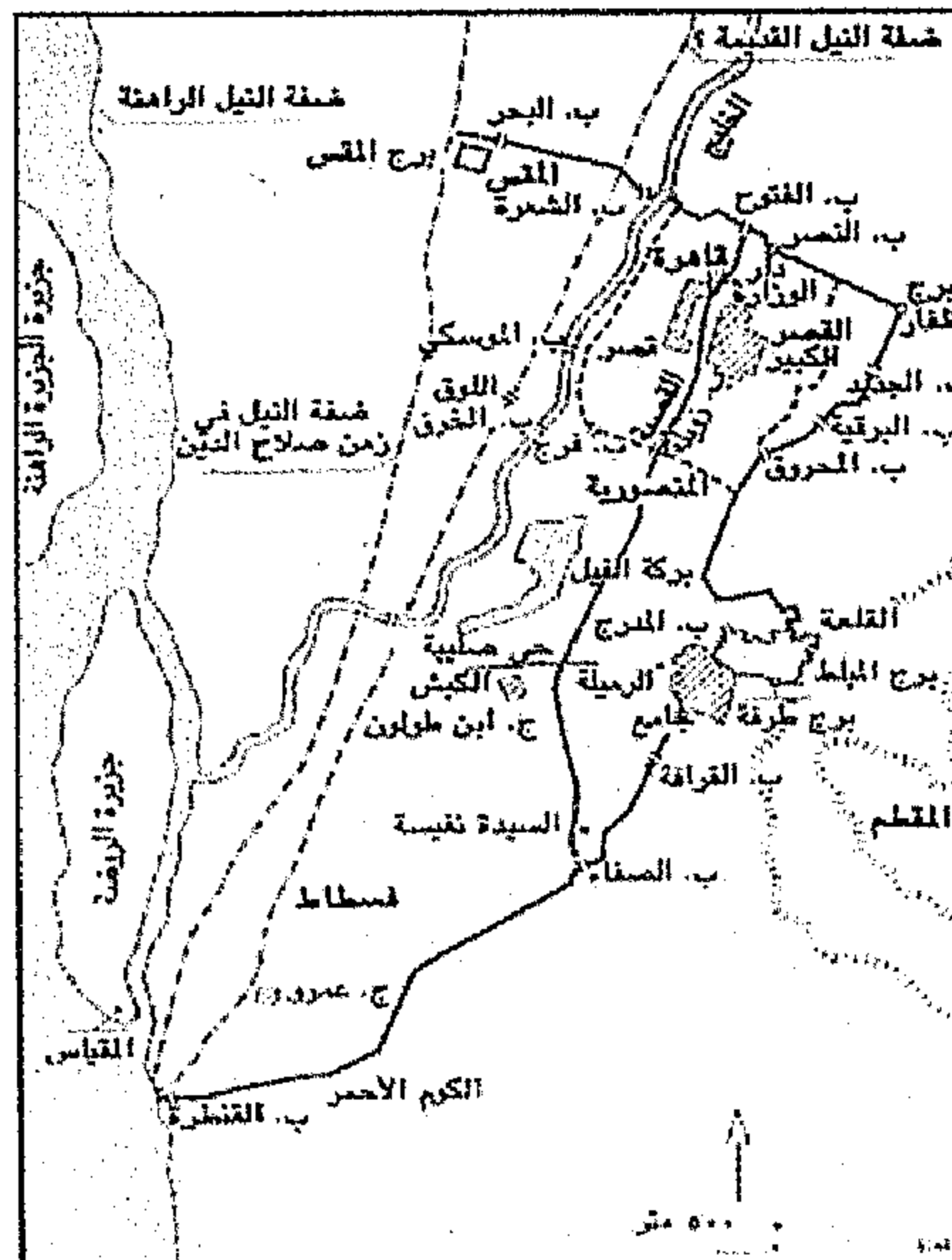
برج المطار



برج الرملية والحداد



برجا الرملة والحداد

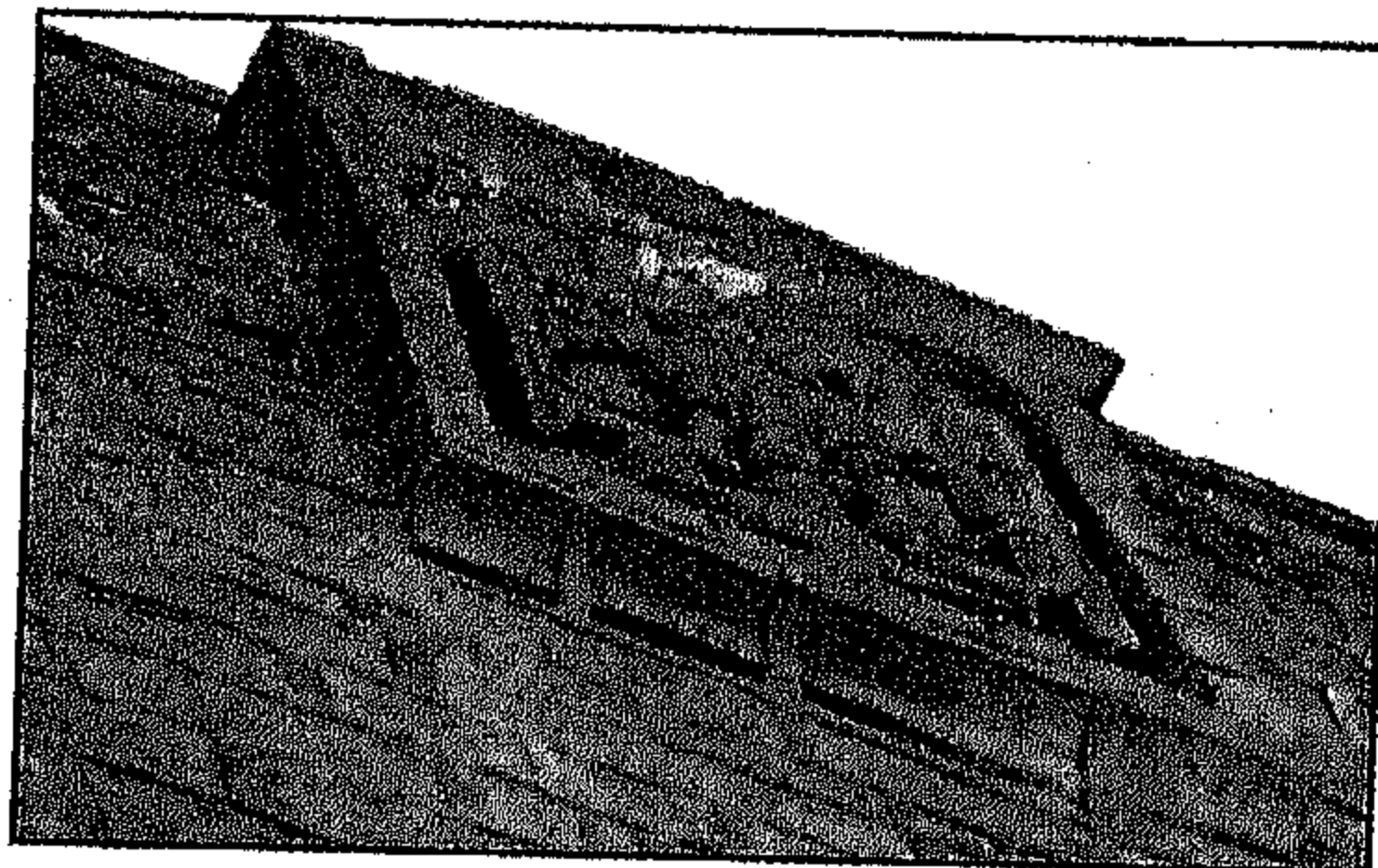


أسوار صلاح الدين

تبقى لنا من قلعة قراقوش رمزان يحملان دلالات سياسية. الرمز الأول: هو النسر الموجود أعلى برج الشخص بالنطاق الجنوبي بالقلعة، وهو نسر منحوت بشكل بارز على سطح لوحة مستطيلة مثبتة في أعلى الحائط المطل على البحر الصخري. وكان أول من تكلم عنه أوليا جليبي الذي أقام في القلعة لفترة حوالى عام ١٦٧٠م. وقد وصفه بأنه موجود في أعلى البرج المطل على باب العزب. أكد جليبي أن النسر مزدوج الرأس، وأضاف أن النسر قد وضع هناك كطالسم^{٢٦}، وقد فقد الرأس فيما بعد، وكتب العديد من الرحالة الأوروبيين عن هذا النسر^{٢٧} إلا أن المؤرخين العرب لم يذكروه في مؤلفاتهم. على أن عدم ذكرهم له لا يمكن اعتباره دليلاً على إضافته للقلعة في فترة متأخرة، إذ إنه من الطبيعي أن يلتفت نظر الرحالة الأوروبيين وأوليا جليبي لكونهم يترقبون بنظرات حادة كل شيء يلتفت الانتباه في المكان. نسب كل من كريزويل وكازانوفا

النسر إلى الفترة الأيوبية^{٢٨} دون تحديد للتاريخ أو القصد من وضع هذا النسر في القلعة، وتدل المعطيات السياسية الأيوبية على احتمال نسبته إما لعصر صلاح الدين وإما العادل، فعندما جاء صلاح الدين إلى مصر. كان تابعا لنور الدين محمود، وكان والد نور الدين عماد الدين زنكي الذي ابتدأ حياته حاكما للموصل وأتابكا لابنى السلطان محمود السلجوقي، قد أسس إمارة واسعة في سورية والجزيرة، كانت أرضها سابقا جزءا من الدولة السلجوقية، ومن الثابت تاريخيا أن النسر المزدوج الرأس كان من جملة شعارات الدولة السلجوقية، حتى إن هذا الشكل ما يزال يعرف بالنسر السلجوقي في الأناضول^{٢٩} ويعتبر السلاجقة أول من استعار الأشكال الخرافية القديمة بخاصة النسر ذي الرأسين^{٣٠} ليكون شعارا، وظهر بكثرة منحوتا على عمائرهم سواء في شكل النسر الطبيعي أو النسر ذي الرأسين الذي يرمز إلى القوة والعظمة. لقد كان النسر ذو الرأسين هو الشارة التي استخدمها السلطان السلجوقي علاء الدين كيقياد كشعار له، وعثر على نموذج لنسر علاء الدين في سور مدينة قونية^{٣١}. وعثر في برجى باب مدينة الرها اللذين يعودان إلى العصر الأرتقي^{٣٢} على رسم النسر ذي الرأسين^{٣٣}.

ويذكر الدكتور حسن الباشا أنه كان يوجد على باب الشعرية - وهو أحد أبواب سور القاهرة الذي شيده قراقوش في عصر صلاح الدين - نسر ذو رأسين. ويؤكد أن صلاح الدين كان أول من اتخذ النسر شعارا له كرمز للقوة والقدرة على الانقضاض على الأعداء^{٣٤}، وعثر على نقود للملك الكامل نقش عليها النسر ذو الرأسين، وهو ما



النسر أعلى برج الشخص

دفع بعض الباحثين لنسبة نسر القلعة إليه وكذلك نسبة النطاق الجنوبي إليه^{٣٥}، ولكننا، بناء على المعطيات السابقة نرجح أن النسر يعود للسلطان صلاح الدين. وكان من الطبيعي أن يرث الكامل شعار عمه.

والرمز الثاني الذي يحمل دلالات سياسية، هو نص تأسيس القلعة الموجود بالباب المدرج ونصه كما يلي:

- بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم

- من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك

- الله نصرا عزيزا)^{٣٦} أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة

- القاهرة بالعمرة التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجئ إلى ظل

- ملكه وتحصينا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو

- المظفر يوسف بن أيوب محبى دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولى

- عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد خليل أمير المؤمنين

- على يد أمين مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكى

- الناصرى في سنة تسع وسبعين وخمس مائة^{٣٧}



النقش التأسيسي للقلعة - باب المدرج

يعد النص السابق صورة صادقة للأوضاع السياسية في ظل الدولة الأيوبية، فقد كان صلاح الدين مشغولاً في الحروب ببلاد الشام، وقام أخوه العادل بتولى أمور مصر، وسير قراقوش أمور الدولة بصورة حازمة^{٣٧}. والنص يشير إلى سلطة صلاح الدين، حيث بدأ بسورة الفتح، والتي نزلت بعد فتح مكة المكرمة، والذي ضمن له صلى الله عليه وسلم السيطرة على كل أنحاء غرب الجزيرة العربية. وكانت سورة الفتح تستخدم بالتبعية من قبل الحكام المسلمين للاستبشار بها لتحقيق انتصارات، أو للإشارة إلى تحقيق انتصارات عسكرية فعلاً، وكلاهما وجد لدى صلاح الدين الذي نجح في توحيد مصر مع الأجزاء التي لا تخضع للسيطرة الصليبية ببلاد الشام، وصعوده من ضابط في جيش نور الدين محمود إلى سلطان على دولة كبرى، وإلى الحروب التي يخوضها لتحرير بلاد الشام من الاحتلال الصليبي.

والنص يحوي العديد من ألقاب التكريم كلقب (محيى دولة أمير المؤمنين)^{٣٨}. وهو هنا يشير إلى نجاح صلاح الدين في إعادة مصر إلى ظل الخلافة العباسية بعد أن قضى نهائياً على الخلافة الفاطمية. واللقب الثاني هو لقب (خليل أمير المؤمنين) الذي تلقب به العادل الأيوبي، ليس لدينا ما يدل على أن العادل لقبه الخليفة العباسي بهذا اللقب، كما أن لقب (محيى دولة أمير المؤمنين) لم يلحق به الخليفة صلاح الدين، ولكن يبدو أن القوة التي تمتع بها بنو أيوب جعلتهم يتجاوزون حد الانتظار للحصول على هذه الألقاب، وسنرى أنه حين تسلطن العادل أعوام ٥٩٥-٦١٥هـ/١١٩٦-١٢١٨م، خاطبه الخليفة العباسي (بشاهنشاه خليل أمير المؤمنين)^{٣٩}، وهو ما يبدو أنه أن الخليفة يقر أمراً واقعاً ليس إلا.

ويعطينا نص تأسيس القلعة، الهدف الذي من أجله شيدت في العبارة التالية "التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجأ إلى ظل ملكه وتحسينا"، أي أنها ملجأ عند الأخطار، في وقت اشتد فيه الصراع الإسلامي الصليبي، ونجد تأكيداً على استقلالية صلاح الدين في إشارة النص إلى "ملكه".

ومن اللافت للانتباه السجع الذي بالنص، والذي يرجع معه أن صائغه، أحد اثنين من رجال دولة صلاح الدين، اشتهرا بالنثر الأدبي البديع وهما القاضي الفاضل ١١٣٥-١٢٠٠م، والعماد الأصفهاني ١١٢٥-١٢٠٠م. وكلاهما صاغاً رسائل شهيرة^{٤٠}، ومن المحتمل أن يكون القاضي الفاضل، هو الذي صاغ هذا النص لقرب أسلوبه النثري من أسلوب القاضي الفاضل^{٤١}.

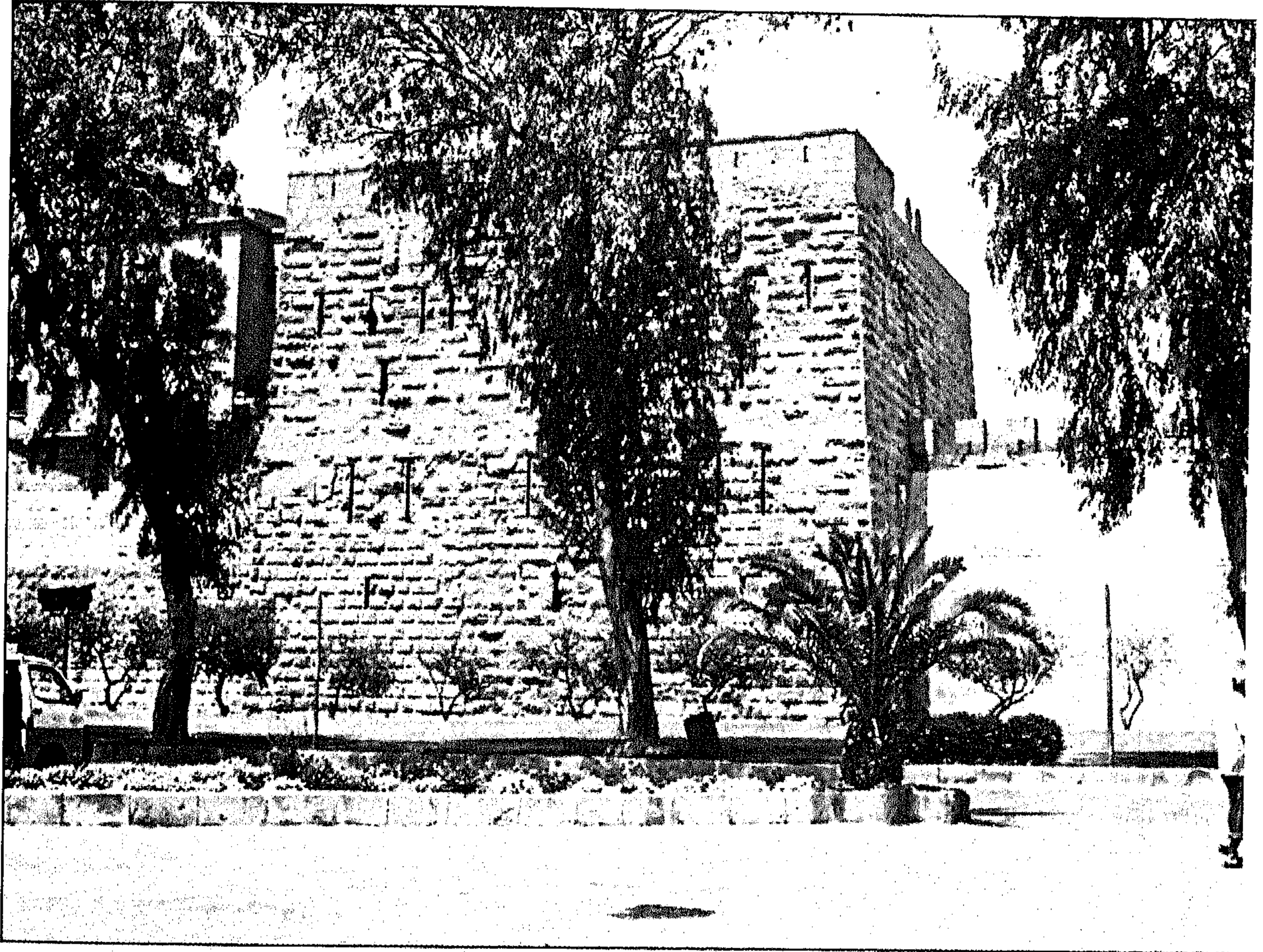
حدث تحول خطير في أعقاب وفاة صلاح الدين بدمشق في عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، إذ تحولت المواجهات الإسلامية الصليبية إلى الأراضي المصرية^{٤٢}، وذلك نتيجة للخلافات الشديدة بين أبناء البيت الأيوبي، والذين تخلوا عن مبدأ أن الحرب ضرورة حتمية يومية لمواجهة الخطر الصليبي، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى استعانتهم بالصليبيين ضد بعضهم^{٤٣}، وتولى عرش مصر بعد صلاح الدين ابنه العزيز عثمان من عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م إلى عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م. ثم ابن العزيز ناصر الدين محمد الذي كان بهاء الدين قراقوش وصياً عليه، ثم استدعى الملك الأفضل بن صلاح الدين ليتولى عرش مصر^{٤٤}، وقد استسلم لعمه العادل سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م^{٤٥}، ليتولى حكم مصر نيابة عنه، وظل يحكمها بهذه الصفة من عام ٥٩٦هـ/١٢٠٠م إلى عام ٦١٥هـ/١٢١٨م. وورث أباه على عرش الدولة الأيوبية من عام ٦١٥هـ/١٢١٨م. حتى عام ٦٥٣هـ/١٢٣٧م.

والأعمال التي أنجزت بالقلعة بعد وفاة صلاح الدين غير واضحة المعالم ويبدو أنها توقفت نسبياً نتيجة للاضطراب السياسي الذي ساد الدولة آنذاك. حيث حالت المكائد السياسية بين الأيوبيين وبين ترك إنجازات تذكر، وتبين الحوادث التاريخية أن العزيز عثمان قد أقام في القلعة أثناء حياة أبيه ربما ليشرف على العمل فيها. لكنه انتقل إلى دار الوزارة^{٤٦} عند اعتلائه عرش مصر^{٤٧}، وكذلك أقام فيها ابنه ناصر الدين محمد. وأقام العادل فيها. وأدى ذلك إلى تحول اسم دار الوزارة إلى دار السلطان لتعبر عن تحولها من قصر للوزير إلى مقر للسلطان^{٤٨}. ومن الواضح أن الدار السلطانية قامت بالعديد من وظائف الحكم. فقد كان بهاء الدين قراقوش، يجلس بها في أيام العزيز عثمان

قلعة الجبل في عهد السلطان الكامل بن العادل

منذ أن تولى الكامل حكم مصر ٥٩٥هـ / ١١٩٨م سعى إلى استكمال مرافق القلعة، لتكون مقرا لحكمه. واعتمد كذلك مخططا لزيادة قوة تحصينات القلعة، فأضاف أبراجا مستطيلة لأسوار النطاق الشمالى منها برج الصفة وبرج كركليان وبرج الطرفة والزيادة التى إلى باب القرافة وبرج الرملة وبرج الحداد... الخ^{٢٠}. ويعود الاهتمام بزيادة تحصينات القلعة قوة إلى أن مشروع إقامة سور حول القاهرة والقسطاط، والذي بدأ في عصر صلاح الدين، لم يكتمل إلى عصر الكامل^{٢١}، وهو ما أدى إلى تحول في مفهوم الدفاع عن العاصمة المصرية ككل إلى التركيز على حصن

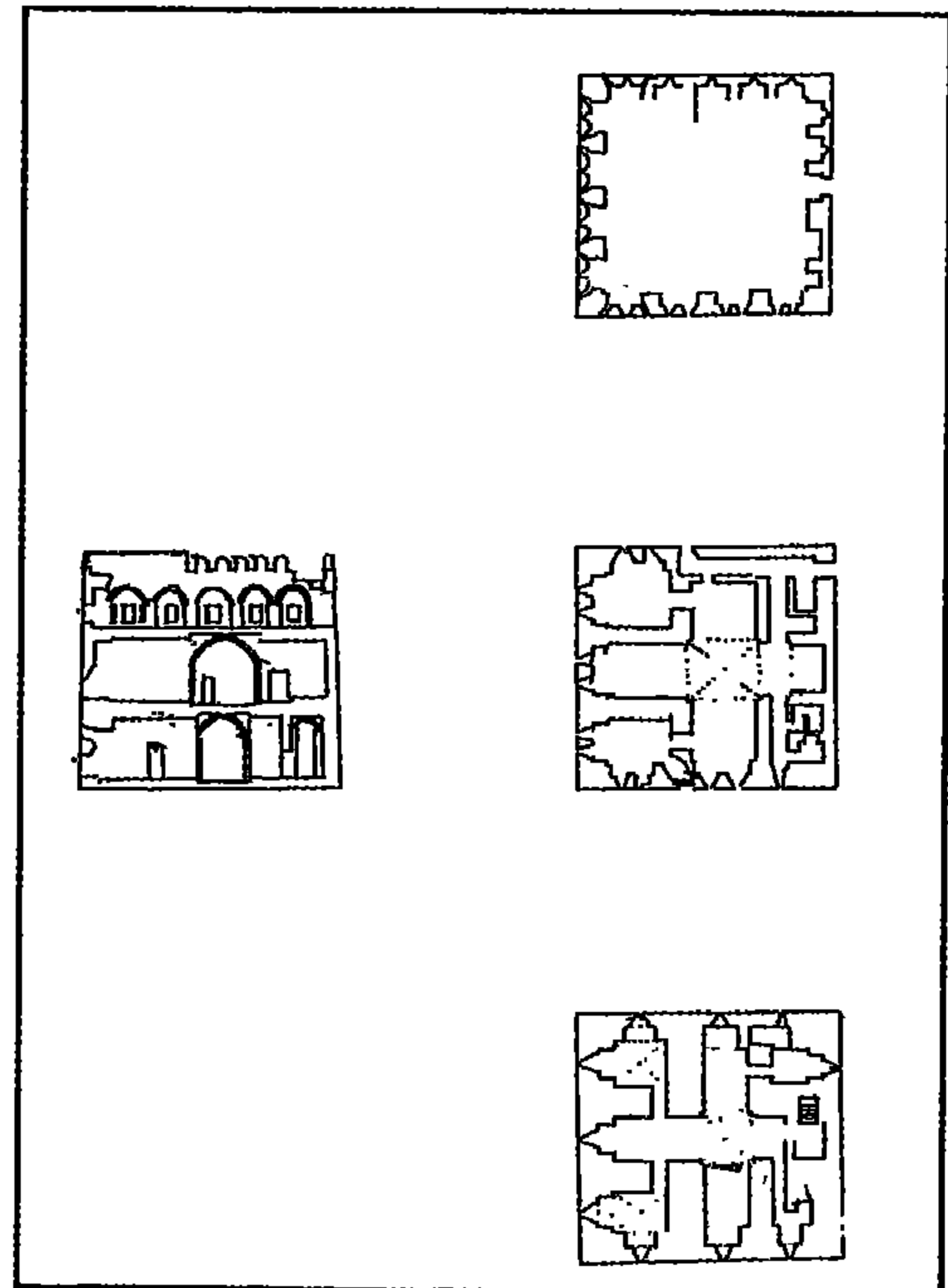
للنظر في مظالم الناس^{٢٢}، وهى وظيفة ستشيد من أجلها دار العدل بالقلعة فيما بعد. واستقلت دار الوزارة بعد أن نقل السلطان الأيوبي الكامل بن العادل مقر الحكم منها إلى القلعة كدار ضيافة للملوك والرسل القادمين إلى مصر^{٢٣}، وأنزل بها السلطان المظفر قطز الأمير ركن الدين بيبرس. حين جاء إلى مصر عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م. وذلك بعد عودته لمصر للاتحاد مع قطز في مواجهة التتار. وعندما عاد إلى مصر بعد أن قتل السلطان قطز الذى انتصر على التتار في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م في طريق العودة^{٢٤}، استقر بيبرس في القلعة^{٢٥} التى صارت طوال الحكم المملوكى مقرا للحكم.



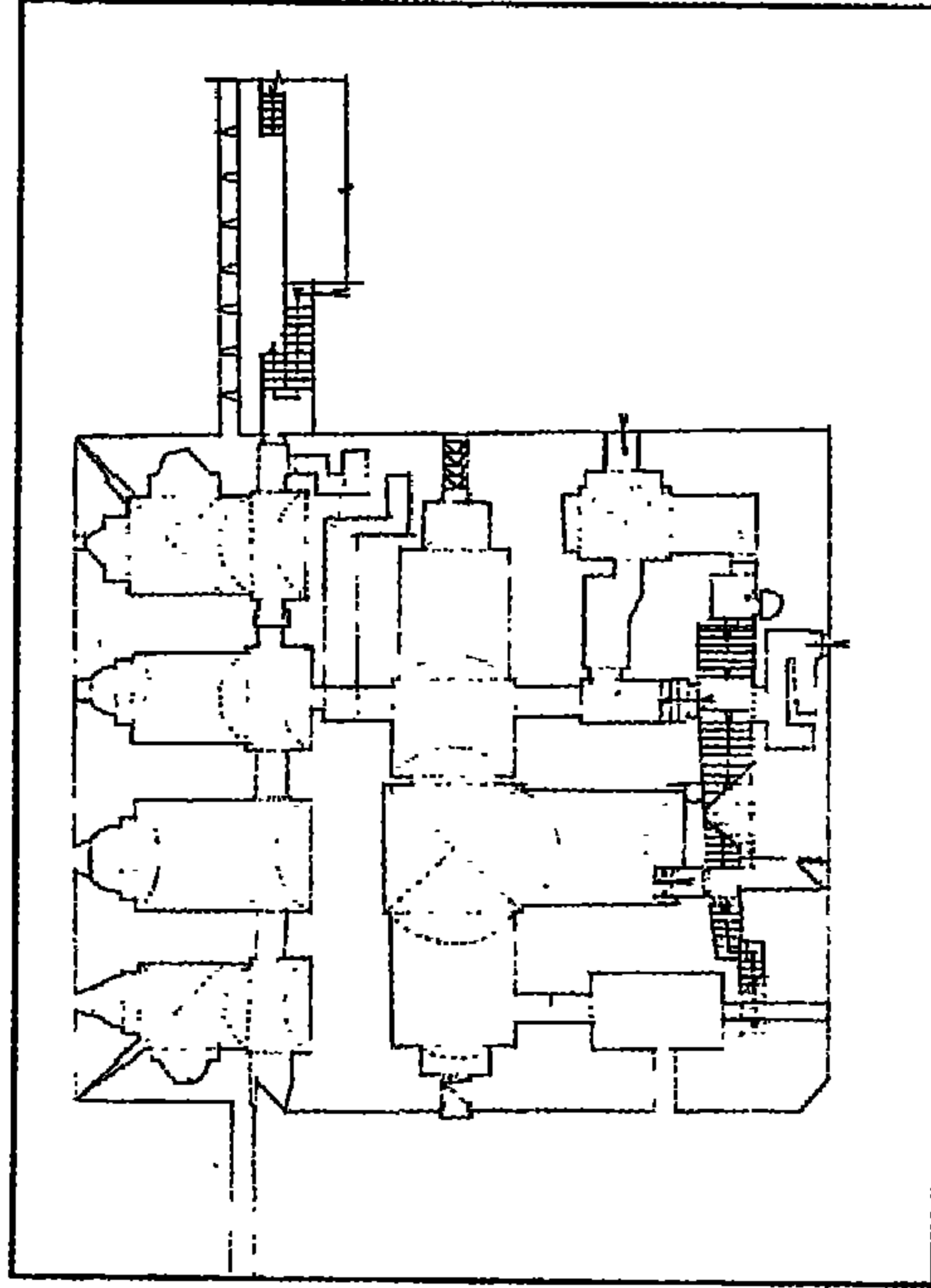
برج كركليان

المدينة الرئيسي ومقر حكمها. واختار الكامل الإقامة في النطاق الجنوبي من القلعة مع حريمه^{٥٥} وبين ابن سعيد المغربي أن الكامل بنى قصورا بالقلعة ونقل إليها بيت المال ومقر حكمه. وذكر أن بها المكان الذي سجن فيه بقايا الفاطميين، دون أن يحدد بانيه^{٥٦}، ولكن المقرئى والقلقشتى نسباً للكامل مبنى آخر هو السجن المظلم الذي سجن فيه العديد من ذوى النفوذ أثناء العصرين الأيوبي والملوكي، وكان يعتقد خطأ أنه هو برج المقطم. لكن المصادر التاريخية ترشدنا إلى أنه كان يقع في مواجهة برج المقطم حالياً في الجانب الغربي^{٥٧}. ويدلنا حصار الناصر محمد بن قلاوون للقلعة في أثناء فترة حكمه الأولى (١٢٩٣-١٢٩٤م)، والذي تسلى أثناءه الناصر إلى البرج الأحمر إلى الممالك، على موقع البرج الأحمر الذي كان قريباً من الباب المدرج^{٥٨} وكذلك حادثة الصراع بين السلطان برقوق والأمير منطاش على العرش سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٩م. على موقع البرج^{٥٩}، وهذه الحوادث تجعل موقع البرج عند مكان ما على امتداد السور الغربي للنطاق الشمالى

بالقرب من باب المدرج. وتبين خريطة وصف مصر وجود برجين بين الباب المدرج والركن الشمالى الغربى للنطاق الشمالى^{٦٠}، واللذين شيدت فوقهما منشآت من عصر محمد على، والبرجان يشبهان الأبراج التى تعود لإنشاء الكامل في القلعة سواء في التخطيط أو الحجم مثل أبراج كركليان والطريقة على امتداد سور النطاق الشمالى. وقد تم تجديد هذا البرج بعد ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م في عصر الظاهر بيبرس^{٦١} وينسب كازانوف وماكنزى وعبد الرحمن زكى، العديد من المنشآت بالقلعة إلى السلطان الكامل، مع أنه لا يوجد مصدر ينسب له أى منها صراحة وينسبون إليه باب القلعة، وباب السر والمسجد وأبراج الحمام وقاعة الصاحب (الوزير) والإيوان والإسطبلات السلطانية وخزانة الكتب فضلاً عن القصور السلطانية^{٦٢}. ويبدو أن هؤلاء الآثاريين درجوا على نسبة أية منشأة بالقلعة تعود إلى ما قبل عصر الظاهر بيبرس إلى الملك الكامل. مع أن خلفاء الأيوبيين أو سلاطين المماليك ربما لهم منشآت بالقلعة. وخليفته العادل الثانى قام ببعض الأعمال بالقلعة مع أنه لا يوجد مبنى محدد منسوب



برج كركليان - مساقط أفقية بطوابقه الثلاثة وقطاع رأسى له



برج الطرقة - مسقط أفقى

إليه^{٦٢}. ومن المؤكد طبقا لتحليلات كازانوف نسبة أبراج الحمام والمسجد الجامع وخزانة الكتب للسلطان الكامل^{٦٣}، وكذلك الإيوان حيث أقيمت مراسم تولية الخليفة العباسي في "الإيوان الكبير الكامل" سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م. وهذا يعني أن المبنى أقيم بواسطة السلطان الكامل^{٦٤}، ونستطيع أن نتأكد من نسبة دار العدل بالقلعة إليه لذكرها في المصادر التاريخية باسم "دار العدل الكاملية" ويرجع ناصر الرباط أنها كانت تقع في المنطقة الممتدة بين باب القلة والباب المدرج وهي المنطقة التي كان بها العديد من المنشآت الإدارية^{٦٥} ومن اللافت للنظر أنه في الوقت الذي كان فيه الكامل بن العادل يستكمل مقومات قلعة الجبل لتكون مقرا للحكم، كان والده السلطان العادل يقوم بتجديدات وإضافات في قلعة دمشق، وهي مقر حكم بلاد الشام، وذلك عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٦ م. وربما كان مشروع العادل في دمشق يهدف إلى إصلاح ما تهدم بالقلعة نتيجة لزلزال ٥٩٧ - ٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٠١ م. وتقوية تحصيناتها وتنظيمها من الداخل^{٦٦}. امتد العمل في تجديدات قلعة دمشق في الفترة من عام ١٢٠٦ وحتى عام ١٢١٧ م. كما هو واضح على العديد من النصوص الإنشائية بأبراج القلعة، والتي يبلغ عددها سبعا^{٦٧}، وهذا يجعلنا نشير إلى أن الخطة التي اتبعت في عمارة قلعة دمشق تختلف عن خطة قلعة القاهرة التي لم يصلنا فيها من العصر الأيوبي سوى نص وحيد هو نص التأسيس، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف الخطط التمويلية واستراتيجية البناء، ففي دمشق تذكر المصادر التاريخية أن العادل أمر كل واحد من أمرائه ببناء برج في القلعة، وهو ما وفر عليه مبالغ طائلة، وكانت هذه السياسة نكية من العادل لإشغال واستنزاف أموال الأمراء الصالحية الذين كانوا في السابق مرتبطين بالولاء لأخيه صلاح الدين. ومعظمهم كان بدمشق وبعضهم كان ذا طموح. وتصرف العادل معهم بهذا الأسلوب، محاولة منه كذلك للتأكد من ولائهم له^{٦٨}، وكان العادل أبقى مع الكامل في مصر الأمراء الصغار ومن يثق فيهم من كبار الأمراء.

تمثل قلعة صلاح الدين استثناء في ظل الدولة الأيوبية حيث تكفلت الدولة بتكاليف البناء مباشرة من

خزانتها^{٦٩} علما بأن استخدام الأسرى الصليبيين وفر الكثير من تكاليف البناء. واستخدام الأسرى في بناء قلعة صلاح الدين بالذات الغرض منه إبعادهم عن مناطق الوجود الصليبي ببلاد الشام وهو ما يحرمهم من إمكانية تحريرهم عن طريق الهجمات المباغتة على معسكرات أو قلاع المسلمين. كان كل من ابن جببر والمقريزي^{٧٠} قد أشارا إلى استخدام الأسرى الصليبيين في بناء القلعة، كما استخدمهم العادل الثاني للعمل في القلعة أيضا. وفي سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م، استخدمهم الصالح نجم الدين في بناء قلعة بجزيرة الروضة^{٧١}.

يبدو أن كلا من مشروع قلعة صلاح الدين وقلعة دمشق كانا جزءا من خطة أكبر وضعها العادل لتقوية القلاع الرئيسية التي تقع تحت سيطرته شملت تجديد قلاع عجلون وحلب وبصري^{٧٢}، ولعل هذا هو الذي دعى كريسويل إلى أن ينسب الأبراج الكبيرة في النطاق الشمالي للعادل أكثر منها للكامل^{٧٣} مع أن المصادر التاريخية تتحدث عن الأخير أنه هو الذي أضافها وأكمل المخطط الداخلي للقلعة.

علما بأن العادل سكن القلعة عندما كان نائبا عن صلاح الدين في مصر، وذلك لكي يشرف على بنائها، وحينما زار مصر وهو سلطان أقام في دار الوزارة بالقاهرة، وأدار أمور السلطة منها، بينما بقي الكامل في القلعة ليوضح استقلاله في حكم مصر تحت سيطرة أبيه^{٧٤}.

يجب أن نأخذ في اعتبارنا عند دراسة هذه الفترة أن الأمن كان هاجسا قويا يسيطر على الأيوبيين بسبب تنافسهم فيما بينهم، وحتى حينما كانت الأخطار الخارجية تنتهي فإن الأمن والحماية ظلا المعيار الأساسي في اختيار مقر الحكم لكثيرين منهم، وكانت القلاع توفر الأمن لأسرهم وممتلكاتهم وكانت ملاذا في وقت الشدة، ويحكي أن الكامل قبل عتية القلعة عند عودته لها من حملة عسكرية في الشام وقال "أرى روحى في قلعتي"^{٧٥}، وهو يعني أن أمنه وراحته في القلعة.

نستطيع أن نرى في الخريطة السياسية لبلاد الشام والجزيرة في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي سلسلة من القلاع في الإمارات والولايات، كانت وظيفة هذه

ولهذا كانت وظائف قلعة الجبل متعددة تتناسب مع شخصية مصر منذ عصر الكامل، الذي كانت مصر في عهده تحكم كلا من بلاد الشام والجزيرة والحجاز واليمن^{٨١}، وتحولت القلعة إلى مقر لحكم هذه الأقاليم منذ ذلك الحين إلى دخول العثمانيين مصر ٩٢٢هـ / ١٥١٧م، حيث تحولت إلى ولاية في دولة آل عثمان. وإذا تابعنا ما حدث في عصر بني أيوب سنجد العادل الثاني خلف أباه على العرش ٦٣٥هـ / ١٢٢٨م لكن الخلافات الأسرية بين بني أيوب أدت إلى إقصائه عن العرش وتولى أخيه الأكبر العرش عوضا عنه، وذلك سنة ٦٢٧هـ / ١٢٤٠م^{٨٢}.

قلعة الروضة

ظل الصالح نجم الدين أيوب يدير أمور سلطنته من قلعة الجبل، وكان قد حبس أخاه العادل الصغير في برج العاقية، حتى أمر بقتله، وهو عمل غير مسبوق في تاريخ الأسرة الأيوبية^{٨٣}. وكان الصالح نجم الدين أيوب من السلاطين المحبين للعمارة، ولم يشيد الصالح في القلعة سوى القاعة الصالحية، وذلك في النطاق الجنوبي، واستخدمت هذه القاعة سكناً للملوك، واختلف المؤرخون في أسباب اختفائها بعد ذلك من طبوغرافية القلعة، فقد ذهب المقرئ إلى أنها احترقت في حريق وقع بالقلعة سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م^{٨٤}، ولكن يرى ابن شاهين الظاهري أنها ظلت مستخدمة إلى أن أنشأ الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق في سنة ٧١١هـ / ١٣١١م. وهذا أرجح الاحتمالات^{٨٥}.

كان لشك الصالح نجم الدين في ولاء الجند من غير مماليكه، وهذا ناتج عن الاضطراب الذي ساد حياة الصالح إلى أن أصبح سلطانا. أثره في تكوين فرقة من الجند المرتزقة من الأكراد والخوارزمية، وقد أدرك فضل مماليكه في وصوله إلى عرش مصر فضلا عن حاجته إلى جيش قوى يساعده^{٨٦}. لذا كان اتجاه الصالح أيوب منطقيا نحو بناء مقر جديد للحكم بعيدا عن القوات المتمركزة في القلعة والتي لا يضمن ولاءها له، وأن يحيط نفسه بمماليكه الذين يضمن ولاءهم له، وهذا يفسر لنا سبب اختياره موقعا منعزلا في جزيرة الروضة المواجهة للفسطاط، وكان

القلاع أن تكون مقار للحكم. وتحتوي بداخلها قصورا ومبانى إدارية وثكنات للجند أو طباقا لهم، وألحقت بها الإسطبلات، ويتقدمها ميدان سلطاني^{٨٧}، وتمثل هذه القلاع بالنسبة لحكام هذه البلاد المظهر العضوى لقوتهم وهيمنتهم، ولم تختلف قلعة صلاح الدين بمصر عن غيرها من هذه القلاع، فيما عدا حجمها الكبير، وتعدد الوظائف التي تقوم بها. نظرا لكونها مقرا لإدارة إقليم كبير هو إقليم مصر، بينما قلاع الشام والجزيرة كانت تدار منها مناطق محدودة المساحة والأهمية، كقلعة طرابلس وإقليمها، وقلعة عكا التي تحكم عكا وإقليمها، وقلعة حلب التي تحكم حلب وإقليمها، وقلعة دمشق أيضا وإن كانت قلعة دمشق في فترات متفاوتة كانت مقرا للسلطان كما حدث في عصر العادل أو نائب السلطان في بلاد الشام كما حدث في عصور لاحقة خاصة في العصر المملوكي، وكان سلاطين المماليك يقيمون بها عند زيارتهم لبلاد الشام، وتوفى بها العديد من السلاطين منهم صلاح الدين والملك العادل^{٨٨} والظاهر بيبرس البندقدارى في سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م^{٨٩}.

وعلى الرغم من اتساع رقعة مصر الجغرافية، فإنه لم تتخذ فيها القلاع كمقار للحكم. وقد وجدت بها قلاع صغيرة في بعض المدن الساحلية أو في سيناء، إلا أنها كانت ذات وظيفة عسكرية بحتة، ولذا كانت مصر تحكم كلها من قلعة الجبل، وهذا ما زاد في مركزيتها وأهميتها، وتعود الرمزية السلطوية المركزية للقلعة إلى شخصية مصر التي تتسم بالثبات والاستقرار وكان ارتكاز الحكم وتبلوره بعد تجارب عديدة في مصر الإسلامية تعبيرا عن الشخصية الإقليمية لمصر^{٩٠}، والتي تتبلور في دورها الجهادي وفي قيادتها، لذا كانت دولة صلاح الدين هي المحرك لهذه الشخصية ولدورها، وبداية لعودة مصر مرة أخرى لتكون أكبر مركز حضاري في المنطقة واستيعاب مصر للأيوبيين والمماليك من بعدهم، هو تعبير عن مدى مرونتها الحضارية، ونحن هنا نتعامل مع شخصية إقليمية لديها قدرة فائقة على الاستيعاب والإبداع. فالاستيعاب يجدد قدرة هذه الشخصية على الإبداع والتجديد. وهو يجعلها تخرج من حالة الركود أو الكمون التي تدخل فيها أحيانا.

لا يسمح لأمرأء وقواد الدولة الأيوبية بالوصول إلى القلعة عبر جسرها إلا مترجلين وأن يتركوا خيولهم في الشاطئ المقابل للقلعة ويبدو أن ذلك جاء من الإجراءات الأمنية الصارمة^{٨٧}. ويبدو أن هناك سببا إضافيا، وهو ما يدعونا إلى تذكر تلك القلاقل التي سادت بغداد نتيجة للجنود الترك وما يثيرونه من مشاكل في أيام الخليفة المعتصم، تلك القلاقل التي أدت إلى تأسيس مدينة سامراء عام ٢٤٩هـ / ٨٦٣م. لتكون حاضرة للمعتصم وجنده^{٨٨}، ولكن في القاهرة لم يصل الأمر إلى حد الغضب الشعبي. ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل تزايد الغل والغضب نتيجة للصعود السريع للمماليك الصالحية في الجيش^{٨٩}.

ولزيادة تأمين قلعة الروضة أمر الصالح بتوسيع فرع النيل الفاصل بين الجزيرة وشاطئ مدينة الفسطاط، لكي يجري فيه النيل طوال العام، بدلا من جريانه فيه وقت الفيضان فقط، وكانت الجزيرة قد تم وقفها بواسطة تقي الدين عمر على المدرسة التقوية بالفسطاط^{٩٠}، فاستأجرها الصالح من ناظر الوقف لمدة ٦٠ عاما^{٩١}، وأمر بهدم ما بها من مبان ليمهد الأرض لإنشاء القلعة، وتختلف الآراء حول عدد الأبراج التي ضمنها سور قلعة الروضة، وتراوح عددها بين ١٧ إلى ٦٠ برجاً والعدد الأخير هو الأقرب للواقع، إذ إنه يتناسب مع حجم القلعة بالجزيرة والرغبة في إحكام عزلتها ومناعتها، وتذكر المصادر التاريخية أن القلعة تضمنت على امتداد أسوارها قاعات ومقاعد ومناظر^{٩٢}. وذلك لكي تتيج للموجودين فيها الاستمتاع بالنهر، وإحدى هذه القاعات ظلت موجودة حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، وكانت مجاورة للسور الشرقي للمقياس، وكانت مكونة من إيوانين بينهما دور قاعة مستطيلة يعلوها قبة، محمولة على أربع مجموعات من الأعمدة، كل مجموعة مكونة من ثلاثة أعمدة تشكل مثلثا، وكان يحدها القاعة من الشمال والغرب حجرات يتخللها أفنية ويتم الوصول إليها عبر مدخل منكسر^{٩٣}، وتخطيط هذه القاعة يذكرنا بتخطيط عدد من القصور الأيوبية والأرطغرلية في قلاع الشام والجزيرة والتي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن ١٣م. وهناك قاعات مشابهة لها في قلاع حلب وصهيون وديار بكر^{٩٤}.

استغرق بناء قلعة الروضة ثلاث سنوات ١٢٤٠ - ١٢٤٣م وسكن بها الصالح وأسرته وخدمه وألف من خاصة مماليكه. واتخذها مقرا لحكمه حتى نهاية عصره ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، ومع ذلك فإن قلعة الجبل احتفظت بأهميتها الرمزية إذ ظلت بها بقايا الجيش الأيوبي، والدواوين. وبهذا يكون الصالح أوجد مركزا جديدا للسلطة في المدينة، ونشأت منافسة رمزية بين القلعتين بخاصة مع بقاء العديد من إدارات الحكم والجيش بقلعة الجبل، وكانت القلعتان تتزينا عند انتصار الجيش الأيوبي في أي معركة حربية^{٩٥}.

ولم تستمر قلعة الروضة مقرا للحكم إذ هجرت بقيام دولة المماليك البحرية ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، وتحول مقر الحكم منها إلى قلعة الجبل. تبع ذلك أن تلاشت قلعة الروضة تدريجيا حتى صارت أثرًا بعد عين^{٩٦}، وإن كنا نستطيع أن نشاهد منها برجين مستديرين أسفل الشاطئ الغربي لجزيرة الروضة.

القلعة في العصر المملوكي

تعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م حدا فاصلا بين دولتين: الأيوبية والمملوكية، وإن كان حدا غير رسمي، إذ بوفاته استدعت شجر الدر ابنة تورانشاه من حصن كيفا ليتولى الملك، غير أن سوء تدبير الملك، وإهماله ممالك أبيه، أدى إلى قتله على يد المماليك في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م^{٩٧}.

استقرت شجر الدر زوج الصالح أيوب بعد ذلك على عرش مصر، واتخذت من قلعة الجبل مقرا للحكم، وأدت الحوادث المتتالية إلى زواجها من عز الدين أيبك أتابك السلطان الأيوبي الأشرف موسى^{٩٨}، استقر عز الدين أيبك في ملك مصر، غير أن نزاعه مع الفارس أقطاي، أدى إلى تصاعد الصراع بينهما، اتخذ أيبك عددا من الإجراءات التي كان لها أثرها في توطيد دور قلعة الجبل كمقر للحكم، منها على سبيل المثال أمره بهدم قلعة الروضة سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥٠م^{٩٩}. حتى لا يتخذها مناوئته مقرا لهم ينافسون منه على الحكم ويتحصنون به، ومن أحجارها بنى مدرسة في

هذه القاعة لتخصص كمقر لدكة جلوس الزوجة الأولى للسلطان أو الأثيرة لدى السلطان.

توالت الأحداث حتى أرادت شجر الدر التخلص من عز الدين أيبك، لإقدامه على الزواج من إحدى أميرات الموصل لكي يثبت شرعية حكمه، وخافت هي على عرشها فاغتاله خدمها في الحمام^{١١}، غير أن زوج المعز ومماليكه سرعان ما حنقوا على شجر الدر وحاولت المماليك البحرية الدفاع عنها، وانتهى الأمر بسجنها في البرج الأحمر، ولم تستطع ممالكها حمايتها طويلا، إذ سرعان ما أحضرت من البرج إلى دار السلطنة حيث تقيم زوجة أيبك وقتلها العبيد، وألقيت جثتها من القلعة في اتجاه القرافة حيث ظلت ثلاثة أيام إلى أن دفنت^{١٢} في قبعتها^{١٣}. وفي وضع مؤقت تولى السلطنة المنصور على بن أيبك ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م عرش مصر، كما جرت العادة في عصر المماليك، إذ لم تكن ثمة أسر حاكمة باستثناء أسرة قلاوون لنجاح المنصور في تكوين فرقة قوية من المماليك البرجية^{١٤} تدين بالولاء لأسرة قلاوون، وعلى الرغم من ذلك فقد تخلل عصر هذه الأسرة صراع سياسي مرير بين المماليك الأتراك والبرجية حول النفوذ والسيطرة^{١٥}.

مرت سلطنة قطز ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م دون تأثير يذكر على القلعة كمقر حكم. وكان للقلعة دور محوري في تلك الفترة الحرجة ولم تستجد بها منشآت جديدة يذكرها المؤرخون. غير أننا سنتتبع ثلاثة سلاطين تركوا آثارا في القلعة هم: الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل. وهم الذين سبقوا الناصر محمد الذي أوصل القلعة في ظل حكمه إلى مرحلة النضوج والاستقرار العمراني كمقر حكم.

القلعة في عهد الظاهر بيبرس

قتل الظاهر بيبرس المظفر قطز بعد تحالفهما معا ضد التتار، في طريق العودة إلى القاهرة، لقي قطز مصرعه، ليذكرنا ذلك بالصراع القديم بين ممالك أقطاي ومنهم بيبرس ومماليك المعز ومنهم قطز، ولكن الغلبة هذه المرة كانت لمماليك أقطاي، ومن المتوقع منطقيا أن تتم محاكمة بيبرس القاتل، ولكن في ظل المبدأ المملوكي "الحكم لمن

موقع دار الملك التي بناها الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي، وتحول إليها بدواوينه^{١٦}، ثم جدها الصالح لتكون دار ضيافة رسمية^{١٧}. لمواجهة لقلعة الروضة. واستبدال الدار بمدرسة حولها عدد من المنشآت الوقفية، وهدم قلعة الروضة، كان له أثر في القضاء على دورها المركزي كرمز قوى لنشأة المماليك الصالحية.

أدى طلب الفارس أقطاي المنافس القوى لنفوذ المعز أيبك الانتقال إلى القلعة ليقوم فيها^{١٨} إلى اضطراب الأخير، حيث إن ذلك سيؤدي إلى أن تكون الكلمة العليا لأقطاي بخاصة أنه اتخذ شارات الملك لنفسه، وهو ما جعل أيبك يتعجل الأمر باستدعاء أقطاي بصورة عاجلة لاستشارته في أمر مهم، ليقتله أيبك في قاعة الأعمدة بالقلعة^{١٩} وحاصر ممالك أقطاي القلعة، غير أنه رميت لهم رأس أقطاي فهربوا إلى الشام^{٢٠}، هذه الحادثة تعتبر بداية لتجسيد دور جديد للقلعة، إذ إن الصراع على السلطة بين المماليك سيتمحور حولها، لتصبح السيطرة عليها رمزا للسيطرة على حكم مصر وبلاد الشام والحجاز. ومفهوم القلعة هنا مختلف عن المفهوم الذي شيدت من أجله، إذ إنها شيدت كمقر لحكم الحاكم الذي يسيطر على أسوار المدينة، وتعد القلعة في هذا المفهوم المفصل القوى وخط الدفاع الرئيسي عن العاصمة المصرية في ظل الحروب الصليبية. وتحولت القلعة إلى رمز للسلطة من يستولى عليها تصبح بيده السلطة، استمر هذا المفهوم سائدا حتى عصر محمد على:

وترشدنا حادثة مقتل أقطاي على منشأة مهمة في القلعة هي قاعة الأعمدة، وهي في الغالب قاعة استقبال رئيسية للأمراء، وينسبها كازانوف^{٢١} إلى شجر الدر^{٢٢} غير أن ناصر الرباط يرى أنها ترجع إلى عصر الكامل^{٢٣} ويحدد موقعها في النطاق الجنوبي من القلعة ضمن سلسلة المباني السلطانية^{٢٤}، وهو تحديد منطقي. وشيدت شجر الدر بقاعة الأعمدة "مرتبة خاتون"^{٢٥}، ويبدو أنها العرش المخصص لجلوس شجر الدر، والتي كان لها نفوذ قوى، وهذه القاعة شهدت مبايعة الخليفة العباسي الجديد في عهد بيبرس البندقداري سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م. وتحولت

غلب^{١١٤}. تولى بيبرس السلطنة بعد أن استقرت مقاليد السلطة بيد المماليك البحرية حيث أدى انتصار المنصورة ضد الصليبيين، ومن بعده انتصارهم على التتار في عين جالوت إلى تثبيت شرعية حكمهم، حيث يعتبر فقهاء السياسة الشرعية حراسة بلاد المسلمين والجهاد إحدى الوسائل التي تعطى للحاكم الشرعية، خاصة بعد أن احتاجت ديار الإسلام إلى الدفاع في ظل الهجوم الصليبي وكانت الخلافة هي النظام الذي استقر كحكم شرعي للمسلمين، ولكن دولتي الخلافة حين دخل الصليبيون المنطقة سقطت إحداها وهي الخلافة الفاطمية كنتيجة مباشرة للصراع الصليبي الإسلامي على مصر، وتضاءلت الأخرى حتى إن قاضى دمشق ابن الهروى توجه إلى بغداد، في أعقاب سقوط القدس في يد الصليبيين، مستغيثا بالخليفة، فعاد (من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة) كما يقول ابن الأثير^{١١٥}. انتهى الأمر بسقوط الخلافة العباسية على يد المغول ولم تغب فريضة الجهاد عن الأتابكة الزنكيين، إذ تفرد هؤلاء بحس جهادي، اخترق مناخ الإحباط المسيطر على الدولة العباسية، وإماراتها التي وقفت عاجزة أمام الغزو الصليبي، فاهتزت شرعية الخليفة القابع في قصره، وانهارت كذلك شرعية الأمراء المتسلطين باسمها على القرار، ليصبح الجهاد مدخلا يسوغ الوصول إلى السلطة الشرعية، وهو المنظور الذي أعطى للمماليك شرعية حكمهم.

لعل ذلك يبرر السبب الذي من أجله أقام المماليك مشهد النصر في عين جالوت ليكون شاهدا يذكر كل من يمر به بجهاد المماليك^{١١٦} وهو شاهد يخلد انتصارا كان بيبرس أحد صانعيه.

لقد كان الظاهر بيبرس ذا وعى سياسى أنرك من خلاله المرحلة وتحدياتها، وكان يتوق إلى أن يكون له دور متميز عادى فيها، تساعد على ذلك شخصية قيادية فذة، ونظرة لماحة في استقراء معالمها الصعبة ولعل أخطر التحديات حينذاك ما واجهه من انقسام في جبهة المماليك، وتحزب فريق ضده من أتباع السلطان السابق^{١١٧}.

اتخذ مشروع السلطان الظاهر بيبرس بعدا إسلاميا

واضحاً فتبدو خيوطه مترابطة وأهدافه واضحة إلى حد كبير، فالتقرب من الفقهاء، وأداء فريضة الحج^{١١٨}، والانفتاح على المذاهب الأربعة وتعيين قضاتها في سائر الأقطار الإسلامية التابعة له^{١١٩}... ليست كلها سوى تعبيرات عن مشروعه الذي سيكتمل إطاره بعملية إحياء الخلافة العباسية، كما ينبغي أن نتوقف عند التعبيرات الأخرى، مثل تحصين الثغور وبناء القلاع والأبراج^{١٢٠} فضلا عن مدرسته التي تأسست على أنقاض القصر الفاطمي الشرقي^{١٢١}، وكان مما يلفت النظر أيضا في هذا الاتجاه شيوع ظاهرة المساجد^{١٢٢} التي حظيت باهتمام معظم السلاطين المماليك، وهي لا تعدو أن تكون إحدى السبل التي استخدمها هؤلاء للتقرب من المسلمين وإعطاء دولتهم الصفة الإسلامية^{١٢٣}.

حين بدأ الظاهر بيبرس إحياء الخلافة العباسية لأول مرة، بعث بالخليفة إلى بغداد لإحيائها هناك، غير أن الخليفة قتل هو وجيشه، ثم ولى آخر الخلافة بعد أن تم إثبات نسبه إلى بنى العباس كما فعل مع سابق، وبويع الخليفة أحمد، والذي أصدر تقليدا للسلطان الظاهر بحكم "البلاد الإسلامية، وما سيفتحه الله تعالى على يديه من بلاد الكفار..."، كما حصل على لقب (قسيم أمير المؤمنين) الذي لم يحصل عليه أحد قبله^{١٢٤} وهو ما عزز دور وأهمية دولة المماليك.

استقرت نظم دولة المماليك في عهد الظاهر، وظهر ذلك بوضوح في قلعة الجبل، رتب الظاهر بيبرس فرقة جديدة من المماليك عرفت بالمماليك السلطانية أو الظاهرية تدين بالولاء له، وأبقى الأمراء الكبار من المماليك البحرية الذين كانوا دعامة حكمه حول القلعة حيث بنى لهم القصور بالقرب من القلعة، وذلك خشية احتكاكهم ومماليكهم بطبقات الشعب^{١٢٥} كان بيبرس في حاجة إلى السيطرة على أمرائه ليكونوا إلى جانبه، وفي الوقت نفسه إلى إبعادهم عن القلعة، لأن وجودهم بها يسهل قيامهم بانقلاب ضده^{١٢٦}. لذا جاء بناء هذه القصور حلا عمليا لهذه المعضلة. وحاول بيبرس أيضا إحياء دور قلعة الروضة، ولذلك أمر في سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م الأمير جمال الدين موسى بن يغمر الأستادار بتجديدها، وتجهيز قاعاتها، ووزع أبراجها بين

الأمراء، وجعل كل واحد منهم مسئولاً عن إعادة بناء برج، فأقاموا بيوتاً لهم وإسطبلات هناك^{١٣٧}. وإحياء الظاهر قلعة الروضة ليس له سبب واضح، ويبدو أنه أراد أن يستوعب الأمراء ويضعهم ومماليكهم تحت سيطرته، وفي الوقت نفسه تنمية القوة المملوكية لمواجهة التحديات التي تواجهها سواء كانت صليبية أو مغولية.

أصبح العزل والشك في الأوساط المملوكية أمراً سائداً بخاصة في عصر دولة المماليك الجراكسة، في ظل تناوب السلاطين واحداً بعد الآخر وفقدان السلطة المملوكية درجة معقولة من الاستقرار، حتى وصل الأمر إلى تهرب بعض أمراء المماليك من تولي السلطنة، لقد كان ابن تغرى بردى محققاً كذلك حين رأى في إقامة المماليك بالقرب من القلعة وبعيداً عن سكان القاهرة، أمراً فيه راحة للسكان، حيث سبق وأن أرقق المماليك السكان. في الصراع بين أقطاي وأبيك بالمظالم. ومثل هذه الصراعات لها تداعيات سلبية على المدينة وسكانها.

أحدث الظاهر بيبرس العديد من المنشآت في القلعة، ولكن أهمها على وجه الإطلاق هو اهتمامه بإمدادات المياه، حيث إن عدم توافرها قد يؤدي إلى فقدان القلعة درجة مهمة من درجات الصمود عند حصارها، فضلاً عن أن الماء يساعد على زيادة عمراتها، أنشأ الظاهر بيبرس صهريجاً للمياه بالقرب من القلعة^{١٣٨} جلب إليه المياه من بئر دار البقر المواجهة لحدائق سيف الإسلام^{١٣٩}، وهذا البئر قريب من باب السلسلة، ويوجد مأخذ للماء بالقرب من زاوية حسن الرومي وبينته الوثيقة الخاصة بها حيث ذكرت وجود مجرى ماء أسفل مدخل الرواق قبل تشييدها^{١٤٠}، ومن باب السلسلة كانت المياه تحمل على قناطر إلى البئر الرئيسية في القلعة، والتي يرجح أنها كانت بالقرب من بئر يوسف، وقناطر المياه هذه كانت تحمل ألقاب الظاهر بيبرس مذهباً^{١٤١}.

الدار الظاهرية

يذكر المؤرخون داراً للعدل^{١٤٢} تحت القلعة أنشأها الظاهر بيبرس ولكنهم يقدمون معلومات غير كافية عن هذه الدار،

والراجح أنها كانت موجودة كبناء قبل عصر الظاهر بيبرس فأعاد بناءها، وكانت تقع فيما بين بابي السلسلة والمدرج، وكانت عبارة عن مصطبة مظلة كان يجلس فيها الظاهر للنظر في المظالم واستعراض الجند، وكان يجلس فيها يومى الاثنين والخميس، ثم عرفت هذه الدار فيما بعد بدار العدل القديمة، بعد أن شيد إيوان العدل، واستخدمت في العديد من المناسبات الرسمية وتحولت هذه الدار إلى طبلخانة في عهد الناصر محمد ٧٣٢هـ / ١٣٢٢م^{١٤٣}. وكانت الطبلخانة ساحة دون سقف، فلما ولي الأمير سودون من طاز أخور وسكن الإسطبل السلطاني، أعاد بناء الطبلخانة فجعلها طابقين، وكان يهدف من ذلك أن يجعل في الطابق الثاني رماة يواجهون رماة المدرسة الأشرفية^{١٤٤} التي كانت تواجه الطبلخانة، وعد الاستيلاء على المدرسة الأشرفية من قبل المتمردين موقعا متميزا لرمى الطبلخانة وما حولها بالسهم^{١٤٥}.

سور القلعة^{١٤٦}

لا تشير المصادر التاريخية إلى سور القلعة قبل عصر قلاوون، حيث أشار شافع بن على في تذكرة من السلطان قلاوون إلى ولده علاء الدين إلى باب القلعة ضمن الإجراءات الأمنية التي يجب اتخاذها عند تأمين القلعة^{١٤٧}، ومن المعروف أن الظاهر بيبرس هو الذي بنى القلعة^{١٤٨} التي سمي باسمها باب القلعة وسور القلعة، وتوضح العديد من المصادر أن وظيفة القلعة هي ضبط حركة المرور بين نطاقى القلعة العسكرية والسلطاني، وبالتالي نستطيع أن ننسب السور بالباب بالقلعة إلى السلطان الظاهر بيبرس، لذكر أجزائها بعده لدى المؤرخين على نحو ما تقدم، ويشير ابن الفرات في تاريخه -عند حدوث نزاع بين اثنين من أمراء دولة الأشرف خليل في عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. إلى وصف باب القلعة من أنه يتكون من ممر طويل ذى أبواب، به مقعد حجري للأستاذ^{١٤٩} يجلس به إلى أن يسمح له بالدخول للقصر السلطاني^{١٥٠}، والمنطقة بين المسجد الجامع للقلعة وسور القلعة كان بها العديد من المباني، وأنشئ سور القلعة موازياً للجانب الأطول للرحبة التي تواجه القلعة، وكان الباب في وسطه، وكان يغلق في الليل لعزل الجنود

الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، الذي كان نائبا للظاهر بيبرس، وابنه الملك السعيد^{١٦٦}.

دار الذهب

تحدث عن هذه الدار كل من ابن شداد والكتبي وابن تغري بردي^{١٦٧}. ويطلق عليها ابن شداد قاعة الذهب، ويذكر أن الظاهر بيبرس سماها دار الذهب ربما إشارة إلى بيت الذهب لخمارويه بن أحمد بن طولون، أو قاعة الذهب للخليفة الفاطمي العزيز بالله والتي كانت قاعة للاحتفالات والمراسم الخاصة بالدولة الفاطمية بالقصر الشرقي في حصن القاهرة^{١٦٨}. ولا نستطيع أن نحدد بالضبط موقع هذه الدار ضمن القسم السلطاني من القلعة. ويذكر المؤرخون منشأتين للظاهر بيبرس هما الدار الجديدة، والقاعة الظاهرية، ويرى كل من درسوا القلعة أن دار الذهب والدار الجديدة والقاعة الظاهرية هي أسماء لمنشأة واحدة، أنشئت بجوار باب السر الكبير الذي يعرف حاليا بالباب الوسطاني^{١٦٩}. ويمكن الوصول من باب أسفل متحف الشرطة بالنطاق الجنوبي حاليا إلى بقايا تحت الأرض تشتمل على قاعتين لهما دهليز بينهما ولهما شبابيك تطل على الخارج يرجح أن هذه البقايا هي بقايا دار الذهب أو الدار الجديدة.

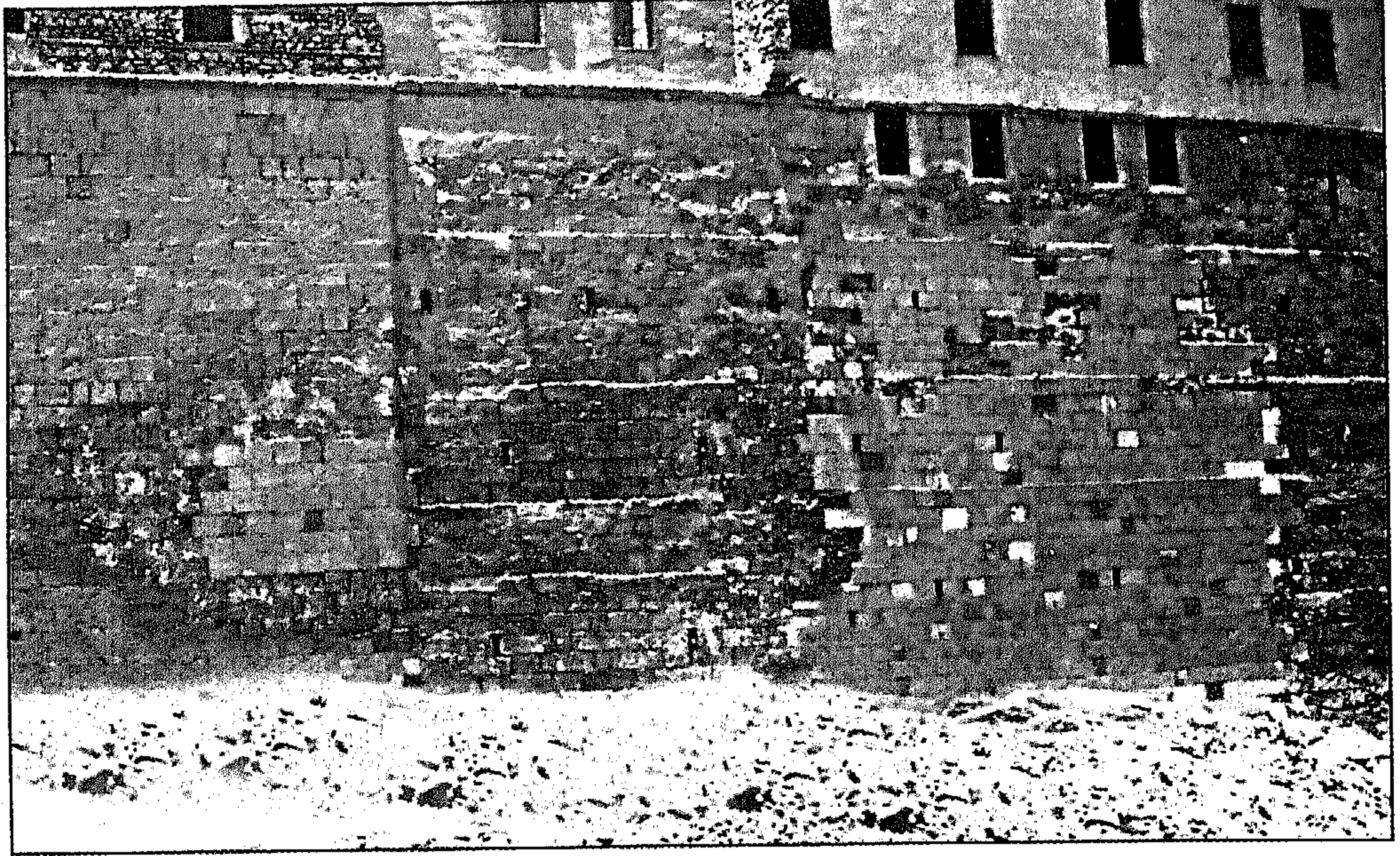
برج الزاوية

ينسب ابن تغري بردي لبيبرس تشييد برج الزاوية بالقلعة^{١٧٠}، ويدل اسمه على أنه أنشئ عند إحدى زوايا القلعة، ويذكر ابن شداد أنه كان يقع بالقرب من باب السر الكبير^{١٧١}، وأدى كشف أثرى تم عند إعداد القلعة كمزار سياحي في الثمانينيات إلى الكشف عن برج عليه سباع منحوتة والسبع كان رنكا للظاهر بيبرس وذكرت المصادر التاريخية برجاً في القلعة يعرف ببرج السباع^{١٧٢} هكذا وجد لدينا اسمان لبرجين واحد ينسب للظاهر بيبرس، والآخر غير منسوب إليه. إن ما سبق يرجح أن برج الزاوية هو نفسه برج السباع^{١٧٣}، وأنه اشتهر بمرور الوقت بالاسم الأخير للسباع المنحوتة عليه وواجهة

عن السلطان. وهذا الإجراء الأمني أتى ضمن سلسلة من الإجراءات التي اتخذها الظاهر بيبرس لكي يؤمن مقر إقامة السلطان، فكما كان حذرا من أى هجوم خارجي على القلعة، كان حذرا أيضا من أى تمرد يأتي إليه من داخل القلعة، والقلعة الهدف منها مراقبة قسمي القلعة وما يجري حولها، ويلزمها سور للفصل حتى يسهل السيطرة، ويشير شافع بن على في تذكرة المنصور قلاوون لولده إلى الإجراءات الأمنية التي في القلعة، وهي كما يذكر (أبواب القلعة تغلق وقت العادة، ووالى القلعة يحضر المفاتيح إلى القلعة، ووالى القلعة يدخل بالمفاتيح التي للقلعة والقلعة، وتسلم لمن كانت له على العادة)^{١٧٤} وهذا يبين لنا شدة الإجراءات والدور المحوري لوالى القلعة فيها وكانت القلعة يفصلها في العصر الأيوبي رحبات واسعة تناسب خلالها حركة المرور بين قسمي القلعة^{١٧٥} وترجع هذه الإجراءات الأمنية الشديدة إلى طبيعة الحكم المملوكي الذي اتصف بالاعتراف بالأقوى وكثرة المؤامرات.

شيد الظاهر بيبرس أيضا دار النيابة في النطاق الشمالي من القلعة بجوار رحبات القلعة، وكانت رحبات هذه الدار مخصصة لنائب السلطان^{١٧٦}. هذه المنطقة هي التي يذكر القلقشندي أنها تضم الدواوين الإدارية للدولة، وحدد لنا هذه الدواوين بالترتيب. بعد أن ينزل الرجل من الباب المدرج، يدخل إلى دركاة في جنوبها دار النيابة، وقاعة الصاحب التي يجلس بها الوزير وكتاب الدولة وديوان الإنشاء، وهو الذي يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه، وديوان الجيش، وباقي الدواوين السلطانية^{١٧٧}، تمتد هذه المنطقة من نهاية الباب المدرج، في الموقع الذي كانت تشغله سابقا دار الوثائق القومية حتى باب القلعة الحالي. وقد تمتد منطقة الدواوين حتى المدرسة الحمراء وقصور الحريم الحالية. ولكن الترتيب الأول يكون واقعا نسبيا، إذا أخذنا في الاعتبار عدم إجراء حفائر أثرية في هذه المنطقة إلى اليوم.

يذكر ابن شداد أن دار النيابة كانت عبارة عن قاعة لها إيوان كبير ذو رواق سقفه محمول على أربعة أعمدة خشبية مزخرفة^{١٧٨}، وكان أول من جلس في دار النيابة



السور الخارجى لدار قاعة الذهب

امتدادا طبيعيا لبعضهما. ويبدو أن هذا الجانب من القلعة كان المكان المختار لحجز الخلفاء العباسيين حين الخوف منهم من قبل السلاطين المماليك، وبخاصة أن شرعية الحكم المملوكى تحولت إلى هؤلاء الخلفاء، ولذا بات التحفظ عليهم أمرا واجبا في بعض الأحيان^{١٥٦} ويشير ابن تغرى بردى إلى أن الظاهر بيبرس أخرج من برج الزاوية رواشن^{١٥٧} وبني عليه قبة وزخرف سقفا^{١٥٨}. والحقيقة أن موقع هذا البرج الذى يعرف أيضا في خريطة الحملة الفرنسية ببرج الشخص، يلفت الانتباه إلى هذا البرج موقعه الاستراتيجى فهو من جانبه الشرقى يشرف على مدخل القلعة المعروف بالباب المدرج وباب السر الكبير الذى يؤدى إلى النطاق الجنوبي، ومن جانبه الشمالى يشرف على القاهرة وأسوارها، التى بدأت حركة العمران بها تنمو في اتجاه القلعة، فضلا عن إشراف هذا البرج على الممر السلطانى المنحوت في الصخر المؤدى إلى باب السر الكبير، وإشرافه على حركة القادمين إلى القاهرة عبر الصحراء.

البرج التى تقع داخل القلعة مازالت مدفونة، إلا أنه يمكن الدخول إليه عبر باب أسفل متحف الشرطة، ويذكر ابن تغرى بردى لنا الدار الظاهرية، والدار الصالحية في حادثة حجز الخليفة العباسى المستكفى بالله مع أولاد أخيه في القلعة في عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م. في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون^{١٥٩}، وفى عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م يرد ذكر حجز الخليفة المستكفى أيضا، ببرج السباع مع أولاده، واحتجز ابن عمه إبراهيم في برج بجواره ومنعا من الاجتماع بالناس^{١٦٠}.

وهاتان الحادثتان تدلان على أن الدار الظاهرية تجاور برج السباع ويليها مباشرة الدار الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب وعرفت بالقاعة الصالحية، ولما كانت هذه الدور تتخلل السور مع الأبراج في هذا الجزء من القلعة فقد اختلط الأمر على المؤرخين، فذكر ابن تغرى بردى مرة إقامة العباسيين بالدار الصالحية ومرة ببرج يجاور برج السباع. ولما كانت الدار الظاهرية ملاصقة لبرج السباع فهما يعدان



برج السباع

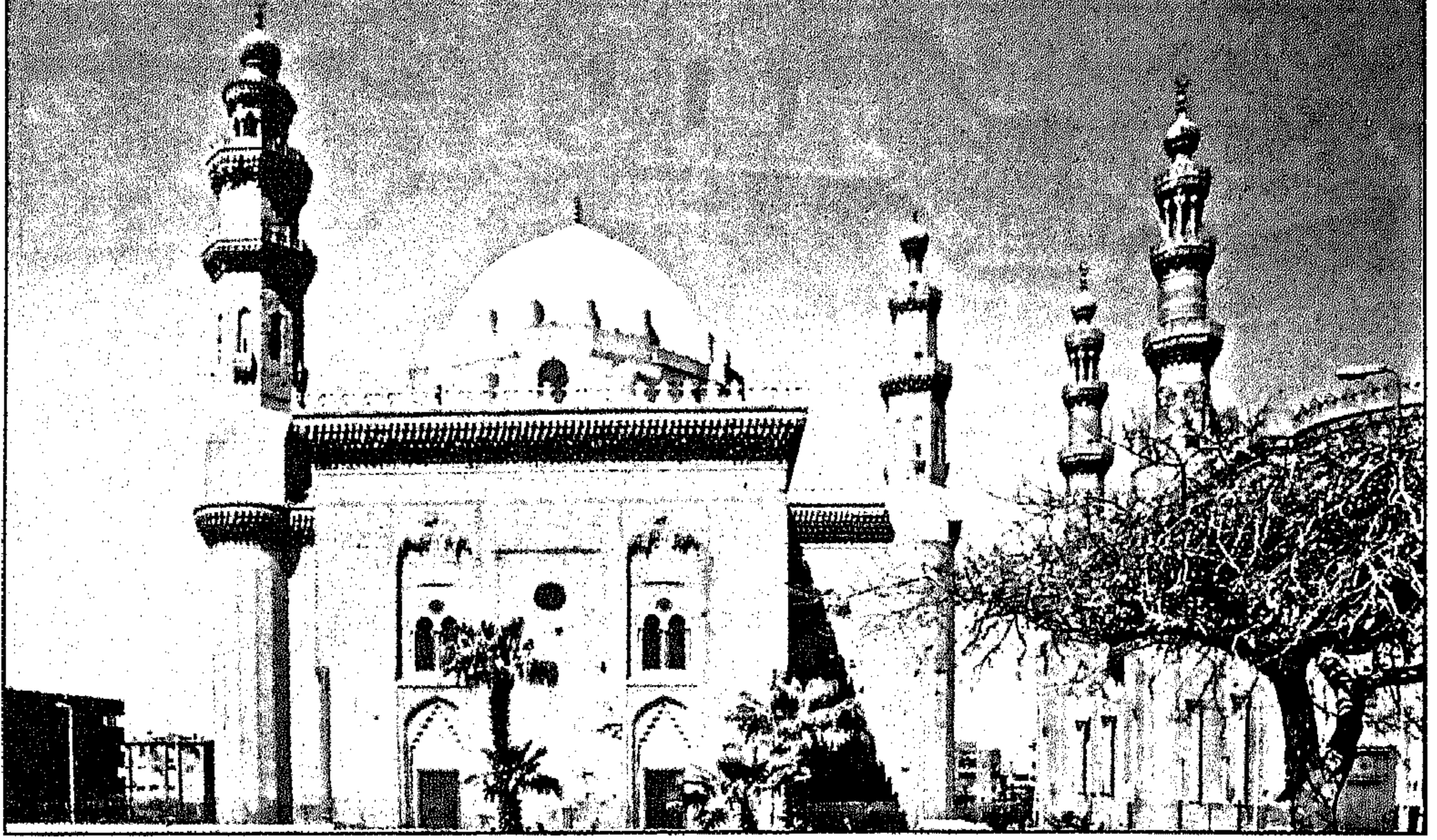
تصويرهم بالقبة جاء حسب هذا الترتيب وبالتالي استغلت هذه القبة في المراسم السلطانية، وهي وظيفة تتعارض مع الإيوان الكاملى الكبير، الذى كان موقعه على يمين الداخل من باب السر الكبير، وفى مواجهة مسجد القلعة، ومن غير المعروف موقع قبة الظاهر على وجه التحديد، غير أن بعض المصادر تذكر أنها برحبة الحبارج ومنها ابن شداد^{١١} المعاصر للظاهر بيبرس والذى ينقل عنه كل من الكتبى وابن تغرى بردى^{١٢}، وهذه الرحبة غير معروف موضعها على وجه التحديد. ويبدو أن اسم الحبارج يكتنفه غموض إذ لم يتكرر ذكره في المصادر التاريخية.

ولما كانت القبة تتشابه مع وظيفة الإيوان الكاملى، فمن المرجح في هذا الشأن احتمالان، الأول أنها ألحقت بالإيوان الكاملى، أو أن الظاهر هدم الإيوان وأقامها مكانه. ويشير ابن الفرات في تاريخه أن المنصور قلاوون هدم قبة الظاهر وبنى موضعها قبة جديدة، دون أن يحدد الموضع بالضبط^{١٣}.

لعل هذه الأسباب التى جعلته من أهم أبراج القلعة، التى حرص قراقوش أن يضع عليها النسر السلطاني، وأن يجدده السلطان الظاهر بيبرس وأن يلحق بجواره الصالح أيوب قاعة يشرف منها على الحركة إلى داخل القلعة، ولعل ما حدث في مذبحه المماليك ١٨١١م، يوضح لنا أهمية هذا الموقع في السيطرة على القلعة وما حولها. هذه الأسباب مجتمعة هى التى جعلت بيبرس يعده كمجلس له بإخراج الرواشن منه ليستطيع من خلال الرؤية البصرية كشف الحركة حول القلعة والحركة داخلها.

قبة الظاهر

تنسب للظاهر بيبرس قبة شيدها حملت على اثني عشر عموداً من الرخام، صور فيها الظاهر أمراءه على هيئتهم^{١٤}، ومن الغريب أن هذا المبنى لم يرد توصيف وظيفي في المصادر التاريخية، ومن المرجح أنه كان مخصصاً لجلوس السلطان وحوله الأمراء بترتيبهم حسب القواعد السلطانية، ويبدو أن



مدرسة السلطان حسن

أسكنهم بأبراج القلعة، فعرفوا بالمماليك البرجية^{١٦٥} ليكونوا عوناً له ضد المماليك الظاهرية، وعونا لأولاده من بعده، ولابد أن إسكان هؤلاء الذين بلغ عددهم على وجه التقريب ٣٧٠٠ مملوك^{١٦٦} -استلزم تعديلات في أبراج القلعة، أو إضافة أبراج جديدة، لا تذكر المصائر منها سوى البرج المنصوري^{١٦٧} - الذى يرجح أنه كان يقع في موقع البرج الوسطانى الذى يعرف في خريطة وصف مصر ببرج الطبلخانة^{١٦٨} والذى يرجح أنه أحدثت به تجديدات عثمانية^{١٦٩}. وهذا البرج من المحتمل أنه كان أحد الأبراج الأيوبية بالقلعة، وقد قام المنصور قلاوون بهدمه وإعادة بنائه في حجمه الحالى الكبير ليتناسب مع وظيفته الجديدة.

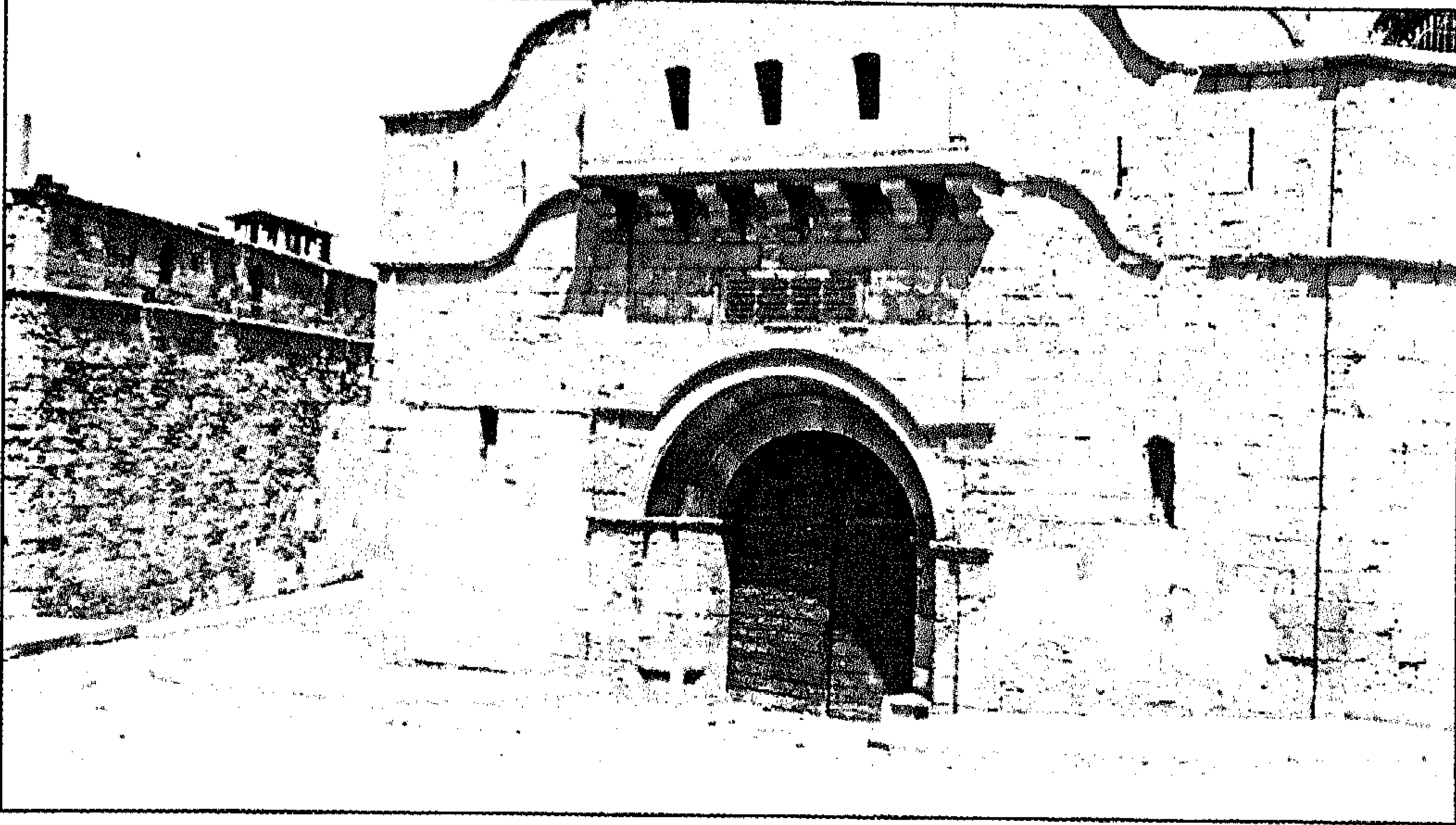
والمبنى الثانى المهم الذى ينسب للمنصور قلاوون هو القبة التى أقامها في موضع قبة الظاهر بيبرس، فقد هدمت في رجب ٦٨٥هـ / ١٢٨٩م وأعيد بناؤها، وتبرز عملية الهدم والبناء لهذه المنشأة كإشكالية تدفعنا إلى التساؤل عن السبب في ذلك؟، بل لعل ذلك يطرح نفسه أيضاً بالنسبة لإنشاء قبة الظاهر نفسها؟.

تتبقى منشأة أخرى مهمة بناها الظاهر بيبرس لولده الملك السعيد، وهى دار أو قصر بناه أمام الباب المدرج، ومن المرجح أنها بنيت في موضع حفير، أى حفرة عميقة، أقام فيها ستة عشر عقداً، ليرتفع بأرضيتها إلى مستوى أرضية القلعة، من المرجح أن هذا الحفير أعد خصيصاً ليكون خندقاً يتقدم باب القلعة في هذا الاتجاه.

استخدم الجزء المعقود من الحفير كصهريج للمياه^{١٧٠} رجح أنه كانت تصل إليه المياه من دار البقر التى توجد خلف مدرسة السلطان حسن^{١٧١}، ومن المرجح أن موضع هذه الدار حالياً هو دفتر خانة محمد علي.

القلعة في عهد المنصور قلاوون

يمثل عصر المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م) واحداً من عصور التحول في القلعة، وليست لدينا أى دلائل قاطعة على وجود مبان يمكن نسبتها إليه بطريقة قاطعة، سواء تلك المدفونة في الطبقات السفلى من القلعة أو حتى الظاهرة فوقها. ولكن التحول الأكبر حدث في استخدام المماليك الجراكسة وأجناساً أخرى



دفتر خاتة محمد علي

أربعة وتسعون عامودا خارجا من الرواقات والذي ألصق
بها من الذهب ألفان وثلاثمائة دست ذهبيا مصريا. وأما من
الرخام فما لا تحصى قيمته وفي جدران رواقاتها صفة
قلاع مولانا السلطان قلعة قلعة وحصنا حصنا ببحارها
وأنهارها وسهولها وجبالها
ومما نظمه الشاعر فيها:

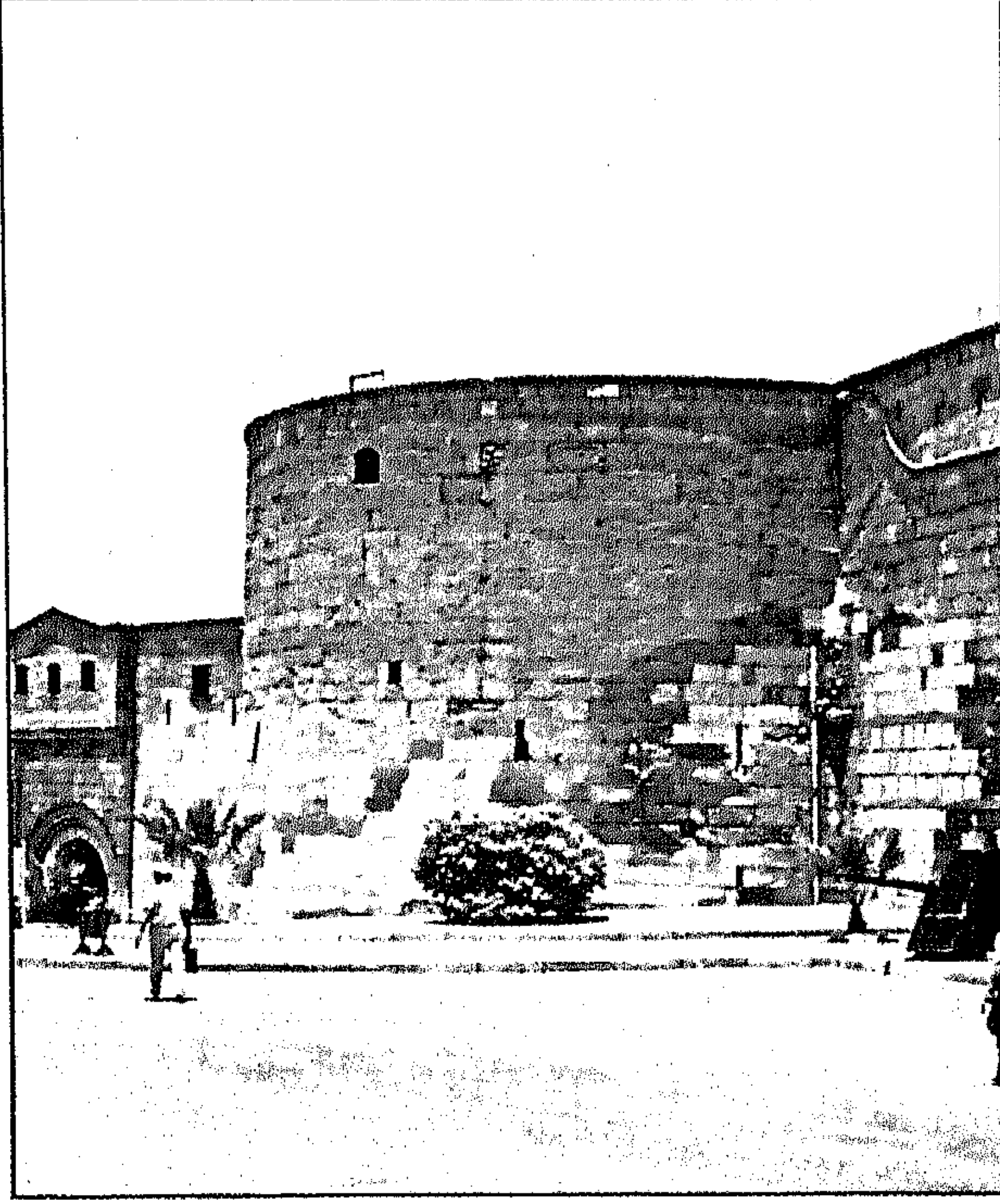
شيدت للملك كل قصر يربى اعتلاء على البرابي
فصرح بلقيس في انقضاض وصرح هامان في انقضاض
وقصر غمدان في انقلاء وشعب بوان في انقلاط
يا حسننا قبة تعالت حتى تناهت إلى السحاب^{١٧١}

إن مقارنة واضحة بين عدد الأعمدة في قبتي الظاهر
وقلاوون ١٢ في الأولى و٩٤ في الثانية يكشف عن فارق كبير
في حجم المبنى وتكوينهما، ولا شك أن هذا الفارق مقصود
به بيان مدى قوة وعظمة حكم قلاوون تجاه سابقه بيبرس.
والذي كان قد استقر حكمه في الوجدان الشعبي المصري
كحاكم عادل حتى دخلت سيرته وحياته في الأدب الشعبي^{١٧٢}.
هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تعلق
المصريين به. وكان على قلاوون أن يواجه هذا التحدي

إن استخدام القبة أو الإيوان المنصوري كما كان
يعرف لاحقا للاستقبال ولوجود العرش المملوكي به، يجعل
لدى السلطان الرغبة في أن يكون منسوباً إليه. وقلاوون
أراد أن يجعل الحكم له ولذريته من بعده، فهدم المبنى
الرئيسي الذي يرمز إلى السلطة وشرعيتها داخل القلعة
ليحل محله آخر أكثر فخامة.

هذه الإشكالية نراها لدى المؤرخين، فابن عبد الظاهر
مؤرخ يلاط ببيبرس وقلاوون يتجاهل حين يذكر القبة
المنصورية، هدم قبة الظاهر ببيبرس بينما ابن الفرات
يذكر ذلك لأن الحساسيات تلاشت إذ إنه يسجل الأحداث
التاريخية بعد أقل من قرن من وقوعها^{١٧٣}.

قدم لنا ابن عبد الظاهر وصفا دقيقا لقبة المنصور
قلاوون، توضح مدى ما كانت عليه من عمارة فيقول (رسم
ببناء قبة في الرحبة الحمراء بالقلعة المحروسة بمباشرة
الأمير علم الدين المنصوري فجاءت من عجائب الأبنية التي
ما عمر مثلها ملك في مملكة من الممالك ومن عارض في هذا
القول فليقل فلان في المكان الفلاني فنسلم له. والذي بهذه
القبة بخاصة من العمد الكبار والصغار الملونة والمذهبة



البرج المنصوري الكبير

تلاشى هذا المنصب في العصر المملوكي الجركسي، وربما تحولت إلى مبنى مهجور أو مستقل في وظائف أخرى.

القلعة في عهد الأشرف خليل

انتقلت السلطة من السلطان المنصور قلاوون إلى ابنه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣ هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣ م) بهدوء، ولعل ذلك مرجعه إلى قوة المماليك السلطانية التي كانت تدين بالولاء لقلاوون وأسرته، وكان الأشرف في عمر يسمح له بالسيطرة على مجريات الأمور.

كان للأشرف طموح سياسي انعكس على إكماله مشروع أبيه لفتح عكا، وكذلك إثبات وجوده كسلطان، ورأيناه كعادة سابقه يهدم القبة المنصورية، مقر عرش والده، ليجدها، ولم تعطنا المصادر التاريخية وصفا محدد المعالم لهذه القبة بعد التجديد^{١٨٣}.

لحكمه سواء بحزمه كحاكم، أو بتكوين ممالك موالين له في مواجهة المماليك الظاهرية، أو بتشديد عمائر تعبر عن عصره بقوة أكبر من عمائر سابقه.

جاء المنصور قلاوون دار النيابة التي كانت مقرا لنائب السلطان، وهو من المناصب المهمة في الدولة التي عرفت منذ العصر الأيوبي ويعد النائب الساعد الأيمن للسلطان في تصريف شئون الدولة، ويشترك معه في توزيع الإقطاعيات ومنح ألقاب الإمارة. وإذا كان النائب ينوب عن السلطان في حضوره صار لقبه "نائب الحضرة"، أما إذا كان لا يجوز له أن ينوب عن السلطان إلا في غيبته، فيكون لقبه "نائب الغيبة" وهو أقل درجة من الأولى. كان صلاح الدين قد ولي نيابة عنه في مصر أخاه العادل، وولى مرة أخرى ابن أخيه تقي الدين عمر هذا المنصب أيضا^{١٨٢}. ولما استقل العادل بمصر استدعى ابنه الكامل وجعله نائبا عنه بمصر^{١٨٤}.

وتوسع المماليك في المهام الممنوحة لنائب السلطنة. فكان كما يذكر القلقشندي^{١٨٥} "سلطانا مختصرا" وصار من حقه أن يرأس مجلس المشورة في حالة ما إذا كان السلطان طفلا قاصرا^{١٨٦}، وفاقت قوة نائب السلطنة في بعض الأحيان قوة السلطان نفسه، فالأمير بيدرا نائب السلطان الأشرف خليل كان بيده الحل والعقد في أمور السلطنة، ولسطوة نواب السلطنة بعد الأشرف خليل ألغى الناصر محمد هذا المنصب في سلطنته الثالثة^{١٨٧}. من هذا كله تتضح أهمية دار النيابة في القلعة، حيث كانت تمارس منها سلطات واسعة النطاق. وإن كانت أهمية هذه المنشأة تلاشت مع تلاشي هذا المنصب في العصر المملوكي الجركسي^{١٨٨}، ولعل ذلك كان هو السبب الذي دفع الناصر لهدم دار النيابة بالقلعة عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ م^{١٨٩} لكن المصادر التاريخية تشير إلى استقلال هذه الدار بعد ذلك، حيث أعاد الأمير قوصون دار النيابة إلى ما كانت عليه^{١٩٠}، وكان يجلس في شباكها لكي يشرف على الداخلين إلى القلعة من الباب المدرج أو من الطريق السلطاني المنحوت في الصخر إلى باب السر الكبير، ويشرف منه على المواكب السلطانية^{١٩١} ويبدو مما ذكره المقرئ عن هذه الدار أنها تلاشت في عصره^{١٩٢} مع

القاعة الأشرفية

تعد القاعة الأشرفية أهم منشأة ارتبطت باسم الأشرف خليل، وقد عثر عليها في حفائر عام ١٩٨٧م بالقلعة^{١٨٦}. وتشير المصادر التاريخية إليها تارة باسم القصر^{١٨٧} وتارة بالقاعة^{١٨٨} والغالب عليها أنها قاعة إذ لم يرد اسم القصر سوى في الخطط^{١٨٩} وافتتحها السلطان سنة ٦٧٢هـ / ١٢٩١م بختان أخيه محمد وابن أخيه الأمير موسى بن صالح.

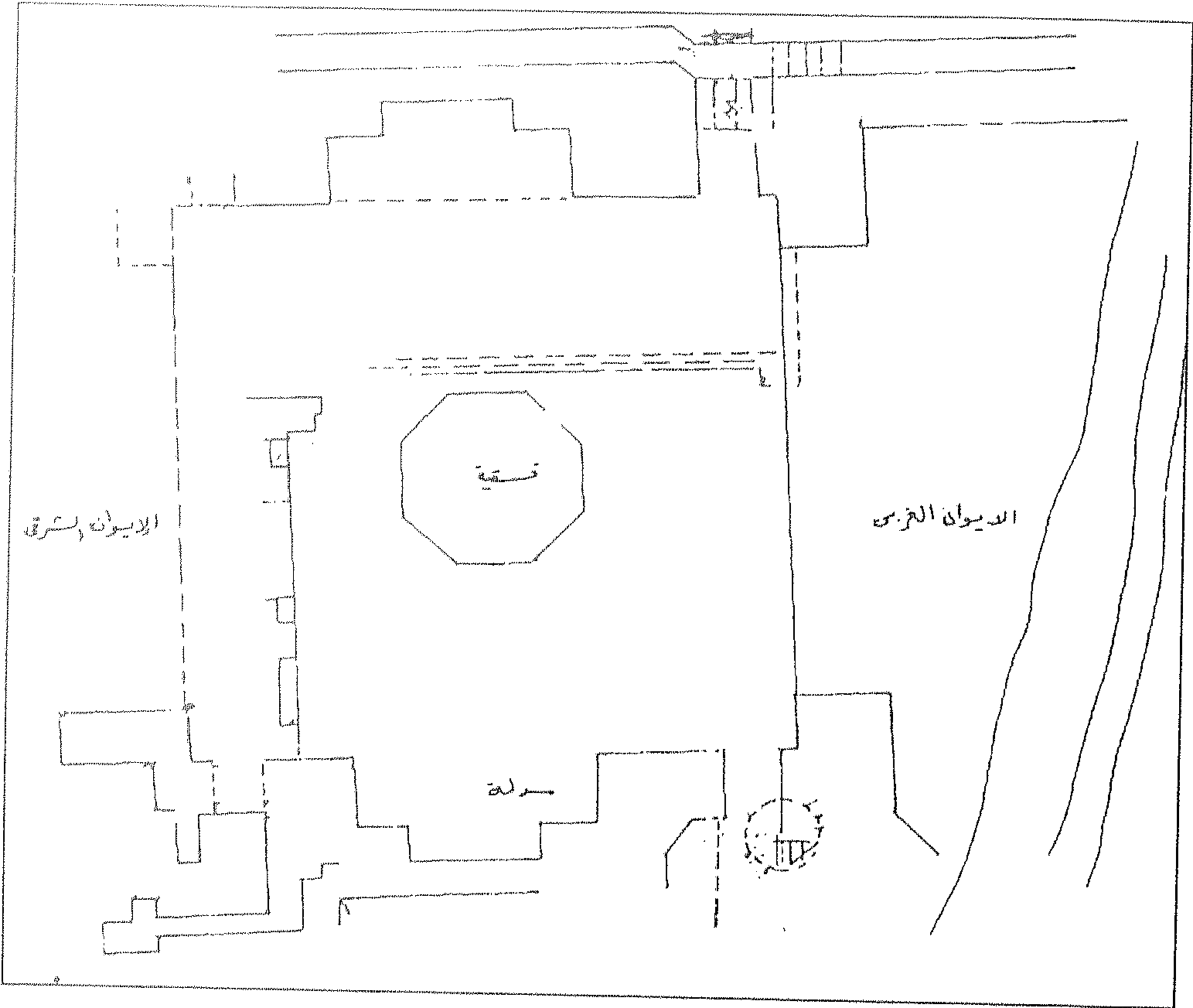
وهذه القاعة تتكون من إيوانين ودور قاعة وسدلتين وزينت جدرانها بالقسيفساء. ويحيط بها أبواب في جوانبها توضح أنها كانت متصلة بالقصر الأبلق والقصور الجوانية من جانب والإيوان من جانب آخر، ووقعها بين هذه المنشآت، جعل لها دورا سياسيا، ومنذ عصر الناصر محمد بن قلاوون استغلت في أحداث سياسية عديدة، وعلى الرغم من أن الناصر هدم العديد من منشآت سابقه ليشيد مجمعا ملكيا متكاملا بالقلعة، فإنه لم يهدم القاعة الأشرفية بدليل استخدامها أثناء مجريات الأحداث في عهده، ففي عام ٧١٠هـ / ١٣١١م، نشأت أزمة

نتيجة لتأمر بعض الأمراء لتولية الأمير موسى بن صالح ابن شقيق الناصر محمد عرش مصر، وهو ما اكتشفه الناصر، فحجز الأمراء بالقاعة الأشرفية إلى أن ظهر الأمير موسى الذي كان مختبئا بأحد المنازل بالقاهرة^{١٩٠}. وكان تولى الأمير قوصون الناصري نيابة السلطنة للملك الطفل الأشرف علاء الدين كجك، فقرر إدارة السلطنة من القاعة الأشرفية، وليس من دار النيابة، التي كان يحجزها عن النطاق الجنوبي سور القلة، وكان لا يريد أن يفلت السلطان الطفل من قبضته^{١٩١}. وفي الوقت نفسه جدد قوصون دار النيابة وأنشأ بها قاعة حتى يضمن السيطرة على الداخلين إلى القلعة وعلى النطاق الشمالي^{١٩٢}.

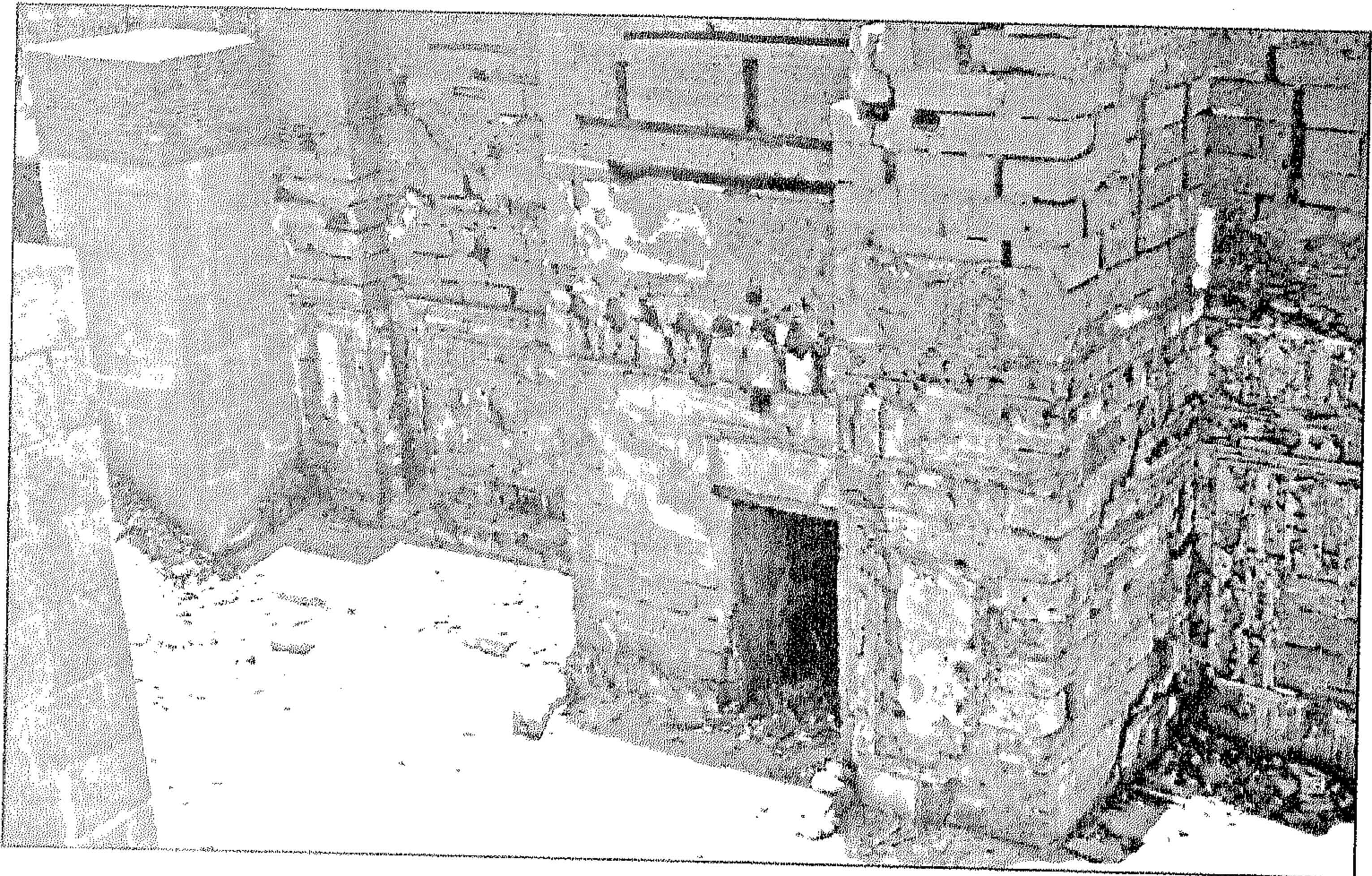
وتدل حوادث محاصرة الأمير أيدغمش لقوصون في القلعة على موقع القاعة الأشرفية بالضبط إذ كان مماليك قوصون يرمون بالنشاب مماليك أيدغمش والعوام الواقفين في باب الإسطليل وعند الطبلخانة وخارج القلعة من علو القاعة الأشرفية^{١٩٣}. وهذا الموقع يتناسب مع الموقع المكتشف للقاعة الأشرفية، التي يطل الجزء العلوى منها



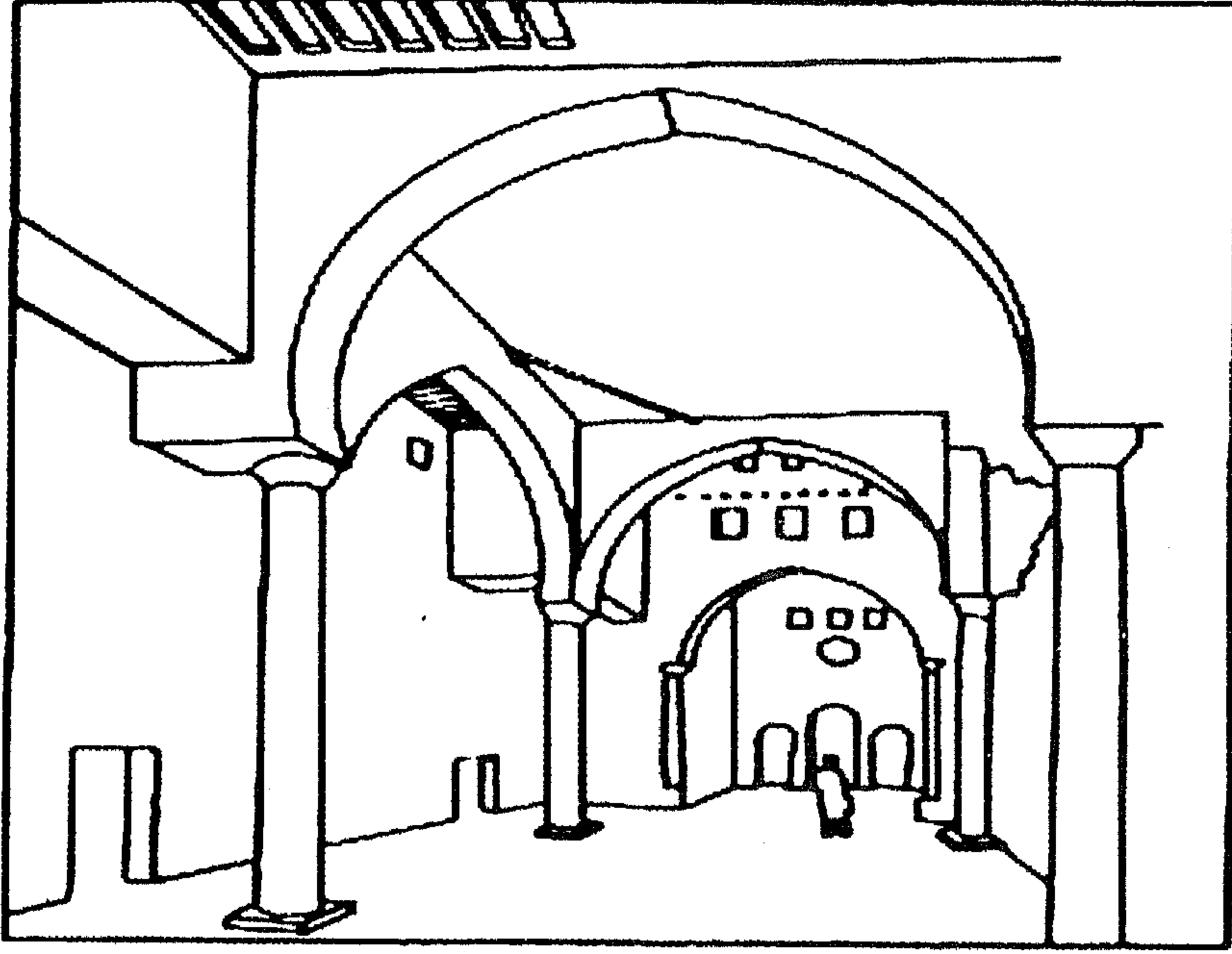
القاعة الأشرفية



القاعة الأشرقية - مسقط أفقي



القاعة الأشرقية



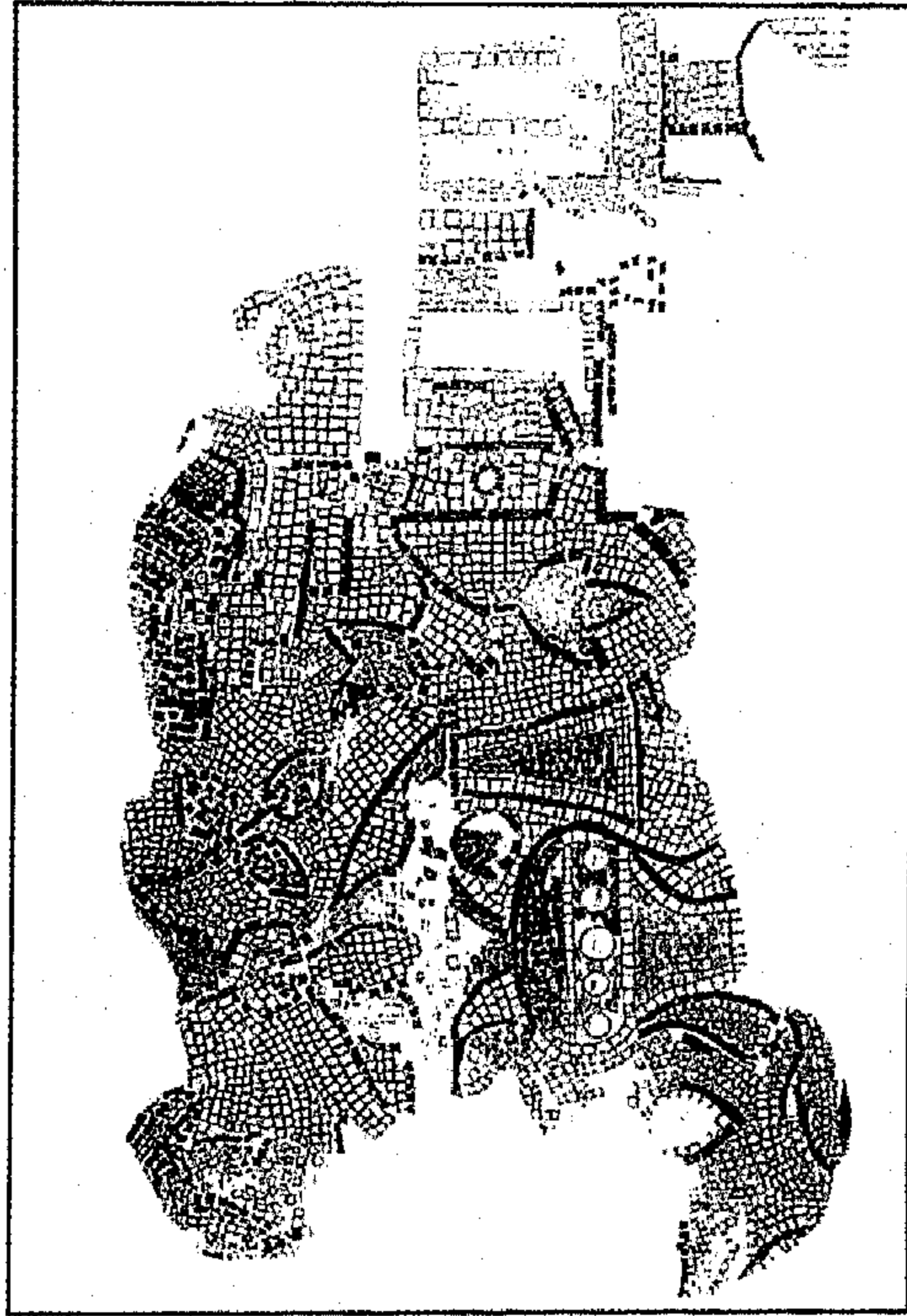
القاعة الأشرفية - مخطط توضيحي

على باب الإسطبل (العزب حاليا) وعلى الطبلخانة وعلى ميدان الرميطة.

وممن سكن الأشرفية من كبار الأمراء الجييفي في دولة السلطان المظفر حاجي (٧٤٨ - ٧٤٩ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م)^{١٢}. والأمير شيخو الذي كان الأمير الكبير أثناء حكم السلطان حسن (١٣٤٧ - ١٣٥١ م / ١٣٥٤ - ١٣٦١ م)^{١٣}. وكان شيخو أول من لقب بأمير كبير من نواب السلطنة^{١٤}، وصار لقب أمير كبير هو المفضل لدى هؤلاء الأمراء العظام، الذين يذكرنا نفوذهم وسلطتهم، بسطوة وزراء أواخر العصر الفاطمي.

وأقام ألباي اليوسفي في القاعة الأشرفية حينما تولى منصب أمير كبير، للسلطان شعبان بن حسين (١٣٦٣ - ١٣٧٧ م) وكان زوجا لأم السلطان^{١٥}. تضاءلت مكانة القاعة الأشرفية بمرور الوقت كمبنى له دور في صناعة السلطة، وتحولت إلى سجن لكبار الأمراء، وفيما بعد إلى طباق للخاصكية^{١٦}.

برج الرفرف



القاعة الأشرفية - قسيقساء

وهو مازال قائما في الطرف الغربى من السور الجنوبي، واكتسب اسمه من الرفرف^{١٧} الذى بناه الأشرف خليل فوقه عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م. ويذكره بعض المؤرخين في حوليات السلطان بركة خان ابن الظاهر بيبرس، حيث خاطب الأمراء منه، وذكروا أنه يطل على الإسطبل، ولم ينسبوه إلى السلطان بركة خان^{١٨}، وهذا يعنى وجود هذه المنشأة قبل عصر الأشرف خليل، وقد يكون في موقع القاعة الأشرفية منشأ قديمة هدمها الأشرف وأعاد بناءها. وهذا يجعلنا نعود بهذا البرج إلى قلعة صلاح الدين الأيوبي الذى ربما يكون هو ورفرفه جزءا من القلعة الأيوبية، ووظيفة هذا الرفرف تذكرنا بوظيفة برج الظاهر بيبرس الذى جدد جزءا من برج الشخص الأيوبي، الذى كان له وظيفة استراتيجية، فهذا البرج يبدو أنه كان برج مراقبة للحركة داخل المدينة، فمن خلاله يمكن رؤية أى حركة عند الصليبية، الحد الشمالى للفسطاط، وفى ظواهر القاهرة الجنوبية، وازدادت أهمية البرج نظرا لبدء تلاشى الخطر الخارجى، وبدء الصراع الداخلى بين أمراء المماليك على القوة والنفوذ، ولذا كان السلطان في حاجة إلى موقع يكشف من خلاله حركة القادمين إلى القلعة سواء عبر باب الإسطبل، أو المتجهين إلى باب القرافة عبر ميدان الرميطة. ولذا حرص الأشرف خليل على تجديد هذا البرج، ولكن المصادر التاريخية نرى فيها المؤرخين يذكرون البناء بالرفرف، ويعود ذلك إلى فخامة هذا الرفرف الذى لم يسبق أن شيد مثيل له، وإن كنا نرجح أنه كان يشبه ما بناه الظاهر بيبرس من رواشن فوق برج الزاوية أو برج السباع.

وكان الرفرف عبارة عن قبة ترتكز على أعمدة دائرية، زخرفت القبة بصور أمراء الدولة و"خواصها"^{١٩} ربما قصد بها المقرئى صورا لمدن الدولة وما تشتهر به، وهى رمزية تعبر عن تبعية الأمراء وهذه المدن والمعالم لسلطة الأشرف خليل. ولعل هذه القبة هى التى جعلت برج الرفرف تتكرر نسبته بقوة إلى الأشرف بالرغم من بئائه قبل عصره.

ويذكر المقرئى^{٢٠} وابن تغرى بردى^{٢١} أن الناصر محمد هدم برج الرفرف وأعاد بناءه مرة أخرى، غير أن نص ابن تغرى بردى يقهم منه أنه هدم الرفرف الذى يعلو البرج فقط وهو ما يؤكد الوضع الحالى للبرج، إذ إن به انقطاع رأسى يفصل بين برجين، وهو ما يعنى أن البرج حدثت به إضافة من قبل الناصر الذى جدد الرفرف بالكامل.

وكان كازانوف أول من حدد موقع هذا البرج، وقرأ اللوحة التأسيسية التى وضعها الناصر عليه^{٢٢}. ونصها: - بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا. - السلطان المالك الملك الناصر الغازى في سبيل الله الحاج إلى بيت الله وقبر رسول. - الله ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور، بدؤه في جمادى الأولى والفراغ منه في سنة ثلاث عشر وسبعمائة^{٢٣}.

الحواشي

- ١٤ ابن جبير، الرحلة، ص٢٥؛ البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٥.
- ١٥ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٨٢ – ٨٢.
- ١٦ كريزويل، تاريخ قلعة الجبل، ص١٠١ – ١٠٢.
- ١٧ كريزويل، قلعة الجبل، ص١٠١ – ١٠٢؛ كازانوفنا، وصف قلعة الجبل، ص٧٦ – ٧٨.
- ١٨ حفر هذا البئر يعمق يبلغ ٩٠ مترا في الصخر لإمداد القلعة بالمياه، وذلك برفعها من أسفل هذا العمق الشديد بواسطة السواقي إلى أعلى، وهو يعد تحفة هندسية معمارية يندر أن يوجد مثلها، وهذا البئر يعود إلى عصر الناصر يوسف صلاح الدين، ولذا عرف ببئر يوسف. المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٣٢؛ عبد الرحمن عبد التواب، بئر يوسف، مقال بمجلة المجلة، العدد (٦٨) سبتمبر ١٩٦٢م؛ عاصم رزق (دكتور)، المنشآت المائية في مصر الإسلامية، ص ٢٨٧: ٢٩٠. بحث في كتاب النقاش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٧ م؛ سامي نوار (دكتور)، المنشآت المائية بمصر، ص ١٠٨: ١١٢. دار الوراق لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٩٩م.
- ١٩ هذا البرج يأخذ رقم ٨٦ في خريطة وصف مصر. انظر: جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص١٥٣. ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٠ عرف هذا المدخل في العصر العثماني بباب الشرك لأنه كان يشترك في الدخول منه طائفتا الإنكشارية وعزبان. جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ١٥٣.
- ٢١ جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص١٥٣.
- ٢٢ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأيصار في ممالك الأمصار، ص ٧٩ ~ ٨٠. تحقيق أيمن فؤاد سيد (دكتور)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٥.
- ٢٣ عن أسوار وأبراج النطاق الشمالي، انظر حسنى نويصر (دكتور)، العمارة الإسلامية في مصر، ص ٢٣: ٩، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٦م.
- ٢٤ انظر: حول عدم استكمال الأسوار. أسامة عبد النعيم (دكتور)، أسوار صلاح الدين، ص ٤٧ – ٤٨.
- ٢٥ ابن جبير، الرحلة، ص٢٥.
- ٢٦ ناصر الرباط (دكتور)، تاريخ قلعة القاهرة، ص٨. مؤسسة الأغا خان ١٩٨٩م.
- ٢٧ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص١٩٥.
- ٢٨ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص١٩٥. كريزويل، قلعة الجبل، ص١٠٢.
- ٢٩ ناصر الرباط، قلعة القاهرة، ص٨.
- ١ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص٢٠٢.
- ٢ المقرئى، الخطط المقرئية، ج١، ص١٢٨، ج٢، ص٢٠٢.
- ٣ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص٢٠٢؛ كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص١٩؛ بول كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٦١ – ٦٢.
- ٤ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص٢٠٢.
- ٥ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٦٢.
- ٦ Nasser, the citadel of cairo, p53
- ٧ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٢٠٢.
- ٨ نذكر كل من ابن عبد الظاهر والمقرئى هذه المساجد ومنها: مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة ومسجد شقيق الملك ومسجد ابن الملك سنان الدولة ومسجد ركين ومسجد عبد الجبار ومسجد أبى منصور قسطة ومسجد القاضى النبيه ومسجد العدة ومسجد الديلمي. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ١٣١ – ١٣٢؛ المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٠٢ – ٢٠٣.
- ٩ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٦٥.
- ١٠ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص٢٠٢.
- ١١ قراقوش: هو أبو سعيد عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين، ونعته بالأسدى يرجع إلى نسبته إلى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، فقد جنده بالجند الأسدية، وبعد وفاة شيركوه انتقل إلى خدمة صلاح الدين الأيوبي، ويرجع بعض المؤرخين أنه روى الأصل. كما نعت بأنه خصى، لذلك فقد كان من رتبة طبقة الخصيان في الدولة الأيوبية، وربما يكون من أسرى الحروب أو مملوكا. وقد تولى العديد من المناصب في دولة صلاح الدين حتى شهد له بالكفاءة بدءا من فرض سيطرته على القصر الفاطمي إلى تشييده قلعة صلاح الدين وأسوار العاصمة المصرية. وشيد أيضا قلعة فرعون ورسم سور دمياط، وقام بعمارة أسوار عكا، وكان أمينا لأولاد صلاح الدين بعد وفاته وظل يحفظ ملكهم إلى أن تولى العادل حكم مصر، توفى بهاء الدين قراقوش عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م. وقد ألف أعداؤه ضده العديد من الروايات والأكتائب استندوا فيها على شدته وصرامته كرجل دولة ناجح. انظر: العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد، الفتح القسى في الفتح القدسي، ص٢٠٩، تحقيق وشرح محمد محمود صبيح، القاهرة ١٩٦٥م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٩١؛ عفاف صبرة، بهاء الدين قراقوش، الوزير المفترى عليه، ص ١٣٦: ١٨١. مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، محرم ١٤٠٨ هـ/ أغسطس ١٩٨٢م.
- ١٢ ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، الرحلة، ص٢٥. تحقيق حسين نصار. دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٨٨م.
- ١٣ البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ص٢٥، كتابات مصرية العدد ١٠، القاهرة ١٩٨٨م. العماد الأصفهاني، الفتح القسى في الفتح القدسي، ص ٢٠٩.

٣٠ يقال إن الذي ابتدع النسردا الرأسين خيال أحد الكهان السومريين القدماء، ثم انتشر في الشرق الأدنى القديم ولاسيما عند البابليين والحيثيين، واقتبسه منهم بعد ثلاثة آلاف عام السلاجقة كشعار لهم. وجاء النسردا الرأسين منحوتا على تاج الرأس لأحد تماثيل البطل التركي كلتكن، وكان النسردا مفرد الجناحين. كان هذا الشكل الخرافي شائعا ومفضلا عند قبائل الهون، بل إن النسردا الأذان والقرون كان الرمز الأعظم لقوتهم، والأخير بوجه خاص هو الذي شاع على الفنون السلجوقية. زكى حسن (دكتور)، فنون الإسلام، ص ٢٧٥؛ منى بدر (دكتورة)، أثر الفن السلجوقي على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والملوكي في مصر، ص ٢٥٢. رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١م، يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز، ص ١٢٣، تعريب خوستوقه عبد الحميد بك، القاهرة ١٩٢٣م؛ أوقطاي أصلان آيا، فنون الترك وعماثرهم، ص ٦، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ١٩٨٧م.

٣١ أصلان آيا، فنون الترك، ص ٢٤٥.

٣٢ الأرتقيون: أسرة تركمانية حكمت أجزاء من دولة السلاجقة بعد تفتيتها. انظر كليفورد أبوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ٤٧ - ٤٩.

٣٣ أصلان آيا، فنون الترك، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

٣٤ حسن الباشا (دكتور)، فنون التصوير الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية.

٣٥ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٩.

٣٦ قرآن كريم، سورة الفتح، الآيات من ١: ٣.

٣٧ الأصفهاني، محمد بن محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، ورقة ١٨٠، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث إستانبول رقم ٣٩٥٩.

٣٨ أطلق هذا اللقب على صلاح الدين في نقوش ووثائق كثيرة على الرغم من تلقبه رسميا (خليل أمير المؤمنين). وأطلق هذا اللقب على صلاح الدين في نص إنشاء بتاريخ سنة ٥٧٥هـ في الجامع الأموي بدمشق، فضلا عن وروده على بعض قطع من النقود الخاصة به وفي وثائق مختلفة. حسن الباشا (دكتور)، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٢٠٧. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٧٨م.

٣٩ حسن الباشا (دكتور)، الألقاب الإسلامية، ص ٢٠٧.

٤٠ انظر ما كتبه عبد اللطيف حمزة (دكتور) عنهما في كتابه، الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والملوكي، ص ٢٩٧، ٢٨٠. دار الفكر العربي ١٩٦٨م.

٤١ عن أسلوب القاضي الفاضل انظر عبد اللطيف حمزة (دكتور) مرجع سابق، ص ٢٨٠، ٢٨١.

٤٢ قاسم عبده قاسم (دكتور)، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٨٩ - ١٩٠، عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٤٩)، الكويت ١٩٩٠.

٤٣ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٩٠.

٤٤ أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ٢٣٥.

٤٥ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٦٠. بيروت ١٩٨٢.

٤٦ المقصود هنا دار الوزارة الفاطمية، والتي يشغل موقعها حاليا خانقاه بيبرس الجاشنكير، أنشأها بدر الجمالي، وظلت سكن الوزراء الفاطميين إلى أن انتهى الأمر إلى بني أيوب فسكنوها وعرفت من حين استيلائهم على ملك مصر بدار السلطنة وأقاموا فيها إلى أن استقر السلطان الكامل في القلعة كمقر لحكم مصر، ثم استقلت كدار ضيافة لكبار زوار الدولة إلى أن أنشئ في موضعها العديد من المنشآت كان أبرزها خانقاه الجاشنكيرية. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٥٠؛ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

٤٧ القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ٢٧٢؛ المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣٦٤. ج ٢، ص ٢٠٣.

٤٨ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٨.

١٩ عقاف صبرة، بهاء الدين قراقوش، ص ٤٢٨.

٥٠ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٥٠ - ٥١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٤٨.

٥١ ابن أبيك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨ (الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية) ص ٦١، ٦٢. تحقيق أولرخ هارلمان، المعهد الألماني للآثار القاهرة ١٩٧١.

٥٢ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ١، ص ٤٢٨.

٥٣ كريزويل، قلعة الجبل، ص ١٠٠؛ حسني نويصر، العمارة الإسلامية، ص ٢٥.

٥٤ أسامة عبد النعيم (دكتور)، أسوار صلاح الدين، ص ٤٧.

٥٥ الإدريسي، الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، ص ٣٢. تحقيق ألريش هارمان، المعهد الألماني للآثار الشرقية، بيروت، ١٩٩١م.

٥٦ المغربي، علي بن موسى، الفجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص ٢٩٠، ٢٩١. تحقيق د. حسين نصار، القاهرة ١٩٧١ م.

٥٧ Nasser, The citadel of cairo, p 77.

٥٨ المقرئ، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١، ص ٨٠٠.

٥٩ ابن الفرات، ناصر الدين محمد، تاريخ الدولة المملوكية. ج ٩، ص ٨١. تحقيق قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٤٢م.

٦٠ انظر خريطة وصف مصر في جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل.

٦١ ابن شداد، عز الدين محمد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٤١. تحقيق أحمد حتاتة.

٦٢ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٨٨: ٩٧؛ عيد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول، ص ٨ - ١٠. المطبعة الأميرية ١٩٥٠م.

٦٣ Nasser, The citadel of cairo, p79.

٦٤ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٨٨، ٩٨.

٦٥ كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٨٩.

Nasser, The citadel of cairo, p79

٦٧ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٢، ص ١٨٢؛ عيد القادر الرياحوى، قلعة دمشق، ص ٦١: ٦٥. دمشق ١٩٧٩م؛ عدنان البنى، قلعة دمشق، ص ٢١ – ٣٢. الحوليات الأثرية السورية مجلد ٤، ٥. ١٩٥٤، ١٩٥٥م؛ هزار عمران وجورج دبيرة، قلعة دمشق، ص ٢٢ – ٢٤. وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٨م.

٦٨ سنة من هذه النصوص تحمل اسم السلطان العادل. انظر عيد القادر الرياحوى، قلعة دمشق، ص ٢٧٦، ٢٧٨. دمشق ١٩٧٨م.

٦٩ Stephen.r. humphreys, from saladin to mangols: the ayyabids of damascus. p148, Albany. n.y 1977. Jean sauvaget ,la citadelle de de damas ,p59, 90, 216, 241.syria. 1930

Nasser, the citadel of cairo, p81

٧١ ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٥. المقريزى، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٤، لسلوك، ج ١، ص ١٢٦.

Nasser, the citadel of cairo, p82

Creswell, k. a. c. muslim architeure of egypte. vol 2, p 39. oxford, 1959

٧٤ كريزويل، تاريخ وصف قلعة الجبل، ص ١٠٠.

٧٥ ابن أبيك الدوادار، صلى الدين أبوبكر، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ص ١٥٥. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٢م.

٧٦ سبط بن الجوزى، يوسف بن محمد، مرآة الزمان في تاريخ الآوان، ج ١، ص ٧٠، حيدر آباد. ١٩٥١م.

Nasser, the citadel of cairo, p83

٧٨ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد أيدمر العلائى، الجوهرة الثمين في سير الخلفاء والسلاطين، ص ٢٣٦. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة د. أحمد دراج. مركز إحياء التراث الإسلامى، جامعة أم القرى، بدون تاريخ.

٧٩ عدنان البنى، قلعة دمشق، ص ٢٢.

٨٠ يعتبر العلامة جمال حمدان أشهر من درس شخصية مصر الإقليمية. انظر: جمال حمدان (دكتور)، شخصية مصر، دراسة في عبقرية الزمان والمكان، كتاب الهلال، العدد ٥٠٩، مايو ١٩٨٦.

٨١ انظر من محاولات الكامل إخضاع الشام لنفوذه. حامد زيان (دكتور)، محاضرات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٥٠: ٦٢. القاهرة ١٩٨٦م.

٨٢ سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص ١٢٨. دار النهضة العربية، ١٩٧٠م.

٨٣ المقريزى، السلوك، ج ١، ص ٢٢٦؛ ابن دقماق، الجوهرة الثمين، ص ٢٤١. هذا ولم يرد ذكر برج العافية مرة أخرى في المصادر التاريخية ومن المرجح أنه كان من أبراج النطاق الجنوبي واندثر حين أجرى الناصر محمد توسعات غير مسبقة في هذا النطاق، ويؤكد وجود هذا النطاق الجنوبي أن الصالح أيوب كان يشك في ولاء جند القلعة له وبالتالي سجن أخاه ومنافسه على العرش في أحد الأبراج المجاورة لسكن السلطان.

٨٤ المقريزى، الخطط المقريزية، ج ٢، ص ٢١٢.

٨٥ ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهرى، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٨٦.

٨٦ سعيد عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص ١٩٩.

٨٧ المقريزى، الخطط المقريزية، ج ٢، ص ١٨٣.

٨٨ مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص ١٤٢ – ١٤٨. دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢.

٨٩ ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٢٦٩. تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١م؛ السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن، بلبل الروضة، ص ١١. تحقيق د. نبيل عبد العزيز، مكتبة الأنجلو ١٩٨١م.

٩٠ د. عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص ١٥٨. كتاب المصريين (٥١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٩١ المقريزى، الخطط المقريزية، ج ٢، ص ١٥٨.

٩٢ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ص ١١٠.

٩٣ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٢٧. Creswell, muslim architecture, vol 2, p84: 87

٩٤ Yassertabbaa, circles of power: palace citadel and city in ayyubid aleppo ,arsorientalis 23, p181, 191. Nasser, the citadel of cairo, p87

٩٥ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٥، ص ٣٣٩.

٩٦ كان أول من بدأ الهدم في قلعة الروضة عز الدين أيك بعد أن تسلطن وأراد أن يبني مسجدا في القسطنطينية، ثم لما تولى السلطنة الظاهر بيبرس أمر بعمارتها والاهتمام بها، غير أن المنصور قلاوون نقل منها ما يحتاجه من أعمدة ورخام لعمارة البيمارستان القلاوونى، وكذلك نقل منها الناصر محمد بن قلاوون ما احتاجه لعمارة إيوان العدل في القلعة والجامع الناصرى في القسطنطينية، وظل باقيا منها إلى أيام المقريزى عقد كبير تهدم في حياته وأبراج بني الناس فوقها دبرهم وكشفت حفريات لجنة حفظ الآثار بالقرب من المقياس عن بقايا للقلعة. المقريزى، الخطط المقريزية، ج ٢، ص ١٨٤؛ لجنة حفظ الآثار ملحق تقرير ٧٠٤ في نوفمبر ١٩٣٥م.

٩٧ ابن دقماق، الجوهرة الثمين، ص ٢٤٧: ٢٥١.

٩٨ ابن دقماق، الجوهرة الثمين، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

٩٩ المقرئى، الخطط المقرئىة، ج١، ص٢٨١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٢.

١٠٠ يذكر بعض المؤرخين أن هذه المدرسة تقع برحبة دار الملك، ولكن المصادر التاريخية تسكت منذ عصر المعز أيبك عن دار الملك، وهو ما يعنى أن قسما منها عل الأقل دخل في عمارة المدرسة المعزىة. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٤؛ ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٢؛ عبد الرحمن زكى (دكتور)، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، ص١٠٩. مكتبة الأنجلو، الطبعة الثامنة ١٩٨١م.

١٠١ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٣٤.

١٠٢ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٠ - ١١؛ المقرئى الخطط ج٢، ص٢٨٢. ويذكر الذهبى، أن أقطاى طلب من أيبك أن يخلى له القلعة ليقيم بها عرسه على بنت صاحب حماة، إلا أن أيبك أشترك مع شجر الدر في التآمر على قتل أقطاى، وضرب قطر رأس أقطاى. الذهبى، الحافظ شمس الدين، دول الإسلام، ج٢، ص١٥٧. تحقيق فهم شلتوت، محمد مصطفى إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٠٣ المقرئى، الخطط المقرئىة، ج١، ص٢٨٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١١ - ١٢. Nasser, the citadel of cairo, p92. Paul balog, the coinage of the mamluk sultans of egypte and syria p75,76. New york. 1964

١٠٤ الذهبى، دول الإسلام، ص١٥٧.

١٠٥ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٩٩.

١٠٦ Nasser, the citadel of cairo, p94

١٠٧ Nasser, the citadel of cairo, p94

١٠٨ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٩٩.

١٠٩ المقرئى، السلوك، ج١، ص٢٨٨.

١١٠ ابن الدوادار، الدر المطلوب، ص٢٨٤ - ٢٨٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٦ - ٣٧٧.

١١١ دفنت شجر الدر في قبتها بحى الخليفة وتحمل هذه القبة عبارات ذات دلالات سياسية، تعبر عن المرحلة الانتقالية التى مرت بها القلعة ونظام الحكم المملوكى، ولعبت شجر الدر دورا فاعلا في نقل السلطة من الأيوبيين إلى المماليك، وعدها بعض المؤرخين أول السلاطين المماليك، غير أن اعتراض الخليفة العباسى على تولية امرأة عرش مصر أدى إلى زواجها من عز الدين أيبك الذى يرى البعض أن ضعف شخصيته كان السبب في اختيارها له. غير أنه بعد زواجهما دب النزاع بينهما وانتهى الأمر بمقتلها، ويرى حسنى نويصر (دكتور) أنها شيدت قبتها قبل زواجها من المعز أيبك في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م. ويذكر محمد رمزى أن تربة شجر الدر. ألحق بها مدرسة وهو ما يعنى أنها أرادت أن تقلد السلاطين العظام من بنى أيوب بتشبيد المنشآت الدينية الخيرية كالصالح أيوب والكمال. وتعد قبتها بذلك أول قبة ضريحية ألحقت بمنشأة دينية بمصر. حسنى نويصر (دكتور)، العمارة الإسلامية، ص٨٩، ٨٥، ١١٠، ١١١. محمد رمزى، حواشى

النجوم، ج٦، حاشية ١، ص٣٧٨. المقرئى، الخطط المقرئىة، ج٢، ص٣٧٤ - ٣٧٥.

١١٢ البرجية: فرقة أسسها المنصور قلاوون لتعين بالولاء له ولأفراد أسرته ليقضى بها على فرقة المماليك البحرية التى أسسها الصالح نجم الدين أيوب وسكنت في قلعة الروضة على بحر النيل ومن هنا سميت بالبحرية. انظر حكيم عبد السيد (دكتور)، قيام دولة المماليك الثانية، ص٣٢:٢٢. الدار القومية للطباعة. القاهرة ١٩٦٦م.

١١٣ حكيم عبد السيد (دكتور)، قيام دولة المماليك الثانية، ص٤٠:٦٠.

١١٤ قاسم عيده قاسم (دكتور) عصر سلاطين المماليك، ص١٠. دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤م.

١١٥ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٨٤. دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧م.

١١٦ أحمد العبادى (دكتور) دولة المماليك الأولى، ص١٧١ - ١٧٢. الإسكندرية ١٩٧٨م.

١١٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٠٩.

١١٨ المقرئى، السلوك، ج٦، ص٥١٢.

١١٩ ابن تغرى بردى، النجوم، ج٧، ص١٢١، ١٢٢.

١٢٠ العبادى، دولة المماليك الأولى.

١٢١ المقرئى، الخطط، ص٢٠٨ - ٢٠٩.

١٢٢ العبادى، دولة المماليك الأولى، ص١٩٨.

١٢٣ إبراهيم بيضون، المماليك ومازق الشرعية، ص٤٥. مجلة الاجتهاد العدد ٢٢، السنة ٦، ١٩٩٤.

١٢٤ السيوطى، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص٨٧؛ المقرئى، السلوك، ج١، ص٤٤٨:٤٥٧؛ قاسم عيده قاسم (دكتور) عصر سلاطين المماليك، ص٨٩.

١٢٥ ومن هذه القصور قصر الأمير سنقر الأشقر، وقصر آلين آق الحسامى والأخير مازالت بقاياه موجودة بشارع باب الوزير وتعتبر هذه القصور بداية إعمار ما حول القلعة، والتي تحولت مناطقها بمرور الوقت إلى مناطق ذات طبيعة أرسقراطية. ابن تغرى بردى، النجوم، ج٧، ص١٩١؛ محمد حسام الدين إسماعيل (دكتور)، أربعة بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية، ص٤٩، حوليات إسلامية، المجلد ٤، ١٩٨٨م. المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة.

١٢٦ Nasser, the citadel of cairo, p101,102

١٢٧ ابن عبد الظاهر، محبى الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٩٠، تحقيق د.عبد العزيز جويطر، الرياض ١٩٧٦م؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج٧، ص١٩٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٣٧٢؛ المقرئى، الخطط المقرئىة، ج٢، ص١٨٤. السلوك، ج١، ص٤٤٥.

١٢٨ ابن شداد، عز الدين محمد، تاريخ الملك الظاهر، ص٣٤٢. تحقيق أحمد حناتة، ١٩٨٢م.

١٢٩ سيف الإسلام هو أخو صلاح الدين الأيوبي، أما دار البقر فتقع خلف مدرسة السلطان حسن، وقد شيدت قبل عصر الظاهر بيبرس. الإبريسي، أنوار علوى الأجرام، ص ٥٢. Nasser, the citadel of cairo, p 106

١٣٠ وثيقة وقف حسن الرومى رقم ١٠٧٩ أوقاف، المؤرخة ٨ شوال ١٩٤١هـ/ ١٥٣٥م.

١٣١ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٣٤٢.

١٣٢ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٤، السلوك، ج ١، ص ٢٠٢.

١٣٣ حول الناصر محمد بن قلاوون هذه الدار إلى طليخانة، أى مقر للفرق الموسيقية السلطانية التى كانت تضرب مزاميرها وتدق طبولها وتزعق كورستها (أى صنجاتها) مرتين يوميا كرمز لتواجد السلطان في القلعة. المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٣. ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٢، ص ٢١٣.

١٣٤ قام الناصر فرج بن برقوق بهدم هذه المدرسة فيما بعد. المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢١٣.

١٣٥ ابن الشحنة، عفيف الدين حسان، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد بن قايثي، ص ٨٤:٨٢، تحقيق عمر تدمرى ١٩٨٢م.

١٣٦ يقع سور القلعة في الوقت الحاضر بين الباب الوسطانى و برج المنطم.

١٣٧ العسقلانى، شافع بن على المصرى، الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور، ص ١٢٨، تحقيق عمر تدمرى (دكتور)، المكتبة العصرية صيدا ١٩٩٨م

١٣٨ القلعة: المكان المرتفع. العسقلانى، الفضل المأثور، ص ١٢٨.

١٣٩ الأستاذار: يذكر القلقشندي أن كلمة الأستاذار أصلها فارسي، وتتكون من مقطعين أستاذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك، وأدغمت الكلمتان فصارت استادار والمعنى المتولى للأخذ، وسمى بذلك لأنه يتولى أخذ المال، و يقال فيه ستدار بإسقاط الألف في أوله وكسر السين، وبعض الكتاب يضمون الهمزة ويلحقون به ألفا بعد التاء فيقولون أستاذار وربما قالوا أستاذ الدار وعلق على هذا الشكل الأخير خطأ صريح (القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٧) مع أن هناك من المؤرخين في العصر المملوكى من استخدموا القول أستاذ الدار أمثال السبكى والنويرى. واعترض بعض المستشرقين على ما ذكره القلقشندي من أن أستاذ الدار خطأ صريح، لأنهم يعتقدون أن الكلمة أصلها أستاذ الدار المكونه من أستاذ بمعنى السيد أو الكبير والدار بمعنى البيت، ويذكر محمد مصطفى زيادة أنه وجد عبارة في هامش أحد مخطوطات كتاب السلوك للمقرئى، بخط مغاير لخط المخطوطة نفسها بها ما يفيد أن أستاذار كلمة فارسية أصلها (اصطى سرا) بمعنى اصطى كبير ثم عربوه فقالوا أستاذ: ومعنى سردار كبير كالسلطان ونحوه، فتلاعبوا بهذه الكلمة وقالوا أستاذار. المقرئى السلوك، ج ١، ص ٧٩٤، حاشية ٣) ويقول علماء اللغة أن أستاذ التى ذكرها القلقشندي هي من سدد الفارسية بكسر السين وفتح التاء المثناة من فوق ثم دال مهمله ساكنة، ومعنى سدد الأخذ كما ذكر

القلقشندي (أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، ص ١٣:١٥. دار المعارف ١٩٧٩م) ومن هذا يتضح أن الكلمة في الأرجح مأخوذة من سدد الفارسية، ويذكر المقرئى أن من مهام الاستادار (إله أمر البيوت السلطانية كلها، وهو الذى يمشى بطلب السلطان في السرحات والأسفار، وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره، وإليه أمور الجاشنكارية، ويشير إلى أن هذه الوظيفة اتسعت اختصاصاتها في عهد الظاهر برقوق ثم عهد ابنه فرج عندما أصبح الاستادار هو المدير لأموال السلطنة. المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٢٢؛ محمد عبد الستار عثمان (دكتور) وثيقة وقف جمال الدين الأستاذار، ص ٩، ١٠. دار المعارف ١٩٨٣م.

١٤٠ ابن القرات، ناصر الدين محمد، تاريخ الدول والملوك، ج ٨، ص ٢٨.

١٤١ العسقلانى، الفضل المأثور، ص ١٢٨.

١٤٢ Nasser, the citadel of cairo, p 111

١٤٣ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٣٤١.

١٤٤ القلقشندي، الفضل المأثور، ج ٢، ص ٣٧٠؛ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٥.

١٤٥ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٢٩٤.

١٤٦ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٢٧٣، ٢٨٧.

١٤٧ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٣٤٠؛ الكتبي، قوات الوفيات، ج ١، ص ٢٤٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٧، ص ١٩٠.

١٤٨ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ١، ص ٢١٦.

١٤٩ كاناثوفا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٠١ - ١٠٢؛ عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة مصر، ص ١٥. Nasser, the citadel of cairo, p120

١٥٠ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٧، ص ١٩٠.

١٥١ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٣٤١.

١٥٢ كاناثوفا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٠٢.

١٥٣ يبدو أن السباع انتشرت كرتك على عمائر الظاهر بيبرس في مصر، فمن أشهر الأمثلة التى حملت هذا الرنك، قناطر السباع على الخليج المصرى، والتى تقع أمام مسجد السيدة زينب، والتى حملت هذا الرنك، وكان الناصر محمد بن قلاوون أراد إزالتها فأوحى إلى والى القاهرة، بأن يجدها لارتفاعها، فلما جدها أشيع أن تلك تم لإزالة شعار سلطان سابق، فأمر حينئذ الناصر بإعادة السباع مرة أخرى للقنطرة، ومع ذلك فلم تنج هذه السباع من التخريب، فإن الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر، شوه صورها كما فعل بوجه أبو الهول ظنا منه أن في هذا الفعل تقريبا لله تعالى. وبقي بقناطر ترعة أبو المنجا، اثنان وعشرون سبعا لتعبر عن إعمار بيبرس لهذه القناطر سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦.١٢٦٧م على يد الأمير عز الدين أبيك الأقرم، وهذان الأثران يدلان على أن برج السباع بالقلعة من أعمال الظاهر بيبرس، ولما كان وجوده عند زاوية من زوايا النطاق الجنوبى ولوقوعه بالقرب من باب السر الكبير فمن المرجح أن البرج له اسمان، شاع منهما

الاسم الأخير، كما شاع على قناطر السباع بالسيدة زينب. انظر حول ما سبق: عبد الرحمن عبد التواب، منشآتنا المائتة عبر التاريخ، ص ٢١ - ٢٢، ٤٩ - ٥٢. سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ٩٦ القاهرة ١٩٦٣م؛ زكى حسن (دكتور)، أطلس الفنون والتصوير الإسلامية، ص ٢٦٨، ٥٠، فنون الإسلام، ص ٦٣٨ - ٦٣٩.

١٥٤ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٨، ص ١٤٩.

١٥٥ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٩، ص ١١٥.

١٥٦ إبراهيم طرخان (دكتور)، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٥١ - ٥٢، القاهرة ١٩٦٦م.

١٥٧ روشن: بمعنى الكوة أو النافذة أو الشرفة وهي من الفارسية روزن، ويقصد بها في العصر المملوكى الخراجات التى تستخدم للبروز بالعمارة وزيادة سطح الأدوار العليا، وتطل على الشارع وواجهة الدخول. محمد أمين وليلي على إبراهيم (دكتور)، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٥٨. دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠م.

١٥٨ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٢٠.

١٥٩ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٠.

١٦٠ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٢٤٠.

١٦١ الكتبى، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٤٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٠.

١٦٢ ابن الفرات، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٨؛ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ١٣٨؛ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٢.

١٦٣ ابن شداد، تاريخ الظاهر، ص ٢٤١.

١٦٤ Nasser, the citadel of cairo, p114

١٦٥ انظر عن المماليك البرجية: إبراهيم طرخان (دكتور)، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٤: ١٢؛ حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص ١١: ٥٨؛ سعيد عاشور (دكتور)، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٩٢: ٣٠١.

١٦٦ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٠٨.

١٦٧ المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٧٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٦٢.

١٦٨ جومار، وصف مصر.

١٦٩ Nasser, the citadel of cairo, p137

١٧٠ ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج ٨، ص ٢٨. Nasser, the citadel of cairo, p 14

١٧١ ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ١٣٩. تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١.

١٧٢ فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، ص ٨٧: ١٢٧. المكتبة الثقافية، العدد ١٠١، القاهرة ١٩٦٤م.

١٧٣ البندارى، الفتح بن على، سنا اليرق الشامي، ص ٢٢٢. تحقيق دكتورة فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي ١٩٧٩م.

١٧٤ ابن واصل، مصدر سابق، ج ٢، ص ١١٢.

١٧٥ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦ - ١٧.

١٧٦ لمجلس المشورة أهمية خاصة لكونه يعقد عند الأمور الخطيرة والمهمة. ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، زبدة كشف المعالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٠٦. باريس ١٨٩٤ م.

١٧٧ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٤.

١٧٨ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٥.

١٧٩ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٤.

١٨٠ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢.

١٨١ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢.

١٨٢ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢.

١٨٣ يرد ذكر دار العدل الأشرفية في المصادر الآتية: بيبرس المنصورى، التحفة المملوكية في الدولة التركية، ص ٢٣٢، تحقيق عبد الحميد صالح حمدون. القاهرة ١٩٧٨. ابن الدوادارى، كنز الدرر جامع الغرر، ج ٨، ص ٢٤٥؛ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٦.

١٨٤ لم تنشر نتائج هذه الحفائر إلى الآن.

١٨٥ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١١.

١٨٦ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٩.

١٨٧ المقرئى الخطط المقرئية، ج ٢.

١٨٨ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٦؛ المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ٩٢.

١٨٩ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢١.

١٩٠ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٤.

١٩١ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٤٢ - ٤٣؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٦٩.

١٩٢ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٦٦ - ١٦٧.

١٩٣ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٣١٤؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٩٨.

١٩٤ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٩٩.

١٩٥ المقرئى، السلوك، ج ٣، ص ٢١٠.

١٩٦ الخاصكية: معاليك من حاشية السلطان يأتون في ترتيب البرتوكول المملوكى بعد الأمراء المقدمين، كان عددهم في أول الأمر أربعة وعشرين ثم زانوا على الأربعمئة. تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغة وفي خلواته بغير إذن، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، وامتازوا

بحسن المظهر وأناقاة الركوب والملبس. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢١١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٩-١٨٠. Nasser, the citadel of cairo, p 151

١٩٧ الفرق: رُفِر الطائر إذا حرك جناحيه. ويطلق اللفظ في العمارة المملوكية على ما يثبت في البناء من الخارج، فيطلق أساساً على سقف خشبي مائل يحمل على كباش أو كوابيل خشبية مثبتة بالحائط فوق المقاعد أو المصاطب أو مكاتب الأيتام كما يوجد أحياناً خارج الحوائط علو مصطبة الحانوت. محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ٥٥.

١٩٨ المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٦٥٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص ١٠٩؛ كازانوف، وصف قلعة الجبل، ص ١٠٩.

٢٩٩ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٢.

٢٠٠ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٢.

٢٠١ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٩.

٢٠٢ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٠٩.

٢٠٣ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٢٠ - ١٢١.

الفصل الثالث

مقومات القلعة كمقر للحكم

يعد عصر الناصر محمد بن قلاوون عصرا حاسما في تاريخ القلعة إذ وصلت القلعة في عهده إلى أوج ازدهارها واستكملت مقوماتها كمقر للحكم. ويعود ذلك لأسباب عديدة على رأسها الاستقرار السياسي الذي شهدته الفترة الثالثة من حكمه والتي استمرت من ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م إلى ٧٤١هـ / ١٣٤١م. وهي الفترة التي شهدت العديد من التوسعات والتجديدات لمنشآت القلعة، وكذلك المنشآت الجديدة التي اكتسبت رمزية سلطوية لها مدلولاتها.

تولى الناصر محمد بن المنصور قلاوون حكم مصر لأول مرة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م وكان طفلا عمره تسع سنوات. والمرة الثانية في سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م. والمرة الثالثة سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م. يعكس ذلك اضطراب أحوال السلطنة في الفترة من وفاة الأشرف خليل إلى السلطنة الثالثة للناصر. وذلك بسبب طبيعة انتقال السلطة في الدولة المملوكية. كان لذلك أثره على القلعة. فنجد الناصر في السلطنة الثانية يجرى أعمالا عمرانية في القلعة، ويعود مرة أخرى في سلطنته الثالثة ليستكملها أو يجدها.

كانت انتصارات الأشرف خليل العسكرية في بلاد الشام والتي انتهت بتحرير عكا ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. آخر فصول المواجهة العسكرية بين الصليبيين والمسلمين ببلاد الشام، والتي انتصر فيها المسلمون ليتم تحرير بلاد الشام، لقد خلقت هذه الحقيقة مع انحسار خطر التتار في الفترة الثالثة لحكم الناصر، وضعا جديدا. كان على المماليك أن يواجهوه، خاصة السلطان الناصر. لقد قامت دولة المماليك على أن الحرب حقيقة يومية واقعة، ولذا عبثت موارد الدولة كافة لمواجهة هذا الخطر، وأفرز ذلك استتباب نظام الإقطاع^٦ الذي يعبئ كافة الموارد لخدمة الجيش. وبعد زوال الخطر الخارجي كان على المماليك أن يواجهوا متطلبات الإدارة المدنية. أدت الدولة العسكرية دورها التاريخي. وكان عليها أداء دور جديد تحتاج إليه المجتمعات الإسلامية. وهو ما تدل القرائن التاريخية على أنه لم يؤد بصورة جيدة.

وأهم تطور أحدثه الناصر في بنية الدولة المملوكية كان في نظام الإقطاع العسكري الذي تحول إلى إقطاع شخصي غير وراثي. وصار يتوزع بين عدة مناطق، بعد أن كان يتركز في ناحية واحدة، كما كان الإقطاع يتغير بتغير وظيفة صاحبه^٢، ونجح هذا التغيير في تشديد قبضة السلاطين على الأمراء في المدى القصير، بيد أنه أثبت أنه كارثة على وجود الدولة نفسها، فقد عزف الأمراء عن الاهتمام بإقطاعياتهم، وقلت إنتاجية الأرض الزراعية. وهو الأمر الذي ترك آثاره السلبية على النظام السياسي الذي قامت عليه دولة سلاطين المماليك. فبينما قل اعتماد المماليك على عائد الأرض الزراعية، زاد معدل اعتمادهم على الرواتب النقدية والرواتب العينية. ومع تزايد تدهور الإنتاج الزراعي يتزايد عجز الدولة عن سد حاجات فرسان المماليك الذين يوجهون طاقاتهم العسكرية نحو الناس في الداخل، وتشهد الفترة الأخيرة من عصر سلاطين المماليك صورا عنيفة من الاستبداد والتسلط، تقابلها مقاومة متصاعدة من الناس، وتدهور اقتصادي، ثم مزيد من الخلل السياسي، وتصير السلطنة عبئا يتهرب الجميع من تبعاته^٤. هكذا انهارت دولة سلاطين المماليك من الداخل قبل أن تدهمها جيوش العثمانيين سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م.

كانت حدود النطاق الجنوبي من القلعة ثابتة منذ العصر الأيوبي، وظلت قصور الإقامة الخاصة بالسلطان وحريمه بلا تغيير منذ عصر الكامل. وزود هذا النطاق في ظل سلطنة بيبرس وقلاوون والأشرف خليل بالعديد من المباني السلطانية التذكارية كما سبق أن ذكرنا. وإن كان هذا النطاق شهد حراكا نحو التوسع في اتجاه الإسطبلات.

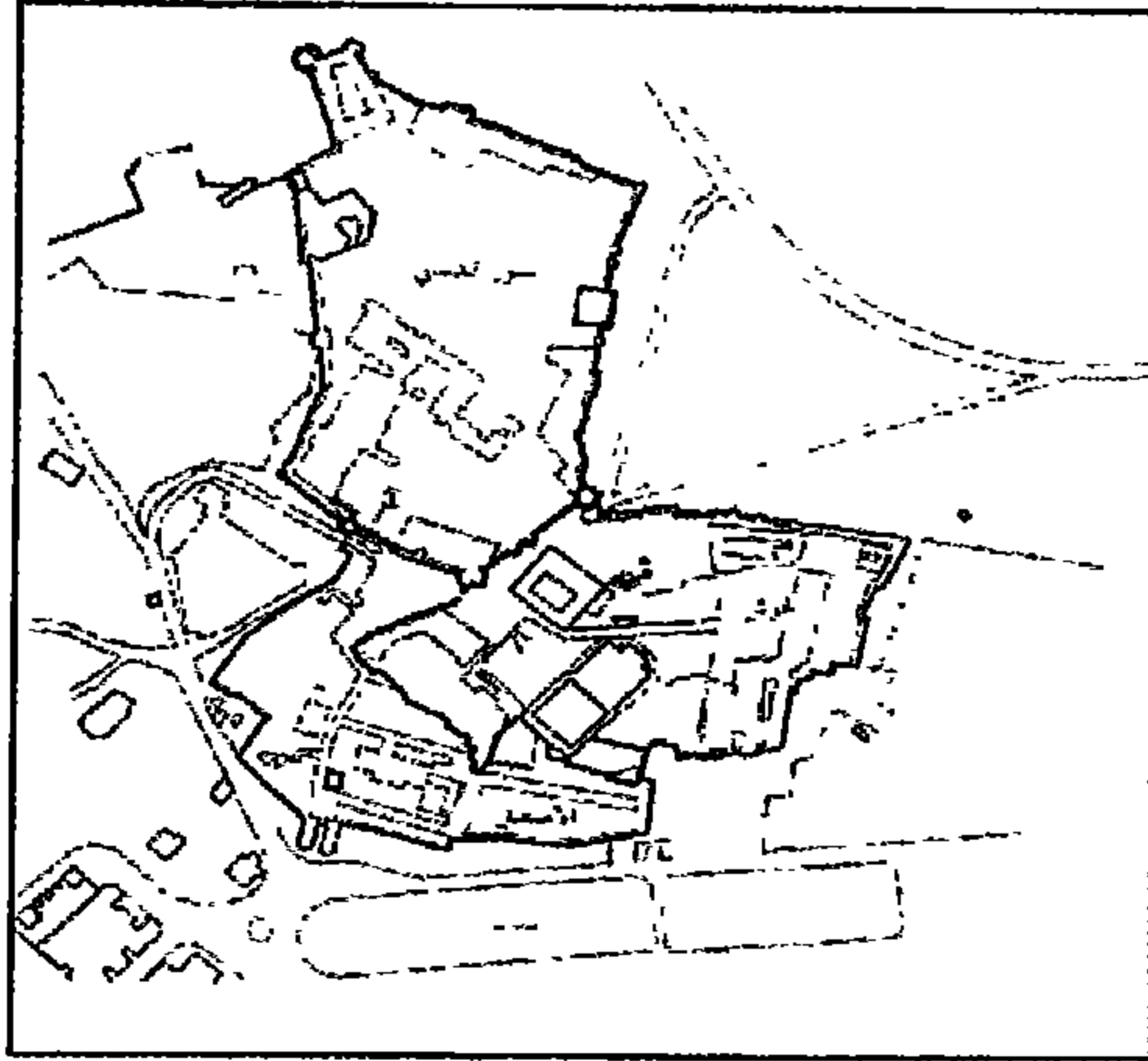
ويرى ناصر الرباط أن الأشرف ربما يكون هو الذي بدأ في هذه التوسعات غير أن مقتله حال دون إكمالها في حياته^٥. وهو رأي يمكن أخذه في الاعتبار. ولكن لا يوجد دليل قاطع عليه الآن. تعددت مقومات القلعة كمقر لحكم مصر وبلاد الشام والحجاز وسائر الأقاليم التي خضعت لدولة المماليك، ثم كمقر للحكم في ظل السيطرة العثمانية

على مصر، وظل للقلعة اعتبارها في عصر أسرة محمد علي.

ومن هذه المقومات المساجد خاصة الجامعة منها، وبصفة خاصة المسجد الجامع للنطاق الجنوبي منذ العصر الأيوبي حتى تشييد جامع محمد علي.

والمقوم الآخر هو دار العدل التي كانت مقرا للعرش المملوكي، ثم القصور السلطانية والتي كانت تدار منها أمور الحكم في بعض أيام الأسبوع، والحوش السلطاني الذي اكتسب أهمية متزايدة في العصر المملوكي الجركسي وخلال الحكم العثماني، والإسطبلات السلطانية التي مثلت مقوما مهما من مقومات القلعة كمقر للحكم، أما النطاق الشمالي فمثلت التغيرات به صدى لما يحدث من تغييرات في النطاق الجنوبي.

وأعتبر الميدان أحد ملحقات القلعة ومحورا من محاور الصراع على السلطة، أو استقرار السلطة وانعكس ذلك في التجديدات التي كانت تجرى به.



قلعة الجبل - المساجد

مساجد القلعة

عندما شرع بهاء الدين قراقوش في بناء قلعة صلاح الدين وجد بها عددا من المساجد التي يرجح أنها تعود للعصر الفاطمي، وظلت بعض هذه المساجد قائمة لأداء الصلاة بها، واعتبر مسجد سعد الدولة هو المسجد

الجامع بالقلعة. والذي جددته الملك الكامل الأيوبي وخطب فيه الخليفة العباسي بعد توليه الخلافة في عهد الظاهر بيبرس، ولكن هناك جدلية يفرضها وجود المسجد الجامع بالقلعة وكذلك ترك قراقوش المساجد الفاطمية بها، وهي جدلية فقهية ذات طابع سياسي إذ إن المساجد تنقسم إلى عدد من الدرجات، يأتي على رأسها المساجد الجامعة، فمساجد الأحياء أو مساجد الصلوات الخمس، وعد البعض نوعا آخر من المساجد هو مساجد الطرق أو القوارع. وهي مرتبة من حيث أهميتها في سلسلة هرمية ترتبط بتوزيعها في المدينة ووظيفتها^٦ درجت القواعد على أن يكون بكل مدينة مسجد جامع واحد هو مركز المدينة تأسيسا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده بالمدينة المنورة، وتقام بهذا المسجد صلاة الجمعة التي كان الحاكم يلقي خلالها خطبة جامعة في المسلمين، وحدثت تحولات سياسية منذ العصر الأموي أدت إلى تراجع الحاكم عن إلقاء خطبة الجمعة، وازداد هذا التراجع مع تولى غير العلماء مناصب سلطوية في دول العالم الإسلامي. وبالرغم من وجود مساجد صلوات ومساجد طرق في المدن الإسلامية، إلا أن الفقهاء لم يجيزوا صلاة الجمعة إلا في المسجد الجامع للمدينة. كما هو الحال في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط^٧. كان المسجد الجامع هو قلب المدينة. ولذا حرص أحمد بن طولون عند بنائه مسجده الجامع أن يكون على مرتفع منها لكي يكون معلم المدينة الرئيسي، وعلى إتساعه لكي يستطیع أهل المدينة الصلاة فيه يوم الجمعة، وعند تأسيس القاهرة احتل مسجدها الجامع الركن الجنوبي الشرقي وهو الجامع الأزهر، وصار المسجد جزءا من الحصن الفاطمي مقر الحكم الفاطمي في مصر. وهو ما يعنى تفكك العلاقة الترابطية بين دار الإمارة والمساجد الجامعة. وتحول دار الأمانة أو الحصن السلطاني فيما بعد إلى الكل المهيمن على المدينة. وارتبط ذلك أيضا بتحول في نمطية السلطة إذ إن المساجد الجامعة صارت وظيفتها وظيفة إعلامية، إذ من على المنبر يتم الدعاء لولى الأمر، وكان أول من دعا على المنبر ابن عباس عندما كان واليا على البصرة إذ دعا

مسجد الناصر محمد

كان مسجد سعد الدولة هو أكبر مساجد القلعة ولوقوعه فى القسم السلطانى أو فى دار السلطنة بالقلعة، فقد تم اختياره مسجدا جامعاً للقلعة. وقد جدده السلطان الكامل ابن العادل. بالإضافة إلى وجود عدد من مساجد الصلوات فى أنحاء متفرقة من القلعة.

ومع التوسعات المتلاحقة التى شهدتها القلعة بدءاً من عصر الظاهر بيبرس إلى عصر الناصر محمد ابن قلاوون، والتزايد المستمر فى أعداد الممالك خاصة الممالك السلطانية، باتت الحاجة ملحة إلى إعادة إنشاء مسجد جامع بالقلعة يكون أكبر حجماً من مسجدها القديم. وهذا ما اتجه إليه الناصر محمد بن قلاوون. حيث قام عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨م بهدم الجامع وإعادة إنشائه من جديد، حيث ضم إليه منشآت كانت بجواره، وهى الحواشجخانه والطشتخانه والفرشخانه^{١١}، وهى منشآت خدمية هدمت لكى تتم زيادة مساحة المسجد،

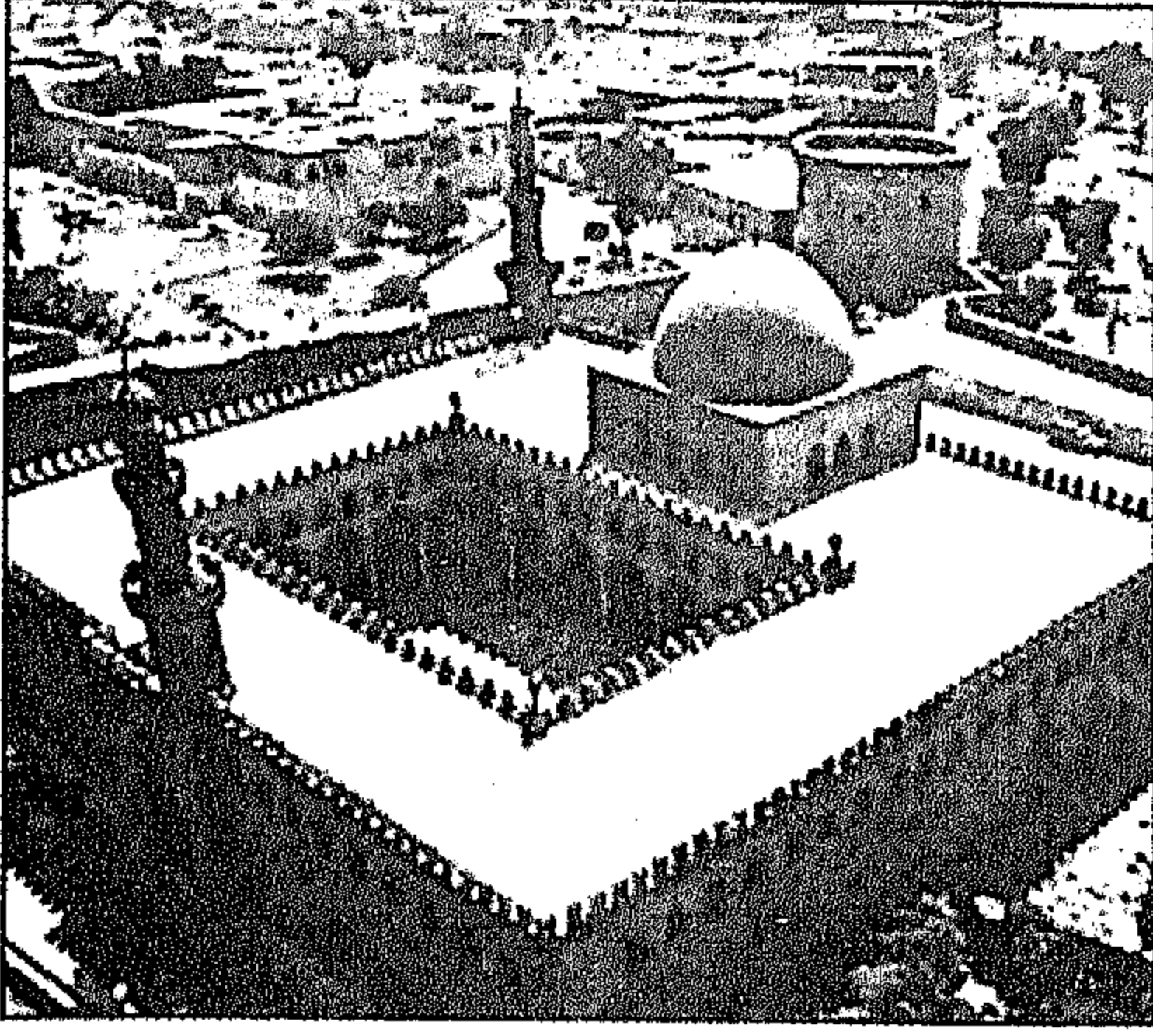
لعل بن أبى طالب، وتطور الدعاء من على المنابر بتحول الحياة السياسية من نفوذ الخلفاء والدعاء لهم، إلى الدعاء لهم وللمتغلبين على السلطة معاً، ثم الدعاء للمتغلبين على السلطة فقط^{١٢}. إذ صارت وظيفة الخليفة وظيفه شرفية يكتسب من خلالها المتغلب شرعية الحكم.

وكان عدم الدعاء لسلطان من على المنابر يعنى إسقاطه من العرش بواسطة الخطيب، والدعاء لسلطان يعنى صعوده إلى العرش، وفى العصور الوسطى اكتسب ذلك أهمية متزايدة، نتيجة لأن المساجد الجامعة هى مكان تجمع أهل المدينة فى يوم الجمعة، وعد الفقهاء صلاة الجمعة من أركان إقامة الدين^{١٣}.

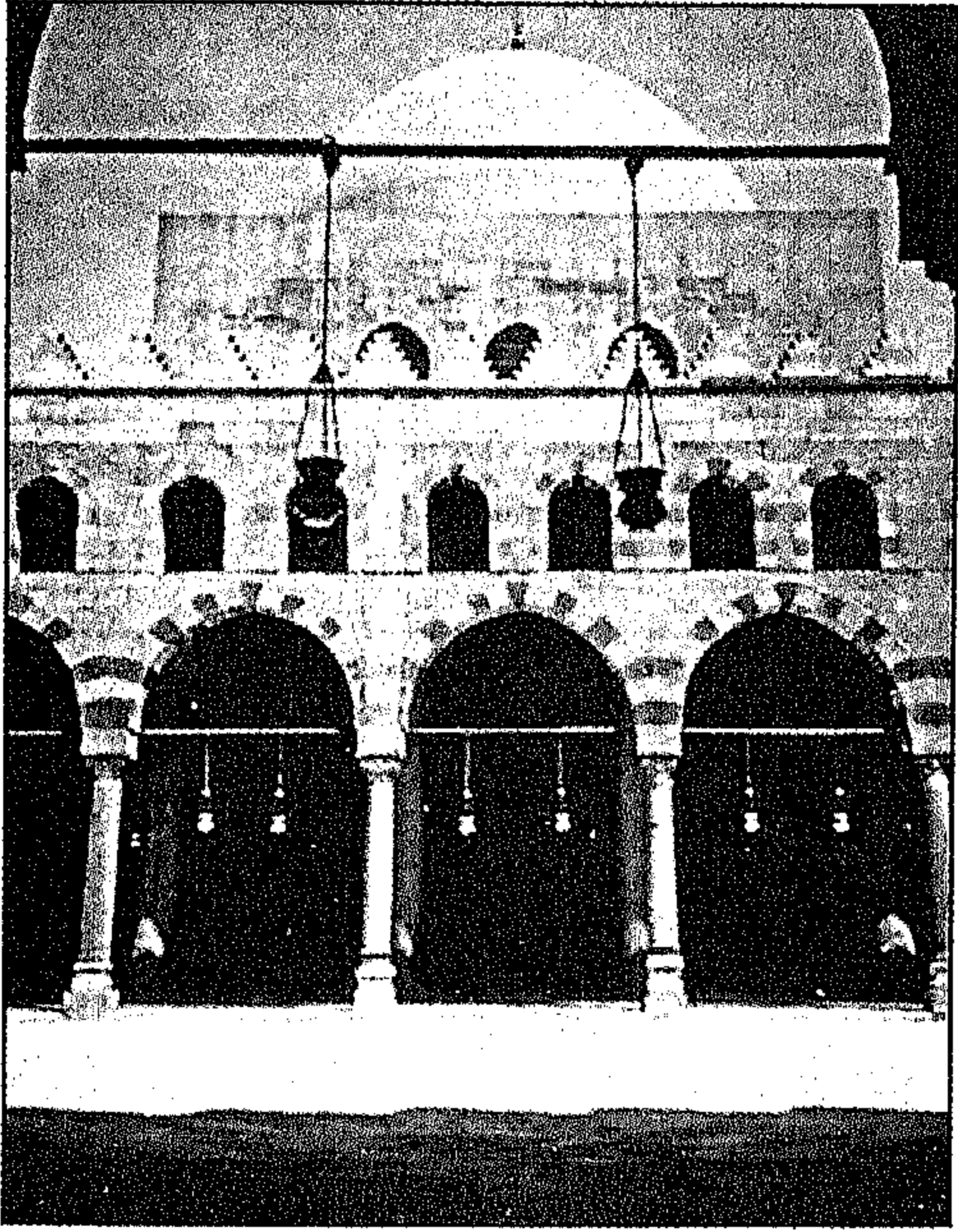
عدت قلعة صلاح الدين مدينة حصينة مستقلة بذاتها تحتاج إلى مسجد جامع، كما كان الحال فى كل من القسطنطينية التى كان مسجدها الجامع هو مسجد عمرو بن العاص، والقاهرة التى كان مسجدها الجامع هو الجامع الأزهر^{١٤} ثم جامع الحاكم بأمر الله.



جامع الحاكم بأمر الله



جامع الناصر محمد بن قلاوون - القلعة



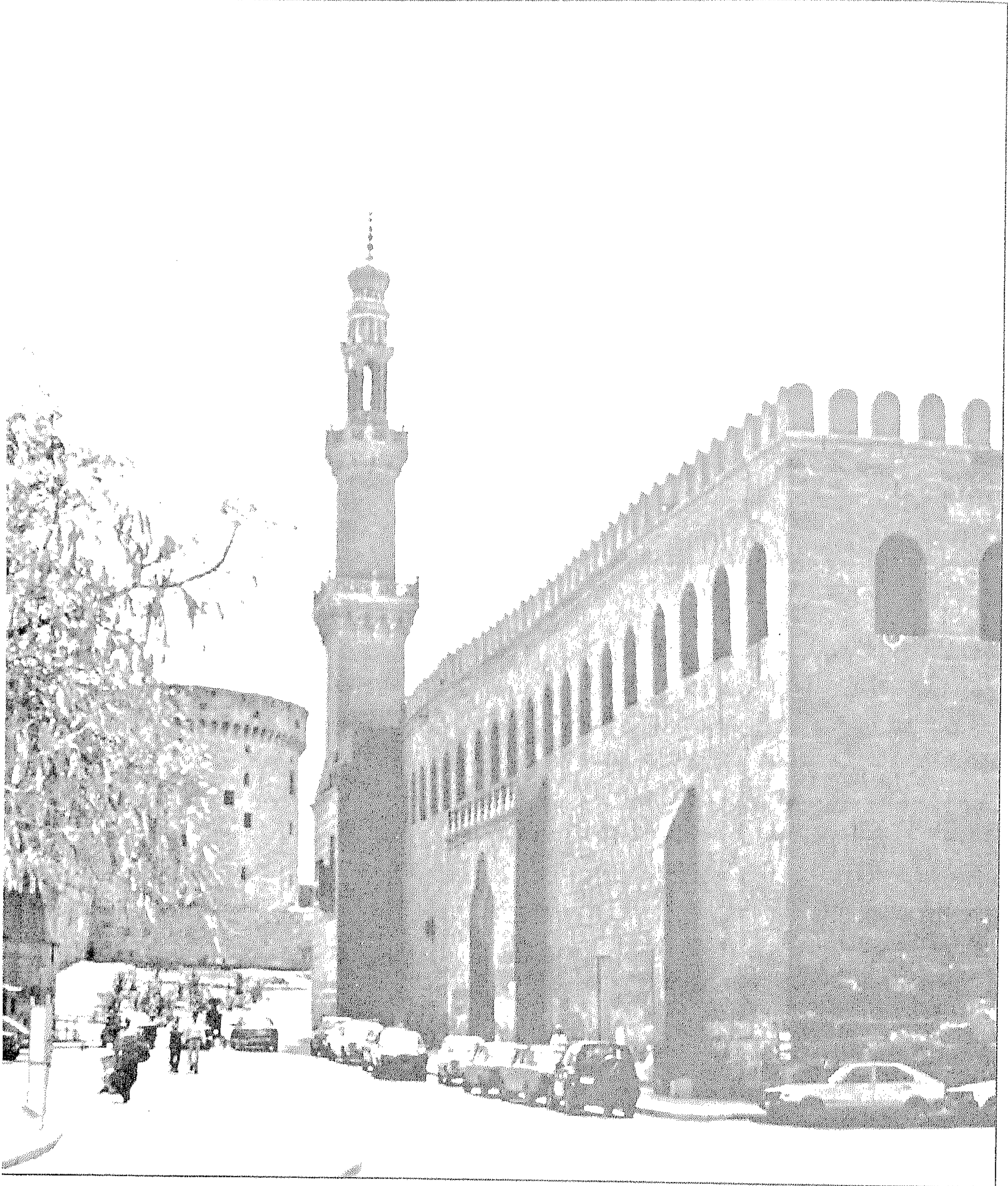
قبة جامع الناصر محمد بن قلاوون - القلعة

وانتهت عمارة هذا المسجد في أربعة شهور وخمسة وعشرين يوما.

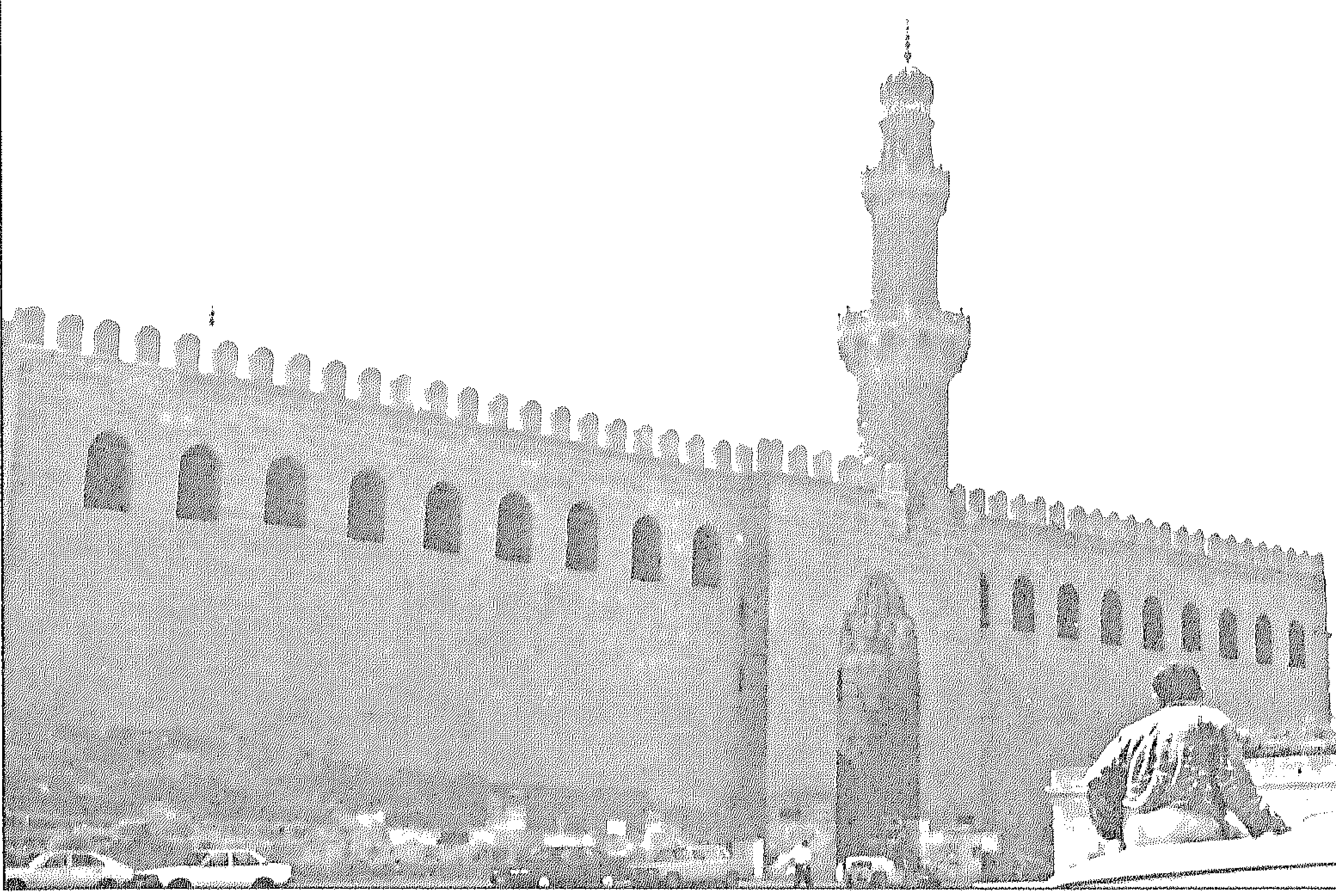
وفي عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م شرع الناصر محمد ابن قلاوون في تجديد عمارة مسجده بالقلعة، وجاء هذا القرار في أعقاب الانتهاء من الإيوان الناصري المواجه للمسجد، والذي يبدو من تتبع الربط بين المنشأتين، أن الناصر أراد أن يخلق توازنا معماريا بينهما، ذلك أن عمارة الإيوان جاءت أكثر ارتفاعا من المسجد، وتميز عنه بقبته الخضراء العالية .

ويحدد لنا الدواداري ما أحدثه الناصر في مسجده فيذكر "أنه برزت المراسم الشرقية بهدم الجامع الذي أنشأه مولانا السلطان عز نصره بالقلعة المحروسة، وأن يجدد بنيته فهدم ما كان داخله من الرواقات والمقصورة والمحراب، وجدد بنيته ما لم تر العين أحسن منه وأعلى قناطر الرواقات إعلاء شاهقا، وكذلك القبة أعلاها حتى عادت في ارتفاع، وأحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسية بمدينة الأشمونين بالوجه القبلي من أعمال الديار المصرية، وكانت هذه الأعمدة في البرايا التي بمدينة الأشمونين"^{١٣}، هذه الخطة التي ذكرها الدواداري توضح أن الهدم لم يشمل مداخل المسجد ولا المآذن ولا الجدران الخارجية، ويبدو أنه قد تم هدم السقف وبعض الأروقة. ويظهر رفع الجدران بوضوح في المدخل الشمالي الشرقي الذي يعلوه صف من التوافذ حاليا، بينما كان المدخل قبل إجراء هذه الإضافات يصل ارتفاعه إلى الشرفات المسننة التي تعلوه حاليا وكذلك في المئذنتين اللتين يتضح أن جدران المسجد ارتفعت عنهما، وهذا يبين لنا سبب وجود صفوف من العقود الحجرية تعلو البائكات المطلة على صحن المسجد والتي أضيفت في التجديد الأخير للناصر. أما القبة الخضراء التي تتقدم المحراب فقصد بها أن تعادل قبة الإيوان الناصري.

وهناك نقطتان مهمتان: الأولى هي موقع المئذنتين، ذلك أن مهندس المسجد اختاره بعناية، إذ تواجه إحداها الإيوان أو قاعة العرش، وهي بذلك توجه نداء الصلاة إلى الموجودين فيه، والأخرى موجهة إلى طباق الممالك في النطاق الشمالي، وبذلك يكون المسجد هو المهيمن على المكان، ومتتبع موقع



جامع الناصر محمد بن قلاوون - الشرفات والنوافذ

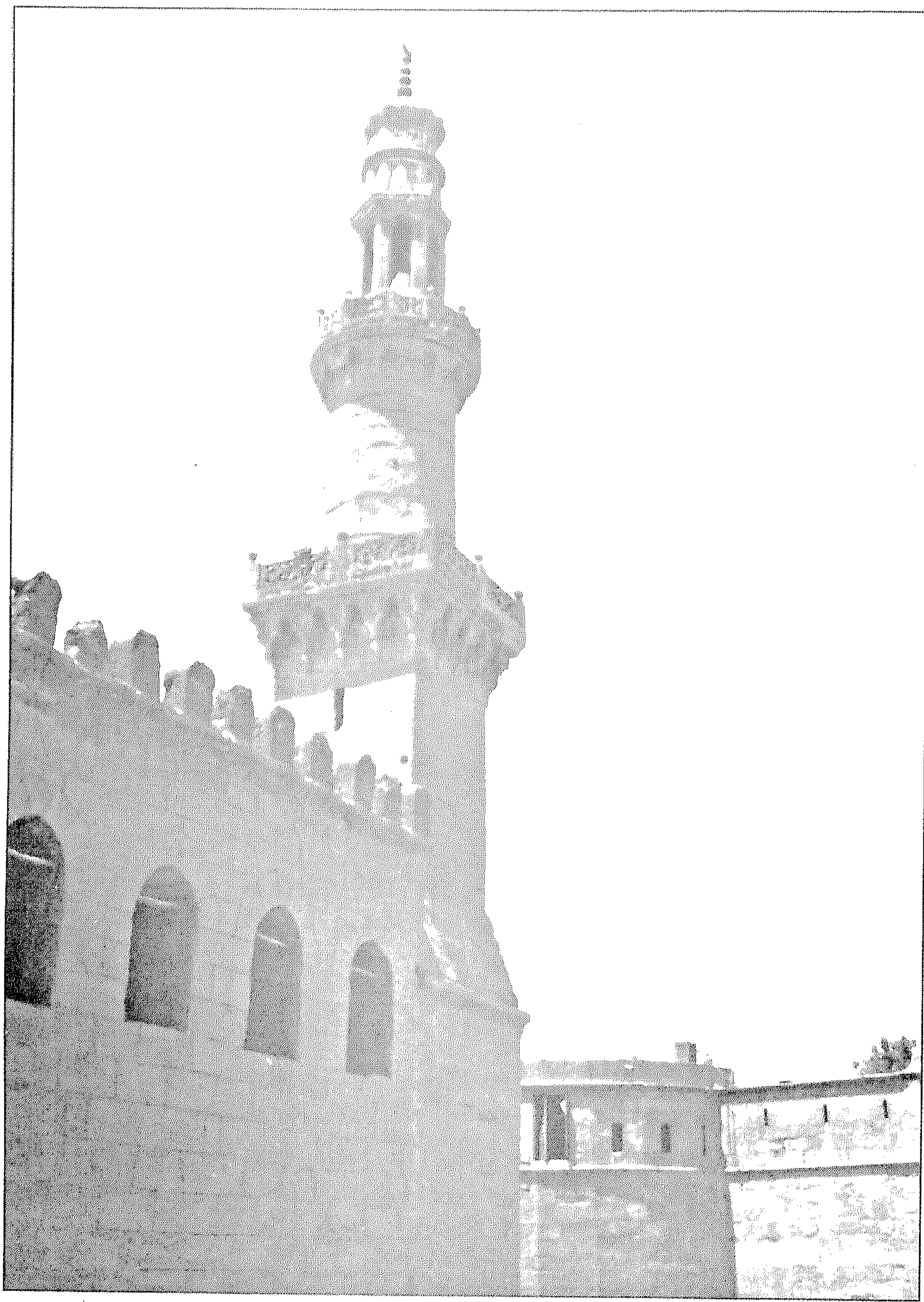


جامع الناصر محمد - المدخل

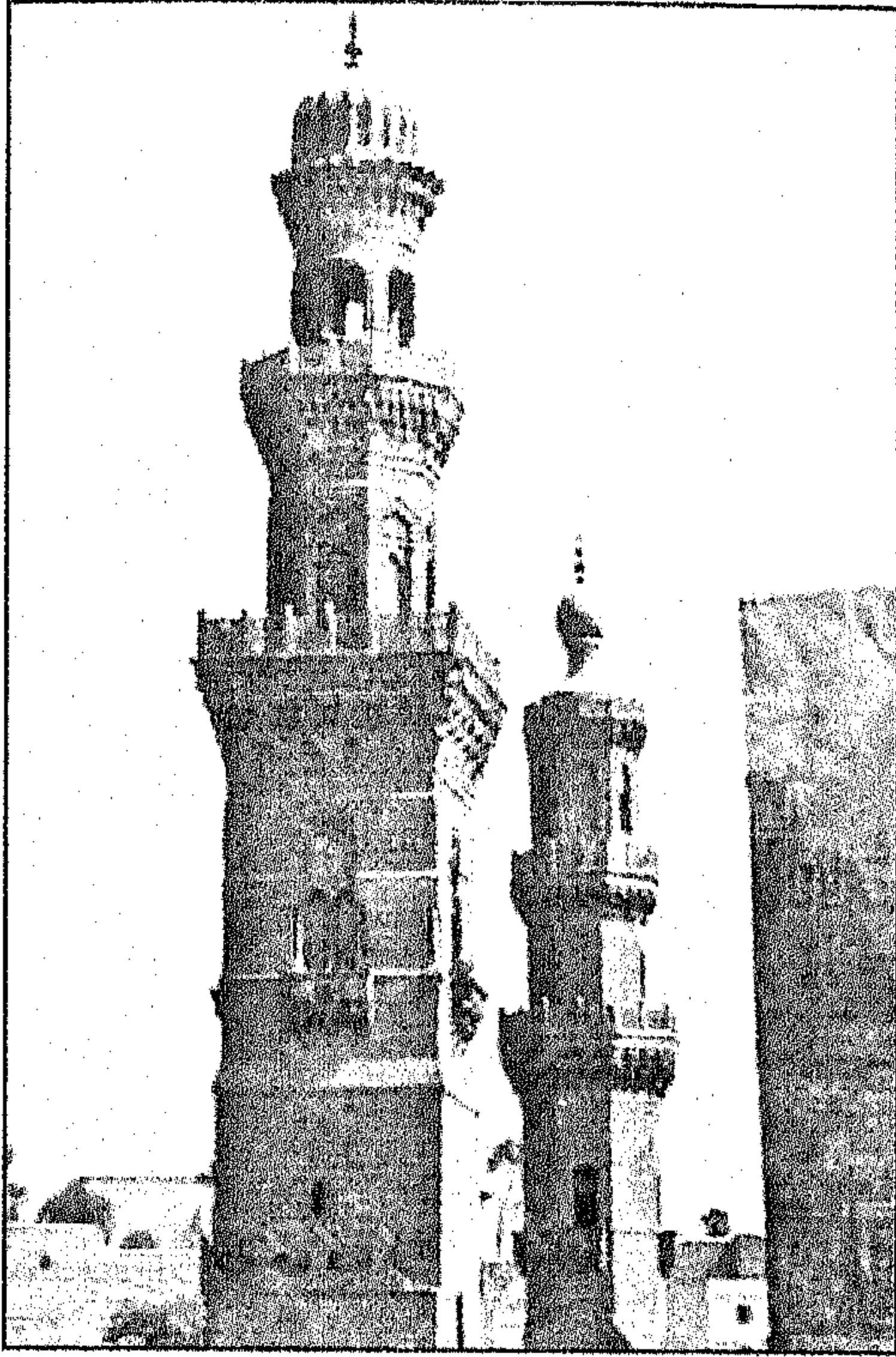
بجوار المنبر، ويصلى فيها يوم الجمعة السلطان وخاصته^{١٥}. كان ظهور المقاصير راجعاً لأسباب أمنية تتعلق بأمن الخليفة أو السلطان، حيث قتل اثنان من خلفاء المسلمين أثناء الصلاة في المسجد وهما عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، ومنذ ذلك الحين أصبح هاجس الأمن ملحاً، ولم تعد شخصية الحاكم في صورتها البسيطة المتحدة في شخصية الرسول وخلفائه الأربعة، تتناسب مع طبيعة دولة مركبة الإدارة ومتسعة الأرجاء ومتنوعة السكان والديانات. ولذا اتخذت المقاصير لحماية شخص الحاكم، وكان أول من اتخذها مروان بن الحكم، حين طعنه اليماني، ومعاوية بن أبي سفيان حين ضربه الخارجي، وهي هنا ضرورة أمنية، غير أن بعض الحكام اتخذها وسيلة من وسائل الترفع والتباهي، وهو ما دفع الفقهاء خاصة ابن الحاج إلى عقد فصل في مفاصل المقاصير^{١٦}. ورأى الفقهاء أنها بدعة محدثة تقطع صفوف الصلاة وتؤدي إلى تمايز بين المصلين وكرهوا

المثدنتين وقبة المحراب من جهة القرافة والمقطم سيجد أنهما من المنشآت المهيمنة بصريا على القلعة. والمثدنتان بطرازهما الغريب لفتتا الانتباه إلى كونهما متأثرتين بطرز مآذن شرق العالم الإسلامي بخاصة مآذن تبريز. وتشبهان مثدنة على شاه بتبريز، ويبدو أن مثدنتي مسجد قوصون كلتاهما شيدت على هذا الطراز^{١٧}، وأراد الناصر أن تكون مثدنتا مسجده على هذا الطراز، فكلف المعلم التبريزي الذي شيد مثدنة قوصون بتشديد مثدنتي مسجده، ويذكر أن الأمير أيتمش أرسله الناصر محمد إلى خان الأريك وأحضر معه معلماً تبريزياً، شيد مثدنتي قوصون ومثدنة في مسجد بإقطاعية أيتمش. يظهر التأثير التبريزي في مثدنتي الناصر بشكل خاص في الشريط الكتابي من القاشاني وفي قمتي المثدنتين ذواتي بلاطات القاشاني الخضراء^{١٨}.

- والنقطة الثانية هي المقصورة التي كانت بالمسجد، والتي أشار إليها المؤرخون، وكانت تقع



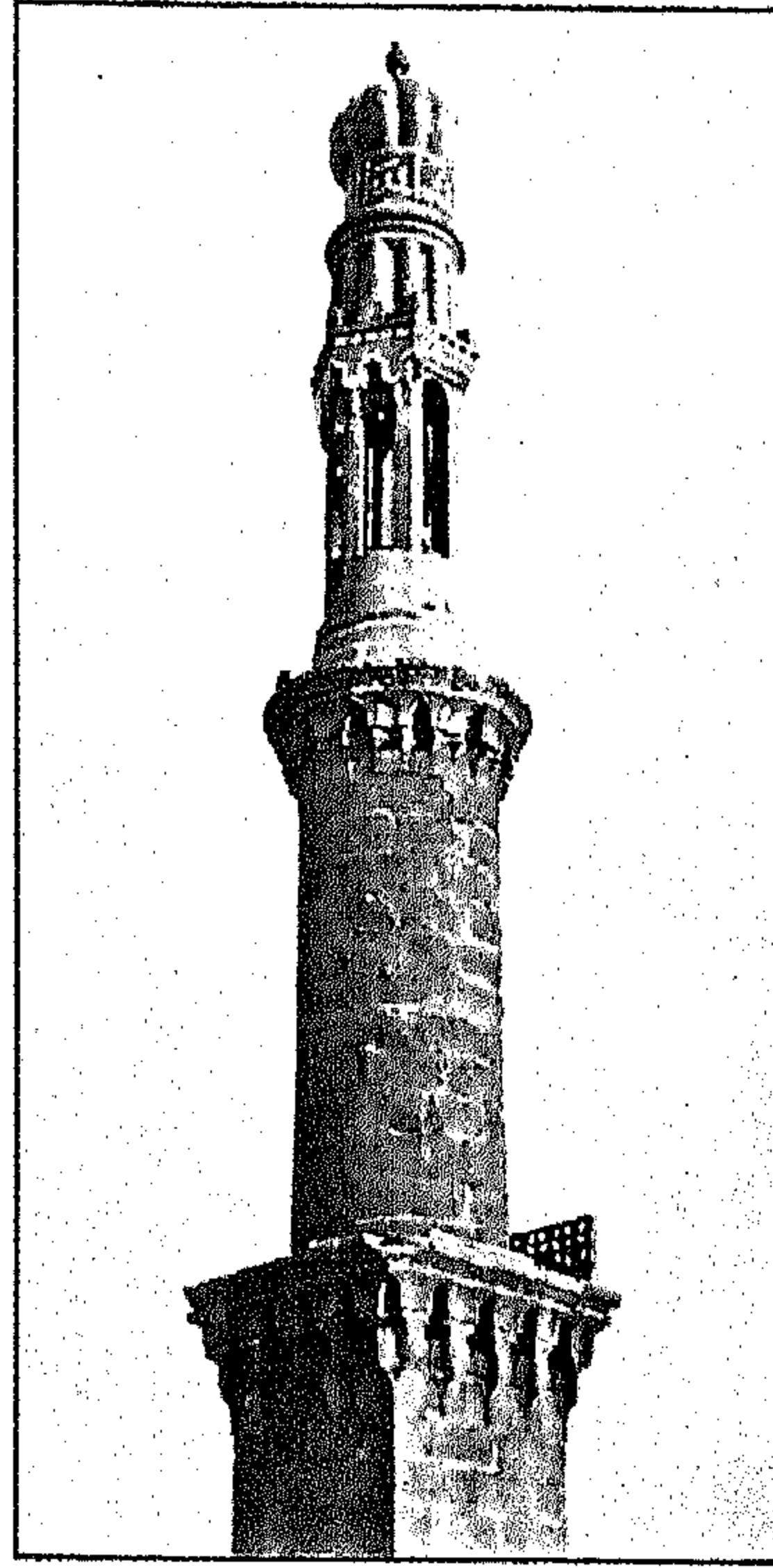
جامع الناصر محمد - المئذنة الواقعة عند التقاء الحائطين الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي



مئذنة قوصون

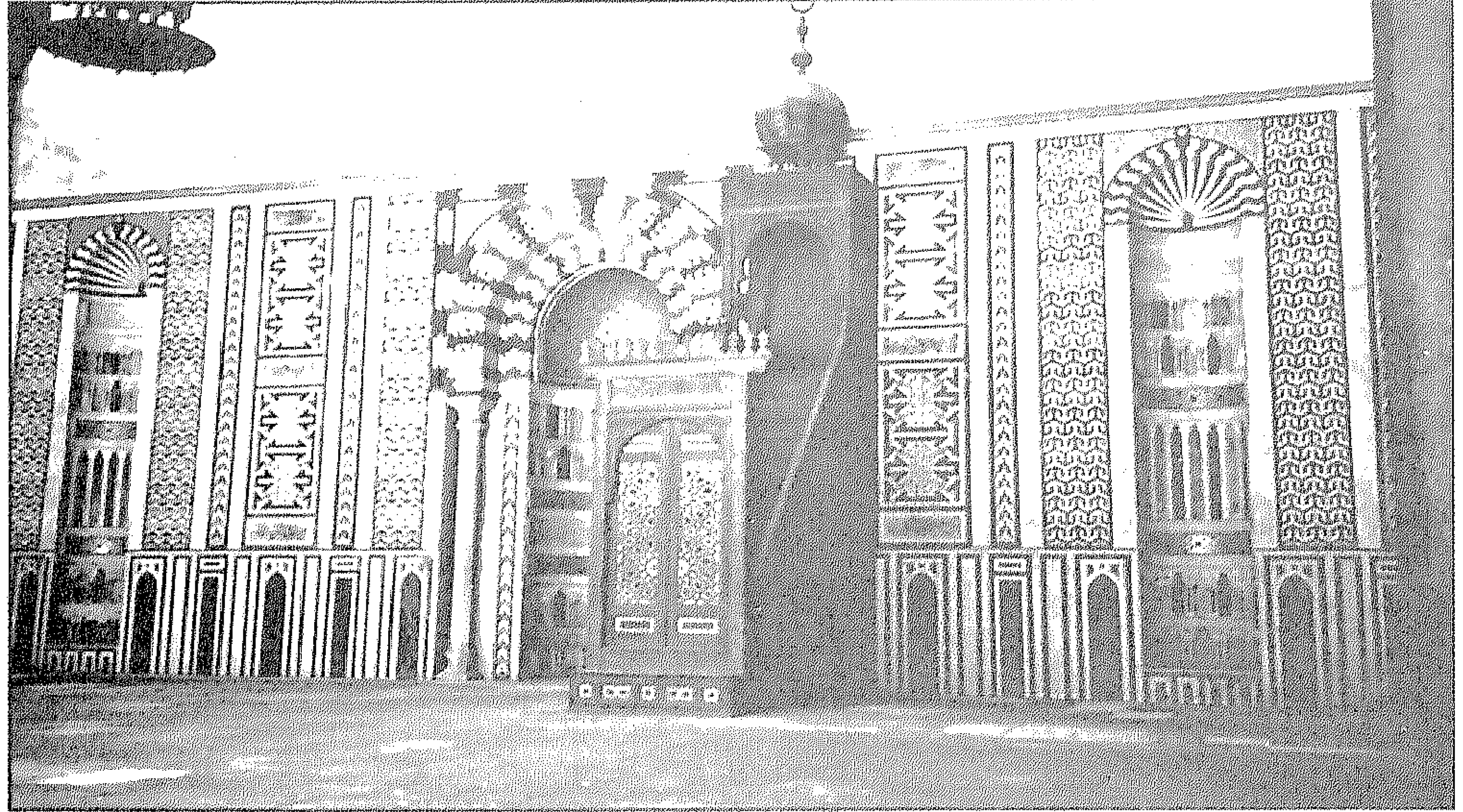
إنشاء ضريح له خارج القلعة، ولعل ذلك من الأسباب التي كفلت استمرار المسجد في أداء وظيفته دون تجديدات واسعة أو هدم حتى عصر محمد علي.

يوجد أسفل مسجد الناصر محمد طابق واضح في صور الحملة الفرنسية، حيث تظهر بها حواصل، وهذا الطابق ربما وجد لكي يحدث توازنا بين ارتفاع المسجد وارتفاع الإيوان الكامي، ورأى الناصر حين جدد المسجد أن يحتفظ بهذا التوازن، وهو السبب أيضا الذي دفع الناصر إلى إيجاد هذا التوازن حين جدد الإيوان وجعله أعلى من المسجد، ولكن حين جدد المسجد للمرة الثانية جعله أكثر ارتفاعا أو موازيا في ارتفاعه للإيوان الناصري. وهذا نستطيع استنتاجه إذا قارنا بين مستوى سطح المسجد، ومستوى الأسوار المواجهة للمسجد، ولكن يبدو أن قبة الإيوان بضخامتها، كانت هي الأكثر ارتفاعا في محيط القلعة.



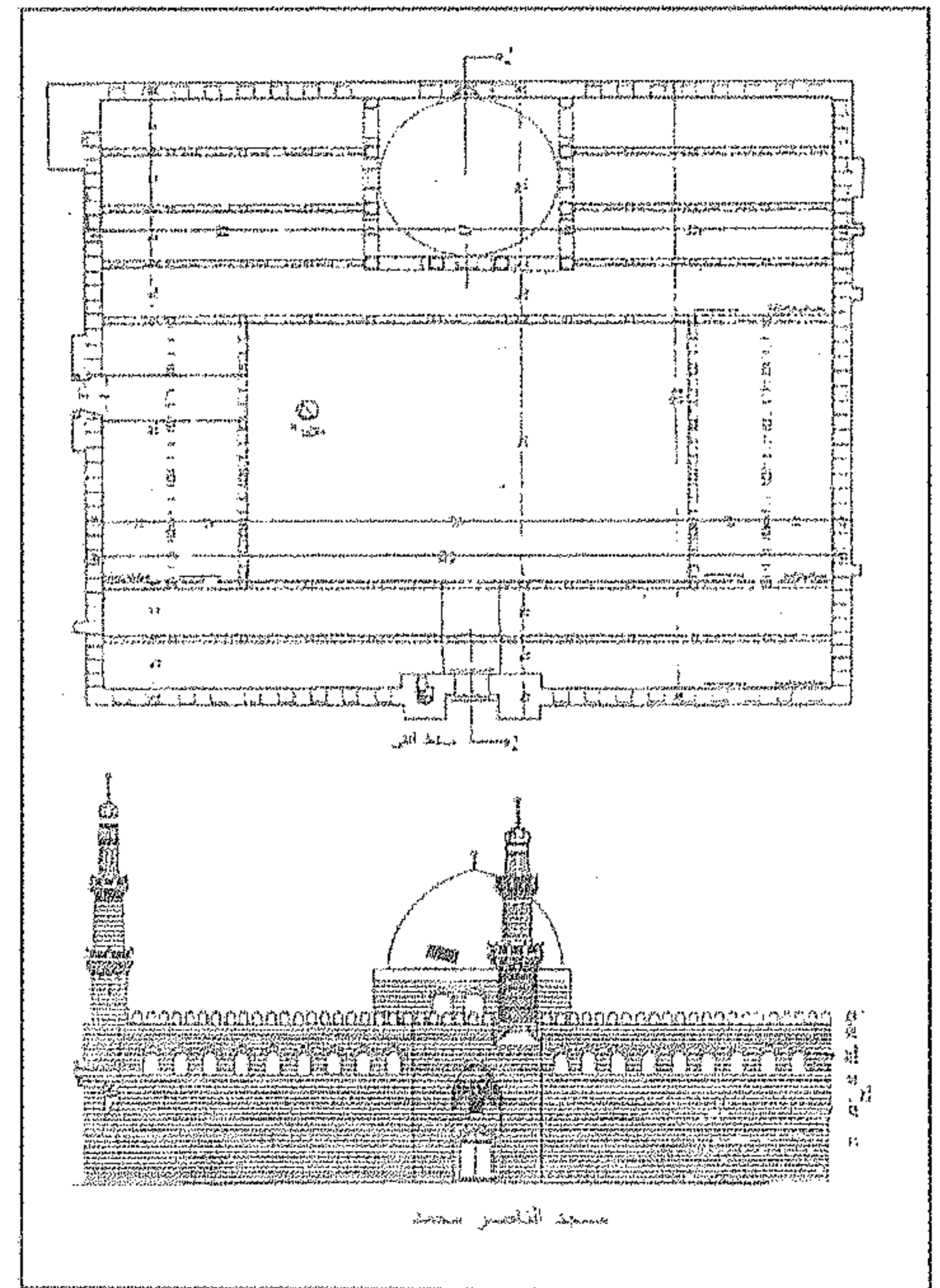
جامع الناصر محمد - المئذنة أعلى المدخل

الصلاة فيها^{١٧}. ويرى ابن الأزرق وهو فقيه ومتخصص في السياسة الشرعية أنه يجوز اتخاذها بشرط ألا تقطع الصف الأول إلا لضرورة^{١٨}. ورأى ابن الأزرق يمثل استيعاب الفقهاء للضرورات التي تتعلق بالحكم، وما قد يتعرض له في حال تكرار اغتيال الحكام أثناء الصلاة، وكان الناصر محمد بن قلاوون يدخل إلى مقصورة مسجده من باب صغير يقع في آخر الجدار الجنوبي، ويفتح مباشرة على ظلة القبلة، وبالتالي يؤدي إلى المقصورة هناك، وفي سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م وثب شخص أعجمي وفي يده سكين، وقصد المقصورة السلطانية فأمسك في وقته^{١٩}. وتوضح هذه الواقعة - وغيرها كثير - مدى أهمية عنصر المقصورة، الذي أصبح وجوده يرتبط بأمن الحاكم وإن اختلفت أشكاله^{٢٠}. ويسترعى الانتباه في هذا المسجد عدم إلحاق ضريح به، وهذا يعود إلى كونه المسجد الرسمي للدولة، وبالتالي لا يخص السلطان، فاتجه الناصر إلى

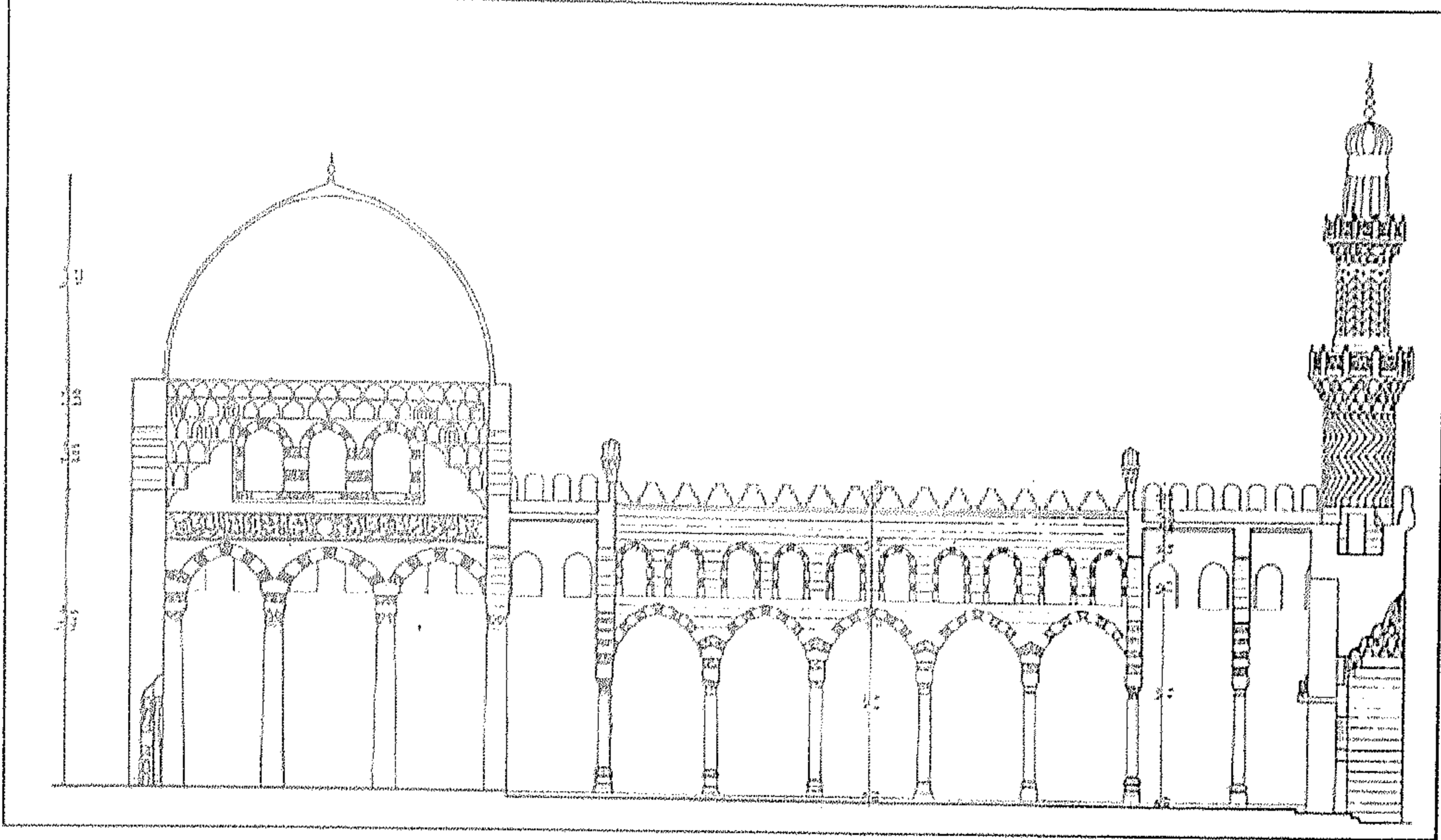


جامع الناصر محمد - المنبر والمحراب

ومسجد الناصر محمد في صورته الحالية يتكون من مستطيل أبعاده ٥٧ X ٦٣ م، ويتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، وتتكون من أربع باثكات تحصر فيما بينها أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، وتتكون كل باثكة من عشرة أعمدة مستديرة ما بين رخامية وجرانيتية تحمل عقوداً بشكل حدوة الفرس، وألغى عمودان من الباثكة الثالثة والرابعة لإيجاد مساحة مربعة تتقدم المحراب تمت تغطيتها بقبة كبيرة، ويتوسط حائط القبلة المحراب المجدد حديثاً يكتنفه محرابان جانبيين، وللجامع ثلاثة مداخل، أحدها في الضلع الشمالي الغربي، وهو المدخل الرئيسي وكان يرتفع عن الواجهة، إلا أنه في التجديد الثاني للناصر محمد صار بارتفاعها، والثاني في الضلع الشمالي الشرقي وقد كان بارتفاع الواجهة وصار الآن أقل منها بعد التجديد الثاني للناصر^{٢١}. والمدخل الثالث في الضلع الجنوبي الشرقي، وهو الذي كان يؤدي إلى مقصورة المسجد، ومعظم من وصفوا المسجد ينسبون هذا المدخل ولما كان لهذا المسجد صبغة رسمية، فقد ذكر لنا كل من العمرى والقلقشندي^{٢٢} هيئة صلاة الجمعة به، فالعمرى يذكر^{٢٣} أن هذا السلطان - الناصر محمد - يخرج



جامع الناصر محمد - مسقط أفقي وقطاع رأسي



أيام الجمع إلى الجامع المجاور لقصره في القلعة، ومعه خاصة الأمراء، وتجيء بقية الأمراء من باب آخر للجامع. أما السلطان فيصل على يمين المحراب في مقصورة خاصة، ويجلس عنده أكابر خاصته، ويصلى معه الأمراء - خاصتهم وعامتهم - خارج المقصورة عن يمينها ويسرتها على مراتبهم، فإذا سمع الخطبة وصلى صلاة الجمعة دخل إلى قصوره... وتفرق كل واحد إلى مكانه".

وكان المسجد يستخدم أيضا في صلاة العيدين في بعض الأحيان نتيجة لاضطراب أحوال الدولة المملوكية، كما حدث حين نقل الظاهر برقوق الصلاة إلى مسجد القلعة^{٢٣}.

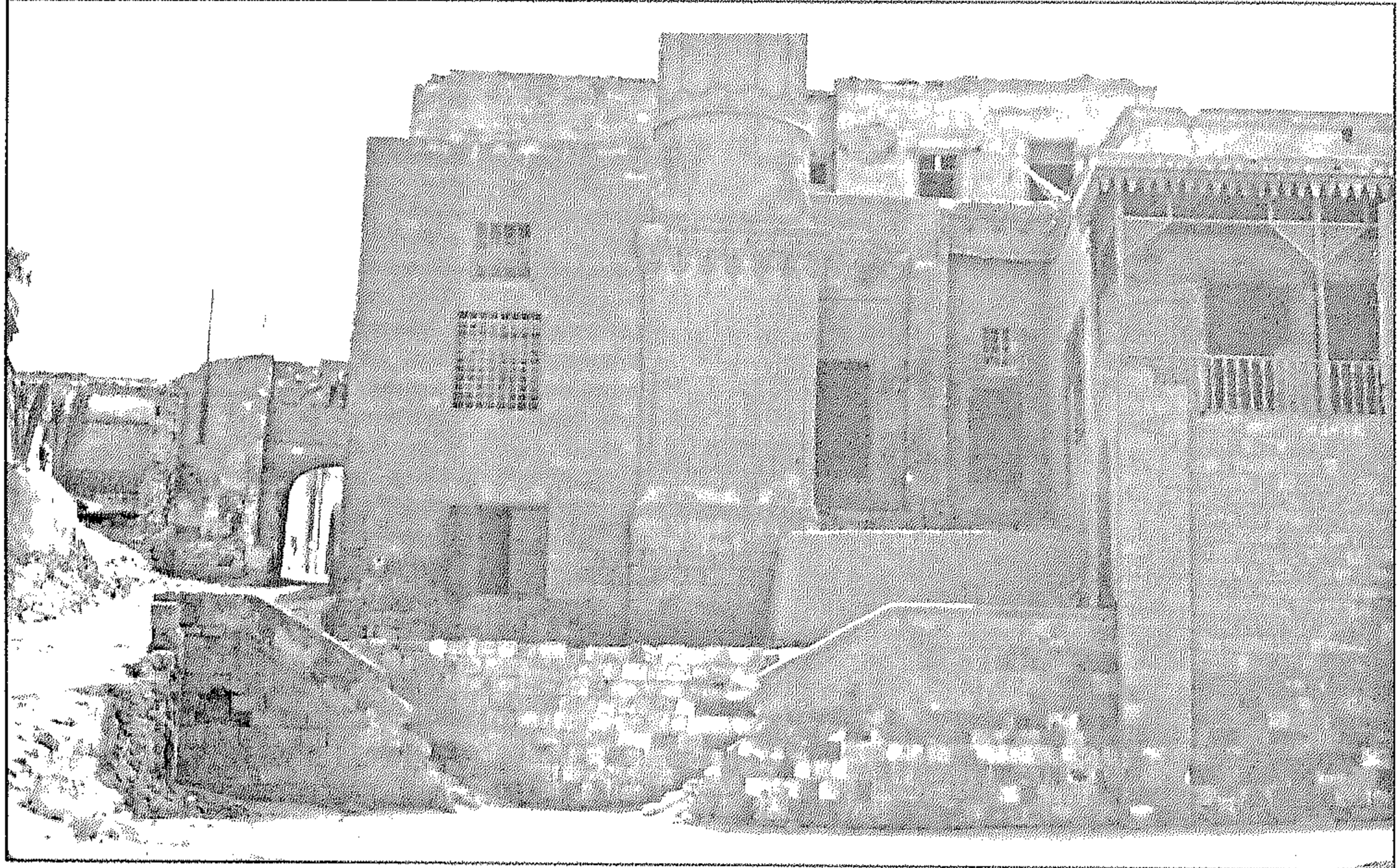
جامع المؤيد شيخ

ازدادت أهمية الإسطبلات السلطانية^{٢٤} ومنطقتها منذ العصر المملوكي، وصاحب ذلك إنشاء العديد من المنشآت السلطانية بها، بخاصة مع إقامة كبار الأمراء بها. وكان من الطبيعي إثر ذلك أن يثبّد مسجد للصلوات الخمس بها، ويذكر المقرئ في خطه وجود مسجدين

بالإسطنبول، أحدهما وهو مسجد الإسطنبول لم يحدد لنا موقعه، ولا منشئه^{٢٥} وربما كان هو المسجد الخاص بإقامة الصلوات في الإسطنبول.

والجامع الثاني شيده السلطان المؤيد شيخ ويعرف بجامع الصورة، ولم يرد ذكر هذا الجامع بوثيقة وقف المؤيد، ويصفه المقرئ بقوله "هذا الجامع فيما بين الطبلخانة السلطانية وباب القلعة المعروف بالباب المدرج، على رأس الصورة، أنشأه الأمير الكبير شيخ محمودي، لما قدم من دمشق بعد مقتل الناصر فرج بن برقوق وإقامة الخليفة المستعين بالله سلطانا"^{٢٦}. وجعل المؤيد شيخ أتاكبا للعسكر ومديرا للمملكة^{٢٧}. أقام شيخ عندئذ في منطقة الإسطبلات، حيث شيد دارا ليسكنها، ولكنه سرعان ما عزل الخليفة في شعبان عام ٨١٥هـ / ١٤١٢م.

وكانت داره هذه لم تستكمل بعد. فحولها إلى جامع وخانقاه، وأقيم به "صلاة الجمعة"^{٢٨}. وعبارة المقرئ السابق ذكرها تفيد أنه لم يسبق أن أقيمت صلاة جمعة بالإسطبلات. واحتفظ هذا الجامع باسم منشئه إلى وقت الحملة الفرنسية^{٢٩}.



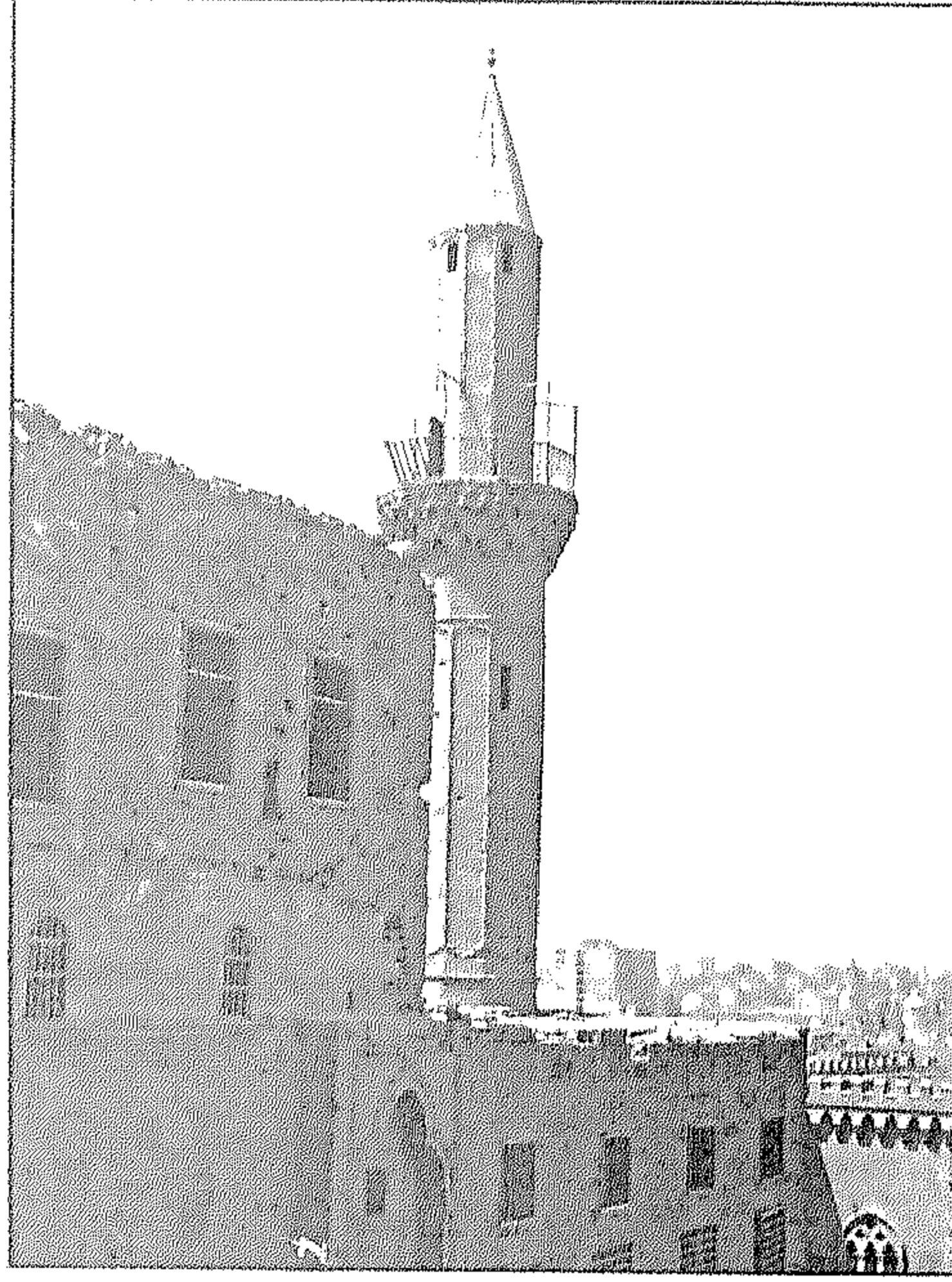
مسجد العزبان

في أداء هذه الوظيفة لحين مقتل السلطان فرج. كذلك أفاد ابن إياس^{٣٣} أن السلطان فرج عمر الجامع داخل الحوش السلطاني بالقلعة، وهذا يدل على أن الجامع كان موجودا حتى بداية العصر العثماني في مصر. خصص هذا الجامع لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة لأسرة قلاوون خوفا من اتصالهم بأنصارهم في المدينة، وإرجاع نفوذهم وسلطانهم مرة أخرى. وبالتالي كان للمسجد وظيفة سياسية. ولذا جعل المشرف على الجامع هو نفسه المشرف على القصور السلطانية، وتميزت عمارة هذا المسجد بالبساطة^{٣٤}.

جامع سارية الجبل

يقع هذا المسجد بالنطاق الشمالي للقلعة، في الجهة الشمالية الشرقية، وهو أحد المساجد القاطمية التي وجدها قراقوش عند تأسيس القلعة، ولم يهدمه وإنما أدخله ضمن نطاقها، ليكون أحد المساجد التي تؤدي بها الصلوات الخمس، شيد هذا المسجد أبو المنصور قسطة، وينزل إلى مدفن قسطة الذي لم يزل قائما بعدة درجات، ويوجد فوق مدخله نص تأسيس مؤرخ بسنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م^{٣٥}.

جاءت إعادة بناء هذا المسجد الذي يبدو أنه كان في أول الأمر صغيرا في المساحة ومتواضعا، على يد والي مصر العثماني سليمان باشا، الذي ولي مصر سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٨م، واستمر واليا عليها لمدة تزيد على عشر سنوات، وكانت ولايته بعد فترة عدم الاستقرار في مصر ومحاولات للاستقلال عن الدولة العثمانية من قبل المماليك الجراكسة. وكادت هذه المحاولات أن تنجح^{٣٦}. وكان قد ترتب على الفتح العثماني لمصر أن أسكن خاير بك إحدى فرق الجيش العثماني النطاق الشمالي من القلعة لكي يمنع احتكاكها بالجند العزبان وهي طائفة من الجيش العثماني، وسكنت طائفة مستحفظان^{٣٧} في النطاق الشمالي، ولذا كان من الطبيعي أن يشيد مسجدهم على الطراز الذي اعتادوه في الدولة العثمانية، وهناك دافعان لتأسيس هذا المسجد على طراز عثماني صرف لم تعرفه مصر من قبل:



مسجد العزبان - المئذنة

الحق المؤيد شيخ سبيلا وصهريجا بهذا الجامع، وهو مغطى بقبة ضحلة، وتتقدمه سقيفة في ضلعه الشمالي الغربي حيث المدخل، والأحجار المنحوتة به تفيد نسبة البناء إلى العصر المملوكي الجركسي^{٣٨}. وقد قام أحمد كتخدا العزب بتجديدات به تمثلت في تجديده للمدخل، وإضافة مئذنة له على الطراز العثماني. ويبدو أن مسجد المؤيد، قد صار في حالة يرثى لها. حين جدهه أحمد كتخدا إلى جامع تقام به صلاة الجمعة والصلوات لطائفة عزبان. كان ذلك عام ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م^{٣٩}.

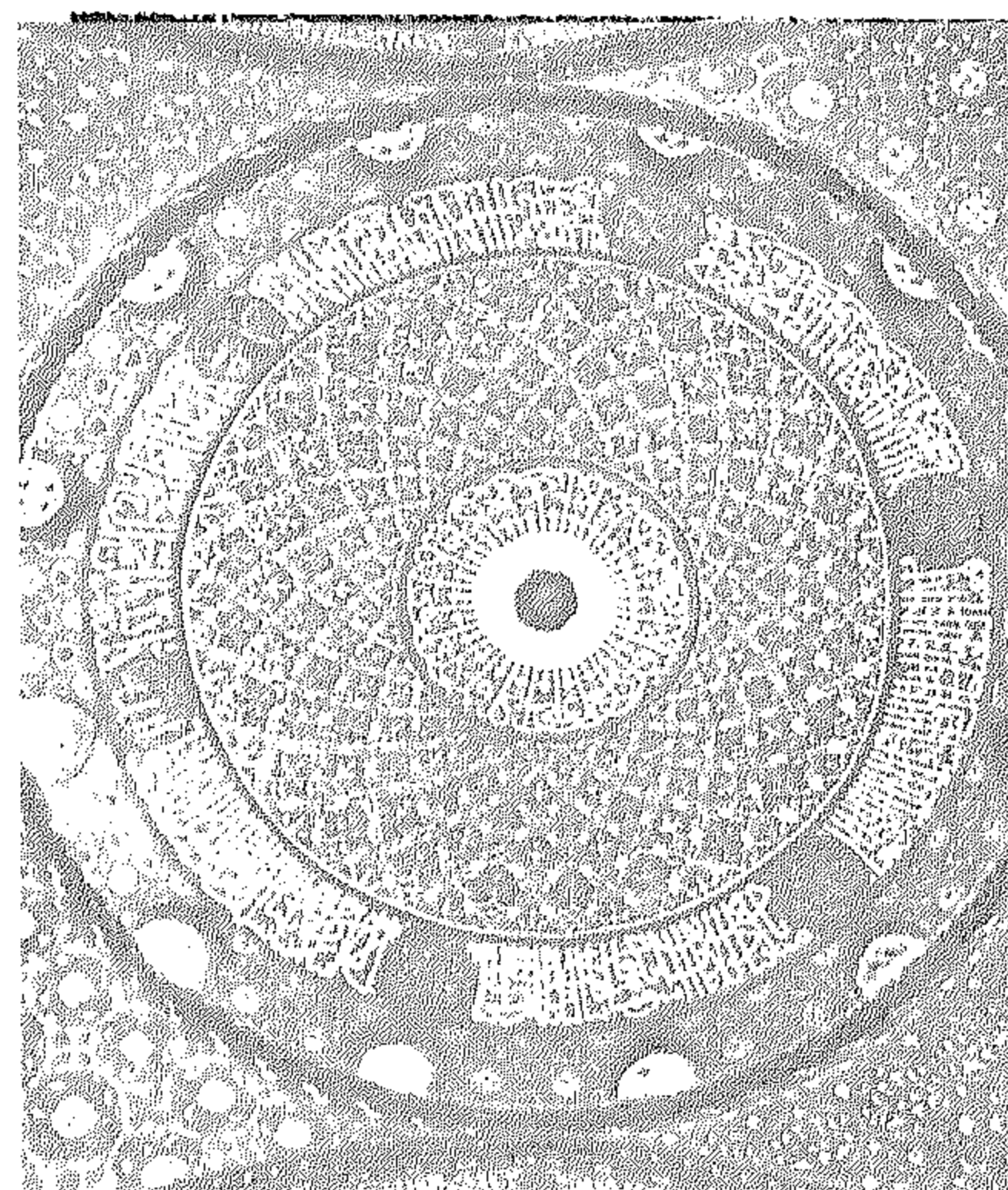
جامع الحوش السلطاني (دارس)

أقام السلطان فرج بن برقوق، ثاني سلاطين العصر المملوكي الجركسي (٨٠٩-٨١٥ هـ / ١٤٠٦-١٤١٢ م) مسجدا بالحوش السلطاني بالقلعة، أشار إليه المقريزي تحت اسم "جامع الحوش"، وأنه أقيم في عام ٨١٢ هـ / ١٤٠٩-١٤١٠ م وخصصه للخدام وأولاد الملوك من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون^{٣٢}، استمر هذا المسجد

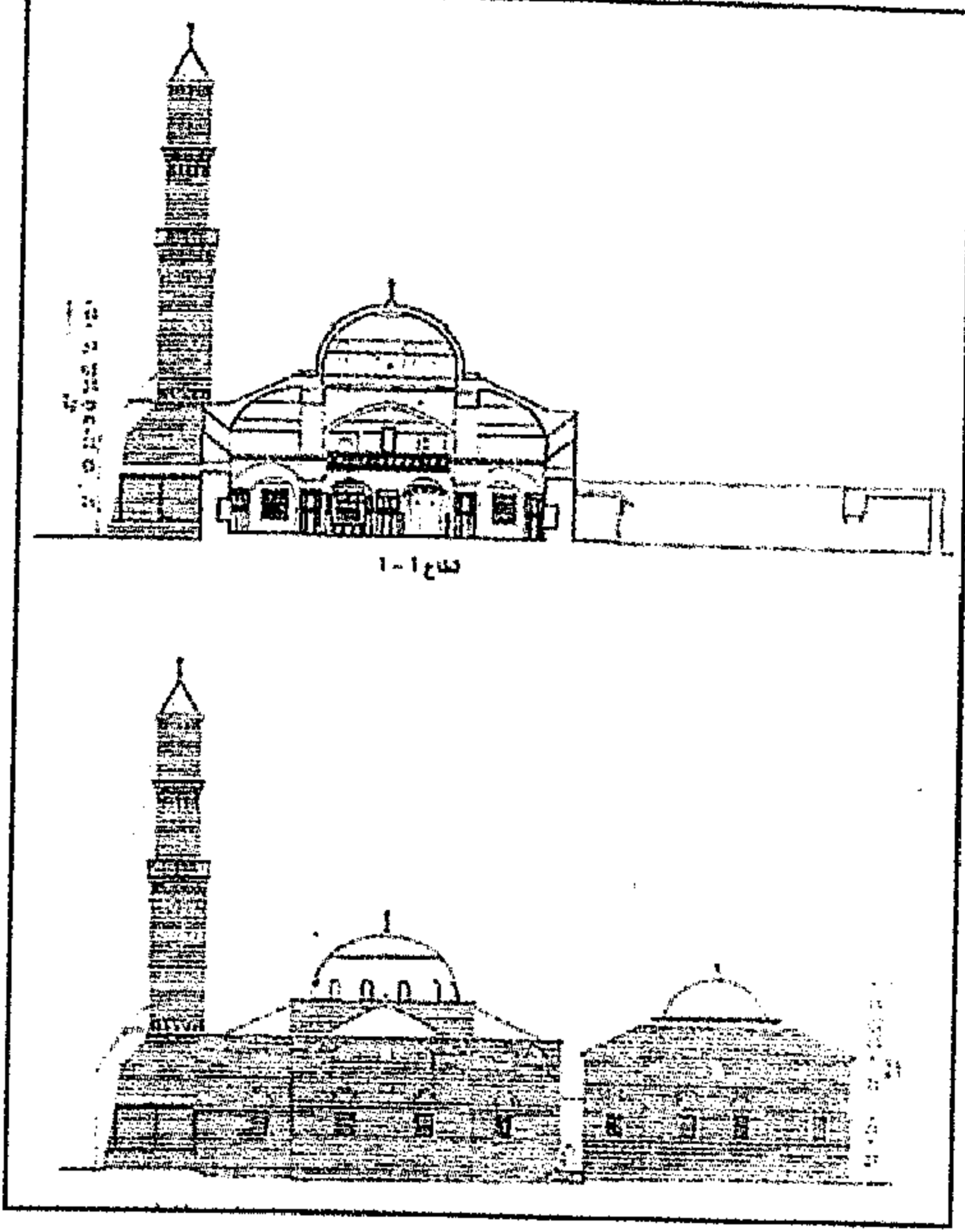


مسجد سارية الجبل - القلعة

أولهما: إثبات السيادة العثمانية على مصر والتي تعرضت لهزات عنيفة نتيجة للثورات المتتالية من قبل المصريين سواء كانوا جراكسة أو أهالي أو عزبان. ولعل ذلك هو السبب الذي من أجله حملت منشآت سليمان الخادم، الذي جاء والياً في أعقاب هذه الفتن ألقاب السلطان سليمان القانوني^{٣٨}. وفي المدرسة السليمانية بالقاهرة التي أنشأها الوالي نفسه حملت ألقاب السلطان سليمان صفات تدل على التبعية والخضوع المصري والعربي للسلطان سليمان وهي "مولى ملوك العرب والعجم الأكاسرة قانع أعناق الفراعنة الغازي في سبيل الله"^{٣٩}. ثانيهما: رغبة سليمان باشا في خلق بيئة عثمانية في القلعة لطائفة مستحفظان، والتي أتى عدد منهم قبيل ولايته لتثبيت النفوذ العثماني في مصر^{٤٠}.



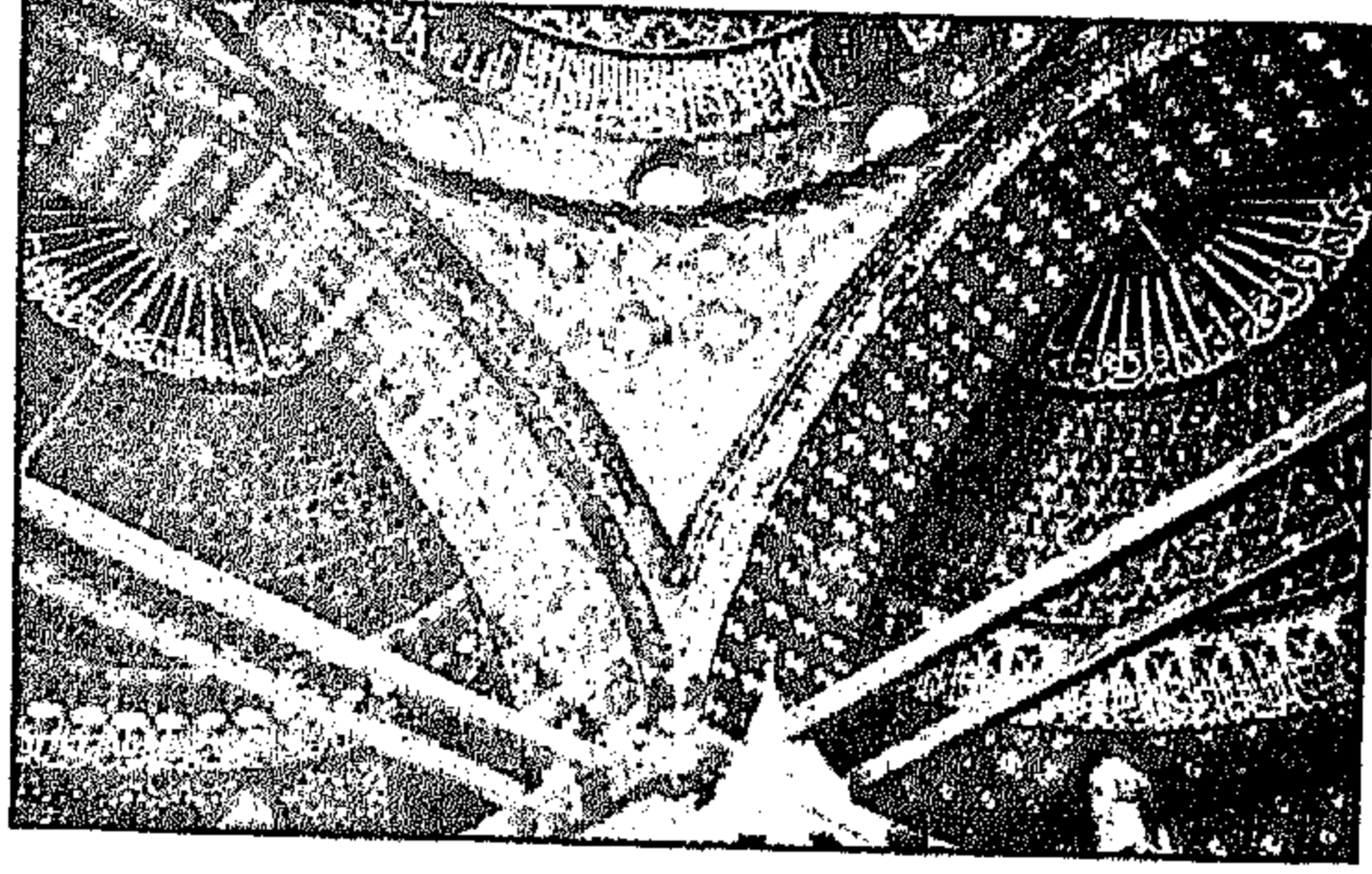
مسجد سارية الجبل - القبّة من الداخل



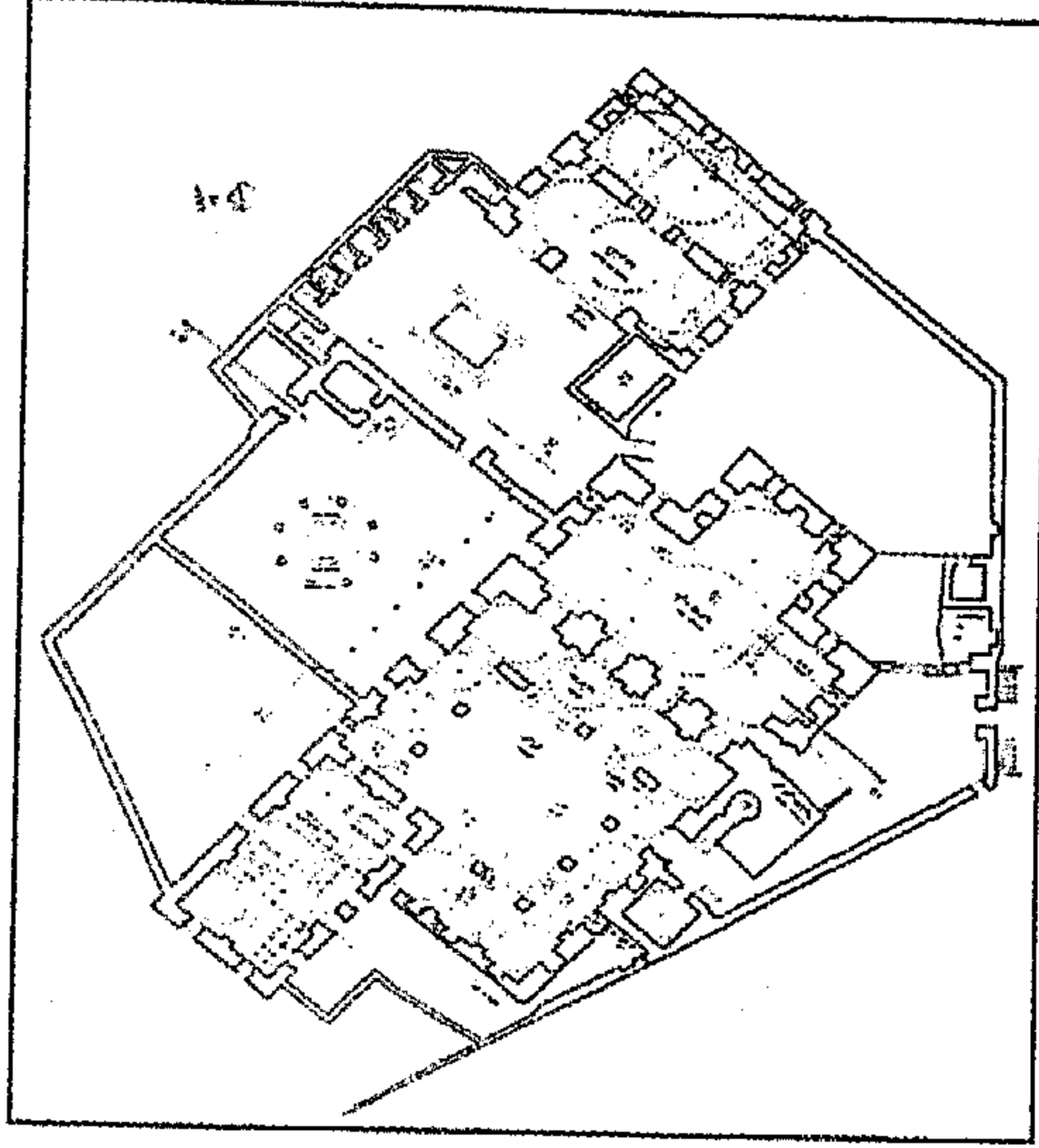
مسجد سارية الجبل - قطاعان رأسيان

الطراز نفسه^{٤٢}. يتكون هذا المسجد من جزأين رئيسيين أحدهما مغطى وهو بيت الصلاة، والآخر رواق حول الصحن المكشوف ويسمى الحرم، ويتكون بيت الصلاة من مساحة مربعة تقريبا يحيط بها من ثلاث جهات - عدا الجهة الشمالية الغربية - ثلاثة إيوانات أعمقها إيوان القبلة، وهو ليس أوسعها، وتغطي المساحة المربعة الوسطى قبة مركزية محمولة على مثلثات كروية بالأركان. أما الإيوانات الثلاثة الأخرى، وهي الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية فتغطيها ثلاثة أنصاف قباب محمولة هي الأخرى على مثلثات كروية حصرت فيما بينها هيئة عقد مدبب شكلت صدر الإيوان وجانبه. هذا وقد اختزل الإيوان الرابع ليكون عقدا وذلك ليكمل هيئة العقود الأربعة التي تحتوي على المثلثات الكروية التي ترتكز عليها القبة الوسطى المركزية.

والكتلة الثانية من المسجد عبارة عن صحن أوسط تحيط به أربع ظلال تتكون كل منها من بائكة واحدة تحوى رواقاً واحداً يشرف على الصحن من خلال ثلاثة



مسجد سارية الجبل - مثلث كروى حامل للقبلة



مسجد سارية الجبل - مسقط أفقي

وهناك جدلية لا بد من طرحها؛ جدلية التصميم العثماني والتنفيذ الدقيق له، وهو ما لم تعهده مصر، ولذا نرجح أن المسجد صمم في ديوان الأبنية في إستانبول الذي يرأسه "معمار باشا" وتم تنفيذه في مصر تحت إشراف أحد المعماريين العثمانيين^{٤٣}. ولو حظ تأثر الزخارف الرخامية في المحراب وأرضية المسجد وجدرانه وبعض الزخارف الكتابية بالطراز الزخرفى المملوكي^{٤٤}، وهو ما يعنى مشاركة صناع مصريين في عمارة هذا المسجد، وأنه ترك لهم مساحة من الحرية في تنفيذ زخارفه. علما بأن سليمان باشا شيد أيضا مدرسة بالقرب من مسجد قوصون بالقاهرة على الطراز العثماني، وكذلك جامعاً ببولاق على

عقود. وغطيت هذه الظلال الأربع بقباب ضحلة. ويضم المسجد مدفناً يقع في الركن الشمالي من الحرم، ويعترض مسار البلاطة الملتفة بكل من الظلتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية، ويحوى هذا المدفن بداخله مجموعة من التراكيب وشواهد القبور العثمانية، كما أنه يحتوى على النص التأسيسي لمسجد أبي منصور قسطة.

جاءت مثذنة الجامع منفصلة عن كتلة المبنى ويبدأ سلمها من الطابق الأرضي، وهي ملاصقة للمدخل الرئيسي، وهي ذات قاعدة مربعة قليلة الارتفاع تتصل بالبدن المستدير الخالي من الزخارف، ومنطقة الانتقال عبارة عن مثلثات منزلقة لأسفل ويصعد هذا البدن لأعلى بدورتين ترتكز كل منهما على مجموعة من المقرنصات ذات الشكل الكأسي، ويتوج هذه المثذنة قمة مخروطية الشكل. وكان المنشئ قد ألحق بالمسجد حديقة خلف المحراب، وشاذروناً لوضوء المصلين خارج الجامع من الجهة الغربية يماثل طراز المساجد العثمانية المبكرة في بروسة^{٤٠}.

دار العدل

يمثل العدل جوهر الشريعة الإسلامية الذي من أجله كان مرجع أمر البشر إلى أحكام الله، لأن احتكام البشر إلى أحكام البشر قد يؤدي إلى ظلم حيث يصوغ الإنسان من الأحكام ما يتوافق مع هواه، وكان للظلم مسالكه في المجتمعات الإسلامية، بخاصة من الولاة ونوى النفوذ، ولذا نشأ ديوان المظالم أو نظر المظالم في الإسلام. يعرف نظر المظالم بأنه "قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهبة"^{٤١}. وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدى، وكأنه يمضى ما عجز القضاة وغيرهم عن إمضائه^{٤٢}.

تختلف المصادر الإسلامية في تحديد أول من جلس جلوساً عاماً مخصصاً للنظر في المظالم من الخلفاء. فالبعض كمالك بن أنس اعتبر أنه كان معاوية ابن أبي

سفيان، الخليفة الأموي الأول، والبعض الآخر كالموردي، اعتبر أن عبد الملك بن مروان هو أول من (أفرد للظلمات يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين)، أما البعض الآخر فقد نسب الجلوس إلى عمر بن عبد العزيز. وقد داوم بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين بعدهم، وحكامهم في الولايات على الجلوس للنظر في المظالم لكي يصبح واحداً من رموز السلطة السياسية والشرعية الخليفة، خاصة بعد منتصف القرن الثالث الهجري / الثلث الأخير من القرن التاسع الميلادي، بعد أن فقد الخليفة العباسي قوة السلطنة وشوكتها لحساب المتسلطين البويهيين والسلاجقة. ولاحظ رضوان السيد أن الأقوياء ومتسلطي الإرادة من الخلفاء العباسيين المتأخرين، كالمهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩ م). الذي حاول استعادة السلطة من الأمراء الأتراك ولكنه فشل، والمقتدى أحمد (٥٢١ - ٥٥٥ هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠ م). والناصر (٥٧٦ - ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) اللذين استعادا للخلافة بعض هيبتها إثر تراجع السيطرة السلجوقية، قدامتوا بمجالس المظالم كدليل على مشروعية خلافتهم الدينية والسياسية ولتأكيد فاعلية سيطرتهم على شئون الدنيا والدين معاً، وكذلك بالنسبة لبعض الولاة الأقوياء، كأحمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٤ م، وكافور الإخشيد ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ / ٩٦٦ - ٩٦٨ م في مصر، اللذين جلسا بنفسيهما للنظر في المظالم كرمز لاستقلالهما بالسلطة عن الخليفة في بغداد من خلال استئنائهما بوظائفه ومهامه^{٤٣}. وشهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تبلور النقاش حول النظر في المظالم وإقامة مجالس العدل كجزء من مهام السلطان السياسية^{٤٤}. وعلى الرغم من ذلك لم يفرد أى من الخلفاء والسلطين مبنى خاصاً لجلسات النظر في المظالم، إنما كانوا يجلسون في أماكن مختلفة، تارة في ردهات القصور وتارة في قاعات العرش وتارة في باحات الجوامع أو أواريين المدارس. ثم أتى نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١ - ٥٧٠ هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤ م) ليستن سنة جديدة في إقامة مبنى خاص لدار عدله في دمشق. وسار خلفاؤه من الأيوبيين والمماليك في سورية

ومصر عليها حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون. وبنوا ست دور عدل أخرى على الأقل، ثم عادت الحال إلى سابق عهدها، وعاد سلاطين المماليك إلى عقد جلسات دار العدل، إن هم فعلوا، في قاعات مختلفة في قصورهم، وكذلك فعل حكامهم في بلاد الشام^٨.

يتفق ظهور وارتقاء دار العدل كمنشأة معمارية مستقلة مع حدثين تاريخيين جليين في العالم الإسلامي. أولهما هو الرد الإسلامي على الغزوة الصليبية الأولى التي ابتدأت قبل نصف قرن من الزمن ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م. ذلك الرد الذي بدأه زنكي بن أقي سنقر ٥٢١ - ٥٦٠هـ / ١١٢٧ - ١١٦٤م. ثم نظمه وأججه نور الدين واستلم لواءه منه صلاح الدين، وثانيهما هو النهضة الإسلامية بعد الصدمة المغولية التي قضت على الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. وهددت بقاء الإسلام نفسه، تلك النهضة التي قادها سلاطين المماليك بدءاً بالمظفر قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م). فالظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٦م). مروراً بقلاوون الألفي (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٨٠-١٢٩٠م). وابنه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٤م)، وانتهاءً بابنه الثاني الناصر محمد. أما المدن الثلاث التي شهدت إقامة دور العدل، دمشق وحلب والقاهرة فهي بذاتها عواصم الملوك الذين قادوا الجيوش الإسلامية في مواجهة الصليبيين والمغول ابتداءً من نور الدين محمود، هذه المدن الثلاث أضحت بعد موت نور الدين عواصم أيوبية، بدءاً بصلاح الدين الأيوبي الذي قسم ممتلكاته بين أبنائه وأبناء إخوته، ومروراً بالعادل أبي بكر وأبنائه. وفي القرن الثالث عشر تحولت هذه المدن إلى السلطة المملوكية، واتخذ سلاطين المماليك قلعة الجبل بالعاصمة المصرية مقراً لحكمهم، ودمشق وحلب عواصم إقليمية. وخلال الفترة كلها ما انفكت حركة الجهاد مستمرة في العواصم الثلاث، ولم تهدأ حتى منتصف القرن الرابع عشر مع تراجع المد الإيلخاني، وتحول حكام الدولتين المغوليتين، في فارس والقبيلة الذهبية في جنوبى روسيا إلى الإسلام وجنوحهما إلى السلام. ولا يمكن التأكيد بأن علاقة مباشرة، أحادية،

واضحة ومؤكدة بين ظهور دار العدل وتأجج حركة الجهاد وحروب الاستعادة وإيقاف المد المغولي، ولكن التوافق النظري بين هاتين الظاهرتين، بالإضافة إلى عوامل اجتماعية وثقافية أخرى، يدفع للتأمل في الربط بين التطور المعماري والمؤسساتي لدار العدل وبين الأحداث التاريخية المتقدمة حولها، والتي أحاطت بنشوتها، من عسكرية وسياسية وعقائدية وحضارية، واقتراح تفسير لهذا التوافق، ويبدو أن دار العدل قد فقدت مبرر وجودها كمؤسسة مستقلة وكنموذج معماري من مفردات العمارة الإسلامية^٩. كانت دارا العدل في دمشق وحلب^{١٠} خارج القلعة، وإن كانتا تقعان في محيطهما. وهو يعزز العلاقة بين دارى العدل والسلطة العليا في الدولة. أما دار العدل في مصر فكانت دائماً منذ عصر الكامل بن العادل جزءاً من مقومات قلعة الجبل كمقر للحكم.

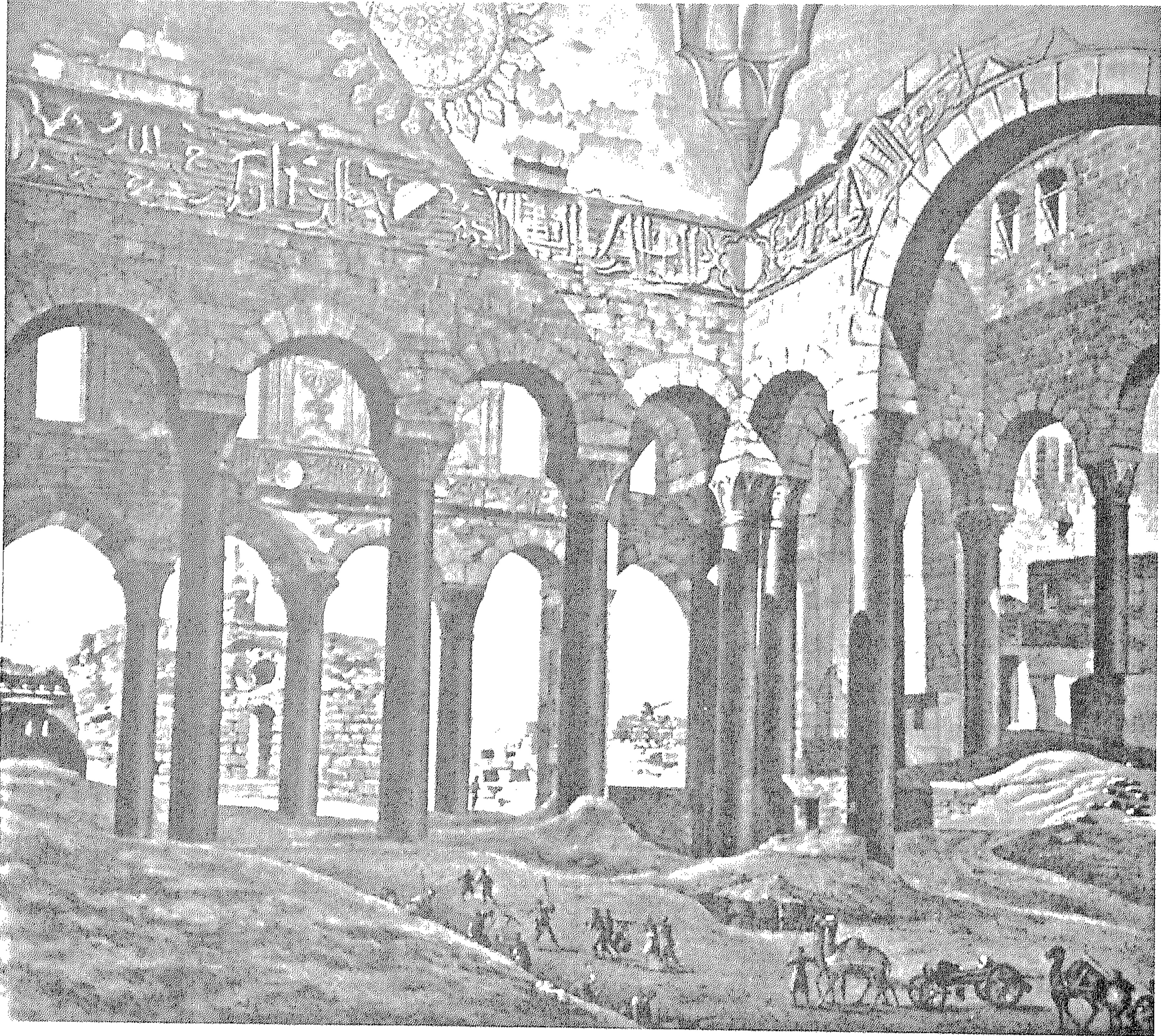
دار العدل بمصر

كانت قلعة الجبل آخر الحواضر الأيوبية التي حازت على دار عدل خاصة بها، فقد بنى الكامل محمد بن العادل دار عدل داخل النطاق الجنوبي، ثم جاء الظاهر بيبرس ليبنى دار عدل ثانية عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م في منطقة الإسطبلات السلطانية، وكانت دار العدل الظاهرية فيما يبدو ذات واجهة مفتوحة على الميدان المجاور للقلعة وسوق الخيل. ولم يستعمل الظاهر بيبرس دار عدله لجلسات نظر المظالم فقط، وإنما قعد بها أيضاً أيام العروض العسكرية ليشهد فصائل فرسانه ومماليكه تمر أمامه من الميدان بمحاذاة أسوار القلعة^{١١}. ولما تولى قلاوون السلطة عام ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م انتقل مركز دار العدل إلى النطاق الجنوبي، حيث بنى دار عدل جديدة، ولكن قلاوون نفسه لم يجلس في دار عدله تلك لأنه كان أغتم، أى لا يتقن العربية، لهذا فقد فوض نظر دار العدل لواحد من كبار أمرائه الذي يتقن لغة البلاد ويعرفون عاداتها؛ "لاجين"، الذى أصبح سلطاناً بدوره، واتخذ نفس لقب أستاذه، المنصور، وبعد قلاوون جاء ابنه الأشرف ليهدم قبة أبيه، أو إيوانه، حيث إن الكلمتين كانتا تستعملان

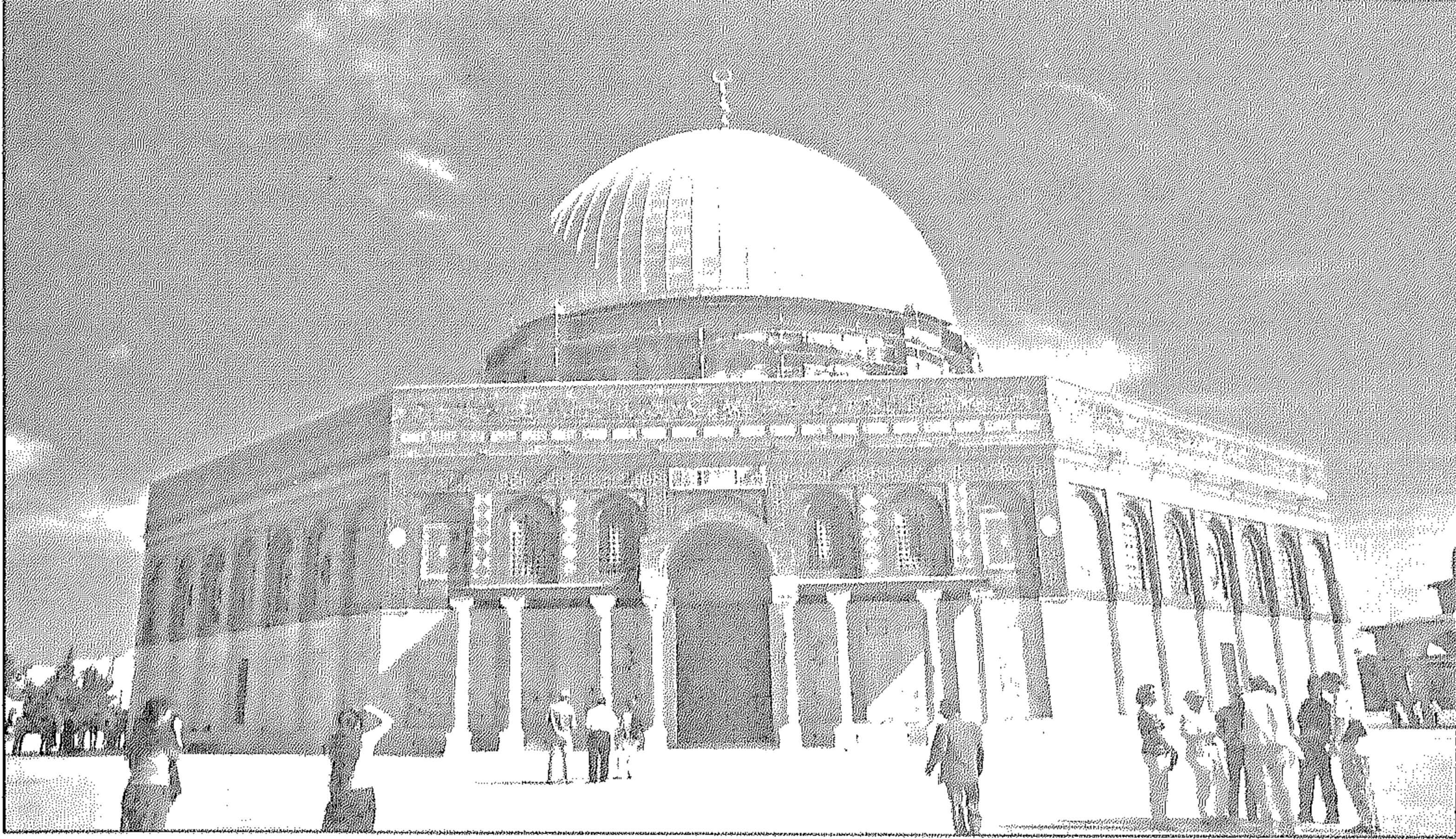
ومن اللافت للنظر استخدام اصطلاحى قبة وإيوان لمنشأة واحدة، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذا التبادل الاصطلاحي:

لعل أول هذه التساؤلات وثانيها: هل الإيوان^{٥١}، هو الغالب فى عمارة دار العدل الأشرقية والناصرية، وما هى علاقة الإيوان بدار العدل كمنشأة ؟ وثالث هذه التساؤلات لماذا استخدمت القبة فى تغطية المساحة الرئيسية لدار العدل؟ وهل للقبة قيمة سلطوية رمزية ؟

بالتبادل فى مصادرنا للدلالة على المبنى نفسه، ويبنى مكانه الإيوان الأشرقى الذى ما برح مستخدماً كدار عدل حتى مجيء الناصر محمد الذى هدم إيوان أخيه بدوره وأعاد بناءه ثانية^{٥٢}. هذه السلسلة من الهدم وإعادة البناء لمنشأة واحدة فى القلعة خلال نصف قرن فقط إن دلت على شيء، فهى تدل على طموح السلاطين لأن يكونوا أصحاب أكثر الأبنية أبهة وأهمها وظيفياً وأقربها إلى الرعية: دار العدل^{٥٣}



الإيوان الناصرى من الداخل (وصف مصر)

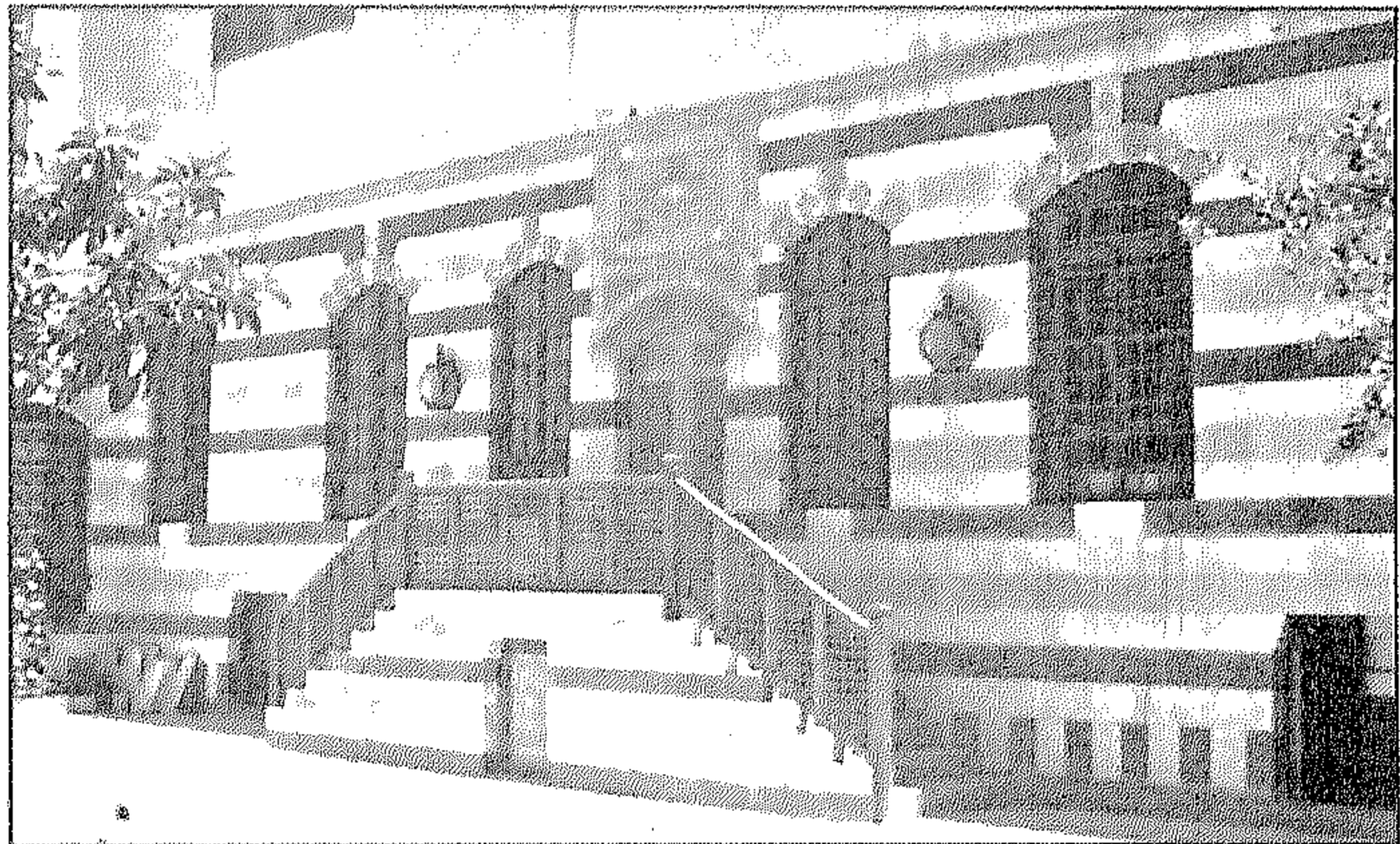


قبة الصخرة

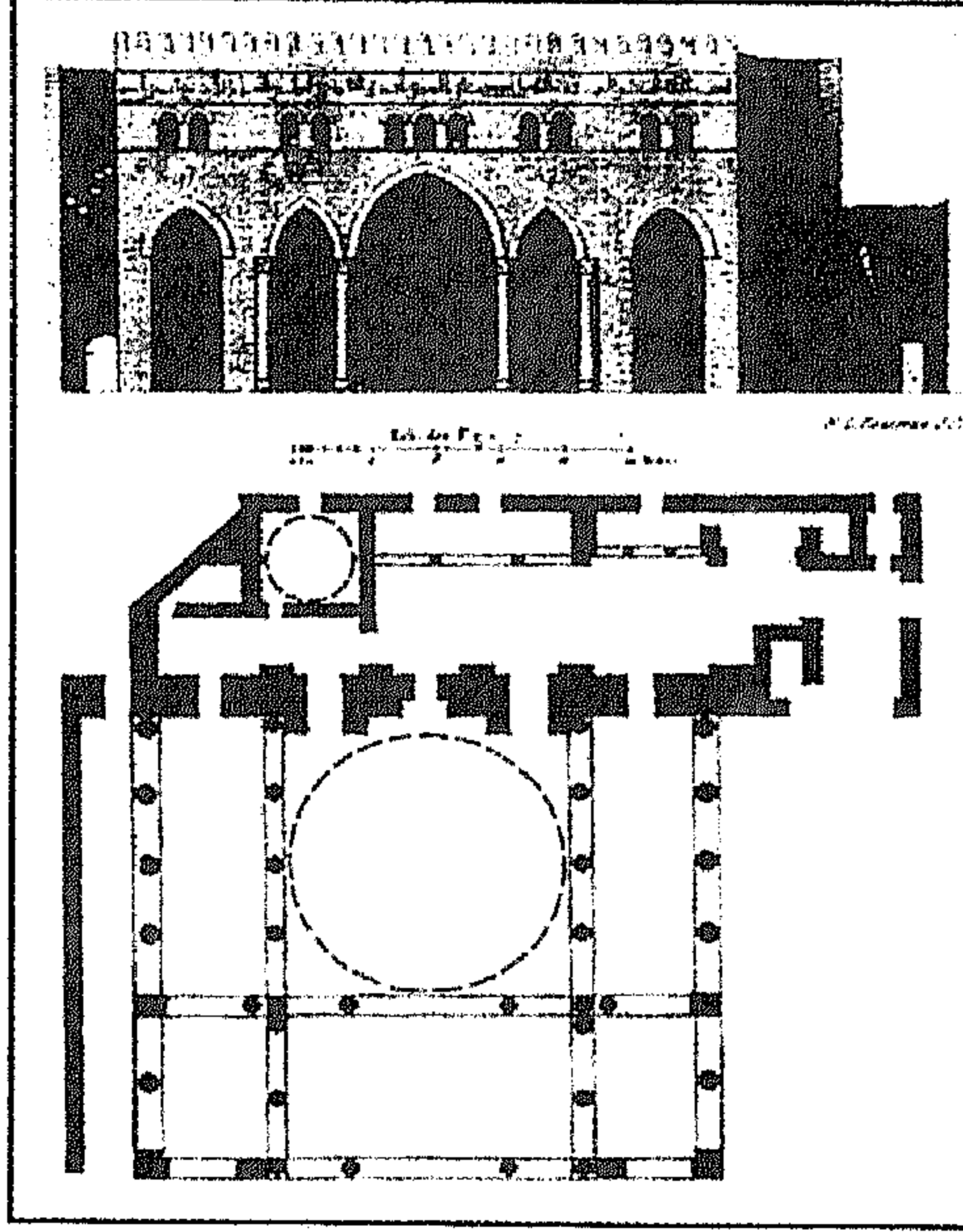
فذهب ناصر الرباط إلى أن التبادل الاصطلاحي في إطلاق اصطلاحى قبة وإيوان فيما يخص دور العدل بدءاً من الظاهر ببيرس فقلالون، وبعدهما دار عدل الأشرف خليل لاحتواء كل منها على إيوان وقبة^{٦٦}، ربما خلف الإيوان، وهو يرى أن ذلك يعطينا فكرة عن ترتيبها المعماري، ويجعلنا قادرين على الربط تاريخياً ونوعياً بينهما وبين الإيوان الكبير الذى حل محلها. والذى بناه الناصر محمد على مرحلتين.

كان إيوان الناصر تتوسطه قبة مركزية يتقدمها مساحة ربما كانت مغطاة بقبو أو بسقف مسطح، وتفتح على القبة بثلاثة أبواب وهى ذات واجهة بها ثلاثة عقود أكبرها أوسطها، وهذه الواجهة تذكرنا بواجهة إيوان مدرسة المنصور قلاوون، وهذا يعنى أن المساحة التى تتقدم القبة يطلق عليها الإيوان، وغلب اسم الكل على الجزء. وهذا احتمال يمكن أخذه فى الاعتبار. وكان الإيوان له مدلول تاريخى على واحد من أكبر منشآت العروش السلطانية، وهو إيوان كسرى الذى يقع فى المدائن، شمالى بغداد، وأطلق اصطلاح الإيوان على قصر الحكم الساسانى فى

لعل أول ما يمكن طرحه عند الإجابة عن هذه التساؤلات أن كلمة إيوان كلمة فارسية معربة من "إيفان" وتعنى لغوياً قاعة العرش^{٦٧}. ولما كانت دار العدل هى مقر العرش المملوكى فمن الممكن أنه أطلق عليها إيواناً لهذا السبب بخاصة مع قوة التأثيرات اللغوية الفارسية والتركية فى ذلك العصر فى مصر. ولما كان لفظ الإيوان اصطلاحاً مملوكياً يعنى وصفاً معمارياً لمنشأة ذات أوصاف محددة،



قصر العظم - دمشق



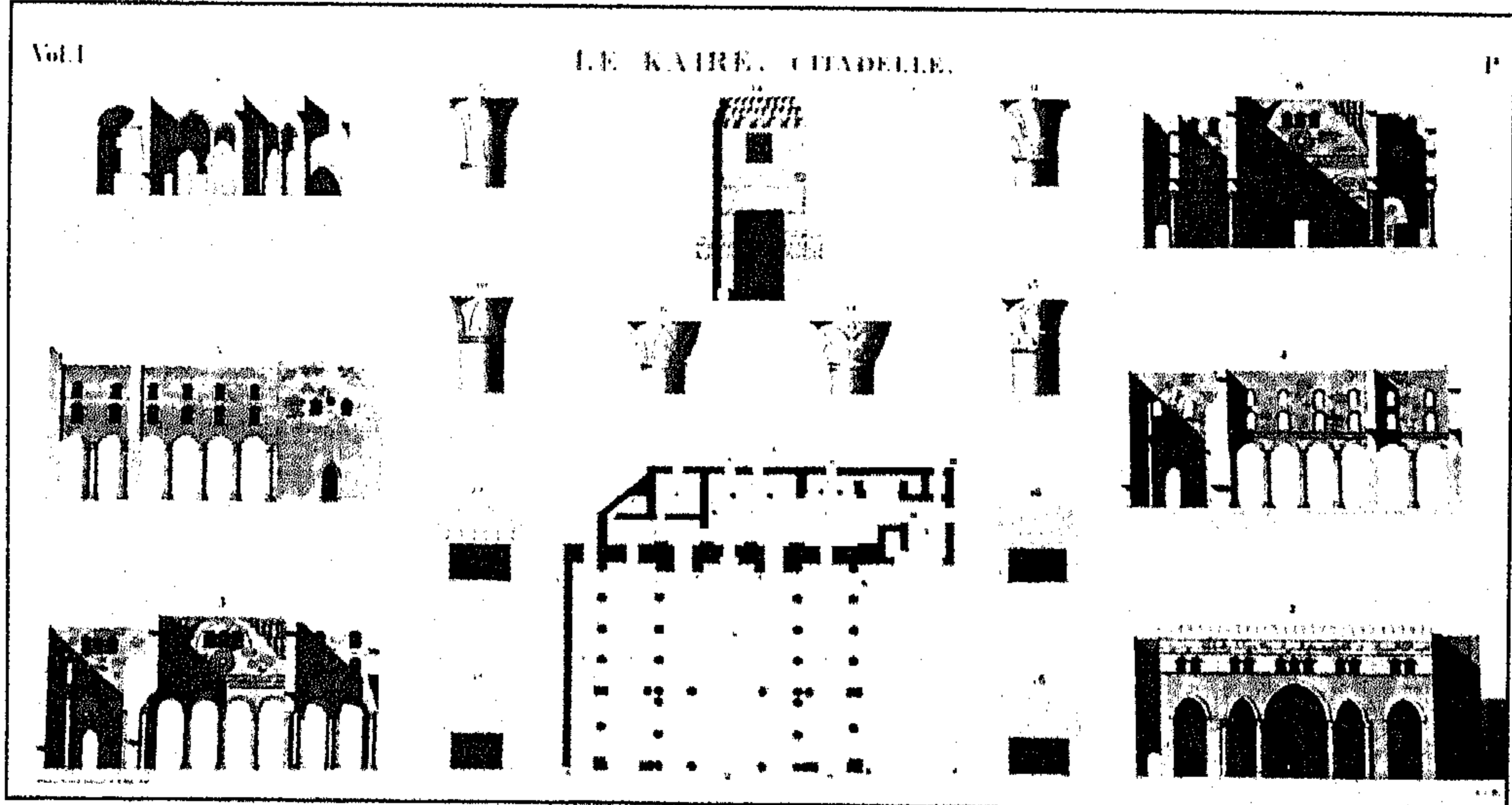
الإيوان الناصري - التخطيط والوصف (وصف مصر)

الإيوان الكبير

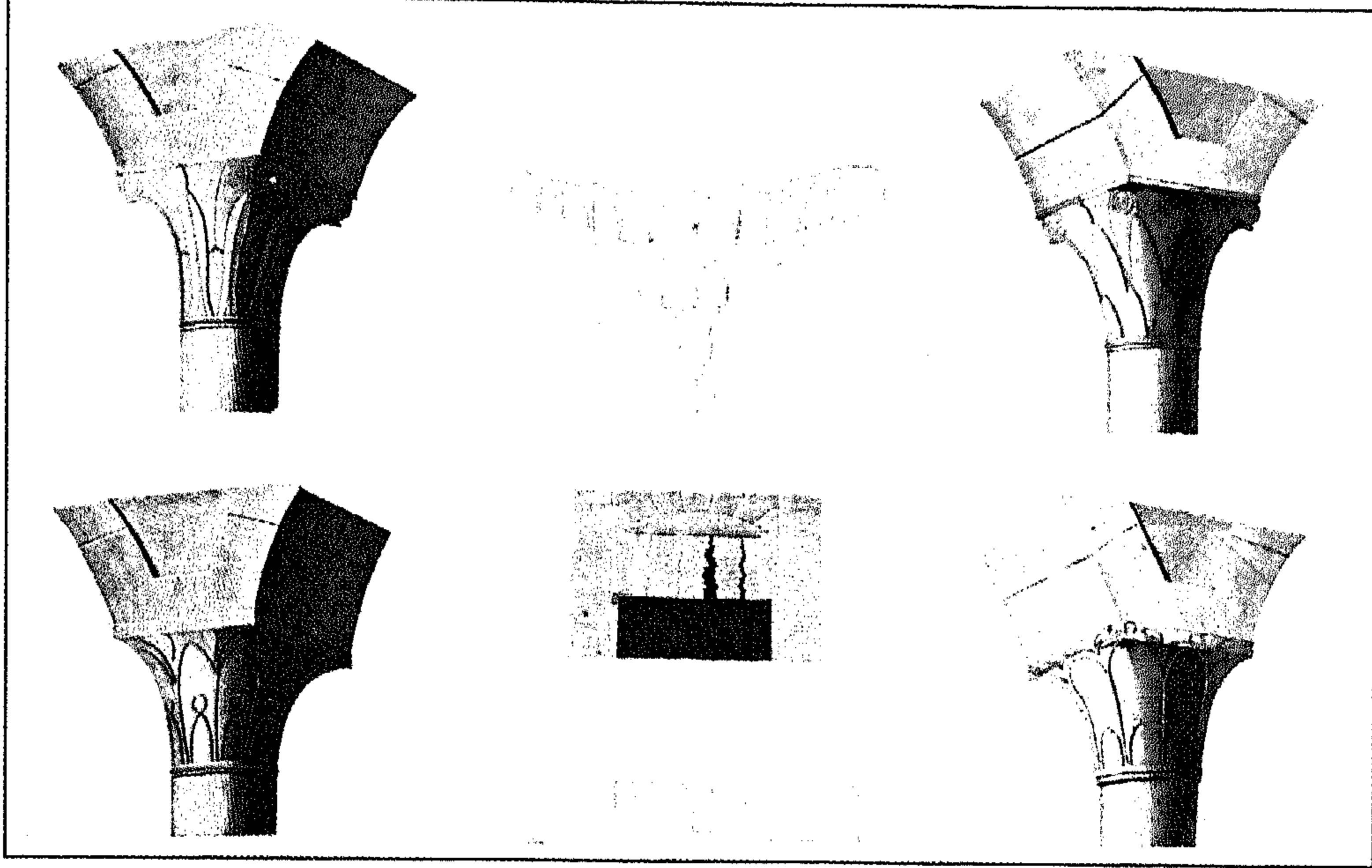
أعاد الناصر محمد بن قلاوون بناء الإيوان مرتين، الأولى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، والثانية سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م.

المدائن، وهو من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ويبدو أن هذا طبق أيضا على دار العدل بالقلعة.

وكان للقباب مدلول سلطوي منذ فترة مبكرة في العمارة الإسلامية، وأشهر هذه القباب قبة الصخرة التي أقيمت على مرتفع بالمدينة لتبرهن على إسلامية المكان والمدينة، ومنذ القبة الخضراء في دمشق التي عمرها معاوية بن أبي سفيان كدار إمارة حوالي عام ٣٠هـ/٦٥٠م، والتي ربما كان بعض موقعها قصر العظم الحالي^{٥٧}. والقباب الخضراء اللاحقة، أموية كانت أو عباسية في الرصافة وواسط وبغداد في قصر أبي جعفر المنصور في وسط المدينة تعد رمزا لمقر الحكم، ومن هنا اكتسبت قبة الإيوان الناصري رمزيتها السلطوية ولونها الأخضر. وبذلك كانت القباب في العمارة الإسلامية رمزا للاستعلاء والسيادة السلطوية، كما كانت في كثير من الأحيان دالة على العمارة الجنائزية لذوى السلطة والنفوذ. وشيئا فشيئا صار اصطلاح القبة دالا على الأضرحة السلطانية ولذا يبدو أنه على الرغم من هيمنة القبة على دار العدل الناصرية معماریا، فإن استخدام القباب على العمائر الجنائزية كان أحد الأسباب التي أدت إلى غلبة اصطلاح الإيوان على دار العدل^{٥٨}.

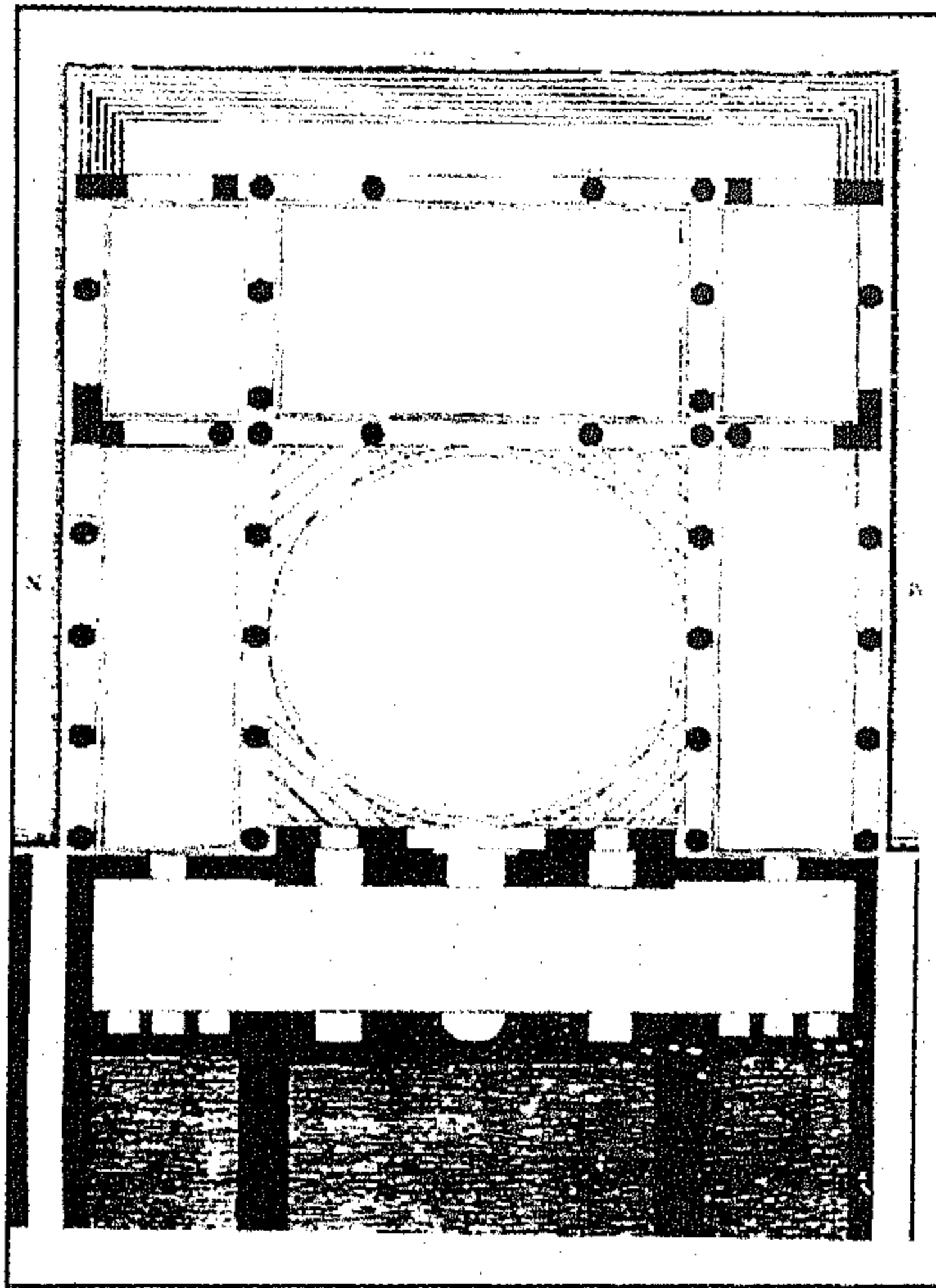


الإيوان الناصري - تفاصيل (وصف مصر)



الإيوان الناصري - تفاصيل الأعمدة (وصف مصر)

ولعل ذلك ارتبط بتطور حركة العمران في عصر الناصر، وباستقرار حكمه، وبرغبته في إعادة بناء المجمع الملكي بالقلعة على درجة تليق بسلطنته وسلطنة المماليك، وهذا الإيوان الكبير الذي أسمته المصادر دار العدل أيضا، ثم تحول اسمه حوالي القرن السابع عشر ليصبح "ديوان يوسف" حفظت مخططاته في كتاب وصف مصر، الذي أنتجه علماء الحملة الفرنسية، كما ساعدنا تخطيط رسم للإيوان سنة ١٧٩٩م بواسطة الرحالة لكزيس ونشرته دوريس أبو سيف على وضع تصور للإيوان ويبين المسقط الفرنسي أن الإيوان كان مفتوحا من ثلاث جهات هي الشمالية الشرقية التي شكلت واجهته الرئيسية والجنوبية الشرقية والشمالية الغربية. أما الجهة الرابعة، والتي قامت قبالة القصر الأبلق الذي بناه الناصر محمد أيضا ليكون صالة عرش خاصة فكانت عبارة عن حائط حجري سميك به فتحات خمسة مداخل معقودة تؤدي إلى القصر، أكبرها أوسطها وهو معقود يعقد نصف دائري غائر يشكل نصف قبة مقرنصة وعلى جانبيه مكسلتان وأحجار الواجهات كلها من الحجر المشهر.



الإيوان الناصري - تخطيط لكزيس



الإيوان الناصري - أوين كارتر

كلها على الواجهة التي رسمها فاضطر إلى استكمالها على الواجهة الداخلية مما سبب تساؤلا حول مدى دقة الرسام الفرنسي في لوحاته^{٦٠}. ويعلو هذه الواجهة صف من الشرفات، وترتفع الواجهة الرئيسية عن بقية واجهات المبنى. والواجهات الأخرى للإيوان تتكون حسب رسم أوين كارتر لإحداها في لوحته من صف من ستة عقود مدببة محمولة على أعمدة، يعلوها تيجان، يفصل بينها بعد عقدين من نهاية جدار الواجهة دعامة سائدة بارزة بارتفاع المبنى، ويعلو هذه العقود صفان من النوافذ المعقودة.

يتوسط المبنى من الداخل مساحة مربعة يحيط بها من ثلاثة جوانب ثلاثة أجنحة، شكلت هذه الأجنحة صفوفًا من الأعمدة الجرانيتية الهائلة نقلت من الآثار الفرعونية بالصعيد^{٦١}، وحفر على هذه الأعمدة اسم السلطان الناصر

تتكون واجهة الإيوان الرئيسية من خمسة عقود أكبرها أوسطها وهي عقود مدببة، تمثل خمسة مداخل إلى الإيوان، وتكون الثلاثة الوسطى عقود المدخل الرئيسي إلى قبة الإيوان، ويسمى المقرريزي المساحة التي تليها بالدركاة^{٦٢}. ويؤدي العقدان الجانبيان إلى جناحين متوازيين مع القبة، ويعلو هذه العقود صف من النوافذ التوأمية المعقودة، فوقها شريط كتابي بطول الواجهة، به الآية ٣٢ من سورة إبراهيم "الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم...." ولاحظ ناصر الرباط وجود تنمة الآية مثبتة على رسم الجدار الداخلي للإيوان في كتاب وصف مصر، وهو أسلوب غير معهود في العصر المملوكي، ولعل الرسام الفرنسي قرأ الكتابة على الواجهة الخارجية فقط، ولم يتمكن من إثباتها

محمد كرمز على نسبة البناء إليه، وكان يعلو قاعة العرش قبة خشبية ضخمة غطيت من الخارج ببلاطات القاشاني الخضراء، وتم الانتقال من المساحة المربعة إلى الدائرة التي تحمل القبة عن طريق أربع حنيات مقرنصة خشبية ضخمة ورائعة، قدم كتاب وصف مصر رسماً تفصيلياً لها وكتبت ألقاب السلطان بأحرف هائلة الحجم ولونت بالذهب واللازورد على شريط دائر على كامل محيط القبة^{٣٢}، وقد كشفت حفائر القلعة في الثمانينيات^{٣٣} عن بعض هذه الأعمدة. ويذكر المقریزی أن للإيوان باباً مسبوكة من الحديد بصناعة بديعة تمنع الداخل إليه، ولا يفتح هذا الباب إلا بعد جلوس السلطان على عرشه، ويسمح للجنود أن ينظروا من خلال تخاريم الحديد على ما يجري بداخل الإيوان^{٣٤}. وخلف مساحة القبة كان يوجد ممر يصل بين الإيوان والقصر السلطاني ينتهي بباب سر يدخل منه السلطان إلى الإيوان. ومن الواضح من تخطيط وصف مصر أن هذا الممر كان يشتمل على غرف على الجانب المقابل لجدار القبة، ومساحة مربعة صغيرة تعلوها قبة، هذه الغرف من المرجح أنها كانت تستخدم كغرف خدمية للإيوان. قدم ابن فضل الله العمري الذي شغل وظيفة كاتب سر^{٣٥} السلطان الناصر محمد وصفا مفصلاً لجلوس دار العدل كما كان أيام الناصر، وهو كشاهد عيان تكون مشاهداته ذات قيمة كبيرة، ونقل المؤرخون اللاحقون ومنهم المقریزی والقلقشندي، وصفه وأضافوا إليه ملاحظاتهم التي أثبتوها عن عصرهم الذي يقارب الفرق الزمني بينه وبين عصر العمري من القرن.

وظيفة دار العدل

واظب الناصر محمد على الجلوس بدار العدل يومى الاثنين والخميس ما دام مقيماً في القلعة. كان الناصر محمد يخرج في يوم دار العدل مبكراً من قصوره الجوانية والخدم أمامه، ويمر عبر الدهليز الواصل ما بين القصر الأبلق والإيوان الكبير، ثم يدخل من تحت الباب الكبير المقرنص، وفي الأيام المخصصة لنظر المظالم يجلس السلطان على كرسي خاص منخفض إلى جانب منبر

العرش المنصوب في منتصف الجدار الخلفي للإيوان، والذي لم يكن يستعمل إلا في مناسبات استقبال السفراء. وبمجلسه هذا يشكل الناصر محمد قمة دائرة تترتب حوله فيقعد قضاة المذاهب الأربعة الشافعي والحنفي فمالكي والحنبلي الذين يمثلون السلطة التشريعية الشرعية يليهم وكيل بيت المال، وناظر الحسبة، ويجلس كاتب السر، أي في عهد الناصر محمد بن فضل الله العمري ذاته^{٣٦}، وهو المختص بتلقى القرارات عن السلطان، وأمامه ناظر الجيش، أي المعادل لرئيس الأركان اليوم، وبعده جماعة موقعي الدسث، أي كتاب الجلسات، وهم يكملون الحلقة حول السلطان. ومن المرجح أن هذه الدائرة في الجلوس كان موضعها تحت القبة الخضراء كأنها كانت صدى وظيفياً لمهابة القبة أو أن القبة شكلت انعكاساً لعظمة السلطان في جلوس دار العدل، ويكون السلطان قريباً من مسقط مركز القبة دلالة على كونه مركز الجلسة ومركز السلطة كلها^{٣٧}.

ويصطف حول السلطان عن اليمين واليسار فتيان المماليك الخاصكية والجمدارية الذين يشكلون حرسه الخاص، وعلى بعد خمسة عشر ذراعاً عن يمينته ويسرته، يجلس أكابر ذوي السن من أمراء المثنين، وهم أمراء المشورة، وهم في المصطلح المملوكي أصحاب أعلى الرتب إذ يملك كل منهم مائة مملوك، وفي الحرب يقود ألفاً، وهم في مصطلحنا المعاصر أولوية الجيش وقد كان ثمة أربعة وعشرون أميراً منهم على عهد الناصر محمد، ولعل جلوسهم كان مرتباً على صفين على اليمين واليسار من السلطان، كل منهما مكون من اثني عشر كرسيًا، ويلي أمراء المشورة من أسفل منهم أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وقوفاً، ومن ورائهم بقية الأمراء من أمراء الطبلخانة^{٣٨} وأمراء العشرات^{٣٩} وقوفاً أيضاً. ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالمكان الحجاب والدوايرية لإحضار قصص أرباب الضرورات الذين قدموا للنظر في مظالمهم وتقرأ القصص على السلطان، فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه. وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث مع الحجاب وناظر الجيش فيه ويأمر في البقية بما يراه.

ويمكننا أن نتخيل أن صفوف أكابر الأمراء امتدت أمام صف الأعمدة الداخلى المواجه للقبّة، فى حين وقف بقية الأمراء بين صفين من الأعمدة عن يمين ويسار القبّة. أما الفراغ الواسع أمام القبّة، التى جلست تحتها حلقة السلطان وقضاته وكتابه، ففيه يقف أرباب القصص والحجاب والدواديرية.

هذا التصور لهيكليّة جلوس دار العدل كما نظمها الناصر محمد مهم وضرورى لتبيان وظيفية العمارة كما يمكن أن نستقرئها من خلال تخطيط دار العدل، فإذا ما أمعنا النظر فى ترتيب جلوس دار العدل وجدناه ينطبق تماما على ترتيب مخطط الإيوان الكبير المعماري. والإيوان الناصري الكبير يمثل بعمارته هذه النموذج المعماري الأخير لدور العدل، والذي طور ليستوعب وظائف الجلوس السلطاني فى البلاط المملوكي.

يبرز ظهور دور العدل كمنشأة معمارية ذات وظيفة تتعلق بالرعية، فى رقعة محددة وفى زمن مؤطر بفترة حرب الاسترجاع من الغزوة الصليبية ورد الغزوة المغولية بعدها، وهما الغزوتان اللتان هددتا المنطقة وغيرتا منحني تاريخها، وكادت أن تزيلا هويتها الحضارية والثقافية والدينية. وليس ذلك فقط، بل إن دور العدل المعروفة قد أنشئت كلها فى العواصم الثلاث، دمشق وحلب والقاهرة، التى كانت فى الوقت نفسه المراكز الرئيسية للجهاد. وكان مؤسسو الدول الإسلامية التى أخذت على عاتقها رأب الصدع ولم الشمل وتوحيد الأراضي الإسلامية كلهم أمراء محاربين من أصول تركية أو كردية اعتمدوا بشكل شبه مطلق على الجيوش من الفرسان القادمين أو المجلوبين إلى البلاد من الأصول نفسها. وقد كان بناء دور العدل السبع قوادا فعالين من المحيط نفسه، برزوا فى ميدان الجهاد كما برزوا فى ميدان الإصلاحات الداخلية. ولعلها ليست مصادفة تاريخية أن أول بان لدار عدل كان السلطان نور الدين محمود بن زنكي، أول موحد للجبهة الإسلامية فى وجه الصليبيين. ولعلها ليست مصادفة أن آخر بان لدار عدل كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذى تمكن بفضل حنكته من إيقاف المد المغولي الإيلخاني، وساهم فى تحول حكام الدولتين

المغوليتين، الإيلخانية فى إيران والقبيلة الذهبية فى جنوبى روسيا إلى الإسلام وجنوحهما إلى السلام^{٧٠}. ولذا كانت العلاقة بين قيادة الجهاد، والاهتمام به والاستعداد من أجله وبين بناء دور العدل نابعة من الظروف التاريخية العنصرية والصعبة التى فرضت على حكام المسلمين فى خلال ثلاثة قرون، ابتداءً من نهاية القرن الحادى عشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر، مما دفعهم إلى أن يركزوا على إبراز المواصفات المقيولة والمحبذة إسلاميا.

وحاول كل الأمراء الحاكمين من سلاجقة وأراقة وزنكيين وأيوبيين ومماليك وغيرهم، أن يعززوا صورتهم القائمة على تمثيلهم لأنفسهم كحماة للدين الحنيف من خلال تركيزهم على دورهم العسكري فى الجهاد. ومع حلول القرن الرابع عشر، وخلال فترة الحكم الطويلة للناصر محمد، استقرت الخريطة السياسية للمنطقة وتوطدت سلطة السلطنة المملوكية، وزال الخطر الخارجي، واستكان المماليك لدعة العيش ورغده واستمرأوا حياة الرخاء والبذخ وفقدوا اهتمامهم بالجهاد. وبدأ تركيزهم على إبراز المواصفات المرغوبة إسلاميا فى حكمهم يذوى ويخف. ومع أن أبناء الناصر محمد الذين حكموا بعده واطبوا على جلوس دار العدل عملا بسنة أبيهم، فقد أهملوا القواعد الدقيقة المتعلقة بمراسم الجلوس فى الإيوان^{٧١}. ومع مجيء العصر البرجى (٧٨٤ - ٩٢٣هـ / ١٢٨٢ - ١٥١٧م)، بدأ السلطان برقوق يعقد جلسات دار العدل بالإيوان، فى محاولة منه للسير على مراسم أسرة قلاوون السلطانية، وسرعان ما نقل جلسات نظر المظالم إلى المقعد السلطاني بالإسطنبول^{٧٢}. وغير أيام الجلوس للنظر فى المظالم من الاثنين والخميس إلى الأحد والأربعاء. وفيما بعد غيرها مرة أخرى إلى السبت والثلاثاء. وكان يفضل عقد الجلسات فى الصباح بينما وضع الناصر محمد عادة الجلسات الليلية، وبعد عصر برقوق أهمل الإيوان فى عهد كل من الناصر فرج والمؤيد شيخ^{٧٣}. رمم الأشرف برسباى الإيوان، وأحيا مراسمه السلطانية من استقبال السفراء به وكذلك نظر المظالم^{٧٤}. ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما طوى التسيان مراسم الإيوان

والجلوس به، واقتصرت وظيفة الإيوان على استقبال السفراء ويبدو أن ذلك جاء لمهابته المعمارية التي تناسب دولة عظمى، ويذكر ابن تغرى بردى أن هذا ألغى أيضا بواسطة السلطان جقمق، الذي قضى على أشكال المراسم والمواكب^{٧٦}. ومع ذلك حاول الظاهر خشقدم إعادة بعض المراسم السلطانية، وجاءت أبرز محاولات إعادة الحياة للإيوان في عهد السلطان الأشرف قايتباي وذلك بمناسبة احتفال كبير أقيم بمناسبة أسر شاه سوار على يد الأمير يشبك، وكان شاه سوار أمير دلفاخر التركمانى قد خرج على الدولة المملوكية بمساعدة العثمانيين، وألحق أضرارا بالغة بالدولة، ولما كان لهذا الانتصار وزنه، أقيم احتفال به في الإيوان الناصري، الذي كان إلى قبل ذلك ترمى به مخلفات القلعة فجده قايتباي، وأقيم فيه احتفال يذكرنا برسوم الإيوان على عهد الناصر محمد^{٧٧}. ولم تذكر حوادث وقعت بالإيوان بعد ذلك إلا في عهد السلطان قنصوة أبى سعيد الذي تناول طعام إفتار رمضان في الإيوان واعتبر ذلك حدثا خاصا^{٧٨}.

مثل الإيوان الناصري رمز القوة السلطنة المملوكية، عكس هذه المراسم التي تعقد به سواء الاحتفال بتولى سلاطين جدد، أو الاحتفال بالانتصارات الحربية، أو استقبال سفراء الدول الأخرى أو استعراض الجند أو النظر في المظالم.

يذكر كازانوفا قصة نقلها عن ميه القنصل الفرنسي في مصر في الفترة من ١٦٩٢/ ١٧٠٨م. مفادها أن السلطان سليم جلس في الإيوان ومعه جنده، فرأى عظمته وأبهته التي لا يوجد مثيل لها في إستانبول، فأمر ولاية مصر ألا يجلسوا فيه حتى لا يخالطهم وهم الاستقلال عن الدولة العثمانية^{٧٩}. والحقيقة أنه بدخول سليم الأول مصر كانت وظائف الإيوان تقلصت إلى حد كبير، وانتقلت إلى الحوش السلطاني الذي لعب دورا سياسيا محوريا في العصر الجركسي. وهذا لا يعني أن قصة ميه القنصل الفرنسي لا وجه لها من الصحة، ولكن ربما يكون سليم الأول منع الولاة من تجديد الإيوان أو استخدامه، والذي كان في حالة معمارية سيئة، ويحتاج إلى صيانة. وخوف سليم ضروري بخاصة مع المقاومة التي شهدتها من طومان باي

ومماليكه. ولم تمض سنوات قليلة حتى سجل لنا ابن إياس سقوط قبة الإيوان سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م، وعدها فألا بزوال خاير بك أول ولاية سليم الأول على مصر، والذي كان مثلقبا بملك الأمراء، ويصفها بأنها لم تعمر في مصر أكبر منها، وكانت من نواذر الزمان^{٨٠}. ظلت بقايا الإيوان قائمة إلى عام ١٨٢٥م. حين شرع محمد على في بناء مسجده، حيث ردمت أجزاء كبيرة من بقايا القلعة في النطاق الجنوبي، وكشف في عام ١٩٨٨م عن بقايا للإيوان في المنطقة المحصورة بين متحف الشرطة حاليا الذي يعطو برج الظاهر ببيرس، والقاعة الأشرقية. ولكن ردم جزء كبير منها لمبررات واهية. وجرت محاولات لاستكمال هذا الكشف، ولكن خطة حركة السياحة ومتحف الشرطة حالا دون ذلك.

القصر الأبلق^{٨١}

كان بالقصر الأبلق العرش المملوكي الذي يجلس به السلطان بصفة مستمرة عدا يومى الإيوان الناصري، ومن هنا اكتسب هذا القصر أهميته السياسية، وكانت واجهته تشكل مع الجامع الناصري، والإيوان أبرز معالم الرحبة بالقلعة، والناظر إلى هذه المعالم الثلاث يستطيع أن يتبين أبرز معالم القلعة كمقر للحكم في عصر الناصر محمد وخلفائه. وواجهة هذا القصر مكانها اليوم الصحن الذي يتقدم جامع محمد على وامتداده من المسجد.

شيد الناصر محمد هذا القصر متأثرا بالقصر الأبلق بدمشق الذي شيده الظاهر ببيرس عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦ - ١٢٦٧^{٨٢}. والذي أقام الناصر فيه حين جرد جيوشه لرد غزوة للمغول، وذلك في سنة ٧١٣هـ / ١٣١٢ - ١٣١٣م، وعند وصول الناصر لدمشق انسحب المغول وأقام الناصر شهرا في دمشق، ثم ذهب ليحج وعاد بعدها ليأمر ببناء القصر الأبلق بالقلعة، وذلك سنة ٧١٣هـ / ١٣١٢م. وكان القصر الأبلق بالقلعة يزيد عن قصر دمشق بشاذروان^{٨٣}. بأحد إيوانات القصر، والذي أقيم على جدار سميك سمكه ثلاثة أذرع ويتناسب هذا السمك مع الحاجة إلى وضع أنابيب المياه التي تغذى الشاذروان. وهذا يعني أن هناك اختلافا بين القصرين.



الإيوان الناصري - حفائر

قدم لنا ابن فضل الله العمرى وصفا دقيقا لهذا القصر اعتمد عليه بقية المؤرخين ونقلوا عنه، يقول " ويمشى من باب القصر فى دهاليز إلى قصر عظيم البناء شاهق فى الهواء بإيوانين أعظمهما الشمالى الغربى يطل منه على الإسطبلات السلطانية، ويمتد النظر منه إلى سوق الخيل والقاهرة وحواضرها إلى بحر النيل وما يليها من بلاد الجيزة وقراها. وفى الإيوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلى الإيوان الكبير أيام المواكب. ويدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لأرض هذا القصر الكبير واثنان مرفوعان يصعد إلىهما بدرج فى جميعها شبابيك حديد تخترق إلى مثل منظر القصر"^{٨٢}.

هكذا حدد لنا العمرى طبيعة عمارة القصر الأبلق وحدده بقاعتين مرفوعتين عن أرض الإسطبل السلطاني، وهما كذلك فعلا، فقد كان الناصر محمد أول وآخر سلاطين المماليك الذى فكر فى توسعة النطاق السلطاني من القلعة، لكى يستوعب طموحاته المعمارية التى كانت تعكس ما وصلت إليه القلعة كمقر لحكم الدولة المملوكية، فقام برفع أرضية الإسطبل السلطاني. بأقبية أقام فوقها القصر الأبلق. وكذلك القصور الجوانية. وإقامة القاعات فوق الأقبية أمر شاع فى العصر المملوكى البحرى، وما زال باقيا لدينا عدد من القاعات الكبيرة مثل قاعات قصور الأمير يشبك وقوصون وألين أق وطان، وكلها قصور حول القلعة تعود إلى العصر المملوكى البحرى حملت قاعاتها على قاعات سفلية، هذا يعنى أن هذا الأسلوب المعماري اتبع فى ذلك العصر بالقاهرة، وأن الناصر حينما شيد القصر الأبلق أراد أن يرتفع فوق هذه القصور ليكشف كل ما يدور فى المدينة من أحداث من خلال نوافذ قصره. ويرجح ناصر الرباط أن جامع محمد على بنى فوق القبوات السفلية للقصر الأبلق"^{٨٣}. وهو رأى صائب إذ ثبتت صحته بفحص الموقع أسفل المسجد.

وحدد لنا العمرى أيضا وظيفة القصر الأبلق، إذ يذكر عن هذه الوظيفة ما يلي: "أما بقية الأيام - وهى عدا الاثنين والخميس اللذين يجلس فيهما السلطان فى الإيوان

- فإنه - أى السلطان - يخرج من قصوره الجوانية إلى قصره الكبير البرانى - الأبلق - وهو شبابيك مطلة على إسطبلاته وفى صدره تخت الملك المختص فيقعد تارة على وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف على ما تقدم، خلا أمراء المشورة والقرباء منه فإنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس، ولا يحضر هذا المجلس من الكبار إلا من دعت الحاجة إلى حضوره، ثم يقوم فى الثالثة من النهار يدخل إلى قصوره الجوانية ثم إلى دار حريمه، ثم يخرج فى أخريات النهار إلى قصوره الجوانية لمصالح ملكه، ويعبر عليه إليها خاصته من أرباب الوظائف فى الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه"^{٨٤}.

وبعد سقوط الدولة المملوكية استخدم القصر الأبلق كسجن لكبار الشخصيات العثمانية فى مصر، وكان يحتجز به الولاة بعد عزلهم لحين تسوية حساباتهم، على نحو ما حدث حين حبس حسين باشا الدالى فى سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م^{٨٥}. وكذلك غازى باشا بن شاه سوار فى سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م^{٨٦}. وعلى باشا الأميرلى فى حوادث سنة ١١١٩هـ / ١٧٠٧م^{٨٧}. وولى باشا سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م^{٨٨}.

وعرف القصر الأبلق بقصر يوسف أو كشك^{٨٩} يوسف فى المصادر العثمانية، ثم استخدمت أجزاء منه فى مرحلة لاحقة كدار لصناعة كسوة الكعبة^{٩٠}.

صاحب إنشاء القصر الأبلق إنشاء الناصر محمد عدداً من المنشآت الموازية له، منها دور الحريم التى هدمها الناصر وأعاد بناءها مرة أخرى، وربط هذه الدور بالإسطبلات بسلم ينزل منه إلى الإسطبل والميدان^{٩١}.

كما عمر الناصر القاعات السبع وهذه القاعات تشرف على الميدان وباب القرافة، أسكنها سراريه^{٩٢}، ويعتقد كازانوف أن اسم هذه القاعات لا يزال باقيا ولكن بصورة أخرى مشابهة له إلى حد كبير وهو الحدرات السبع^{٩٣}.

قاعة الأعمدة

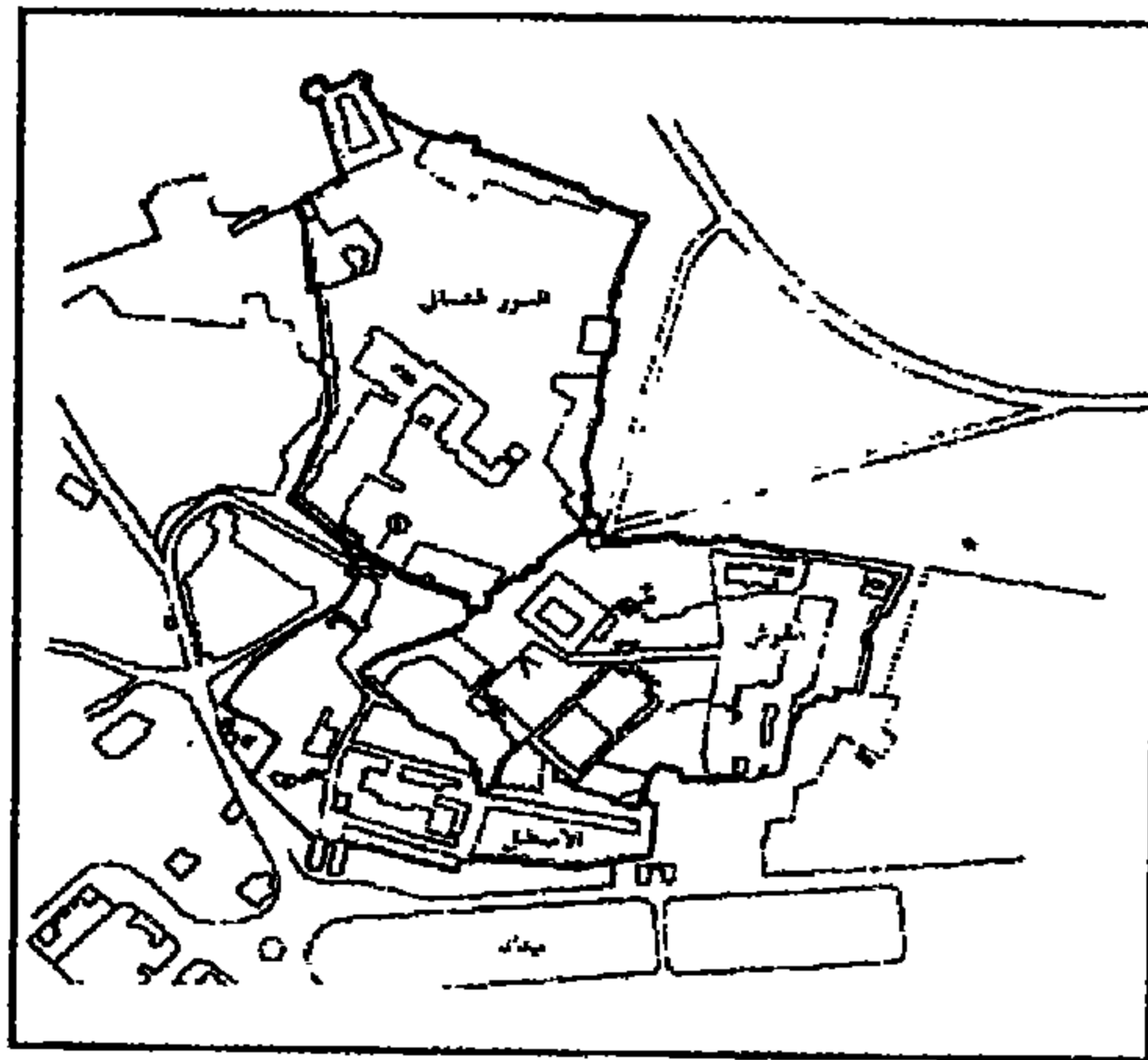
يرد ذكر قاعة العواميد فى العديد من المصادر التاريخية، وكان أبرز حدث وقع بها فى بداية العصر المملوكى هو قتل الفارس أقطاي^{٩٤}، وهذه القاعة شيدتها شجر الدر لتكون

كان يشرف على الآنر الشريفة طواشى بدرجة أمير طبليخانة يعرف باسم "زمام" الآنر الشريفة، وتحت يده عدة خدام وعمال من الطواشية بلغ عددهم فى وقت ما نحو ٦٠٠ طواشى لكل منهم عمل خاص^{١٦}.

الحوش السلطاني

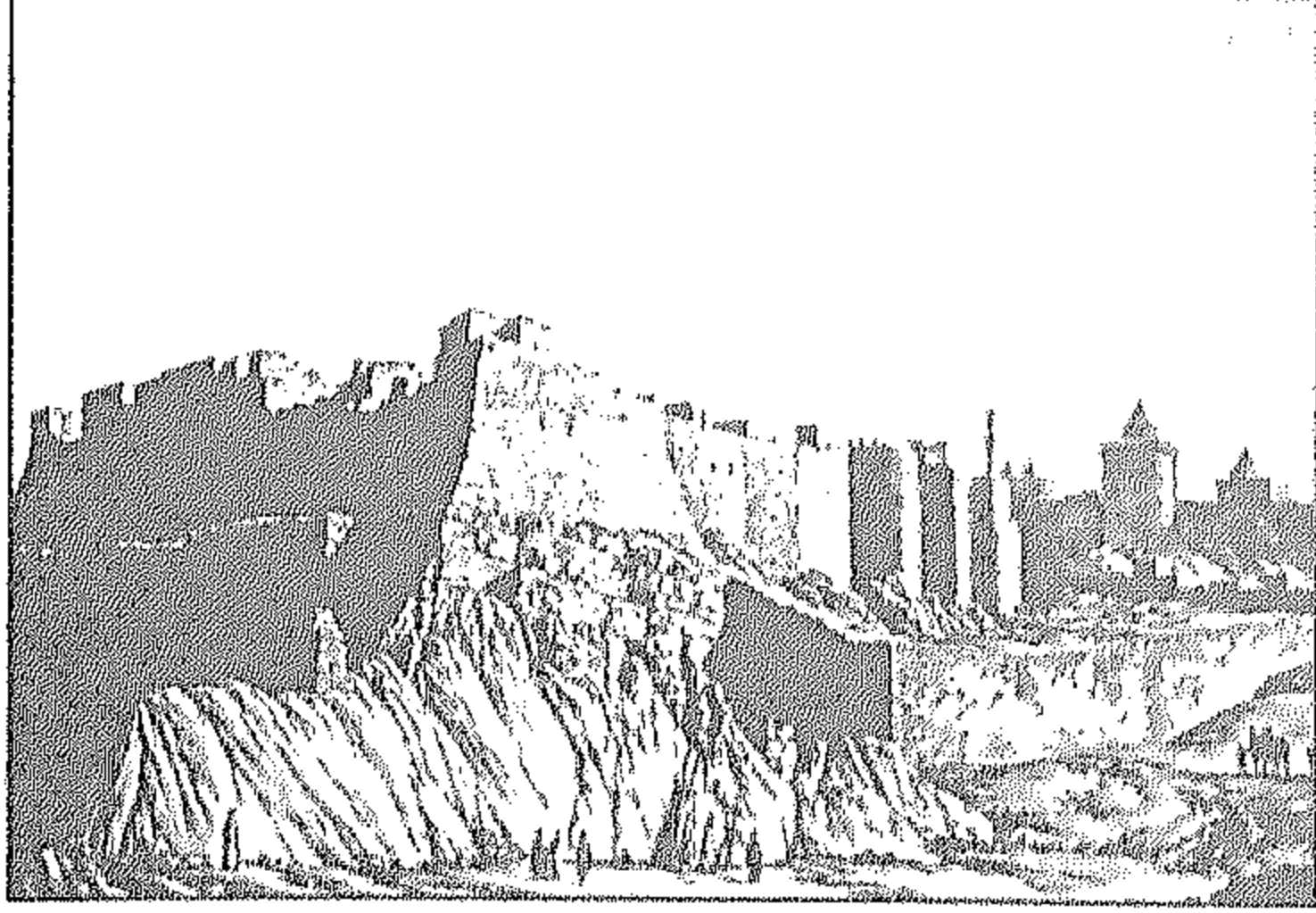
يشير إنشاء هذا الحوش الذى يمثل امتدادا للنطاق الجنوبى من القلعة العديد من التساؤلات لعل أولها هو موضع باب الجبل قبل إنشاءه، وهو أحد الأبواب الرئيسية للقلعة، والراجع أن هذا الباب كان يقع بين المسجد الجامع والآنر الشريفة السلطانية المخصصة للحريم. خلف بئر يوسف، وكان يطل على القرافة مباشرة، ولكن بعد توسعة جامع الناصر ودور الحريم، وقيام الناصر محمد بإنشاء الحوش السلطاني تحول موضع الباب إلى مكانه الحالي، الذى يعتبر اليوم المدخل الرئيسى للقلعة من طريق صلاح سالم. وهذا كله على وجه التقريب، إذ لا توجد أدلة تحدد الباب القديم بالضبط، ولكنه على أغلب الظن كان حيث حاولنا تحديده.

أراد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م، إنشاء حوش للخراف بلغ عددها ٨ آلاف رأس على حد قول ابن تغرى بردى^{١٧} فوقع اختياره على غور يقع بجوار دور الحريم، استخدمت أحجاره فى



الحوش السلطاني - منشآت

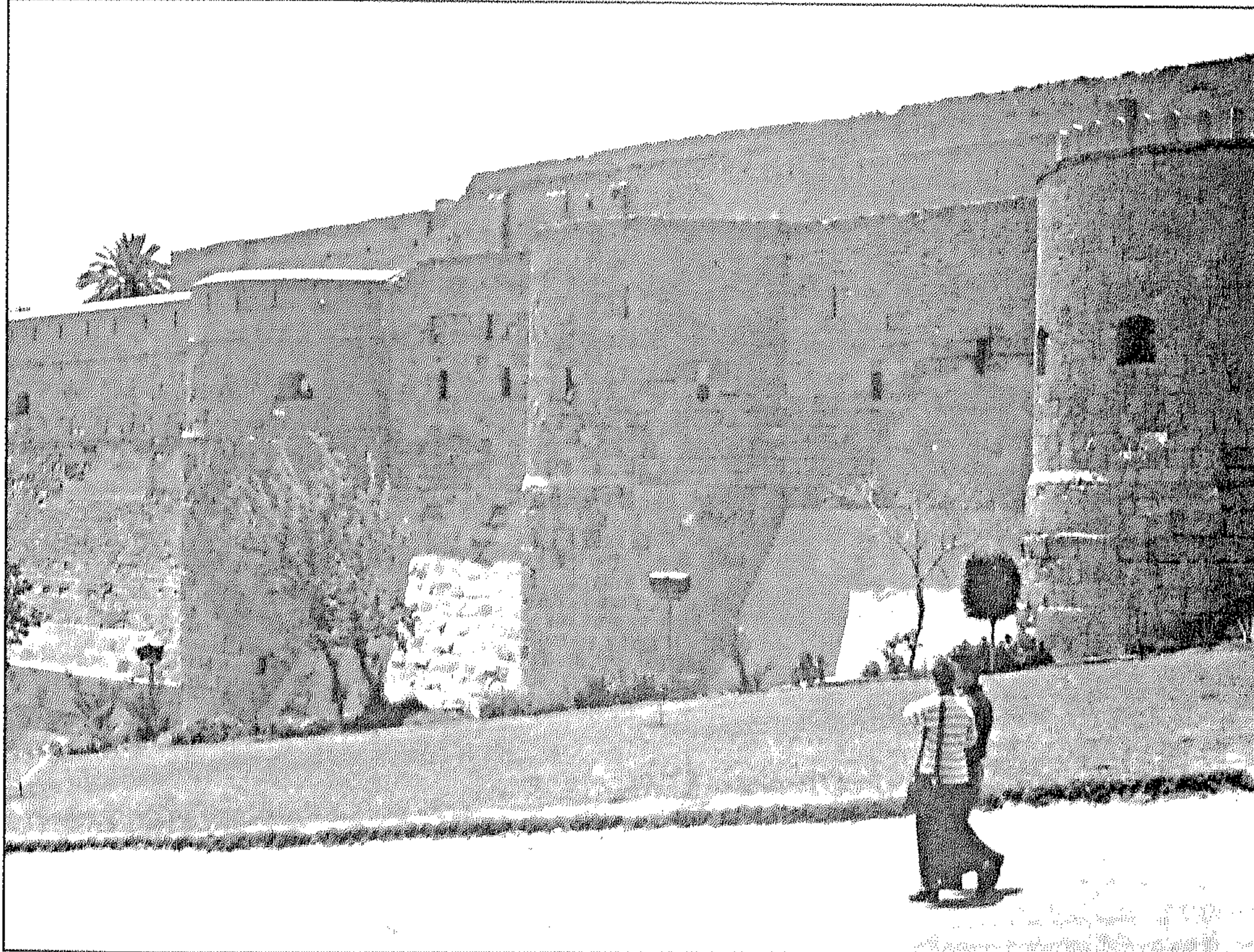
مقرا لها كملكة على مصر، وكان بها مرتبة أو كرسى عرش تجلس عليه، ومنذ ذلك الحين صارت هذه القاعة جزءا من الآنر الشريفة، الخاصة بالحريم السلطاني، احتوت هذه الآنر على عدد من القاعات تحيط بها البساتين والأشجار ومختلف الطيور والحيوانات الجميلة^{١٨} كانت هذه القاعات مخصصة للحريم وتعرف باسم القياح وهى جانب من الآنر الشريفة^{١٩}. وخصصت لكل واحدة من زوجات السلطان الأربع قاعة خاصة بها، فقاعة العواميد تقيم بها خوند الكبرى ولها المكانة المفضلة، ومن جملة أثاثها أوان من ذهب وفضة وتخوت مفضضة من بينها تخت مرصع بالذهب، ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضيء بالليل^{٢٠}، وقاعة رمضان بها خوند الثانية، والقاعة المظفرية بها خوند الثالثة، وأخيرا تقيم خوند الرابعة بالقاعة المعقدة، هذا عدا قاعات أخرى برسم السراري والجواري^{٢١}. شهدت قاعة العواميد فى عهد الظاهر بيبرس إقامة الخليفة العباسى بها، وعقدت بها اجتماعات لمبايعة الخليفة^{٢٢}، وكان الناصر قد أعاد بناء الآنر الشريفة بما فيها قاعة العواميد، على الوضع السابق وصفه، وظلت قاعة العواميد هى مقر خوند الكبرى فى ترتيبات الناصر، شهدت هذه القاعة حادثا دمويا حين قتل الناصر فرج زوجته بها^{٢٣}. كما شهدت العديد من المناسبات السارة خاصة زواج السلاطين^{٢٤}، كنا استقبلت بها زوجة السلطان جقمق عند عودتها من الحج فى احتفال رسمي^{٢٥}. كما اكتسبت هذه القاعة رونقا خاصا فى عهد الغورى الذى كان مغرما بالاحتفالات الرسمية^{٢٦}. وآخر احتفال جركسى شهدته القاعة كان جلوس زوجة السلطان طومان باي، فيذكر ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م (أنه فى الأحد رابع عشر من شوال طلعت خوند زوجة السلطان... فطلعت وقت صلاة الصبح على القوائيس والمشاعل، ومعها الجم الفقير من الخوندات والستات وأعيان نساء الأمراء والمباشرين، فاستمرت فى موكبها حتى طلعت إلى القلعة، وبخلت إلى قاعة العواميد، فحمل الأمير بشير الطواشى رأس نوبة السقا على رأسها القبة والطيح حتى جلست على مرتبتها، وكان لها يوم مشهود بالقلعة)^{٢٧}.



أبراج الناصر محمد بالحوش السلطاني - وصف مصر

تعود أهمية هذا الحوش بالنسبة للسلطان إلى الأسمطة التي تمتد خمس مرات يوميا في القلعة، فضلا عن حاجته إلى إطعام مماليكه سواء السلطانية أو التي تسكن في النطاق الشمالي. وهي تسمى الجراية، فضلا عما يذبح

ببناء العديد من قاعات القلعة، وبلغت مساحة هذا الحوش أربعة أفدنة. أشرف على ردم هذا الغور الأمير عبد الواحد أقبغا، وعمل فيه الأسرى والجنود، كما سخرت العامة للعمل فيه، إلى أن خلصهم الأمير الطنبغا المارداني بواسطة لدى السلطان الناصر محمد من هذه السخرة. وانتهى العمل في هذا الحوش في ٣٦ يوما، ويذكر ابن تغرى بردى أنه كان به أبقار بلق وأغنام وبيوت للأوز وأجريت إليه المياه. وبعد الفراغ من هذا أقام السلطان سماءا بهذه المناسبة، وخلع على بعض من أشرفوا على العمل بالحوش^{١٨}. ولا يذكر المؤرخون إن كان الحوش قد أحيط بسور أو لم يحط بسور، غير أن الغالب على الظن أنه أحيط بسور. تم تجديده على مراحل كان آخرها في عصر محمد علي وخلفائه، وقد تبقت ثلاثة أبراج مستديرة من هذا السور تعود إلى عصر الناصر محمد.



أبراج الناصر محمد - تجديدات محمد علي

من الحيوانات في الأعياد والمناسبات^{١١٦}، وحاجة السلطان إلى توفير اللحوم للقلعة في حالة حصارها، فالهدف من تشييد الحوش هدف إستراتيجي يرتبط بالرسوم السلطانية، وبحاجة السلطان إلى توفير الطعام لجنده^{١١٧}. وبعد عصر الناصر أهملت الحيوانات بالحوش.

أول من فكر في استغلال الحوش السلطاني كان الصالح إسماعيل حيث شيد به الدهيشة لكي ينافس بها دهيشة^{١١٨} الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة. وكان ذلك سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٤٥م وحول جزء من الحوش إلى بستان به نافورة وشانروان^{١١٩}. وكانت على الجانب الشمالي من الحوش، ملاصقة للدور السلطانية، وبذلك يمكن تحديد موقعها بين مسجد محمد على حالياً إلى قصر الجوهرة وربما كان جانب منها جزءاً من القصر.

وهي مذكورة في وصف مصر تحت اسم (جامع الدهيشة)، ويبدو أن الصالح إسماعيل استخدمها كقاعة خاصة، وكان بيت في أمور السلطنة بها. لكثرة جلوسه فيها فقد فرشها بالبسط والمقاعد الزركش^{١٢٠}. ويذكر ابن تغري بردي أنها في أيامه صارت مجازاً لأوباش الرعية لمن له حاجة عند السلطان من التركمان والأعراب والأوغاد والأتباع^{١٢١}، وكان خلفاء الصالح إسماعيل قد استخدموها كقاعة خاصة، وزوج بها السلطان جقمق ابنته للأمير أربك^{١٢٢}. واتخذت الدهيشة نقطة البداية لمواكب التولية للسلطين الجدد^{١٢٣}، وتوالى بعد الدهيشة المنشآت في الحوش السلطاني.

البيسرية

كانت هذه القاعة ملحقة بالحريم، شيدها السلطان حسن في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٣م. ولا شك أن عمارتها كانت تعكس ضخامة العمارة في ذلك العصر وثراءها، وهذا نراه في مدرسة السلطان حسن، يقول المقرئزي "فجاءت من الحسن في غاية لم ير مثلاً - يقصد البيسرية - وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط ما لا تدخل قيمته تحت حصر، فمن ذلك تسعة وأربعون ثرياً برسم وقود القناديل ... وجاء ارتفاع هذه القاعة طولا في السماء

ثمانية وثمانين ذراعاً، وعمل السلطان فيها برجاً يبيت فيه من الحاج والأبنوس مطعماً، وأكتافاً وباباً يدخل منه إلى أرض كذلك وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر إليه بشبابيك ذهب خالص وطرازات ذهب مصوغ وقبة مصوغة من ذهب وبصدر إيوان هذه القاعة شبك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنينة بديعة الشكل^{١٢٤}.

وهذه القاعة من الواضح أنها تتكون من دور قاعة يعلوها قبة، وإيوانان، وأحد الإيوانين، وهو أكبرهما كان يستخدم في جلسات السلطان، لذا جعل فيه شبكا من حديد لكي يشاهد منه الحديقة المجاورة للإيوان. ويبدو أنه كان بالقاعة أشربة مذهب ومناطق انتقال القبة من مقرنصات مذهبية. استخدمت هذه القاعة في طهارة ابن السلطان قايتباي حيث ركب من قاعة البحرة إلى باب الستارة الذي يفصل بين دور الحريم والحوش، حيث نزل ودخل إلى قاعة البيسرية، وهذا الاحتفال الرسمي حضره الأمير جم العثماني الذي هرب إلى مصر، وكان يرى أنه أحق بالعرش العثماني^{١٢٥}.

اهتم السلطان الغوري بهذه القاعة فجدها، ونقل إليها رخام قاعة ناظر الخاص يوسف والتي كانت تسمى نصف الدنيا^{١٢٦} واستخدمها مرات عديدة.

قاعة البحرة^{١٢٧}

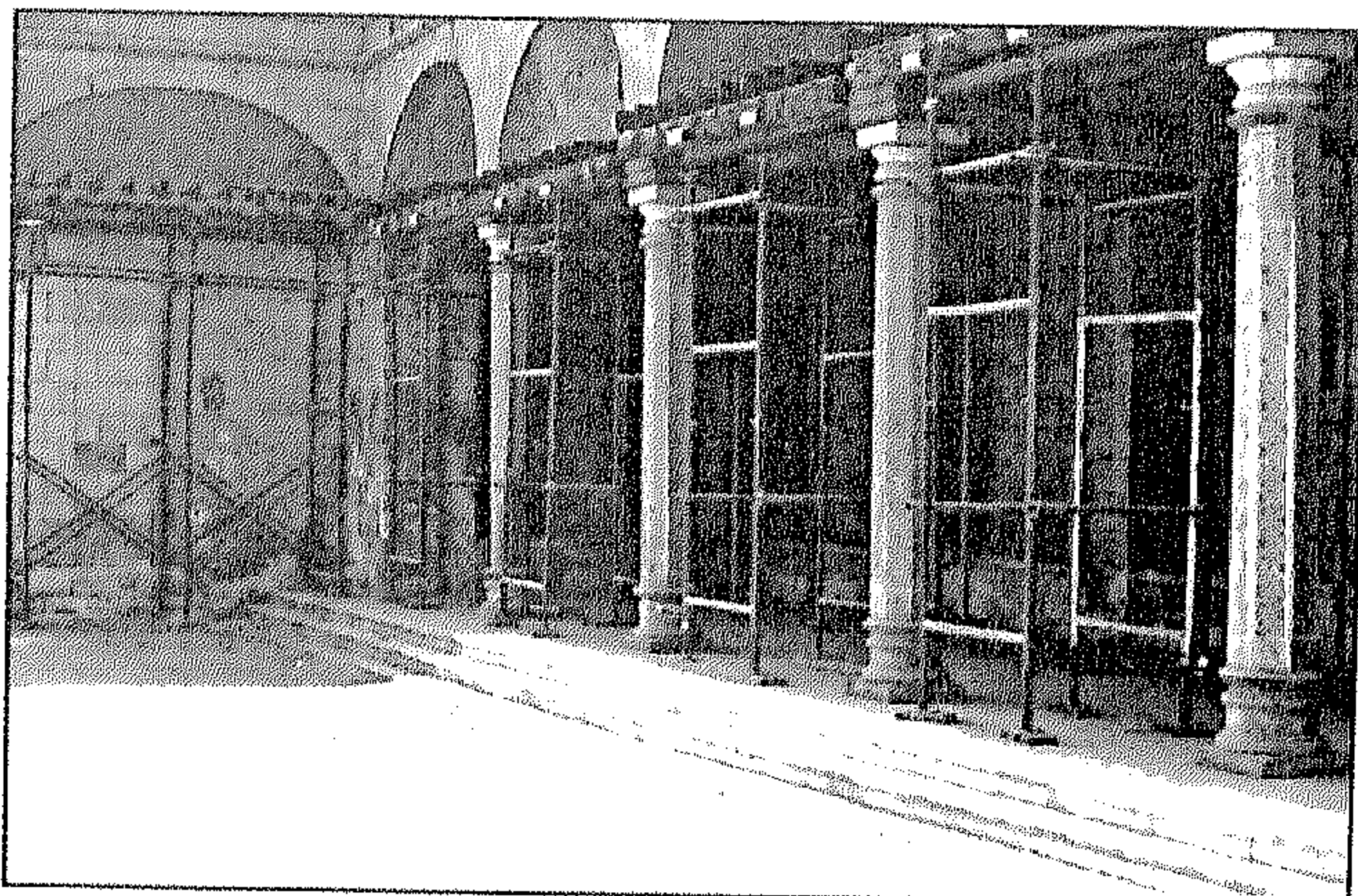
ليس لدينا وصف دقيق لقاعة البحرة اليوم، ولكن من المرجح أنها كانت تقع بين ديوان الكتخدا وقصر الجوهرة، وتشير المصادر التاريخية إلى أن السلطان المؤيد شيخ جدد قبته، وبعد ذلك أنشأ السلطان جنبلات سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠م^{١٢٨} قاعة ذات قبة عرفت بالأشرفية بين الدهيشة والبحرة، وكان إلى جوار البحرة حمام، ومنطقة خدمات تضم الطشتخاناه وحجرة لخزن الخيم السلطانية في عهد السلطان قايتباي ٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٧٢ - ١٤٩٦م. وقد تعرضت هذه الخيم لحريق قيل إنه جاء من مطبخ الخليفة^{١٢٩}، ونستشف من هذه الحادثة أن الخليفة كان مقيماً في الحوش في عصر

وظيفة الحوش

كان لقيام دولة المماليك الجراكسة أثر في تغيير مراسم الدولة التي ارتبطت بأسرة قلاوون التي حكمت معظم العصر المملوكي البحري، وارتبطت بمراسم الدولة البحرية منشأتين هما إيوان العدل الناصري والقصر الأبلق.

أدى تزايد المنشآت في الحوش منذ العصر البحري وحتى العصر الجركسي، إلى ازدياد أهمية الحوش. وانتقال العديد من المراسم إليه. وهو ما أدى بالتبعية إلى تحوله مقرًا لولاية مصر في العصر العثماني، ومن هذه المراسم استقبال السفراء^{١٣٢}. واستعراض المهزومين فيما يدخل تحت الاحتفال بالانتصارات العسكرية. فقد استقبل الأشرف برسباي رسول شاه رخ الذي حضر إلى مصر طالبًا من الأشرف برسباي ٨٢٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٨ م إعلان خضوعه للدولة التيمورية^{١٣٣}. وبالرغم من تجديدات الأشرف قايتباي للإيوان الناصري والقصر الأبلق^{١٣٤}. فإن استقباله للسفراء واستعراضه للجند، كان عند قاعة البحرة بالحوش التي أضاف لها مقعدا^{١٣٥}. ويبدو أن الحوش كان المحور الرئيسي لإدارة السلطنة في عهده. وكانت مواكب النصر مظهرًا آخر من المظاهر الدالة على أهمية الحوش السياسية، وتحول إدارة السلطنة إليه، من ذلك الاحتفال الذي صاحب الانتصار على ملك قبرص وضمها لسلطنة المماليك، وكان برسباي قد استقبل ملكها جانوس مكبلا بالحديد في الحوش، وحضر هذا الاحتفال سفراء عثمانيون، وبعض أمراء التركمان وشریف مكة وسلطان تونس الحفصی. وقنصل البندقية وتجار أوروبيون. وكان هذا الحدث فريدا إذ لم تشهد القلعة مثله في عهد الجراكسة سوى مرات قليلة. وقبل جانوس ملك قبرص الأرض للسلطان برسباي وتشفع فيه الأوروبيون^{١٣٦}.

وفي عهد السلطان قايتباي شهد الحوش السلطاني حادثًا مماثلاً، حين انتصرت دولة المماليك على شاه سوار حيث جلس السلطان على الدكة تحت المقعد السلطاني، ووقف الأمراء في مراتبهم، وأحضر شاه



مقعد قايتباي - الأعمدة

السلطان قايتباي، في بيت يبدو أنه بني خصيصا لإقامة الخلفاء^{١٣٧}. وجدد السلطان قايتباي قاعة البحرة وأضاف لها مقعدا أو غرضا خاصة وحجرات للمخازن^{١٣٨}. وما زالت بقايا الأعمدة التي تحمل عقود المقعد باقية بالحوش بالطابق الأول من قصر الجوهرة. وهي تحمل رنك السلطان قايتباي ومن المرجح أن يكون موضعها اليوم هو موضعها الأصلي.

مقعد الغوري

يعد مقعد الغوري آخر المنشآت السلطانية بالحوش، وكان الانتهاء من عمارته في عام ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م. وحدد ابن إياس موقعه (بأنه خلف جنينة البحرة المطلة على الحوش السلطاني) وحدد أبعاده بأنها ٦٠ ذراعا طولا و ٢٠ ذراعا عرضا، وجعل له السلطان شبابيك على جنينة البحرة والحوش^{١٣٩} وهو مقعد قبضي^{١٤٠}. كانت جوانبه مؤزرة بالرخام. وكان السلطان الغوري افتتحه في أول ليلة من رمضان حيث أفطر فيه مع أمراء دولته^{١٤١}. وهذا المقعد عرف فيما بعد في العصر العثماني بديوان الغوري، حيث كان له دور بارز في الحياة السياسية في ذلك العصر كمقر للديوان العالي^{١٤٢}. ورسم ديوان الغوري قرة محمد باشا سنة ١١١١ - ١١١٦ هـ / ١٦٠٢ - ١٦٠٧ م^{١٤٣}.

سوار وقبل الأرض للسلطان. هذه الحادثة تدل على استقرار مراسم السلطنة في الحوش، وأنه قد أصبح لها ترتيب، ودكة السلطان تذكرنا بتلك التي كانت إلى جوار منبر العرش بالإيوان الناصري ومثيلتها في القصر الأبلق.

تبادل الحوش في العصر الجركسي مع الإسطبلات وظيفة دار العدل، وترى دوريس أبو سيف أن هذا التبادل موسمي خلال العام، وارتبط ذلك بالموكب السلطاني الذي كان يحدث أسبوعياً في القلعة، فقد كان الموكب يقام في الحوش أسبوعياً في أيام الخميس والاثنين، وكان يعقد في الإسطبلات في أواخر الشتاء وأوائل الربيع في أيام السبت والاثنين^{١٣٥}. وكان السلطان يرقوق أول من عقد جلسات القضاء في الإسطبلات، ثم تم التخلي عن عقد الجلسات في الإسطبل حتى عهد السلطان خشقدم الذي جدد هذه العادة^{١٣٦}.

وكان السلطان الغوري يجرى الموكب السلطاني يومي الاثنين والخميس بالحوش السلطاني، ويومي السبت والثلاثاء بالميدان^{١٣٧}. وهذا يدل على انتقال بعض الوظائف للميدان الذي بدأت أهميته تتزايد منذ عصر الكامل الأيوبي والظاهر بيبرس، وتترسخ في عصر الناصر محمد، وتتضاءل في العصر العثماني.

ومن اللافت للنظر أنه في عهد السلطان أيتال ٨٥٧-٨٦٥ هـ / ١٤٥٣-١٤٦١ م. تزايدت أهمية الحوش ونقلت إليه كل وظائف القصر الأبلق والإيوان. وسبب هذا النقل النهائي لبقية الوظائف على بساطتها يعود إلى الاضطرابات بين السلطان أيتال ومماليكه^{١٣٨}. ويقر أمرا واقعا بالفعل وهو انتقال معظم آليات الحكم إلى منشآت الحوش.

وشهد الحوش في عهد السلطان خشقدم عودة إلى الرسوم الملكية البحرية حيث كان يجلس على الدكة في الحوش، ليستعرض الجند، ويشهد الاحتفالات، ولكنه في أواخر حياته اشتد عليه المرض، وأدار السلطنة من فراش مرضه بقاعة البيسرية، وكانت الخدمة السلطانية بالقاعة آنذاك قاتمة الظلال^{١٣٩}. حيث لم يصاحبها ذلك

الوهج الذي كان يصاحب الاحتفالات السلطانية. وفي عهد السلطان قايتباي وعلى الرغم من تجديده للإيوان الناصري وللقصر الأبلق، فقد ظل الحوش هو المقر الرسمي لمراسم السلطنة، حيث تجرى استعراضات الجند وتوزيع جامكياتهم، وفي الصيف كان السلطان ينام على الدكة السلطانية في الهواء الطلق، حيث بنى سورا أمامها ليحميه من الفضوليين، بخاصة بعد أن حاول أحد المماليك قتله أثناء نومه^{١٤٠}. وقام السلطان قنصوة أبو سعيد الذي كان مغرماً بالرسوم السلطانية وما يصاحبها من أبهة الملك، بزخرفة الدكة فزينها بنسيج حريري مطرز ومقصب بخيوط ذهبية^{١٤١}. وفي عهد السلطان الغوري بنيت مصطبة بدلا من الدكة، وشهد الحوش حوادث سياسية عديدة ارتبطت برسوم البلاط، منها استقبال سفراء من الحبشة^{١٤٢}. حيث إن سفارات الحبشة كانت نادرة في العصر الجركسي، وتوجد لوحة رسمها جنتيلي باليني تمثل استقبال الغوري للبناقة في القلعة، ويرى فيها السلطان جالسا على المصطبة التي بناها في الحوش^{١٤٣}. وقام السلطان بهدم مصطبة الغوري وأعاد الجلوس على الدكة بالحوش السلطاني مرة أخرى، وكانت الدكة قد تكسرت فأصلحها، وجعل لها غشاء - غطاء - من الجوخ الأصفر، وجلس عليها طومان باي للمحاكمات كما كان يجلس قايتباي، وقال ابن إياس في ذلك شعرا يعكس نظرتة لعصور هؤلاء السلاطين (قايتباي، الغوري، طومان باي) حيث يقول:

قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم
وصار طومان باي بين الوري يمشى الشاة مع الضخم
فيا له من ملك عدلقتة قد شاع بين العرب والعجم^{١٤٤}

الحوش في العصر العثماني

كان لانتقال السلطة في مصر إلى العثمانيين أثر سلبي على القلعة، ومن أبرز هذه السلبيات نزع رخام القلعة، وتخريب سائر أماكنها^{١٤٥}. بل إن السلطان سليم وجنوده في رأى

ابن إياس لم يكن لديهم مراعاة للمراسم السلطانية، ونتج عن ذلك أنه عند صعود السلطان سليم للقلعة احتجب عن الناس ولم يجلس للنظر في المظالم بالحوش^{١٦}.

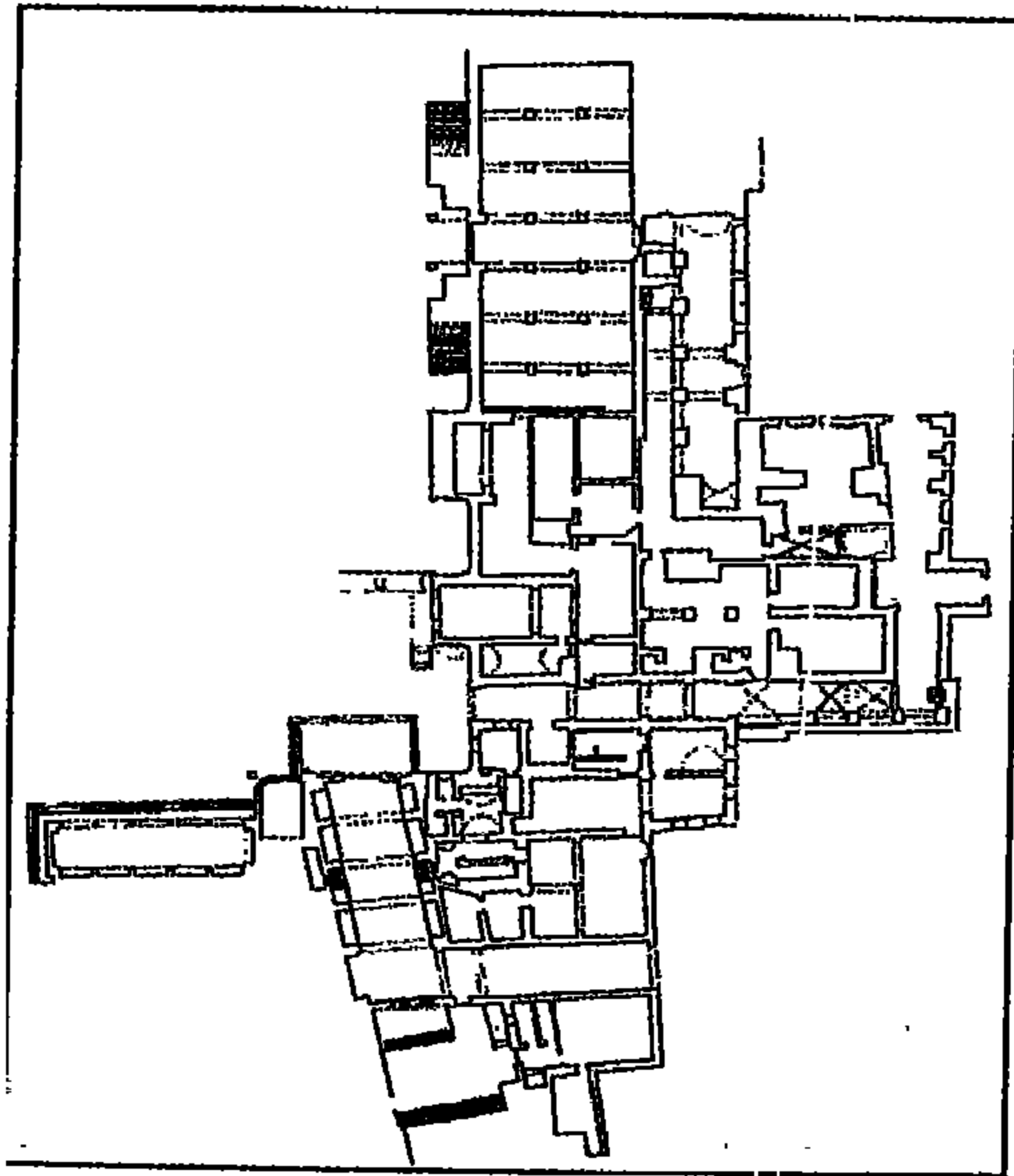
بعد أن تولى خاير بك ولاية مصر ظل يدير أمر الولاية من الحوش السلطاني^{١٧}. وتحول اسم الحوش إلى الديوان نسبة إلى الديوان الذي نظم أمره للنظر في أحوال مصر. كان الديوان يعقد أربعة أيام في الأسبوع^{١٨}. ويعرف بالديوان الكبير، وكان يعقد في مقعد الغوري، واكتسب بناءً على ذلك المقعد اسم ديوان الغوري. هذا الديوان كان يبحث في الشئون العامة للبلاد، والأوامر التي يلقاها الياشا من السلطنة^{١٩}. كما كان يعقد ديوان يومي في مقعد قايتباي الملحق بقاعة البحرة، ويعرف هذا الديوان بالديوان الصغير، ويقوم هذا الديوان بتسيير الشئون اليومية^{٢٠}. ومن هنا اكتسب مقعد قايتباي اسماً جديداً، هو ديوان قايتباي، ويبدو أن هذا الديوان كان يعقد أيضاً في قاعة البحرة الواقعة خلف المقعد.

وكان يربط بين الديوانين سلم^{٢١}. وهذا يدل على مدى العلاقة بينهما، وهي العلاقة التي يماثلها في العصر المملوكي البحري العلاقة بين الإيوان الناصري الذي يقابله هنا ديوان الغوري في العصر العثماني والقصر الأبلق الذي يقابله هنا ديوان قايتباي، وهذا يعني أن رسوم القلعة السلطوية في العصر العثماني كان بها تأثير نسبي من العصر المملوكي. ومن المعروف أن السلطان المملوكي كان يتوجه من القصر إلى الإيوان عن طريق باب للسر، يقابله هنا السلم بين مقعد الغوري ومقعد قايتباي من النوع التركي المفتوح^{٢٢} يوجد أسفله حواصل. وارتبط بعدد من المنشآت خلفه وإلى جواره، لعل أبرزها قاعة البحرة التي مورست من خلالها عدة وظائف، وارتبط بهذا كله قاعة الدهيشة والبيسرية، والقاعات السبع وقاعة العواميد، وأدر الحريم وغيرها، وشكل كل هذا في مجمله ما يسمى بسراية الياشا أو بحوش الياشا^{٢٣}. ومن الملاحظ أنه حتى العصر العثماني بدأ مصطلح السراي الذي يعني القصر بالفارسية، يدل على مكان إقامة الحاكم^{٢٤}، حتى صار منذ انتقال مقر الحكم إلى قصر عابدين دالاً على مقر

إقامة الحاكم، وتحول إلى مصطلح له مدلول سياسي أكثر منه معماري في النصف الأول من القرن العشرين. وجاء إطلاق هذا المصطلح في أول الأمر تأثراً بالمصطلحات العثمانية، فمقر إقامة السلاطين بإستانبول، يعرف بطوب قابي سراي. وربما انسحب هذا على مقر إقامة باشاوات مصر.

شهدت سراي الياشا بالحوش السلطاني أو الديوان كما صار يعرف في العصر العثماني إضافات وتجديدات متعددة في العصر العثماني، لعل أبرزها، بناء بيرم باشا ١٠٣٥-١٠٣٨ هـ / ١٦٢٥-١٦٢٨ م. كشكا^{٢٥} عرف بكشك بيرم باشا^{٢٦}، كما شيد إسماعيل باشا الوزير ١١٠٧-١١٠٩ هـ / ١٦٩٥-١٦٩٧ م كشكا مطلاً على عرب اليسار^{٢٧}. وهو الكشك الذي جده محمد علي وصار يعرف بكشك الجوهرة، وهذا الكشك ربما يكون في موقع قاعة البحرة أو يعلوها.

شهد الحوش السلطاني منذ بداية العصر العثماني وحتى نهايته العديد من الاضطرابات السياسية اختلفت أطرافها بين الجنود العثمانيين والمماليك والعامة^{٢٨}. كان من نتيجة الاضطرابات التي سادت في هذا



الحوش السلطاني - العصر العثماني

العصر أن تأثر موقع دار الضرب داخل القلعة. كانت دار الضرب تقع في خط القشاشين بالقاهرة، وهذا الموضع اختير لها في العصر الفاطمي، وظلت تؤدي هذا الدور إلى عصر المقريري، الذي يذكر في خطه (هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر)^{١١٩} - أي القصر الفاطمي - ونقلت هذه الدار بعد عصر المقريري إلى الحوش السلطاني بالقلعة في وقت غير محدد^{١٢٠}. ومن المرجح أن هذا النقل كان لسببين أحدهما هو الاضطرابات التي سادت عصر المماليك الجراكسة، بخاصة من المماليك الجلبان، فمن الممكن أن السلطات المملوكية أرادت بنقلها دار الضرب تأمينها من هذه الاضطرابات التي تؤثر سلباً على حركة النقد والاقتصاد بالمدينة، وثانيهما يرجع إلى اضطراب النقد في العصر الجركسي، وربما أرادت السلطات المملوكية مزيداً من السيطرة على دار الضرب من خلال هذا الإجراء^{١٢١}. وربما كان موقع دار الضرب في ذلك العصر هو موقعها الحالي، حيث إن الحوش كان قد ازدحم بالمباني آنذاك، ولقرب هذا الموقع من باب الجبل، وهو ما يسهل دخول وخروج المتعاملين مع دار الضرب. تأثرت دار الضرب بالتغيرات التي أدخلها العثمانيون على نظام الحكم في مصر، حيث صارت دار الضرب من جملة ما تسيطر عليه طائفة مستحفظان^{١٢٢}. فنقلت إلى النطاق الشمالي من القلعة، ولعل موقعها كان في موقع قصور الحريم الآن بهذا النطاق، ويرجع دخول دار الضرب تحت نفوذ الانكشارية إلى عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م. عندما حضر إبراهيم باشا الصدر الأعظم لإخماد ثورة أحمد باشا الخائن، فأدخل دار الضرب تحت سيطرة هذه الطائفة، وصارت بباب الانكشارية^{١٢٣}. وظلت دار الضرب في النطاق الشمالي إلى عام ١١٢١هـ / ١٧٠٩م. حتى ثار نزاع بين فرقة مستحفظان وبقية فرق البلوكات الست الأخرى وعلى رأسها طائفة عزبان^{١٢٤}. وتعود جذور هذا النزاع إلى عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م. عندما أدى مقتل كجك محمد إلى ازدياد أسعار القمح، وإعادة ما كان قد أبطله من المظالم والحمايات التي كان الانكشارية يستفيدون منها^{١٢٥} فأوغر ذلك صدور بقية فرق العسكر، وأجمعوا

أمرهم في المحرم من عام ١١٢١هـ / ١٧٠٩م. على مطالبة الباشا بنقل دار الضرب إلى السراية وإخراج من له وظيفة في دار الضرب من العسكريين. وعللوا طلبهم هذا بأن ذهب دار الضرب منخفض العيار وفضتها نحاس، وهذا كله بسبب الانكشارية يأمررون القائمين على الدار بشغل الذهب الخارج والفضة الزيوف ويستولون على الفارق لصالحهم^{١٢٦}. وطالبت الأوجاقات^{١٢٧} الست أيضاً بإبطال الحمايات التي يفرضها أوجاق مستحفظان على الحرفيين والتجار، وكان رد الانكشارية هو المطالبة بإبطال مظالم السباهية^{١٢٨}. في الأقاليم مع رفضهم لنقل دار الضرب لما في ذلك من مساس بكرامتهم^{١٢٩}.

ولما رأى الانكشارية المستحفظان إصرار بقية الفرق على نقل دار الضرب من بابهم إلى الديوان، وافقوا على ذلك بشرط أن يكتب الجميع حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منهم ولا تخوفاً عليها فامتنع خصومهم واتفقوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد على كتابة عرض^{١٣٠} ليرسل إلى الباب العالي، وبالطبع رفض الانكشارية التوقيع على العرض. وأرسل إلى إستانبول في ٢٦ محرم سنة ١١٢١هـ، ومن جانبهم اجتمع الانكشارية في بابهم وكتبوا عرضاً من أنفسهم لأرباب الحل والعقد من الانكشارية في إستانبول وسافر به شخصان منهم بعد العرض الأول بيومين. وكان مضمون عرض البلوكات الست أن الانكشارية يحمون تجار البن والخضار والفاكهة والخبز رغم مغالاتهم في أثمان السلع، وأن دار الضرب داخل بابهم ويضربون عيار السكة على مرادهم.

وجاء الرد سريعاً من الآستانة ففي ١٩ ربيع الأول جاء الرد مع أمير أخور^{١٣١}. من الديار الرومية وقرأ مرسوماً بنقل دار الضرب من قلعة الينكجيرية إلى حوش الديوان^{١٣٢}. ومعه أمر شريف آخر بإزالة المظالم والحمايات^{١٣٣}. وأرسلت الآستانة أميناً جديداً لدار الضرب وسكة زان وكاتباً^{١٣٤}. تم بناء دار الضرب الجديدة في منتصف جمادى الثاني من عام ١١٢١هـ / ١٧٠٩م. وضربت بها السكة، ويذكر الجبرتي أنها شيدت مكان معمل البارود الذي نقل إلى محل بجوارها^{١٣٥}. بينما جاء

في الدرة المصانة أن دار الضرب بنيت مكان مدق البارود الذي نقل أمامها. وأن الذي أكمل بناء الدار هو مسلم إبراهيم باشا^{١٧٦}.

بقيت دار الضرب في مكانها حتى مقدم الحملة الفرنسية، ويذكر جومار أنها تقع في الركن الشرقي من حوش الباشا، وهي أكثر مباني القلعة بساطة. وهي في ذلك تشبه عملية سك النقود نفسها^{١٧٧}. ومهما يكن من أمر خروج دار الضرب من باب مستحفظان إلى حوش الديوان فإن ذلك لم يحل دون سيطرة جهة جديدة على دار الضرب، وهي الباشا^{١٧٨}. وجرت العادة عند تولي سلطان جديد للحكم أن يُرسل خط شريف بالسكة والخطبة والشنك^{١٧٩}. باسم السلطان الجديد^{١٨٠}. وكان حرص العثمانيين شديدا على توحيد طراز سك العملات الذهبية في أنحاء السلطنة العثمانية، ولذا فقد كان الخط الشريف يرد عادة مصحوبا بالسكة أي القوالب التي ستضرب على غرارها العملة. ونظم قانون نامه مصر، الذي وضع في أعقاب الاضطرابات المملوكية والأهلية في مصر، العمل في دار الضرب طبقا لطراز السكة العثمانية^{١٨١}. وأول ذكر جاء لقوالب السك هذه والمعروفة باسم "السكة" يعود إلى عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧م. عندما وردت في شهر صفر "سكة دينار عليها طرة" فجمع الباشا الصناجق والأغوات بالديوان وأحضر أمين دار الضرب وأسلمه السكة الجديدة وأمره أن يطبع بها^{١٨٢}. وحلت هذه السكة المسماة بالذهب الطرلي محل سكة الذهب الأشرفي^{١٨٣}. ويعد سبك النقود على الطراز العثماني واحدا من أقوى مظاهر التبعية المصرية للدولة العثمانية.

السجن

ارتبط بالحوش السلطاني سجن العرقانة، والذي يبدو أنه أنشئ في عهد السلطان قايتباي^{١٨٤}. إذ يرد لدى ابن إياس، عند القبض على الأمير قاسم العثماني، وهو أحد منافسي السلطان سليم على السلطة وقد هرب وتم القبض عليه، وأدخل سجن العرقانة، إلى أن جاء الأمر بإعدامه، كان ذلك سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م^{١٨٥}. ظل هذا السجن مستخدما في

العصر العثماني ونقبة المساجين في حوادث سنة ١١٠٠ هـ/ ١٦٩٨م، وهربوا منه^{١٨٦}. وهذا السجن خاص بالعسكر ورجال الدولة، ومن يرى الباشا حبسه به. ظل هذا السجن مستخدما إلى عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م^{١٨٧}.

قصر يكن باشا^{١٨٨}

كان آخر المنشآت العثمانية بالحوش السلطاني قصر يكن باشا، الذي بناه بالقرب من مدخل الحوش، وما زالت بعض أساساته باقية، وقد نشر كازانوف نص تأسيسه^{١٨٩} كالتالي:

- الوزير هو عظيم (الملك) الدوار واصف الثاني وهو من صدور العصر، جليل القدر والشأن
- سمى النبي ﷺ أعني السيد يكن باشا أفخم ولاية مصر، وأعظم ناظم لديوانها.
- في زمن حكمه بنيت استحکامات المدينة ومقره هو ركن العمران .
- فليكتب تاريخ أثره (يا حافظ)
- لقد بنى باب القفرج جديرا بالسراي ١٢٠٠^{١٩٠} هـ
- على الرغم من عدم ذكر المؤرخين لعمارة يكن باشا لديوان القلعة فإنه ينسب إليه سراي بناها بجوار باب الجبل وكذلك تجديده لهذا الباب، ومن المرجح أنه جدد برج المقطم ومن المحتمل أن أعماله قد تكون شملت باب مستحفظان.

النطاق العسكري

اكتسب هذا النطاق طابعا عسكريا أكثر منه سلطويا، إذ كانت به طباق الممالك واختص قسم منه بالعديد من المنشآت السلطوية، وهو القسم المحصور بين الباب المدرج وباب القلعة، والذي يمتد الآن من قصور الحريم إلى باب القلعة حاليا.

كان الباب المدرج يؤدي إلى ساحة مستطيلة ينتهي منها إلى دركاة جليلة يجلس بها الأمراء قبل الإذن لهم بالدخول إلى النطاق السلطاني، وفي جنوب الدركاة كانت تقع دار النيابة، والتي كان يجلس بها نائب السلطنة في

العصر المملوكي البحري، وقاعة الصاحب، وهي التي كان يجلس بها الوزير وكتاب الدولة، وديوان الإنشاء، وهو الذي كان يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه، وديوان الجيش وباقي دواوين السلطنة^{١١١}.

والحد الفاصل بين هذا النطاق والنطاق السلطاني هو سور باب القلعة. وهذا النطاق صار يعرف في العصر العثماني بقلعة مستحفظان نسبة إلى طائفة مستحفظان التي سكنته^{١١٢}. كما عرف باب القلعة بباب مستحفظان^{١١٣}، وعرف أيضا بباب المدافع^{١١٤}. وهذا الباب نال رعاية خاصة في العصر العثماني نتيجة للصراع الذي شهدته القلعة بين طائفة مستحفظان وطائفة عزبان بصفة خاصة، ومن ذلك ما قام به الوالي العثماني إبراهيم باشا الشهير بالإسكندرلي من تعميره قلتي باب مستحفظان سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٥م^{١١٥}.

كان في قلعة مستحفظان ديوان لهم يعقدون به اجتماعاتهم ويتشاورون فيه فيما يخص مواقفهم من الأحداث الجارية. هذا الديوان ظل قائما حتى مجيء الحملة الفرنسية على مصر، فوصفه جومار بأنه أكثر دواوين القلعة أهمية، إذ كانت تتوسطه قبة محمولة على أربعة أعمدة من الرخام الأبيض، ويحيط به من جوانبه الأربعة مصطبة، يجلس عليها الحاضرون، وزخرفت جدران الديوان ببلاطات القاشاني ذات الطابع العثماني، الشهير بألوانه الزرقاء والخضراء، كما زخرفت بالآيات القرآنية. وزخرف سقف الديوان وقبته بزخارف الأرابيسك^{١١٦}.

سكن الجند منذ العصر الأيوبي في النطاق الشمالي من القلعة، واستمر ذلك إلى نهاية العصر المملوكي، وكان نزول طائفة من التتار في هذا النطاق حادثا ذا شأن اهتم به المؤرخون، وظل هؤلاء التتار بالقلعة إلى أن أنزلهم منها الأشرف برسباي سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م. وعرفت منطقة سكناهم بخرايب التتار^{١١٧}.

ومن الملاحظ أن إقامة الجند بهذا النطاق خلال العصر المملوكي، ارتبطت بأدائهم ووظائفهم العسكرية، وشهدت القلعة أمرا من الظاهر برقوق، عد بداية لانتكاسة للنظم الحربية المملوكية الصارمة، حين سمح للجند

بالسكن في المدينة والزواج من أهل القاهرة فأخلدوا إلى الراحة^{١١٨}. فضلا عن اتجاه السلاطين لجلب الممالك كبار السن وهو ما أدى إلى العديد من المشكلات والنزاعات لعدم تربيتهم وفق الأصول الحربية، وتلاشى بذلك دور طباق القلعة تدريجيا.

سكن الجند الانكشارية أو طائفة مستحفظان في العصر العثماني هذا النطاق من القلعة. وصارت به أسواق ومنازل، وذلك لأن سكنهم به صار متوارثا من الأب إلى الابن. وهو عكس ما كان يحدث في العصر المملوكي حيث لم يكن الابن يرث الأب في رتبته، بل يتحول إلى طائفة أخرى من طوائف الممالك عرفت بأولاد الناس، ويسكن المملوك الذي ينتهي دوره الوظيفي بالقلعة المدينة هو وأولاده.

أدى التوارث السكني بالقلعة في العصر العثماني إلى انتشار ظاهرة تأجير وبيع المساكن بها، وهي ظاهرة لم تكن معروفة في العصر المملوكي، بل صارت بعض مساكن هذا النطاق وقفا، من ذلك منزل وقف أجره الزيني عابدين بن أبي النصر، كان يقع بالقرب من مسجد سارية الجبل، وهذا المنزل خرب مهول بالأتربة، سيعيد المستأجر بناءه، بناء على عقد إيجار مدته تسعين عاما، ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة بدأت تنتشر في هذا النطاق، غير أنها اقتصررت على طائفة الجند العثمانيين. وبصفة خاصة طائفة مستحفظان وأرباب الوظائف بالقلعة^{١١٩}.

كما أدى ذلك إلى تحول النطاق الشمالي إلى منطقة بها أسواق وأسبلة فقد شيد بها إبراهيم آغا مستحفظان سبيلا مجاورا لمقعد بيت آغا طائفة الانكشارية^{١٢٠}. ومنزلا تجاه المنزل السابق، والذي يقع بخرايب التتار^{١٢١} كشفت حفائر أجريت بالقلعة عند برجى الطرفة وكركيليان عن بعض القاعات والأساسات الخاصة بهذه المنازل، كما جاء في وصف مصر أسماء بعض العطفات والأزقة والمنشآت الخدمية بهذا النطاق^{١٢٢}. وكان بعض أعضاء طائفة مستحفظان قد فضلوا السكنى بالمدينة، خاصة في القرن ١٢هـ / ١٨م. ومنهم عبد الله جاويش^{١٢٣}، جاويش باب مستحفظان^{١٢٤}. ومن اللافت للنظر أن قانون نامة مصر

صرح لأفراد هذه الطائفة بالحضور بزواجهم إلى القلعة، وأن يرثهم أبنائهم في وظائفهم، وألا يسكنوا بالمدينة، ولكن مع ضعف السلطة العثمانية سكنوا بالقاهرة، بل وصار منهم تجار واشتغل بعضهم بحرف متعددة^{٢٠٥}، مما يدل على الانحلال الذي ساد طوائف الجند العثمانية.

مثل الاحتلال الفرنسي للقلعة تغييرا جذريا في بقاء هذه الفرقة وعائلاتها بالقلعة، إذ أصدر الفرنسيون أمرا إلى سكان القلعة في شهر ربيع الثاني ١٣١٢هـ/ ١٧٩٨م، بالنزول من القلعة ونصبوا المدافع في جهات مختلفة، وراحوا يهدمون أحياءها^{٢٠٦}، وتولى ذلك ضباط فرقة الهندسة بالحملة^{٢٠٧}.

الإسطنبول

مثلت الخيول مقوما أساسيا من مقومات الجيوش في العصور القديمة، لذا اعتنى بها القدماء، فقد كانت الفروسية هي مقياس المقاتل خلال العصرين الأيوبي والمملوكي^{٢٠٨}. وقد اهتم الأيوبيون والمماليك بتربية الخيل، وجعلوا القسم المخصص للخيول من القلعة جزءا لا يتجزأ منها، ونال هذا القسم رعاية متزايدة في العصر المملوكي حيث أقيمت به العديد من المنشآت السلطانية، كما دارت به أحداث سياسية مهمة.

كان موقع الإسطبلات أسفل القصر السلطاني حافزا لكي يقوم السلطان بمراقبة هذه الإسطبلات وما يجري بها، واكتسبت الإسطبلات أهمية متزايدة منذ أن نقل السلطان الكامل مقر الحكم إلى القلعة، واهتم بالميدان المجاور لها. ويذكر ابن إياس أن السلطان الناصر بدأت مراسم توليته للمرة الثالثة كسلطان بالمقعد السلطاني بالإسطنبول^{٢٠٩}. وتدل هذه الحادثة على أن هذا المقعد يعود إلى فترة سابقة، وربما إلى العصر الأيوبي، حيث كان يجلس به السلطان لاستعراض الخيل عماد جيشه، عرف هذا المقعد في مرحلة لاحقة بالحراقة^{٢١٠}. ولعب دورا في الحياة السياسية المملوكية بخاصة في العصر الجركسي، وكان أول من جلس به من السلاطين للقضاء هو الظاهر برقوق^{٢١١}. واكتسب هذا المقعد أهمية أيضا في

عصر الأشرف برسباي إذ أدار منه شئون السلطنة وعقد به مجالس القضاء ومن ذلك استقباله سفير شاه رخ^{٢١٢}. وكذلك عقدت به اجتماعات للبحث في شئون السلطنة، منها اجتماع استدعى له القضاة وكبار الصيارفة في شهر صفر ٨١٨ هـ/ مايو ١٤١٥م. حيث طلب منهم إبطال التعامل بالدنانير الناصرية. ولكن اعترض عليه جلال الدين البلقيني قاضي القضاة، ولم ينته الاجتماع إلى قرار بشأن منع الناس من التعامل بالناصري^{٢١٣}.

شهد المقعد أيضا تولية السلطان تمر بغا الظاهري السلطنة في حوادث سنة ٨٧٢ هـ حيث اجتمع أكابر الأمراء والخليفة العباسي والقضاة وبايعوه بالسلطنة وهو جالس بصدر المقعد، ودخل بعدها مبيت الحراقة ليلبس خلعة السلطنة، ثم خرج ليبدأ الموكب السلطاني^{٢١٤}. وتدل هذه الحادثة على أنه كان للمقعد مبيت وملحقات، وهو ما يعني أنه منشأة كبيرة. وشهد مقعد الحراقة تولية آخر سلطان مملوكي، وذلك في رمضان سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. وقدم لنا ابن إياس تفاصيل هذا الحدث حيث يذكر أنه (في يوم الجمعة رابع عشر رمضان صلى الأمير الدوادار صلاة الفجر وركب ومعه الأمراء المقدمون وقدامه الفوانيس والمشاعل، قطع إلى باب السلسلة وجلس به. فلما استقر بباب السلسلة أرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله فحضر... وحضر قاضي القضاة الحنفى.... وجماعة من نواب القضاة الذين بالقاهرة. فلما تكامل المجلس واجتمع سائر الأمراء المقدمين وغيرهم من الأكابر والأصاغر والعسكر، فأظهر أمير المؤمنين يعقوب وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله، بأنه وكله في جميع أمور الخلافة وغيرها، وكالة مفوضة.... فبايع السلطان أمير المؤمنين يعقوب نيابة عن ولده محمد المتوكل وشهد بذلك الشرفي يحيى بن البرديني، فلما تمت له البيعة - أي السلطان - أحضروا له خلعة السلطنة، وهي الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيف البداوي، فأفيض عليه شعار الملك وتلقب بالملك الأشرف مثل قرابته الملك الغوري، ثم قدموا له فرس النوبة بغير كنبوش ولا سرج ذهب، ولا وجدوا له في الزردخاناه لا قبة ولا طير ولا الفواشي

الذهب، فركب من على سلم الحراقة التى بباب السلسلة، والخليفة قدامه، فطلع من باب سر القصر الكبير، وجلس على كرسى المملكة، وقبلوا له الأمراء الأرض، ودقت له البشائر فى القلعة، ونودى فى القاهرة^{٢١٩}.

ومقعد الإسطبل هذا من المرجح أنه جدد فى عصر الناصر محمد بن قلاوون، حيث قام الناصر ببناء قصوره فوق أرض الإسطبل ورفعها حتى صارت فى مستوى أرضية النطاق الجنوبي، وربط الإسطبل بالقصر بباب سر، من القصر ومن القاعات السبع. ومن اللافت للنظر أن مصطلح الحراقة لم يظهر فى الإسطبل إلا بعد عصر الناصر، وهو ما قد يعنى أن مواد النيران التى كانت الحراقات ترميها كان تصنع فى هذا الموضع.

ارتبط بالإسطبل وأغلب الظن بالمقعد موكب الإسطبل الذى كان يجرى مرتين فى الأسبوع بخاصة فى العصر الجركسى والغرض من هذا الموكب النظر فى شئون الأمراء والممالك والإقطاعات. وفى هذا الموكب يجلس السلطان فى صدر المقعد وحوله الأمراء مقدمو الألوفا يمينا ويسارا على مقاعد من الحرير، ولا يحضر القضية هذا المجلس، وبعد أن يقرأ ناظر الجيش ما يتعلق بالإقطاعات يوقّع السلطان منها على ما يشاء. ثم يدخل كاتب السر ويقدم العلامة فيعلم السلطان ما وقّع عليه. وأخيرا يدخل الجيش طائفة بعد طائفة لتقديم واجب الولاء وإظهار الطاعة للسلطان، ثم يمد سباط كبير عند انتهاء هذا الموكب^{٢٢٠}.

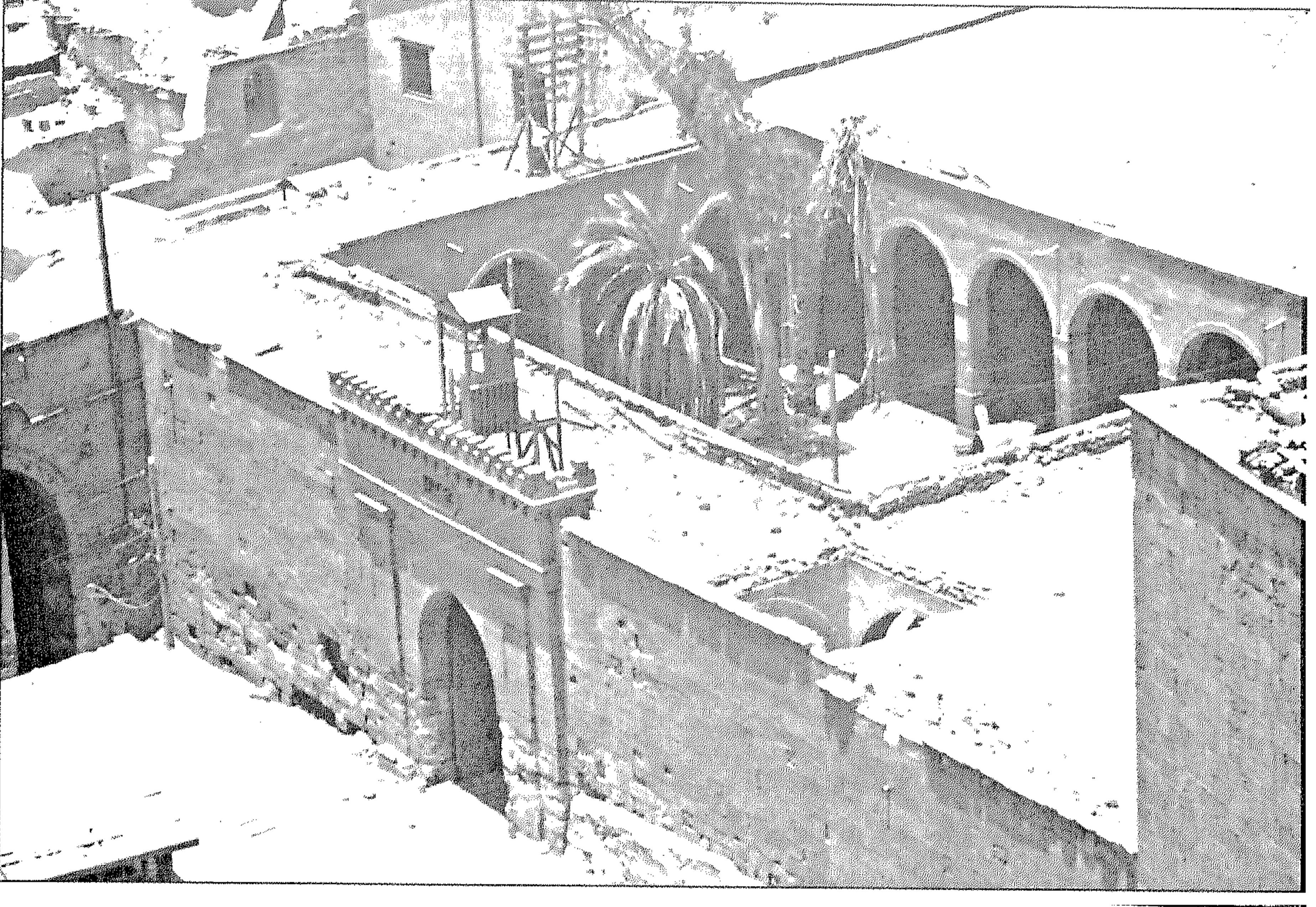
ومن منشآت الإسطبل ذات الطبيعة السلطانية:

الطبلخاناه

وكان للطبلخاناه وظيفة مهمة توازى ما نعرفه اليوم بموسيقى الحرس الجمهورى أو فرق الموسيقى العسكرية، فقد كانت تدق فى أوقات معلومة فى اليوم وفى مناسبات محددة. ومن هنا جاءت أهميتها كرمز من رموز السلطة المملوكية وبطل أمر دق الطبلخاناه منذ دخول السلطان سليم مصر ٩٢٣هـ/١٥١٧م. فلم تدق لخاير بك الذى تولى أمر مصر نيابة عن

العثمانيين، واندثر أمرها منذ ذلك الحين^{٢٢١}. وما زال موقع الطبلخاناه باقيا إلى اليوم، غير أن العديد من التجديدات والإصلاحات طرأت على هذه المنشأة، وهى تقع على يسار الصاعد من باب العزب بالقلعة إلى الممر أو الطريق المنحوت فى الصخر وحدد المقريزى موقعها بدقة إذ يذكر أنها تقع "تحت قلعة الجبل فيما بين باب السلسلة وباب المدرج حيث كانت دار العدل القديمة التى شيدها الظاهر بيبرس سنة ٧٢٢هـ/١٢٣١م. وكانت الطبلخاناه فى بادئ الأمر ساحة دون سقف، فلما ولى الأمير سودون طاز أمير أخور وسكن الإسطبل. جعل الطبلخاناه طابقين، وذلك بسبب وقوع المدرسة الأشرفية تجاهها، وهو ما جعل منها فى زمن الفتن مكانا لمهاجمة القلعة، وأراد سودون بتعليق الطبلخاناه ألا يقدر أحد على رمى القلعة من المدرسة الأشرفية. غير أن الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الأشرفية فيما بعد^{٢٢٢}. وحدث تحول مهم لوظيفة الإسطبل فى العصر العثمانى إذ سكنته طائفة العزب^{٢٢٣}. وصار هذا القسم من القلعة يعرف بباب العزب^{٢٢٤}. وعرف باب السلسلة أو باب الإسطبل منذ ذلك الحين بباب العزب، جدد هذا الباب رضوان كتحدا الجلفى عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، وجعل له بدنتين وزلافة^{٢٢٥} ظلتا موجودتين حتى عصر محمد علي، وجاءت عمارة هذا الباب مشابهة لعمارة باب الفتوح وباب زويلة.

حدث تغيير فى عمارة هذا النطاق من القلعة لكى يتواءم مع إقامة جند العزب به، والذين كان لا يسمح لهم فى بادئ الأمر بالمبيت خارج القلعة^{٢٢٦}. كان لطائفة العزب ديوان لاجتماعاتهم حدد على خارطة الحملة الفرنسية للقلعة بالقرب من باب العزب^{٢٢٧}. لكنه لم يبق منه شيء، وربما تخيرت عمارته فى ظل التجديدات وإعادة التوظيف التى أحدثها محمد على فى منطقة باب العزب. وقدم جومار وصفا لهذا الديوان بصورة تجعلنا نعتقد أن عمارته كانت قريبة من عمارة ديوان طائفة مستحفظان، وإن كان الاختلاف بينهما جاء فى الزخارف، حيث كسيت جدرانه بفسيفساء مكونة من المينا البيضاء المتقنة

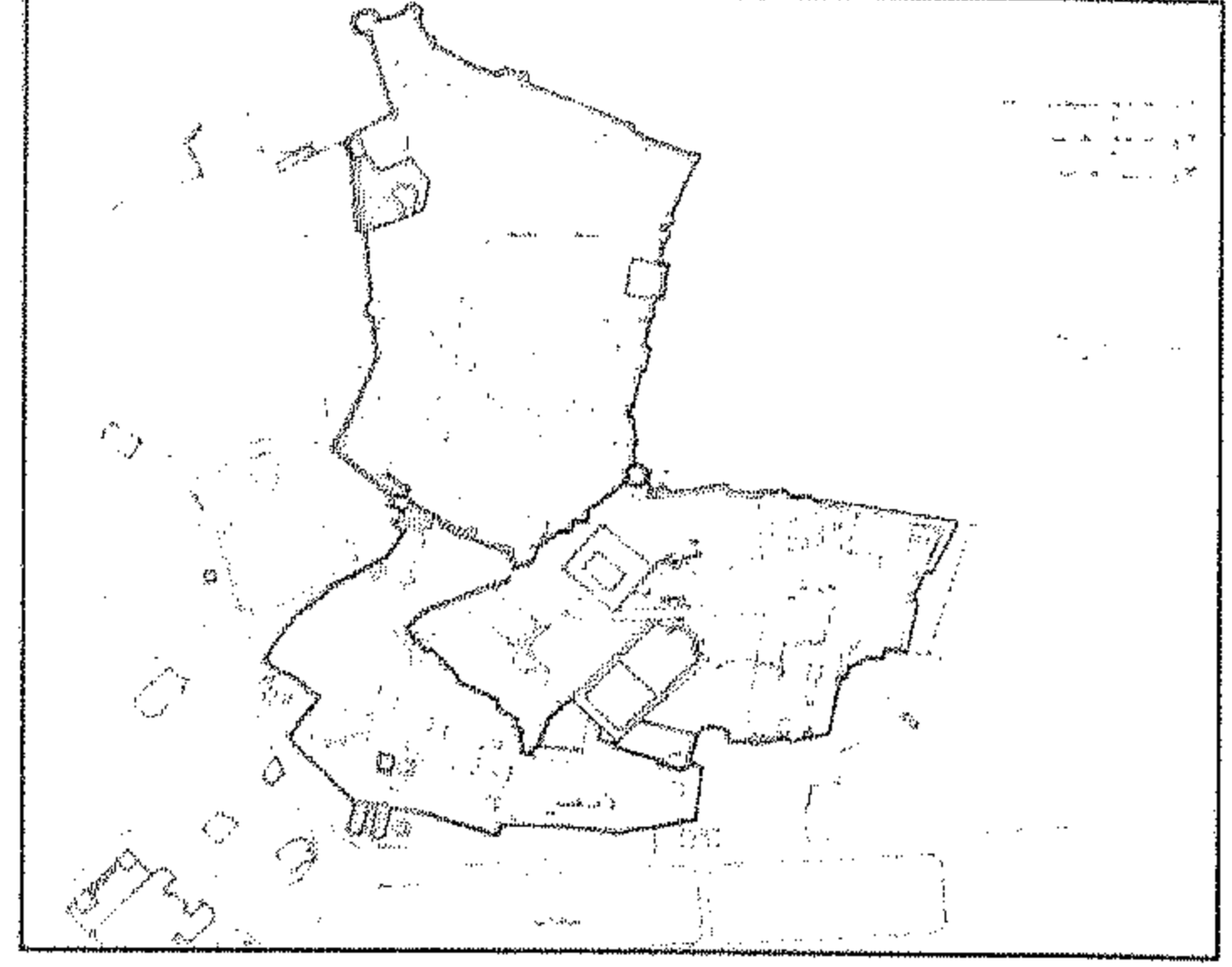


الطبخانة

سياسى متصاعد بدءاً من إقامة الظاهر بيبرس دار عدله به، يجعلنا نعيد النظر فى المقولات السائدة عن هذا النطاق لدى الباحثين. ولعل هذا الدور يمثل تصاعده تغير موقع مدخل القلعة من الميدان، من باب الأربعين الذى ما زال باقيا إلى اليوم خلف باب العزب، إلى باب العزب الذى شيد على الأرجح فى عصر الظاهر بيبرس الذى شيد العديد من المنشآت فى القلعة. وتبرز أهمية هذا النطاق بصفة خاصة من سكنى كبار الأمراء به قبل توليتهم السلطنة فى المرحلة الانتقالية التى تسبق عزل السلطان الضعيف أو السلطان الطفل الذى يخلف والده، حدث هذا عندما أقام الظاهر برقوق بالإسطنبول قبل أن يعزل الصالح حاجى بن الأشرف^{٢٢٦}، وعندما أقام المؤيد شيخ بالإسطنبول وشرع فى بناء دار له به، عندما قتل الناصر فرج وتولى

الصنع والمزينة بالتصاوير المرسومة باللونين الأزرق والأخضر، نرى عليها مآذن ذات استطالة شديدة، حسب الاستخدام القديم. ووضع هذه المآذن يخلب اللب حتى ليظن أنها صورة من الفريسكر. وعلى مسافة منها نلمح تصاوير جدارية ذات مربعات مثبتة بمهارة على الحائط فوق طبقة من الجبس يبلغ سمكها بوصتين^{٢٢٧}. ولعل هذه التصاوير تمثل تقليدا لفسيفساء القاعة الأشرقية بالقلعة، وربما كانت فى موضوعاتها متأثرة بالزخارف العثمانية، وبخاصة أن العزب طائفة من الجند العثمانيين^{٢٢٨}. إننا هنا أمام قسم من القلعة أو نطاق ظن أنه غير رئيسي. وبالتالي لم يحظ بدراسات وافية غير أن الدور الأساسى لهذا النطاق منذ تشييد القلعة وحتى العصر العثمانى، على الرغم من اختلاف طبيعته كدور خدمى

أى أنهما جزء لا يتجزأ منها^{٢٢٩}. وشهد هذان الميدانان أحداثا سياسية واجتماعية مهمة، وهو ما جعلهما محورا من محاور الحكم فى مصر منذ العصر الأيوبي. كانت أرض الميدانين^{٢٣٠}. مجرد أرض فضاء حتى شيد أحمد ابن طولون ميدانه بهذه البقعة، وفى العصر الفاطمى صارت سوقا يباع فيه الخيل والدواب، وفى العصر الأيوبي اهتم به السلطان الكامل سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م. واستمر هذا الاهتمام بالميدان من قبل ملوك بنى أيوب حتى عهد الصالح نجم الدين أيوب الذى جدد له ساقية وغرس حوله الأشجار^{٢٣١}. وفى العصر المملوكى خرب المعز أيبك سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م ميدان الرميلى وظل كذلك حتى اعتنى به الناصر محمد بن قلاوون، فأعاد تشييده وزراعته وتسويره، ورتب فيه الناصر لعب الكرة هو وأمرأوه يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع^{٢٣٢}. وظل الاهتمام متواصلا بالميدانين طوال العصرين المملوكى والبحرى والجرىسى. وكانت العمارة الكبرى للميدان فى عصر السلطان الأشرف قنصوة الغورى. ففى شهر صفر ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م.

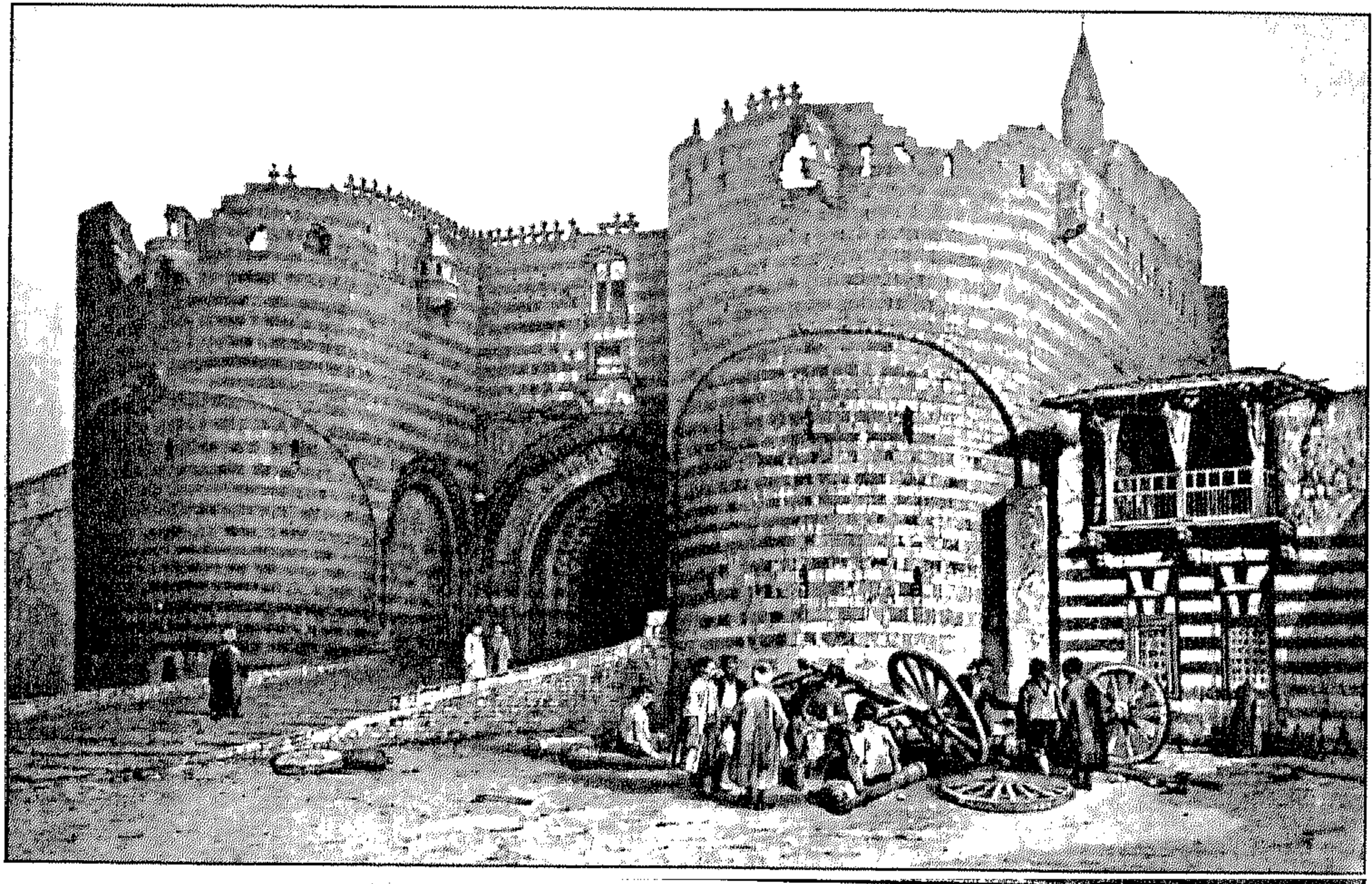


نطاق باب العزب

الخليفة المستعين الملك، وظل المؤيد شيخ بالإسطبل إلى أن عزل الخليفة وتولى هو الملك^{٢٣٧}.

الميدان^{٢٣٨}

يمثل ميدانا الرميلى وتحت القلعة الحد الفاصل بين القلعة والمدينة، وعدهما المؤرخون من حقوق القلعة

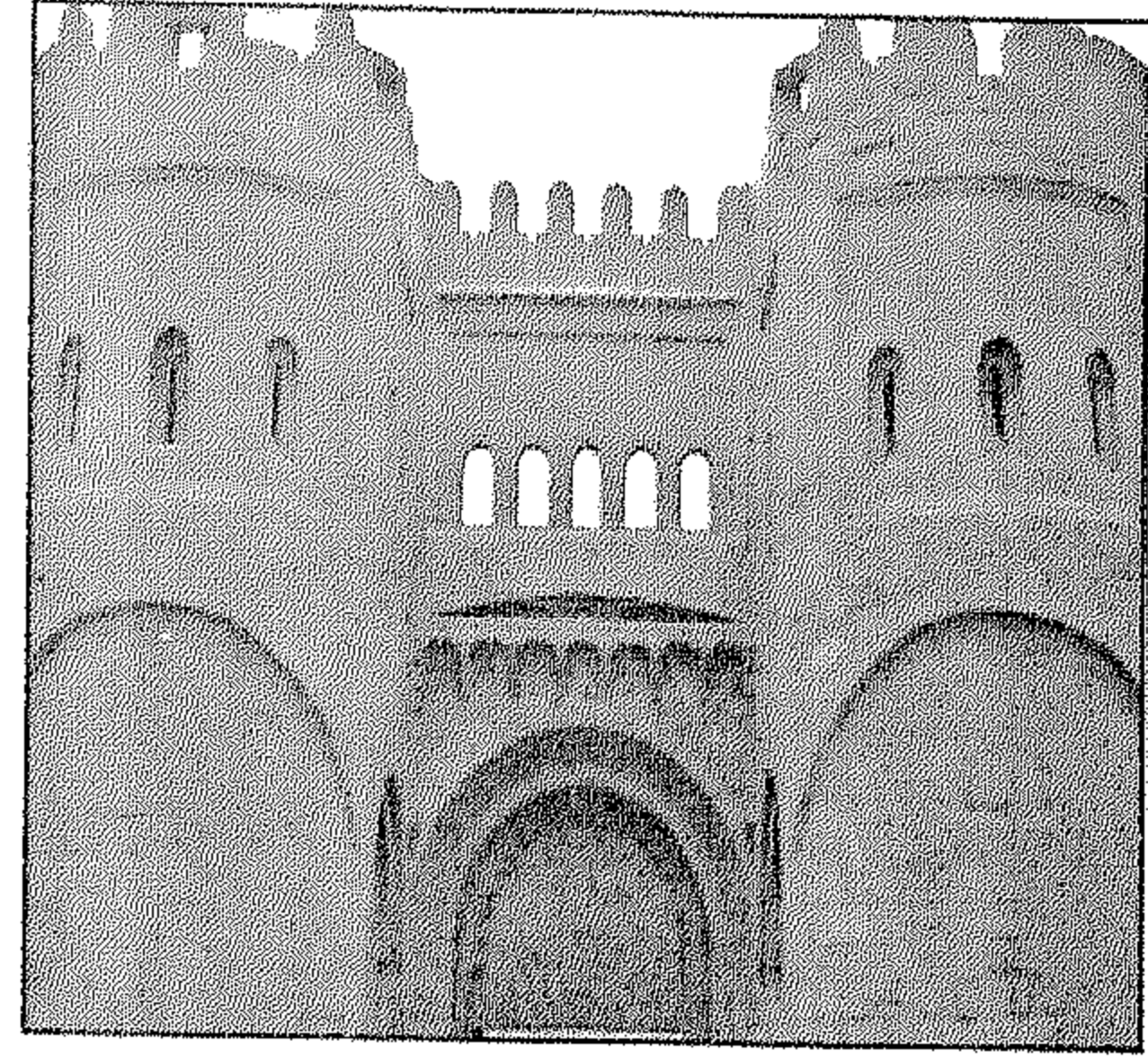
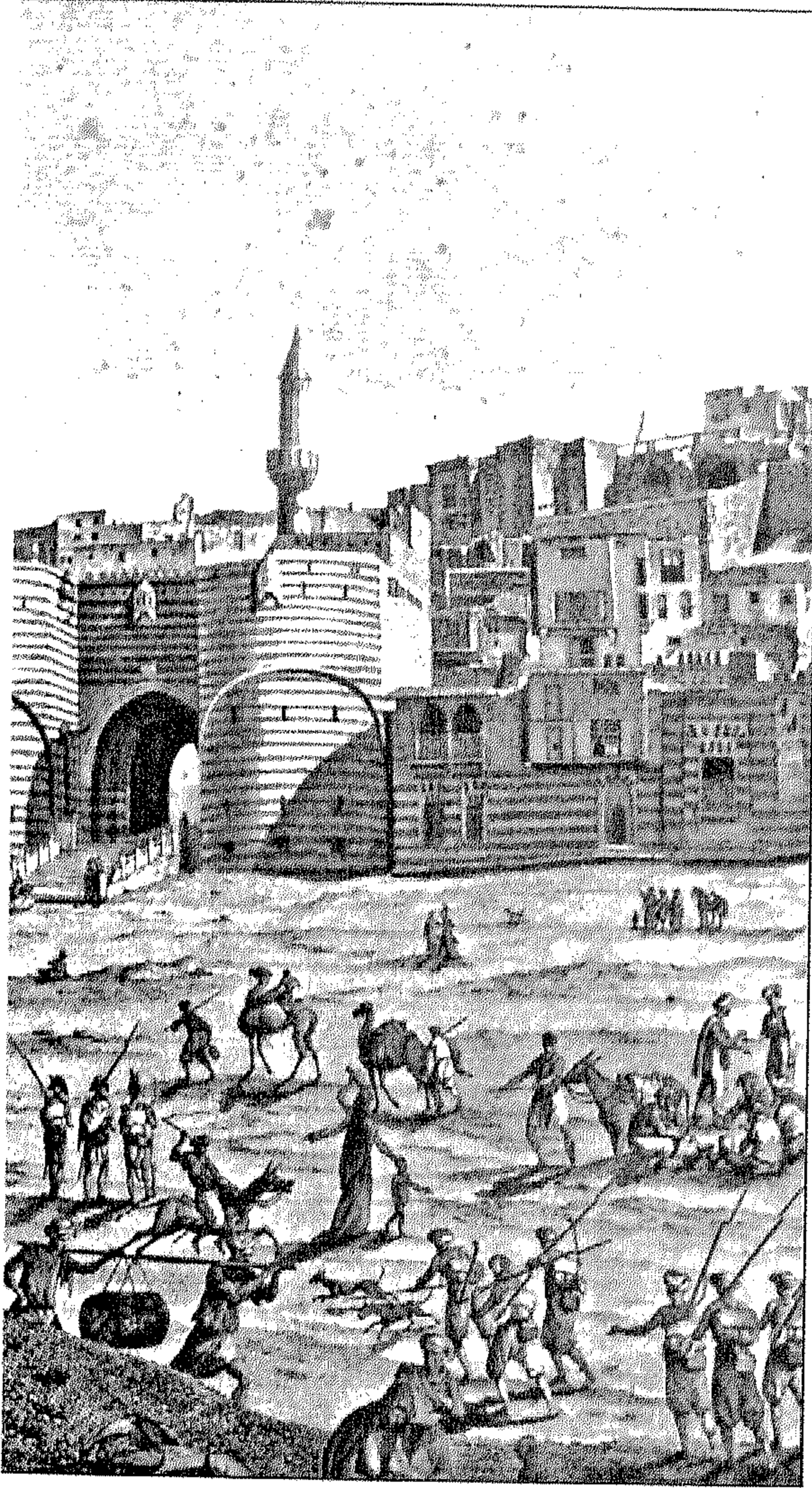


باب العزب - أوين كارتير

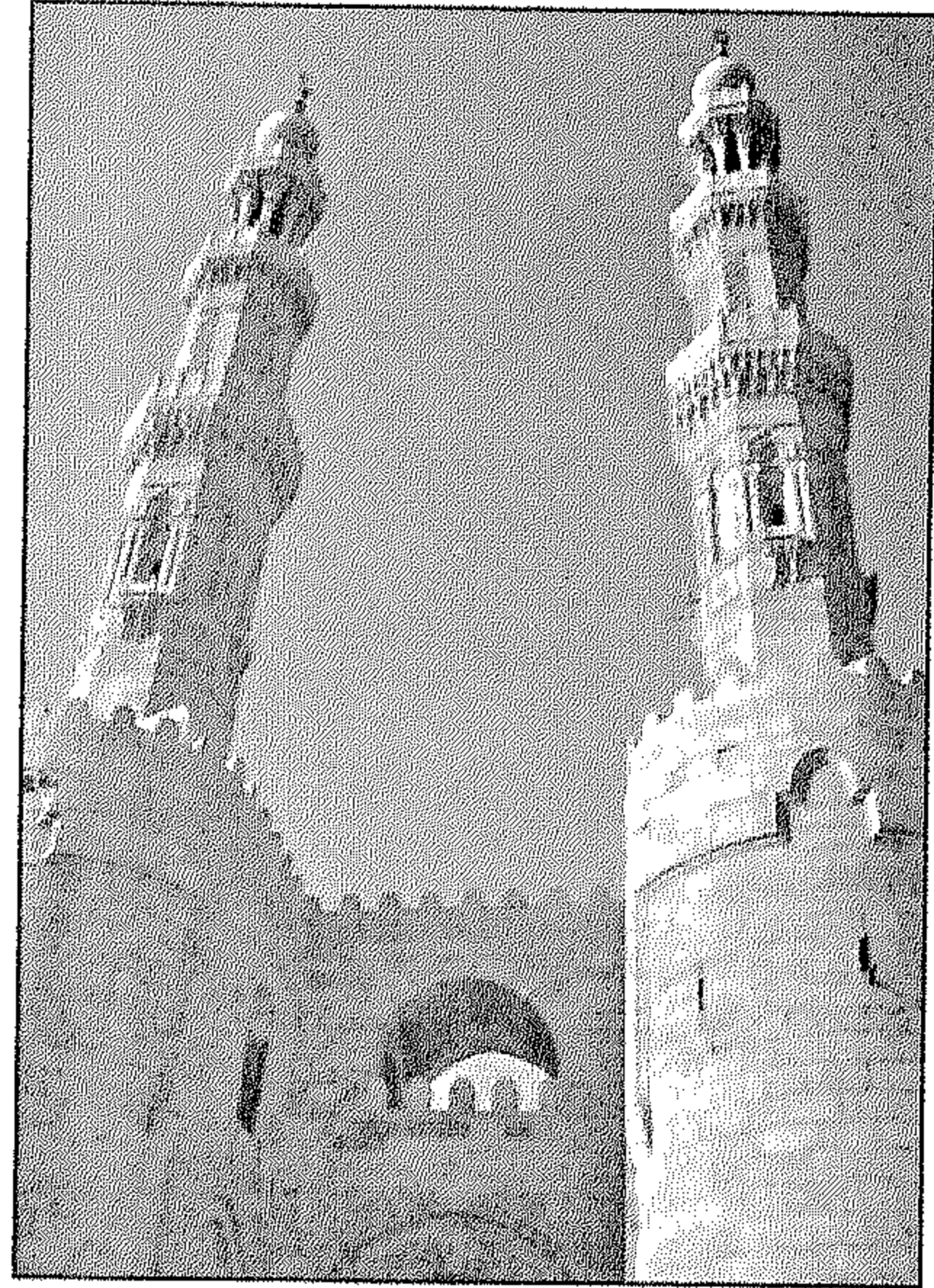
على الرميّة، وعمل ممشاة من القلعة إلى الميدان
بسلالم متصلة إلى ذلك القصر، وجعل للميدان بابا
كبيرا وعليه سلسلة حديد وإلى جانبه باب صغير عليه
سلسلة حديد مثل الباب الكبير^{٣٣٢}.

استمر الاهتمام بميدان الرميّة وميدان تحت القلعة
قائما في العصر العثماني بحكم أهميته الاستراتيجية،
ومن ولاية مصر الذين كان لهم دور في ذلك مصطفى باشا

كان ابتداء العمل بالميدان تحت القلعة في عهده، فتمت
تعلية الأسوار، ثم شرع في بناء مقعد ومبيت برسم
المحاكمات وأنشأ في الجهة الغربية من الميدان قصرا
حافلا ومنظرة وبحرة، وغير ذلك من المباني الفاخرة،
ثم شرع في نقل أشجار من سائر القواكه وأصناف
الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان من
الجهة الغربية، ثم أنشأ قصرا على باب الميدان مطلا



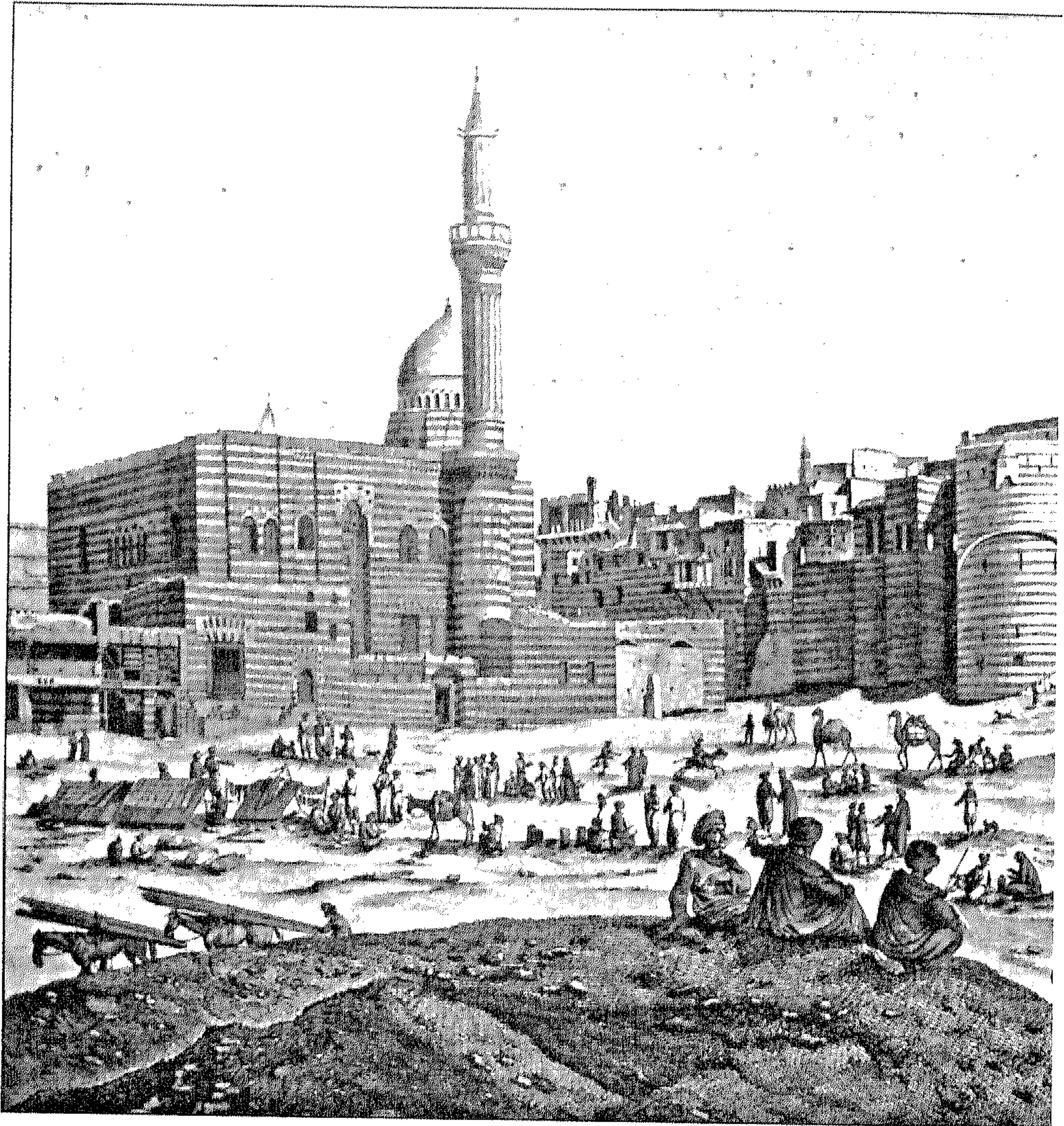
باب الفتوح



باب زويلة

بالميدان تحت القلعة سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م، وعمره وغرس به الأشجار المثمرة، كما رمم قاعة الغورى التى بالبستان، وبنى مصطبة برسم إلباس الققاطين وتبليط المحمل لأمير الحج وأرباب المناصب، وعمر أيضا مصطبة لرمى النشاب، وأنشأ حماما بالميدان، ومن مآثره العظيمة أيضا إنشائه جامع بخطبة لا يزال موجودا إلى الآن^{٣٦} ومنشآت أخرى اندثرت الآن^{٣٧}.

الذى تولى سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م. فقد عمر غيط الميدان فزرعه بعد أن كان قد اندثر وجعل فيه بئرا معيناً، ومن العمائر التى أقامها أيضا زاوية غربى الميدان، كذلك أنشأ حوضاً وسبيلاً اندثر الآن، كما استن بالميدان سنة جديدة، وهى عمل موسم ثلاثة أيام العيد به^{٣٨}.
وممن كان له اهتمام بالميدان الوالى قره محمد باشا ١١١١ - ١١١٦هـ/١٦٩٩ - ١٧٠٤م الذى جدد البستان



ميدان القلعة

وقد تم الكشف مؤخرا عن بقايا من سور الميدان تعود إلى العصر المملوكي خلف سترال القلعة، وربما كان هذا السور من ضمن تجديدات الغوري في الميدان.

وظائف ميداني القلعة

كان لميداني القلعة وظائف عديدة، طغى عليها رسوم الدولة الحاكمة سواء كانت المملوكية أو العثمانية، فقد استخدم كمصلى للعديد، وفيه كان يجلس الملوك والولاة للنظر في المظالم، وكانت تقام به حفلات زواج خاصة بالسلطين والأمراء، وعمل المواكب السلطانية، إلى جانب استخدام الميدان في ألعاب الفروسية وبخاصة لعب الكرة، وكذلك استخدم في النشاط الدبلوماسي حيث كان السلطين يستقبلون فيه السفراء والرسول والضيوف، وارتبط ميدان تحت القلعة باحتفال سنوي، وهو احتفال الدوران وخروج المحمل.

صلاة العيدين

كان لسنة الرسول ﷺ أثرها الواضح في اشتغال المدينة على ساحة فضاء، تقام عليها صلاة العيد في الخلاء، عرفت بمصلى العيد يخرج إليها أهل المدينة لصلاة العيد^{٣٧}. ومن المرجح أن الميدان اتخذ لصلاة العيد منذ عصر الكامل حين نقل مقر الحكم من القاهرة إلى القلعة، وظل الأمر ساريا إلى العصر المملوكي البحري^{٣٨}. وفي العصر الجركسي الذي بدأ مع تولي الظاهر برقوق السلطنة أقام صلاة العيد بجامع القلعة لأسباب أمنية^{٣٩}.

ومن اللافت للنظر أن ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه يكون الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والعودة من طريق آخر^{٤٠}. وهو ما ترك أثره على المدن الإسلامية منذ فترة مبكرة، ففي مدينة عنجر^{٤١} التي شيدها الوليد بن عبد الملك لسكن القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد الشام، تم تخطيط طريقين من أمام سور المدينة أحدهما للذهاب للمصلى والآخر للعودة منه^{٤٢}. وهذا ما ترك أثره على مدينة القاهرة إذ

كان الخليفة الفاطمي يخرج من باب الفتوح إلى مصلى العيد شمال المدينة ويدخل من باب النصر. وفي القلعة كان للسلطان عند خروجه لصلاة العيد بالميدان طريقان أيضا، حددهما المقرئ حيث يذكر "فيكون نزول السلطان في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه فإذا ركب من باب قصره ونزل إلى منفذه من الإسطبل إلى هذا الميدان ينزل في دهليز سلطاني قد ضرب له على أكمل ما يكون من الأبهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود إلى الإيوان الكبير ويمد به السباط ..."^{٤٣}. ومن الملاحظ أن السلطان نزل من قصره من دهليز القصر، ولم يعد إلى القصر بل ذهب إلى الإيوان وهو ما يعنى مخالفته في طريق العودة لطريق الذهاب، وقد يكون صعوده للقلعة من الممر السلطاني المنحوت في الصخر والذي يؤدي إلى ساحة تتقدم الإيوان.

نظر المظالم والمناسبات السياسية

جلس السلطان الظاهر برقوق للنظر في أحوال الرعية والحكم بين الناس في الميدان بدءاً من يوم ٢٩ صفر سنة ٧٩٢ هـ / ١٢٨٩ م، واستمر على ذلك في كل يوم أحد وأربعاء^{٤٤}. كما قام السلطان الغوري ببناء مقعد للنظر في المظالم في الميدان^{٤٥}. كما كان الميدان موضعاً للاحتفالات بزواج السلطين والأمراء مثل زواج ابن بيبرس على بنت الأمير سيف الدين كسرويه التتري سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٤٦ م^{٤٦}. وكذلك شهد الميدان عرس ابن بيبرس على بنت المقر السيفي قلاوون سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م، وكان احتفالا عظيماً^{٤٧}.

استخدم الميدان في استقبال الرسل والسفراء والقصاد من جميع أنحاء العالم في العصر المملوكي، بل إن الميدان كان مقر الإقامة الدائم لبعضهم أثناء مهامهم في مصر، وكانوا يقيمون بمناظره أو في مخيمات كبيرة مجهزة بما يلزمهم، وقد استقبل هؤلاء الرسل والسفراء استقبالات رسمية. على رأسها السلطان ومعه أمراء وأعيان الدولة الكبار، وكان يتم

تبادل الهدايا والمكاتبات بالميدان أحيانا. ويعتبر عصر السلطان الغورى ذروة نشاط الميدان فى هذا المجال، ونظراً للتنافس الذى اشتد فى ذلك العصر بين المماليك والصفويين والعثمانيين، فقد حرص السلطان الغورى على أن يظهر لسفراء ورسل الصفويين عظمة السلطنة المملوكية وعظمة جنودها وقوتهم وشدة بأسهم، فكان يستضيفهم كلهم بالميدان ويستعرض العسكر بكامل عدتهم، ويتعمد أن يلعب الكرة والصولجان مع مماليكه بالميدان، وكان يأمر بسوق الرماحة وأن يرموا الشباب من على ظهور الخيل وهم بألة السلاح، وأن يلعبوا القيق وبالقسي كقريقين متخاصمين ويتبارون بالرماح ويظهرون الفنون الغربية التى تدهش الرسل^{٢١٨}، وتجعلهم يتعجبون من ذلك غاية التعجب^{٢١٩}. ويذكر بن إياس أيضا أن الغورى قصد سوق الرماحة أمام قاصد بن عثمان أو قاصد الصوفى عمدا (حتى يريه فروسية عسكر مصر فكان ذلك عين الصواب). وكان الغورى يخلع على الرسل الخلع السنية ويهديهم الهدايا الغالية، وكان يحضر الاحتفالات الجم الغفير من الناس. فعل الغورى ذلك بالميدان مع رسل الشاه إسماعيل الصفوى فى يوم ٢٧ شعبان ٩١٣هـ، وفى يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ٩١٧هـ، ويوم ١٩ ربيع الآخر سنة ٩١٧هـ، ويوم ٢٧ ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ^{٢٢٠}. وفعل ذلك أيضا مع رسل العثمانيين فى جمادى الآخر سنة ٩٠٨هـ، ويوم ٩ جمادى الأولى سنة ٩١٥هـ، ويوم ٢٥ ربيع الأول سنة ٩٢٠هـ، ويوم ٦ رجب سنة ٩٢٠هـ^{٢٢١}. ومن ضيوف مصر أيضا آنذاك ملك الكرج^{٢٢٢} الذى استضافه السلطان بالميدان، وكان ذلك يوم ٢٦ ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ^{٢٢٣}.

الميدان والاضطرابات السياسية

انعكست الاضطرابات السياسية فى مصر على ميدانى القلعة، خاصة ميدان الرميّة، وذلك لكونهما واجهة القلعة تجاه المدينة، فشهدت هذه المنطقة ثورات وفتنًا وانقلابات ومؤامرات. ومنها تلك الأحداث التى جرت

بالميدان فى سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م عقب اغتيال الأشرف خليل بين طوائف المماليك بقيادة الأمير كتيغا والأمير سنجر الشجاعى^{٢٢٤}. ومن الأحداث السياسية المهمة التى شهدها الميدان الفتنة والمعارك التى قادها الأتابكى قوصون ضد السلطان المنصور أبى بكر بن الناصر محمد سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م والتى انتهت بقتل السلطان المنصور أبى بكر، الذى لم يستمر حكمه سوى ثلاثة أشهر^{٢٢٥}. واستمرت الفتنة والاضطرابات فى الميدان تتصاعد خاصة فى العصر المملوكى الجركسي، ومنها تزعم الأمير أيتمش البجاسى فتنة كبيرة فى شهر ربيع الأول سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م، وحدثت معارك فى الرميّة فانهزم وفر بمن يلقى معه^{٢٢٦}. ومن أهم الأحداث التى دارت بالميدان الصراع الذى نشب بين السلطان المنصور عثمان بن جقمق وبين الأتابكى إينال العللى الذى دارت رحاه بالميدان من أول شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٢م، واستمر القتال أسبوعا كاملا، وكان القتال بالرمى والنقوطة والمدافع، وقام أنصار إينال برمى القلعة من مدرسة السلطان حسن، وهدموا جزءا من سور الميدان. ودخلوا منه إلى الميدان واستطاعوا الاستيلاء على باب السلسلة، وتمكن إينال حينئذ من الاستيلاء على القلعة. وتسلمن يوم ٨ ربيع الأول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٢م، وأرسل الملك المنصور عثمان إلى سجن الإسكندرية، ولم يكن قد تسلمن إلا ثلاثة وأربعين يوما فقط، وقتل كثير من المماليك والزعر والمتفرجين فى هذه الأحداث^{٢٢٧}.

كما كان الميدان فى العصرين المملوكى والعثمانى مسرحا للصراع بين المماليك أو بين طوائف الجند العثمانيين^{٢٢٨}. وشهد الميدان فى العصرين المملوكى والعثمانى ثورات شعبية، كان الدافع إليها الأزمات الاقتصادية المرتبطة بانخفاض منسوب مياه النيل، التى تؤدى إلى المجاعات، أو تعسف بعض أفراد السلطة كالمحتسبين^{٢٢٩}. وازدادت حدة هذه الثورات فى العصر العثمانى، وتركزت هذه الثورات فى الرميّة أسفل القلعة، لعدة أسباب منها مجاورتها لمركز السلطة السياسية، حيث كان الناس يحملون شكاواهم، ومن جهة أخرى لوجود

مخازن الغلال بها، فضلا عن تحول هذا الحى إلى حى للفقراء فى العصر العثماني^{٢٦}. وكان الأهالى إثر اختفاء الحبوب من الأسواق وارتفاع أسعارها يتجمعون هناك، للاحتجاج والمطالبة باتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الأزمة، كانت الإدارة العثمانية تتلأأ فى إبداء أى نوع من الاستجابة السريعة لمطالبهم على الفور، مما يترتب عليه قيام الأهالى بنهب وحرق مخازن وحوانيت تجار الحبوب فى حى الرملة^{٢٧}. وتثير حوادث العنف هذه ردود فعل أشد قسوة من جانب السلطات، ففي أحداث ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م، أرسل عبد الرحمن باشا مجموعة من الجند

لتفرقة المتظاهرين وإعادة الهدوء والنظام، غير أن هذا التدخل أدى إلى سقوط ثلاثة عشر قتيلًا^{٢٨}، وفي حوادث ١٦٨٧م قام المتظاهرون بحرق مخازن الغلال بالرميلة وقرا ميدان. بعد أن نهبوا ما كان بها من الغلال^{٢٩}. كان حصار القلعة فى عام ١٨٠٥ من قبل الأهالى والعلماء لإنزال أحمد باشا خورشيد من القلعة وتولية محمد على حكم مصر من قبلهم آخر أهم الأحداث السياسية التى شهدها الميدان فى العصر العثماني^{٣٠}. وشارك محمد على بجنده فى هذا الحصار، إلا أن وقوف المصريين إلى جانبه كان هو العامل الحاسم للحصار.

الحواشي

11 (1976 – 77). dor is behrens abousief , the minarets of cairo "p78. cairo 1985.

١٥ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢١٢؛ القلقشندي، صبيح الأعشى، ج٤، ص٧.

١٦ ابن الحاج، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدري القاسي المالكي، المدخل، ج٢، ص٢١٠.

١٧ الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص٣٧٥.

١٨ ابن الأثرق، محمد بن علي أبو عبد الله الأصبحي القرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، تحقيق على سامي النشار (دكتور)، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٧٨ م.

١٩ الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ص٣٧٨.

٢٠ فريد شافعي (دكتور) العمارة العربية في مصر الإسلامية، ص٦٩٩، ٦٥٠؛ حسين مؤنس (دكتور)، المساجد، ص١٤٨ – ١٤٩. سلسلة عالم المعرفة (٢٧)، الكويت، ١٩٨١ م.

٢١ للمزيد من وصف هذا المسجد وعناصره انظر: علي المليجي (دكتور)، عمائر الناصر محمد الدينية، ص٢٢٠ : ٢٤٢ رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٧٥.

٢٢ العمري، مسالك الأبصار، ص٤١؛ القلقشندي، صبيح الأعشى، ج٤.

Doris behrens Abousief , the citadel of cairo , ٢٢ stage for mamuluk ceremonial , p33. Annules islamologiques.

٢٤ تقع الإسطيلات السلطانية أسفل النطاق الجنوبي من القلعة وهي منطقة صخرية ترتفع عن ميدان القلعة.

٢٥ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٢٧.

٢٦ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٢٧.

٢٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٥٥.

٢٨ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٣٢٧.

٢٩ فهمي عبد الطيم (دكتور)، العمارة الإسلامية في عصر المؤيد شيخ، ص٢٨ – ٢٩. رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨ م.

٣٠ فهمي عبد العليم (دكتور)، العمارة الإسلامية، ص٨٠ – ٨١.

٣١ عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر، ص٩٧؛ حسن عبد الوهاب (دكتور)، جامع السلطان حسن وما حوله، ص٧٤ – ٧٥. سلسلة المكتبة الثقافية عدد (٥٦) دار القلم ١٩٦٢ م.

٣٢ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٢٧.

٣٣ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٥٧.

١ عن حياة الناصر محمد وأعماله وعصره انظر: محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور)، الناصر محمد بن قلاوون، سلسلة أعلام العرب، العدد (٢٨)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٦ م.

٢ حول نظام الإقطاع في العالم الإسلامي وطبيعته وأسباب نشأته وانتشاره والفرق بينه وبين النظم الإقطاعية الغربية. انظر: إبراهيم طرخان (دكتور)، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ م؛ محمود إسماعيل (دكتور)، الإقطاع في العالم الإسلامي بين الجدل النظري والواقع التاريخي، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الحادية والعشرين، الرسالة التاسعة والستون، ١٩٨٩ / ١٩٩٠ م.

٣ المقریزی، الخطط المقریزية، ج١، ص٨٧: ٩١.

قاسم عبده قاسم (دكتور)، ماهية الحروب الصليبية، ص١٩٥، عالم المعرفة العدد (١٤٩)، الكويت، ١٩٩٠ م.

٤ قاسم عبده قاسم (دكتور)، ماهية الحروب الصليبية، ص١٩٨.

٥ Nasser, the citadel of cairo, p 180

Olg garber, the case of the mosque, p 35 – 36
the formation of islamic art. london, 1973,
112–114

٧ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٤٦، ٢٥٦.

٨ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ص١٨٩، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٩ السرخسي، محمد بن أبي سهل، المبسوط، ج٢، ص١٢٠، القاهرة، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٧ م.

١٠ أغلق صلاح الدين الأيوبي الجامع الأزهر بعد إسقاط الخلافة الفاطمية، لكونه مسجدًا الجامع، وتحولت صلاة الجمعة إلى جامع الحاكم بأمر الله، إلى أن أعاد الظاهر بيبرس فتح الأزهر مرة أخرى. المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٧٥.

١١ المقریزی، الخطط المقریزية، ج٢، ص٢٢٥؛ المقریزی، السلوك، ج٢، ص١٨٤.

١٢ الدواداري، كنز الدرر، (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، ج٩، ص٢٨٢ – ٢٨٣.

Lila ibrahim and j.m.rogers "the hangah
of the emir qawsun "p55-56. mitteilungen
des deutschen archaologischen instituts,
abteilung kairo 30,1 (1974).

Michael meinecke "die mamlukischen falence
dekorationen: eine werkstatte aus tabrizin
kairo (1330 – 1335) p85. kunst des orient

٣٤ أحدث الدكتور صالح لمعى خلطا بين مسجد المؤيد ومسجد فرج بن بركة، فحدد موقع جامع فرج في الإسطيلات السلطانية بينما حددت الوثيقة التي نشرها للمسجد، وكذلك أقوال المؤرخين موقع المسجد في الحوش السلطاني، ويؤكد ذلك ويدعمه أن فرجا حدد إقامة أسرة قلاوون في القصور الجوانية وهي قصور الحريم المواجهة للحوش، وجعل المشرف عليها هو المشرف على المسجد لكي تزيد سيطرته على أسرة قلاوون. صالح لمعى (دكتور)، الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة، ص ٥، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠ م.

٣٥ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٥، ص ١٤: كانانوقا، وصف قلعة الجبل، ص ٦٤ - ٦٥.

٣٦ أحمد فؤاد متولى (دكتور)، قانون نامه مصر، ص ٢: ٧. مكتبة الأنجلو. ١٩٨٦ م.

٣٧ طائفة مستحفظان: كان أفراد هذه الفرقة يكللون بحراسة القلاع والحصون والبلاد. أتت هذه الفرقة إلى مصر مع السلطان سليم الأول، وأقامت بالقلعة وعرفت بطائفة السلطان لأنها كانت تمثل بصورة خاصة السلطة العثمانية في الولاية، ومن هنا أتت قوتها في القاهرة، وسيطر أفرادها على الالتزامات المريحة وعلى دار ضرب النقود ومراكز المكوس مما زاد من نفوذها، وأفراد هذه الطائفة انكشارية مشاة، وهو جيش عثماني أنشئ في عهد السلطان أورخان (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) كانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول، ثم اعتمد على أبناء النصارى في البلقان بعد عثمانهم وإسلامهم. انظر: أحمد فؤاد متولى (دكتور)، قانون نامه مصر، ص ١٨: ٢٠. أحمد السعيد سليمان (دكتور)، تأصيل ما ورد من الدخيل في الجبرتي، ص ٢١، ٢٢ دار المعارف، ١٩٧٩ م؛ مصطفى بركات (دكتور)، دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعثمان العثمانية بمدينة القاهرة، ص ٤٧٤: ٤٨١. رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٨٨.

٣٨ مصطفى بركات (دكتور)، دراسة للخط والألقاب والوظائف، ص ٥ - ٦.

٣٩ حسن قاسم، المزارات الإسلامية، ج ٦، ص ٢١: مصطفى بركات (دكتور) دراسة للخط والألقاب والوظائف، ص ٩.

٤٠ أحمد فؤاد متولى (دكتور)، قانون نامه مصر، ص ١٠.

٤١ Ulkuubates, two ottoman decuments architects in egypt, p123, muqarnas vol 3, leiden – e. j. brill – 1985.

٤٢ هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، ص ٢٠٥. رسالة ماجستير، كلية الآثار.

٤٣ البكري، محمد أبو السرور الصديقي، المنح الربانية في الدولة العثمانية، ص ١٥٧. تحقيق ليلى الصباغ (دكتور)، مركز جمعة الماجد، دار البشائر، دمشق ١٩٩٦ م؛ المصري، أحمد بن عبد الغنى الحنفى، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشات، ص ١٠٧. مكتبة الخانجي ١٩٧٨ م.

٤٤ للمزيد عن وصف هذا الجامع وعناصره انظر: وثيقة وقف مسجد سليمان باشا بالقلعة محورة في سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م. أرشيف وزارة الأوقاف، رقم ١٠٧٤؛ هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، ص ٢٠٢: ٢٠٥؛ أسس التخطيط الحضري والعمراني لمدينة القاهرة في العصور الإسلامية، جدة، ١٩٩٠.

٤٥ العبارة الأولى للموردي في الأحكام السلطانية والثانية لابن خلدون في المقدمة، وأثبتهما بهذه الصيغة رضوان السيد (دكتور) في مقاله "قضاء المظالم: نظرة في وجه من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الإسلامي" مجلة دراسات، المجلد ١٤، العدد (١٠)، ص ١٥٩، ١٦٠، ١٩٨٧ م.

٤٦ رضوان السيد (دكتور)، قضاء المظالم، ص ١٧٠ - ١٧٢.

٤٧ أهم من كتب في هذا الموضوع، أبو الحسن الموردي الذي خصص بابا كاملا لبحث ترتيب الكتاب للنظر في المظالم في كتابه "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" الذي ألفه لدعم الخليفة العباسي في صراعه مع البويهيين مباشرة قبل تغلب طغرل بك السلجوقي على بغداد واستيلائه على السلطة بالقوة من البويهيين، ثم تبعه الوزير نظام الملك الطوسي في كتابه "سياست نامه" الذي وضعه لسلطانه ملكشاه السلجوقي، وخصص ابن رضوان المالقي فصلا في كتابه لنظر المظالم، اعتمد فيه على الموردي. وانتشر الحديث عن نظر المظالم في كتب نصائح الملوك. والسياسة الشرعية، وحث هذه الكتب على وجوب جلوس السلاطين للنظر في المظالم جلوسا عاما، ومن هذه الكتب "آثار الأول في ترتيب الدول" الذي ألفه الحسن ابن عبد الله العباسي للسلطان المملوكي بيبرس الجاشنكير. عام ١٣٠٨م؛ وعن ما ورد في هذه الكتب حول المظالم والجلوس لها انظر: الموردي، أبو الحسن على بن حبيب المصري الشافعي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٦م؛ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي هلال سرحان، ومراجعة حسن الساعاتي (دكتور)، دار الكتب بيروت. بدون تاريخ؛ القراء، أبو يعلى محمد بن حسن، الأحكام السلطانية، القاهرة ١٩٦٦ م؛ نظام الملك الطوسي، سياست نامه، ترجمة وتطبيق السيد محمد العزاوي، القاهرة ١٩٧٦: ابن رضوان، أبو القاسم المالكي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي النشار (دكتور)، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٤ م؛ العباسي، الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الدول، بولاق، ١٨٨٧ م.

٤٨ ناصر الرباط ناصر (دكتور)، دار العدل: قصة منشأة إسلامية قروسطية، ص ٦٢، مجلة الاجتهاد، العدد (٢٢)، السنة السادسة، ١٩٩٤.

٤٩ ناصر الرباط (دكتور)، دار العدل: قصة منشأة إسلامية قروسطية، ص ٦٢ - ٦٣.

٥٠ أنشأها الظاهر غازي بن صلاح الدين سنة ٥٩٥ هـ / ١١٨٩ م عندما كان حاكما للمدينة في حياة والده بإيعاز منه، عن دار العدل في حلب أنظر: ابن شداد. الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، مملكة حلب، م ١، ق ١، ص ١٧، تحقيق دومنيك سورديل، دمشق، ١٩٥٣ م، ابن الشحنة، محب الدين محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص ٢٢، ٢٤ تحقيق جوزيف إيلان سركيس، بيروت ١٩٠٩ م.

٥١ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٢١٠.

٥٢ بيبرس، المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ص ٢٣٢، الداودي، كنز الدرر، ج ٨، ص ٢١٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٧٨.

٥٣ ناصر الرباط (دكتور) دار العدل، ص ٦٨.

و حول دور العدل ونشأتها وتطورها انظر: Jorgen Nielson: "mazalimand dar al adel under the early mamluks" p114: 112 The muslim world. vol 66 , n2. (april 1976).

٥٤ الإيوان في العمارة المملوكية يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاثة حوائط أى من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة، وإذا سد الإيوان من الجهة الرابعة لا يقال له إيوان بل مجلس، والإيوان يعلو دائما بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن بقية مسطحات المكان، وسقف الإيوان إما معقود وإما مسطح، وعلى واجهة الإيوان عقد أو قوصرة أو كريدى عدا قى الوحدات السكنية الصغيرة فتعلوه فتحة عادية. محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ١٧. وعن تطور استعمال الإيوان في العمارة الإسلامية: the encyclopedia of islam 2 (e 12), art. "Iwan" by olg graber, vol 1v, 289.

٥٥ محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ١٧.

٥٦ اشتملت بعض المنشآت الجنائزية بجبانة المماليك على قبة وإيوان، منها منشأة طشتمر حمص أخضر وخوند.

٥٧ عبد القادر الرياحوى (دكتور) قصور الحكام في دمشق، ص ٢٤:٣٦، الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٢٢، ١٩٧٢: ١٩٧٣م.

٥٨ Nasser rabbt, the citadel of cairo, p145,146

٥٩ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٦.

٦٠ ناصر الرباط، دار العدل، ص ٧٠.

٦١ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢٠٦.

٦٢ قدم أوليا شلبى وصفا دقيقا للإيوان ساعد مع ما جاء في وصف مصر على وضع تصور شامل للإيوان، ويسمى أوليا الإيوان بديوان الغوري، كما يفعل أغلب مؤرخي العصر العثماني، وكان أوليا أقام في القلعة سنة ١٦٧٠م. Evliya celebi, seyahat namesi mummin. Istanbul 1984. p9,1o, cevik، قام بهذه الحفاثر تفتيش آثار القلعة تحت إشراف كل من عبد الخالق مختار وآمال فرغلي، إلا أن نتائج هذه الحفاثر لم تنشر إلى الآن للأسف الشديد .

٦٤ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٦ .

٦٥ كاتب السر: هو أحد الموظفين من الكتبة وهو اسم آخر لصاحب ديوان وقد ظهر هذا المصطلح في الدولة العباسية، وهو يدل على أن هذا الكاتب كان يحكم عمله على علم بأسرار الدولة. حسن الباشا (دكتور)، الفنون والوظائف، ج ٢، ص ٩٢٢: ٩٢٥.

٦٦ قدمت دورو تياكرافولسكى تحليلا لهذه الجلسة في مقدمتها لتحقيق مسالك الأبصار لابن العمرى، انظر ص ١٠، بيروت ١٩٨٦م.

٦٧ ناصر الرباط، دار العدل، ص ٧٢.

٦٨ أمير الطبلخانة: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في مصر المملوكية، صاحبها يلى أمير مائة مقدم ألف في الدرجة وسعى أمير طبلخانة لأحقته في دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المثمن، وهو بذلك في ثاني الرتب المملوكية، ويطلق على أمير طبلخانة أيضا أمير أربعين بمعنى أن يكون في خدمته أربعون مملوكا وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو ثمانين. المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٢٢٩، حاشية ١؛ حسن الباشا (دكتور)، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١، ص ٢٣١: ٢٣٦. دار النهضة العربية ١٩٦٥ م.

٦٩ أمير عشرة مرتبة حربية يكون في خدمته عشرة ممالك. ويكون صفار الولاة من طبقة أمراء العشرات.

٧٠ ناصر الرباط (دكتور)، دار العدل، ص ٧٥.

٧١ ناصر الرباط (دكتور)، دار العدل، ص ٧٨.

٧٢ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٧.

٧٣ المقرئى، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٧.

٧٤ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٣١٨.

٧٥ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٠٧.

٧٦ الحلبي، شمس الدين محمد بن محمود بن خليل، تاريخ الأمير يشيك الظاهري، ص ١٥٨. تحقيق دكتور عبد القادر طليمات. دار الفكر العربى، ١٩٧٣م.

٧٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٣٢.

٧٨ كازانوفاء. تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٨٠ – ١٨١.

٧٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٤٤١.

٨٠ الأبلق من (البلق) يفتح الباء واللام وضم القاف وهو السواد والبياض في اللون، وأيضا (البقة) بالضم سواد وبياض (وبلق، وأبلق، وأبلوق: كان في لونه سواد وبياض فهو أبلق. والأبلق حلية معمارية استخدمت في العماثر في العصر المملوكى بكثرة تنتج عن استخدام حجرين مختلفي اللون وتصد بهما في حالة الحجر الأبلق اللونين الأسود والأبيض بصفة خاصة وينتج ذلك عن استخدام الحجر والرخام مثلا. ابن منظور. جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الإفريقى، لسان العرب، المجلد الأول، ص ٢٥٩، إعداد يوسف خياط، وتديم مرعشلى، دار لسان العرب، بيروت؛ سامى عيد الحليم (دكتور)، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة، ص ١٨ – ١٩، القاهرة ١٩٨٤م.

٨١ المقرئى، السلوك، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٦ – ٢٧.

٨٢ شانروان: لفظ فارسي معرب وهو ستر عظيم يسدل على سرائق السلاطين وعلى الشرف من القصر والدار، والشانروان من جدار الكعبة هو الذى ترك من عرض الأساس خارجا وأصبح عبارة عن مدماك مائل ويسمى تائيزا لأنه كالإزار للبيت. ورد اللفظ في الوثائق في العصر المملوكى بالدال والذال، وأصبح يجمع بين المعنيين من

حيث كونه ستارة منقوشة وحاجزًا مائلًا للماء، فيتكون الشانروان من صدر خشب مزخرف وفتحة يصب منها الماء في حوض صغير تحت الصدر يسمى "قرقل"، ثم يسيل الماء من القرقل إلى السلسبيل وهو لوح من الرخام أو الحجر المنقوش مركب في وضع مائل ينحدر من عليه الماء إلى حوض أو صحن يسمى "ملشيتية" أسفله، وغالبًا ما يخرج من هذا الصحن قناة صغيرة تسمى "سلسال" توصل الماء إلى فسقية وسط المكان أو إلى أحواض أخرى والجميع مزخرف. وغالبًا ما يقصد بالشانروان السلسبيل فقط وهو لوح من الرخام المائل. محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٦٨ – ٦٩.

٨٣ العمري، مسالك الأبصار، ص ٨١.

٨٤ Nasser, The Citadel Of Cairo ,p110 : 118

٨٥ العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٨٠: المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٢١٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥.

٨٦ المصري، أحمد شلبي بن عبد الفتى الحنفى، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، ص ١٤٦ – ١٤٧. تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٨م.

٨٧ المصري، أوضح الإشارات، ص ١٥٧.

٨٨ المصري، أوضح الإشارات، ص ٢١٣.

٨٩ المصري، أوضح الإشارات، ص ٢٦٧.

٩٠ كشك: بيت صغير الحجم بسيط التأثيث يقام للاستجمام وسط المزارع أو على الشواطئ كما قد يستخدم لإقامة الحرس. أحمد عيسى، مصطلحات الفن الإسلامي، ص ١٠١. أرسىكا، إستانبول ١٩٩٤. ويبدو أن مصطلح الكشك استخدم في القلعة كاصطلاح معمارى يطلق على أماكن إقامة الباشاوات.

٩١ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٣٠.

٩٢ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٧٣.

٩٣ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٢١٢.

٩٤ كازانوف، وصف قلعة الجبل، ص ١٣٢ – ١٣٤.

٩٥ المقرئى، السلوك، ج١، ص ٣٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٩١.

٩٦ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

٩٧ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢١.

٩٨ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢١.

٩٩ بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٦ – ٢٧.

١٠٠ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢١٣، ٣١٥.

١٠١ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٣١.

١٠٢ Nasser, The Citadel Of Cairo , P53.

١٠٣ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٤٣.

١٠٤ Doris, the citadel of cairo, stage for mamluk ceremonial,P 53.

١٠٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١١٤.

١٠٦ من هؤلاء القاءون والزنان دارية وهم البوابون عند عرف الحريم السلطاني، والجمدارية لإلباس السلطان، والشمقدارية لحمل نعل السلطان. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٩؛ إبراهيم طرخان (دكتور)، النظم الإقطاعية، ص ٣٦٤.

١٠٧ ابن تغرى بردى، التجوم الزاهرة، ج٩، ص ١١٩؛ المقرئى، السلوك، ج٢، ص ٤٣٣، ٤٣٤؛ الخطط، ج٢، ص ٢٢٩.

١٠٨ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٢١.

١٠٩ العمري، مسالك الأبصار، ص ٤٠.

١١٠ يذكر ابن دقماق أن راتب الأمير يلبغا اليحياوى وهو أحد أمراء الناصر من اللحم في اليوم الواحد له ولماليكه ستة وثلاثون ألف رطل. ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٣٦٤. وأحصى المقرئى ما يستهلك من اللحوم في الأسمطة السلطانية والقلعة. المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٢١٠ – ٢١١.

١١١ الدهيشة: دهش تحير فهو مدهوش. أطلقت كلمة الدهيشة على بعض المباني المملوكية، ربما لما لها من شكل جميل يدهش الناظر إلىها. منها قاعة الصالح إسماعيل بالقلعة. وأطلق المقرئى أيضا لفظ الدهيشة على القاعة التى عمرها رئيس الأطباء فتح الله ابن معتمص بن نفيس ٨١٦هـ / ١٤٨١ بداره بخط سويقة المسعودى فقال "وأنشأ دهيشة كيسة للغاية، بوسطها فسقية للماء ... وتشرف هذه الدهيشة على الجنينة التى أبدع فيها كل الإبداع وركب علو هذه القاعة الأروقة العظيمة بجوارها عدة مساكن لمعاليكه". المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٦٢؛ محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص ٤٩.

١١٢ المقرئى، السلوك، ج٢، ص ٦٣٣.

١١٣ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٩٠.

١١٤ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٩٠.

١١٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٧٧.

١١٦ DORIS, the citadel of cairo, stage for mamluk ceremonial,P 55.

١١٧ المقرئى، الخطط المقرئية، ج٢، ص ٢١٢.

١١٨ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٧١.

١١٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٩١.

١٢٠ البحرة المنخفض من الأرض ومستنقع الماء. وفي كلام العرب البحرة بمعنى الشق مع التوسعة، وفي العمارة المملوكية يطلق مصطلح البحرة أحيانا على وسط المكان ولكن غالبا على: فسقية كبيرة للشرب في وسط صحن الجامع أو القاعة. محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ٢٠.

- ١٤١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٢٩.
- ١٤٢ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٠ - ١١.
- ١٤٣ عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة صلاح الدين، ص ٥٥ - ٥٦.
- ١٤٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- ١٤٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٧٩.
- ١٤٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٢٠٧.
- ١٤٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٢٧٠، ٢٩٥.
- ١٤٨ أحمد فؤاد متولى (دكتور) قانون نامة مصر، ص ٧٢.
- ١٤٩ ضم هذا الديوان في عضويته وظائف وليس أشخاصا. فقد كانت عضويته ترتبط بتولى الشخص مناصب الديوان، فكتخدا الباشا عضو في الديوان يحكم منصبه، وكذلك قاضى عسكر أفتدى أو قاضى القضاة، والدفتردار والرزنامجى والأمراء الصناجق وأغارات واختيارية الأوجاقات السبع وعضوية هؤلاء الأشخاص ثابتة وتابعة لوظائفهم لذا كان لابد من حضورهم جلسات إرسال الخزينة الإرسالية، وإعلان وفاء النيل، واستلام أمير الحج لأموال الحرمين، ومحاسبة الباشا وغير ذلك. أما في الجلسات التي يعقدها الديوان لمناقشة بعض القضايا المهمة، فلم يكن يشترط حضور كل هؤلاء الأعضاء وإنما كان يحضرها أساسا قاضى القضاة أو نائبه وبعض الأعضاء الآخرين وفي هذه الجلسات ذات الطابع الخاص كان يحضرها أشخاص ليسوا من أعضاء الديوان وإنما يحضرون بوصفهم أطرافا في النزاع أو شهودا في صف أحد المتقاضين وهؤلاء كانوا من التجار أو العلماء أو النساء على سبيل المثال. لمزيد من التفاصيل عن الديوان وآليات عمله وتكوينه انظر: ليلي عبد اللطيف (دكتورة)، الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ١٣١: ١٥٦، جامعة عين شمس ١٩٧٨م.
- ١٥٠ الديوان الصغير: يضم في عضويته كتخدا الباشا، والدفتردار والرزنامجى، ومتدوب عن كل أوجاق - أى فرقة عسكرية - والأغا والضيابط الرئيسيين في فرقة المتفرقة والجاونيشية. وهو في الغالب مجلس تنفيذى إدارى للشؤون الإدارية العامة. وما يتعلق بالشئون اليومية للحكم. البكرى، المنح الربانية، ص ١٤٢. ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ١٢٢ - ١٢٣.
- ١٥١ كازانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٧٩.
- ١٥٢ المقعد التركي: هو المقعد ذو العقود المفتوح على فناء. غزوان ياغى، المقاعد في عمار القاهرة السكنية، ص ١١٠: ١٩٥. محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص ١١٤.
- ١٥٣ المصرى، التاريخ العيني، ص ٣١٠: ٣١٢.
- ١٥٤ برنارد لويس، إستانيول وحضارة الخلافة الإسلامية، ص ٩٥ - ٩٦. ترجمة الدكتور سيد وضوان على، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ١٩٨٢ م.
- ١٥٥ عرف أحمد عيسى الكشك بأنه بيت صغير الحجم بسيط التأثيث يقام للاستجمام وسط المزارع أو على الشواطئ كما قد يستخدم لإقامة الحراس. أحمد عيسى، مصطلحات الفن الإسلامي، ص ١٠١، أرسىكا، إستانيول ١٩٩٤.

- ١٢١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٠١.
- ١٢٢ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٠٠.
- ١٢٣ إبراهيم طرخان (دكتور)، دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٢٩.
- ١٢٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٩: عبد الرحمن عبد التواب، قايىباى المحمودى، ص ٢٠٤، سلسلة أعلام العرب (٢٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.
- ١٢٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٥.
- ١٢٦ المقعد القبطي: هو أكثر أنواع المقاعد شهرة في العمارة السكنية في مصر، ولم يكن عند الكثير منذ البداية لىس في تسميته. ومن المرجح أن هذا المقعد قد نال تسميته نسبة للقبط أو الأقباط، وهم أهل مصر وأصلها، والمقعد مقعد مطلق، أى لا يفتح تصميمه الفراغى على الفناء الذى أمامه مباشرة مثل أنواع عديدة من المقاعد، ولذلك أطلقت عليه بعض الوثائق مقعدا قبطيا حبيسا، ويطل هذا المقعد على الفناء الذى أمامه بواجهة من الحجر القص النحيت، بها غالبا عدد من الشبابيك الكبيرة، كما كان مقعد السلطان الغورى بالحوش السلطاني. محمد أمين، ولىلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ١٧٤: غزوان ياغى، المقاعد في عمار القاهرة السكنية في العصر المملوكى والعثماني، ص ١٩٠: ١٩٥، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.
- ١٢٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٦٥.
- ١٢٨ لىلى عبد اللطيف (دكتورة)، المجتمع المصرى في العصر العثماني، ص ٨٢، دار الكتاب العربى، ١٩٨٧م.
- ١٢٩ عبد الرحمن زكى (دكتور) قلعة صلاح الدين وما حولها من آثار، ص ٨٠ القاهرة ١٩٧١.
- ١٣٠ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ١٦٧.
- ١٣١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٦٧.
- ١٣٢ الحلي، تاريخ الأمير يشبك، ص ٢٢.
- ١٣٣ Doris, the citadel of cairo, stage for mamiluk ceremonial, P 59 , 60.
- ١٣٤ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٠٠: ٣٠٧: إبراهيم طرخان (دكتور) دولة المماليك الجراكسة، ص ١٠١.
- ١٣٥ Doris, the citadel of cairo, stage for mamiluk ceremonial,P 57.
- ١٣٦ Doris, the citadel of cairo, stage for mamiluk ceremonial, p 57.
- ١٣٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٨٨.
- ١٣٨ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٩٤.
- ١٣٩ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ٣٠٢.
- ١٤٠ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

- ١٥٦ أحمد عيسى، مصطلحات الفن الإسلامي، ص ١٤٢.
- ١٥٧ أحمد عيسى، مصطلحات الفن الإسلامي، ص ١٩٨.
- ١٥٨ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣١٣، ٢٧٠، ٢٩٨؛ المصري، التاريخ العيني، ص ١٢٢، ١٢٦، ١٧٤، ١٩٣؛ القراء، على بن محمد الشاذلي، ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة، تحقيق د. عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨ م؛ عفاف مسعد العبد (دكتورة) دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، ص ١٩٩: ٢٣٢. سلسلة تاريخ المصريين (١٧٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م.
- ١٥٩ المعريزي، الخطط المعريزية، ج ٢، ص ٤٠٦.
- ١٦٠ وأفت النبراوى (دكتور)، مسكوكات دولة المماليك الجراكسة في مصر، ص ٨، رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م؛ أحمد الصاوي (دكتور) النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ٢٠٥. رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.
- ١٦١ حول هذا الاضطراب النقدي انظر: وأفت النبراوى (دكتور)، النقود الإسلامية في مصر، عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٣١، ٢٦٣. مركز الحضارة العربية. القاهرة ١٩٩٦ م.
- ١٦٢ ليلى عبد اللطيف (دكتورة)، الإدارة في مصر، ص ١٨٢، ١٩٠.
- ١٦٣ باب الإنكشارية هو باب القلعة وعرف أيضا في العصر العثماني بباب مستحفظان.
- ١٦٤ عراقى يوسف (دكتور)، الوجود العثماني المملوكي في مصر، ص ١٠٢.
- ١٦٥ ليلى عبد اللطيف (دكتورة)، الإدارة في مصر، ص ١٩٣.
- ١٦٦ المصري، التاريخ العيني، ص ٢٢٢.
- ١٦٧ مفردا أوجاق. وهي كلمة تركية بضم الهمزة ضمة مبسطة مقفحة ومعناها الأول في التركية الموقد والمدخنة، وهي هنا بمعنى فرق الجند العثمانية، وكان عددها في مصر بعد عودة سليم الأول أربعة أوجاقات ثم زادها سليمان القانوني عام ١٥٢٤ م وجاقين فصارت ستة وجاقات ثم صارت ستة ١٥٥٤ م سبعة وجاقات. أحمد السعيد سليمان (دكتور)، تأصيل الدخيل، ص ١٩٤ - ١٩٥.
- ١٦٨ السباهية: هم أوجاق الفرسان ويعمل في خدمة حكام الأقاليم، وكان هؤلاء الفرسان في الأصل من فرسان الباب العالي.
- ١٦٩ أحمد الصاوي (دكتور)، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ٢٥٢؛ عراقى يوسف (دكتور)، الوجود العثماني، ص ١٠٣.
- ١٧٠ مشايخ الساجيد هم شيوخ الطرق الصوفية وكان عددهم عند مقدم الحملة الفرنسية أربعة هم الشيخ البكرى وجده أبو بكر الصديق، والشيخ السادات وجده الإمام على بن أبي طالب والشيخ العثاني وجده عمر بن الخطاب، والشيخ الخضيرى وجده الزبير بن العوام. وكان لهم دور بارز في الحياة السياسية خلال هذا العصر. توفيق الطويل (دكتور)، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج ١، ص ١٠٣. سلسلة تاريخ المصريين (٢١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.
- ١٧١ أمير آخور: اسم مركب من لفظ (أمير العربي) و (آخور) الفارسي ومعناها المعلق، وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب السلطانية في الأسطبلات في دولة المماليك. حسن الباشا (دكتور)، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ١٧٦، ١٨٣.
- ١٧٢ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الحنفى، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ١، ص ٥٠، طبعة الأنوار المحمدية، دون تاريخ.
- ١٧٣ المصري، التاريخ العيني، ص ٢٢٤.
- ١٧٤ عزبان، أحمد كتحدا، الدرة المصانة في أخبار الكتانة، ص ٧٩.
- ١٧٥ الجبرتي، عجائب الآثار، ص ٥٠.
- ١٧٦ عزبان، الدرة المصانة، ص ٧٩.
- ١٧٧ جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٢٤٠.
- ١٧٨ أحمد الصاوي، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ٢٥٥.
- ١٧٩ الشنك: في التركية بمعنى يهيج وشنك البهجة والطرب، والشنك العربية من الشنك التركية قلبت لامهوننا، وأدغمت في النون الأصلية، وتطلق كلمة الشنك على الاحتفال الذي تطلق فيه النيران الملونة والمدافع في الأوقات الخمسة. أحمد السعيد سليمان، تأصيل الدخيل، ص ١٣٧.
- ١٨٠ ليلى عبد اللطيف (دكتورة)، الإدارة في مصر، ص ١٤١.
- ١٨١ أحمد متولى، قانون نامه مصر، ص ٩٢ - ٩٣.
- ١٨٢ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٠.
- ١٨٣ المصري، التاريخ العيني، ص ٢٠١؛ أحمد الصاوي، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ٢٥٧.
- ١٨٤ كازانوقا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٨٦.
- ١٨٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٣٦.
- ١٨٦ المصري، التاريخ العيني، ص ١٨٤.
- ١٨٧ كازانوقا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٨٦.
- ١٨٨ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ١٢١.
- ١٨٩ كازانوقا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٨٦ - ١٨٧.
- ١٩٠ كازانوقا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٨٧.
- ١٩١ القلقشندى، صبيح الأعشى، ج ٢، ص ٣٧٠.
- ١٩٢ المصري، التاريخ العيني، ص ١٩٢.
- ١٩٣ المصري، التاريخ العيني، ص ١٩٢، ٢٧٦، ٥٦٤، ٦٢١.
- ١٩٤ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٢٣١.
- ١٩٥ المصري، التاريخ العيني، ص ١٠٥.
- ١٩٦ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٢٢٩.
- ١٩٧ عبد العزيز عبد الدائم (دكتور)، تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك، ص ١١٨، مجلة المؤرخ المصري، العدد (٣)

- ٢١٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- ٢١٦ سعيد عاشور (دكتور)، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٧٩. دار النهضة العربية ١٩٦٢.
- ٢١٧ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٧٥.
- ٢١٨ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢١٢.
- ٢١٩ أحمد فؤاد متولى (دكتور)، قانون نامه، ص ٢١ - ٢٣.
- ٢٢٠ المصري، التاريخ العيني، ص ٣٠٠.
- ٢٢١ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٥١.
- ٢٢٢ أحمد فؤاد متولى (دكتور) قانون نامه، ص ٢٢. غير أن هذا لم يستمر طويلا إذ سرعان ما تنكر المصادر التاريخية ميبت بعض أفراد هذه الطوائف بالمدينة. انظر على سبيل المثال، المصري، التاريخ العيني، ص ٢٧٢.
- ٢٢٣ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ١٥٤.
- ٢٢٤ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٢٣٩.
- ٢٢٥ أحمد متولى (دكتور)، قانون نامه، ص ٢٢.
- ٢٢٦ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٢، ص ١٠.
- ٢٢٧ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٣٢٧.
- ٢٢٨ الميادين: هي تلك الأماكن الواسعة التي تتوسط المدن أو تكون بضواحيها، وقد استخدمت تلك الميادين استخدامات عديدة؛ فهي أماكن لتدريب الجيوش واستعراضها، وهي كذلك متنزهات عامة فهي ملتقى أهل المدينة في الاحتفالات والمواسم والأعياد، وكذلك الفرجة على الألعاب الرياضية والفروسية من سباق الخيل والعران على الطعن بالرمح والقتال بالسيوف، والألعاب الشيقة مثل لعب الكرة (البولو) ولعبة القبق وغيرها. محمد الششتاوي، ميادين القاهرة في العصر المملوكي، ص ٥، دار الآفاق العربية ١٩٩٩ م.
- ٢٢٩ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٥.
- ٢٣٠ قام محمد الششتاوي بتحديد أبعاد الميدانين معا في العصر المملوكي حيث يذكر أن طولهما ٧٥٠ مترا في المتوسط وعرضهما ١٠٠ متر، أما حدودهما فهي: الحد الشرقي من أول سكة المحجر قباب العزب فسور القلعة حتى مسجد الغوري بحرب اليسار، والحد الجنوبي من مسجد الغوري حتى جامع السيدة عائشة حتى جامع الرفاعي، والحد الشمالي من جامع الرفاعي إلى أول سكة المحجر. محمد الششتاوي، ميادين القاهرة، ص ١٠.
- ٢٣١ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٢٨.
- ٢٣٢ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٩.
- ٢٣٣ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٥٦، ٦٠، ١٠٢.
- ٢٣٤ محمد الششتاوي، ميادين القاهرة، ص ١٨.

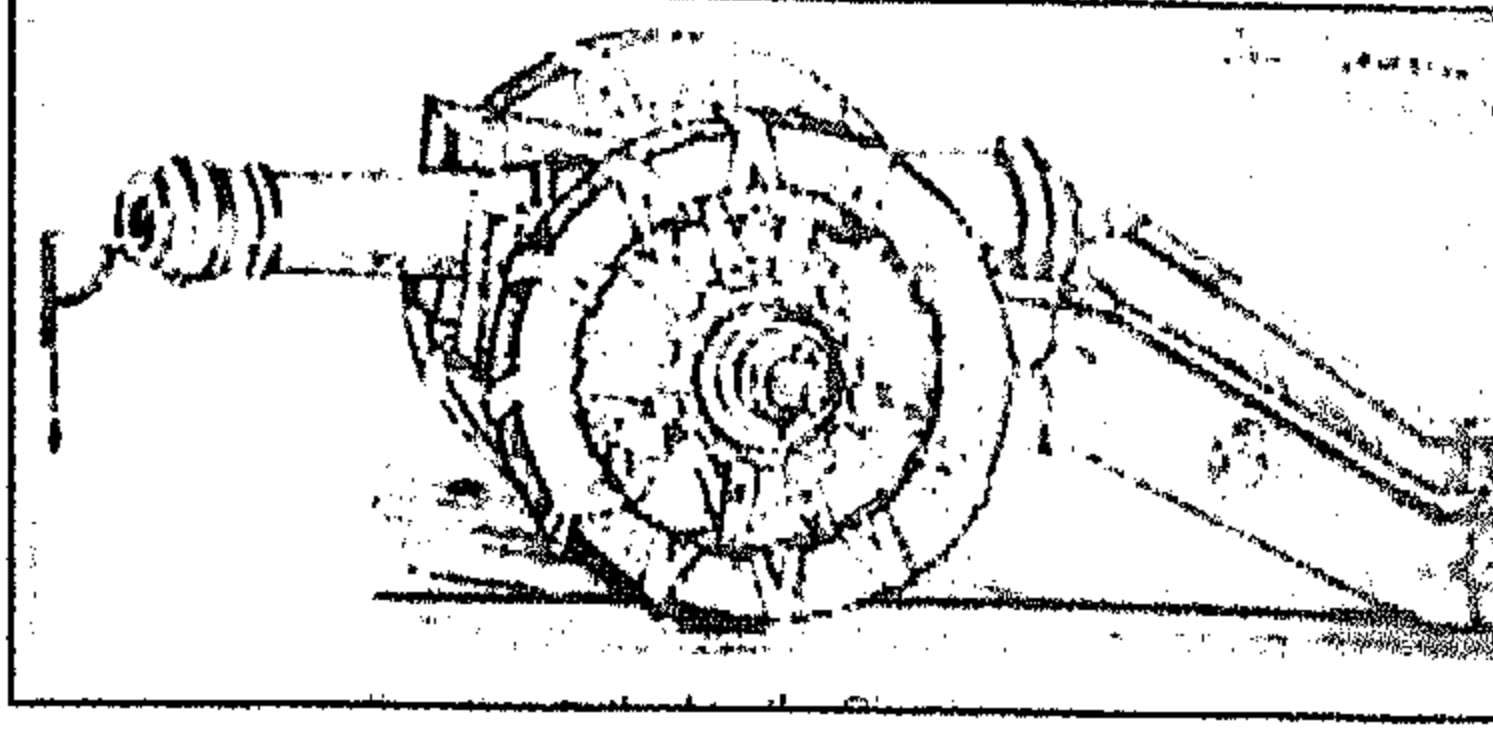
- يناير ١٩٨٩م؛ على السيد (دكتور)، الهجرات المغولية إلى مصر، ص ١٠٠، مجلة المؤرخ المصري، العدد (١٥) يوليو ١٩٩٥ م.
- ١٩٨ عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة صلاح الدين، ص ٣٦.
- ١٩٩ سجلات محكمة الصالح، سجل ٣٢٢، مادة ١١٨٤، ص ٣٥٩.
- ٢٠٠ وثيقة وقف إبراهيم آغا مستحفظان، رقم ١٤٩٩، أوقاف، ص ٥٧.
- ٢٠١ ورد وصف هذا المنزل في وثيقة وقف إبراهيم آغا، وهو يشتمل على قاعة أرضية وإسطبل وقسحة كشف سماوي، ومطبخ سقلى وقاعة برسم الكيلار ورواق مستجد علو تلك ومطبخ علوى وكرسى راحة. وتفيد وثيقة الوقف السابقة في معرفة معالم النطاق الشمالى من القلعة، فموقع المنزل المذكور، له أربعة حدود، الحد القبلى ينتهى للطريق الموصل لدار الضرب، والبحرى يفصل بين المنزل وزاوية الطبايين، وفيه الواجهة، والشرقى ينتهى إلى مكان يوسف جاويش وبيت مال طائفة الينكجارية، والغربى إلى الطريق الفاصل بين سكن الأمير حسن جاويش سابقا. وثيقة وقف إبراهيم آغا مستحفظان، أوقاف ١٤٩٩ ص ٧٨٩ - ٧٩٠.
- ٢٠٢ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ١٥٢: ١٥٤.
- ٢٠٣ المصري، التاريخ العيني، ص ٢٧٢.
- ٢٠٤ جاويش: كلمة تركية تعنى الصباح أو النداء، والجاويش هو الشخصية الثالثة فى الجيش الانكشارى بعد الآغا والكتخدا وكان يقوم بتنظيم عرض مطالب الفرقة على الكتخدا، ويأذن فى الدخول على الآغا. ويراقب تدريبات الانكشارية. أحمد السعيد سليمان، تأسيس الدخيل، ص ٦٣.
- ٢٠٥ أحمد فؤاد (دكتور)، قانون نامه، ص ٢٠، ٢٢.
- ٢٠٦ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٧.
- ٢٠٧ عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم، ص ٢٧٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨
- ٢٠٨ وضعت العديد من المؤلفات فى الخيل والفروسية منها على سبيل المثال: مؤلف مجهول "الفروسية والطعن والضرب والتبديلات"، مكتبة الفاتح إستانبول مخطوط رقم ٣٥٠٩؛ مؤلف مجهول: مجموع فى الفروسية والجهاد والصيد القنص. مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوط رقم ١٢٠١؛ مؤلف مجهول: كتاب فى معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان. مكتبة أحمد الثالث إستانبول رقم ٢٠٦٦.
- ٢٠٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٢١.
- ٢١٠ الحراقة: نوع من السفن الحربية التي ترمى بالنيران، استعملها المسلمون فى العصور الوسطى. برويش النخيلي (دكتور)، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص ٣٢. جامعة الإسكندرية ١٩٧٤.
- ٢١١ المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٢، ص ٢٠٨.
- ٢١٢ Doris, the citadel of calro, P 64
- ٢١٣ رافت النبراوى (دكتور)، النقود الإسلامية فى مصر، ص ٢٤٨.
- ٢١٤ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣٩١.

- ٢٣٥ مسجل أثر تحت رقم ٢٧٧.
- ٢٣٦ المصري، التاريخ العيني، ص ٢٠٦.
- ٢٣٧ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١، ص ٤٢٥: ٤٣٠ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.
- ٢٣٨ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٢٢٩.
- ٢٣٩ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٢٢٩.
- ٢٤٠ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ١، ص ٤٢٥.
- ٢٤١ عثر على هذه المدينة عام ١٩٤٩ في ليتان، ولكن هذا الاكتشاف لم تلق نتائج الدراسات الكافية من قبل الآثاريين العرب. عبد الرحمن زكي (مكتور)، الفن الإسلامي، ص ١٦، دار المعارف ١٩٨٤ م.
- ٢٤٢ عبد الرحمن زكي (مكتور)، الفن الإسلامي، ص ١٦.
- ٢٤٣ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٢٢٩.
- ٢٤٤ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٨، ١٢.
- ٢٤٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٩٤.
- ٢٤٦ بييرس الدرادار، التحفة الملوكية، ص ٥٦.
- ٢٤٧ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ١٩٧؛ محمد الششتاوي، ميايين القاهرة، ص ٢٢.
- ٢٤٨ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٣٦٨.
- ٢٤٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٣٠.
- ٢٥٠ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٨؛ محمد الششتاوي، ميايين القاهرة، ص ٤١.
- ٢٥١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٦، ١٦٠، ٢٧٣، ٢٩١؛ محمد الششتاوي، ميايين القاهرة، ص ٤١.
- ٢٥٢ جمهورية جورجيا حاليا.
- ٢٥٣ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٦٨.
- ٢٥٤ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٤٢ - ٤٤.
- ٢٥٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٤٨ - ٤٤٩.
- ٢٥٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٥٨ - ٥٦٠.
- ٢٥٧ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٤٥٤.
- ٢٥٨ انظر على سبيل المثال: الفراء، الأحكام السلطانية: المصري، التاريخ العيني، ص ٢٦٩: ٢٧٤.
- ٢٥٩ إير لابدوس، مدن إسلامية في عهد المماليك، ص ٢٤، ترجمة دكتور على ماضي. الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٧م.
- ٢٦٠ أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ص ٢٨٨ - ٢٨٩. ترجمة زهير الشايب، نشر مؤسسة روزاليوسف، القاهرة ١٩٧٤.
- ٢٦١ مجهول، تاريخ ملوك آل عثمان، ورقة ٦٦، دار الكتب، تاريخ تيمور ٢٤٠٨؛ المصري، التاريخ العيني، ص ١٧٦، ١٩٧؛ ناصر إبراهيم، الأزمات الاجتماعية في مصر في القرن السابع عشر، ص ١٧٤. دار الأفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨.
- ٢٦٢ أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ص ٢٩ - ٣٠، ٣٢٨؛ القاهرة تاريخ حاضرة، ص ٢٠٤، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والبحوث، القاهرة.
- ٢٦٣ مجهول، زبدة اختصار تاريخ ملوك مصر المحروسة، مكتبة المتحف البريطاني رقم ٩٩٧٢؛ ناصر إبراهيم، الأزمات الاجتماعية في مصر، ص ١٧٥.
- ٢٦٤ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٤٨٠.

الفصل الرابع

القلعة في عصر محمد علي وخلفائه





إحدى قطع المدفعية



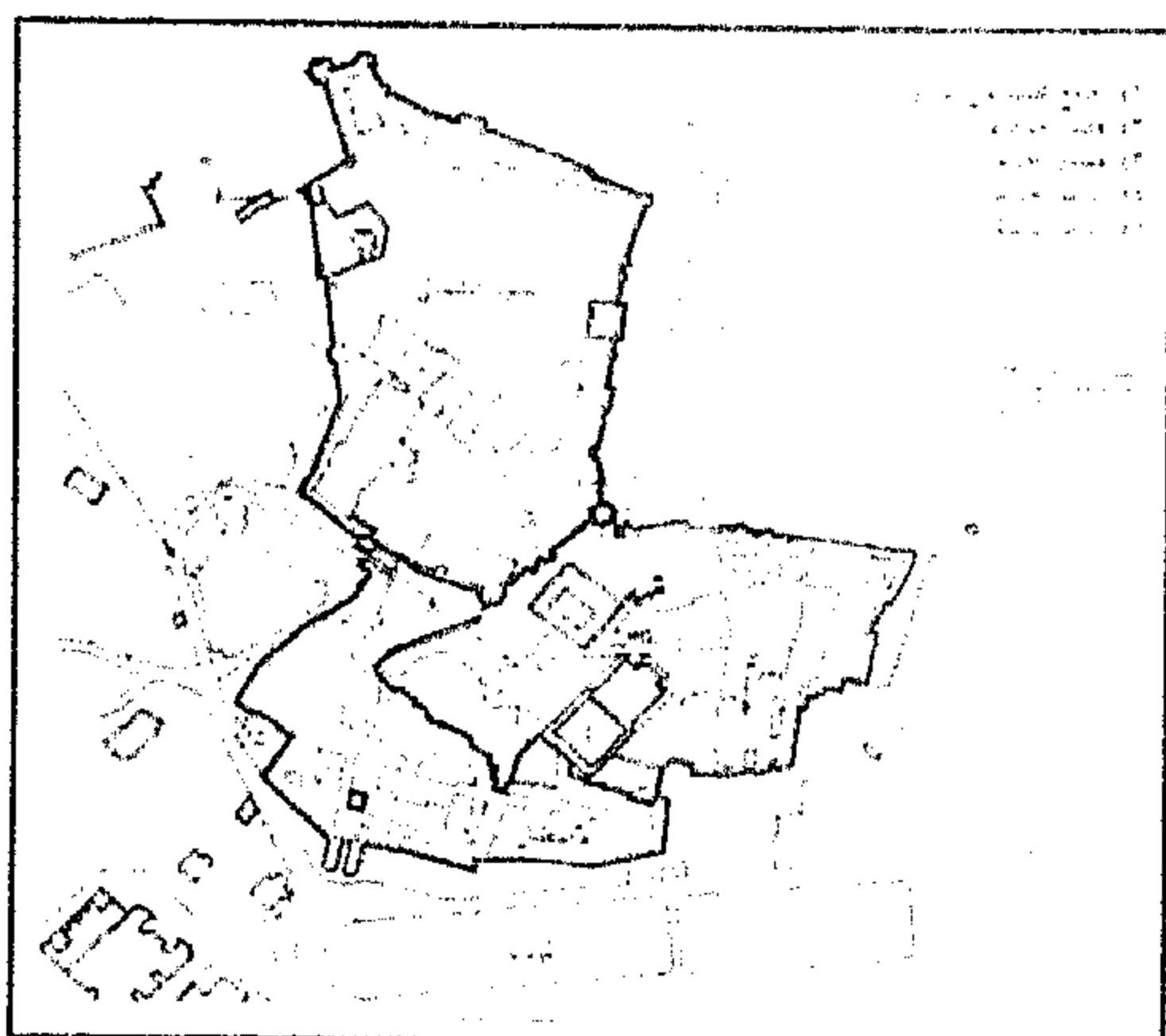
الممر الصخري حيث وقعت مذبحة المماليك

بدرجة كبيرة على تحديث الجيش المصري، وبداية إدماج الأهالي (المصريين) في مؤسسات السلطة. والقضاء على النظم التقليدية لصالح بناء الدولة الحديثة. ساعد هذا الإجراء على سرعة تحديث مصر، وهو ما ترك أثره على القلعة حيث انتهى دور فرق الجيش العثماني بها فلم نعد نرى وجودا للانكشارية ولا للعزب، بل أصبحت سلطة الباشا محمد على هي السلطة العليا والوحيدة في القلعة. بينما تأخر الأمر في تركيا إلى حين نجاح السلطان محمود في القضاء على الجند الانكشارية فيما عرف بالواقعة الخيرية في عام ١٨٢٦م، حيث دمرت ثكنات الانكشارية بالمدفعية واقتحمت في مذبحة تشبه مذبحة المماليك، قتل فيها ٤٠٠٠ جندي وشرّد ما يزيد على ٢٠٠٠٠، وتحالف

تسلم محمد على حكم مصر، ومقر حكمها في حالة يرثى لها، نتيجة لأسباب عدة، يأتي على رأسها التدمير الذي أحدثه الفرنسيون بها، والذي ذكره الجبرتي، وشمل نصب المدافع في عدة مواضع بالقلعة، لتدمير العديد من منشآتها، وشمل هذا التدمير العديد من المنشآت السلطانية كالقصر الأبلق وأبواب القلعة، كما هدموا سور الميدان وأبوابه، بل واستغلوا جامع سارية الجبل كسكن ومخزن^١.

كان نابليون بونابرت قد أمر في ٢٣ أغسطس ١٧٩٨م بأن ينشأ في القلعة فرنان للخبز ومخزن للطعام ومستشفى لاستعمالها في حالة الحصار^٢. وهو بذلك يعد القلعة آخر مكان يمكن الاحتباء به. لذا كان الفرنسيون حريصين على ترميم بعض أجزائها وإزالة ما يرونه عائقا في سبيل ذلك. وأخلى الفرنسيون القلعة وبقي حصون القاهرة عقب اتفاقهم مع العثمانيين والإنجليز على الانسحاب من مصر، وانتقلوا إلى قلعة الروضة ثم تركوا مصر نهائيا. ودخل العثمانيون القاهرة في ١٤ يوليو ١٨٠١م^٣.

أدى تتابع الأحداث إلى تولية محمد على حكم مصر في عام ١٨٠٥م، وكان عليه أن يصفى القوى المعارضة له، أو أن يكسبها إلى جانبه، فكسب بعض مشايخ الأزهر ونفى عمر مكرم الذي كان السبب في توليته حكم مصر، وصفى المماليك أشد معارضييه وأكبر خطر يتهدهده، وكان نروة هذه التصفية في مذبحة المماليك، التي أدت إلى استقرار الأوضاع لمحمد على، بدأت هذه المذبحة بدعوة الأمراء المماليك وجنودهم للمشاركة في موكب طوسون باشا بن محمد على المتوجه إلى الجزيرة العربية، فطلع الأمراء إلى ديوان الباشا ومع نزول الموكب من الممر الصخري إلى باب العزب رتب محمد على مع أتباعه إغلاق باب العزب عند اقتراب المماليك منه وتصفييتهم، ومن نجا تم إعدامه في حوش الديوان، وتمت تصفية من تبقى منهم بالمدينة^٤. وبذلك يعد هذا الممر الصخري شاهدا سياسيا على نهاية عصر وبداية عصر، ذلك أن العصر العثماني لم يشهد تغيرا كبيرا في طبيعة سيطرة المماليك على مصر، إلا في خضوعهم للسيطرة العثمانية القوية في بداية العصر، الضعيفة في نهايته، وكانت تلك المذبحة عاملا مساعدا



القلعة في عصر محمد علي

الشعب والعلماء مع السلطان في هذه المذبحة^٢ وتم حل فرق الانكشارية، وشُكِّل جيش على النمط الحديث عرف باسم (العساكر المحمدية المنصورة) وهو ما أدى إلى إقامة وتنشيط مؤسسات حديثة بالدولة^٣.

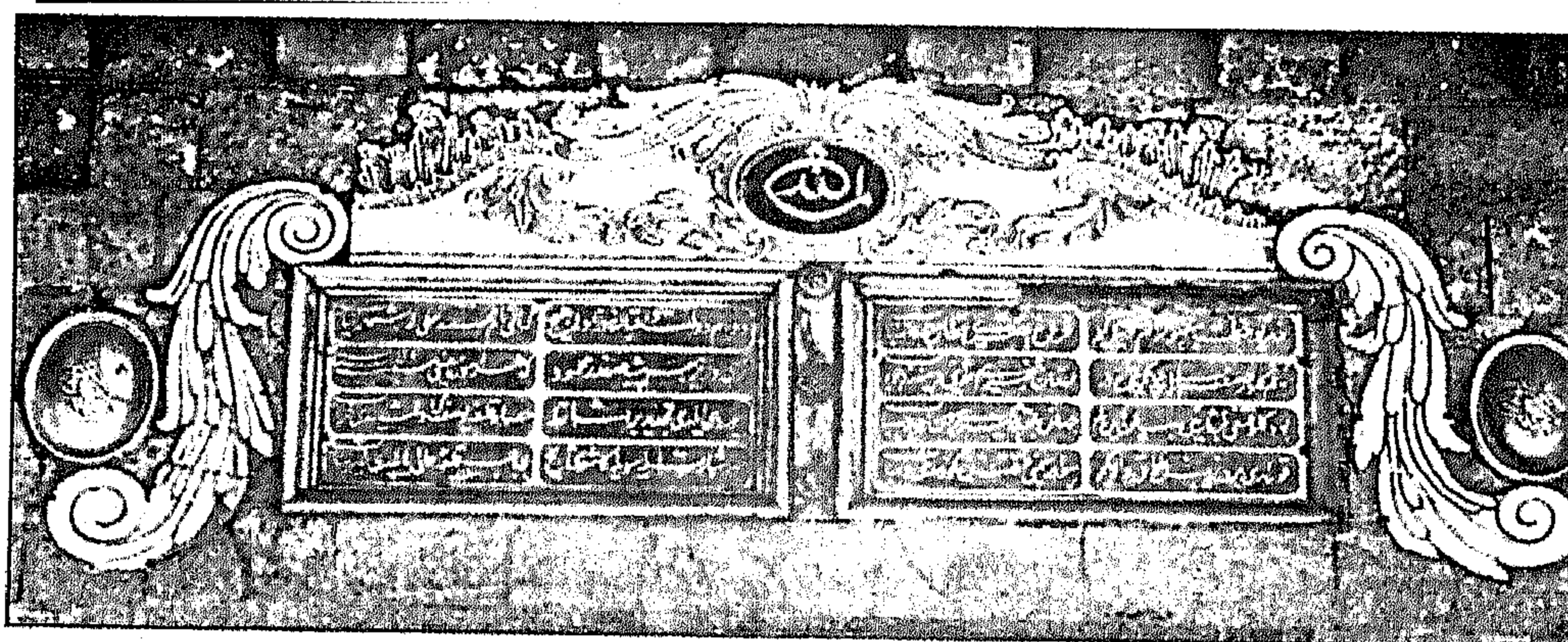
واجه محمد علي منذ توليه حكم مصر العديد من الصعوبات والعوائق، على رأسها عدم رغبة الدولة العثمانية في توليه أمر مصر، فسعت في عام ١٨٠٦م إلى عزله، وتوليته سلاتيك عوضاً عن مصر، وهو ما قابله محمد علي بالرفض ودفعه إلى الاهتمام بالقلعة، وزيادة تحصينها، وساعده على ذلك استقرار جنده في مصر وزواجهم فيها. وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى تراجع الدولة العثمانية عن عزله^٤.

في عام ١٨٠٧م واجه محمد علي الخطر الإنجليزي، والذي تمثل في هجومهم على الإسكندرية، ساند القنصل الفرنسي محمد علي، وساعده في زيادة قوة تحصينات القلعة، وانتهت الأحداث بهزيمة الإنجليز في رشيد وانسحابهم^٥.

أثبت محمد علي تجديداته بالقلعة في ثلاثة نصوص تذكارية بالقلعة. النص الأول^٦ نقش على لوحة رخامية تعلو باب الشرك الذي قام محمد علي بسده، وهو مكتوب باللغة التركية، يوجد هذا النص في إطارين مستطيلين، مساحة كل منهما ٥٠ × ٦٠ سم داخل كل إطار أربعة أسطر، كل سطر من بحرين من الشعر كتب بالخط الفارسي يفصل بين كل خط والآخر خطوط بارزة وترجمة هذا النص كما

يلي^٦:

"خديو" الخطة المعمورة أم الدنيا الذي
أشعة نجمه تنير أقطار العالم كالشمس
فلن يصيب صفوف الإسلام غم، لأن
لسان خنجره يرد الجواب لأعداء الدين
فأى أثر كهذا من آثار نقوم بتبيان
إن بقاع خيره في الدنيا لا حصر لها
لقد أنشئ باب مزين مثل الطاق المعلى
حيث "دارا" في عهده لم ير مثل سواد رسمه
لاشك أبدا في دوام دولته وإقباله
لأن اسمه اشتهر باسم محمد علي



نص تجديد القلعة أعلى باب الشرك - عصر محمد علي باشا

يا له من وزير "سابق الهمة شجاع محمود
والله سبب الأسباب معين له في كل أموره
أمر، وبإشارة منه تجددت
قلعة يوسف بعد أن كانت خرابا
فقل يا كاشف "تاريخا بضم رأس إشارة
بنى باب القلعة هذا فكان خير مأب
١٢٤٠هـ"

والنص الثاني وضع على الحائط المواجه لدفتر خانه
محمد علي وقد كتب باللغة التركية أيضا وترجمته^{١٢}:

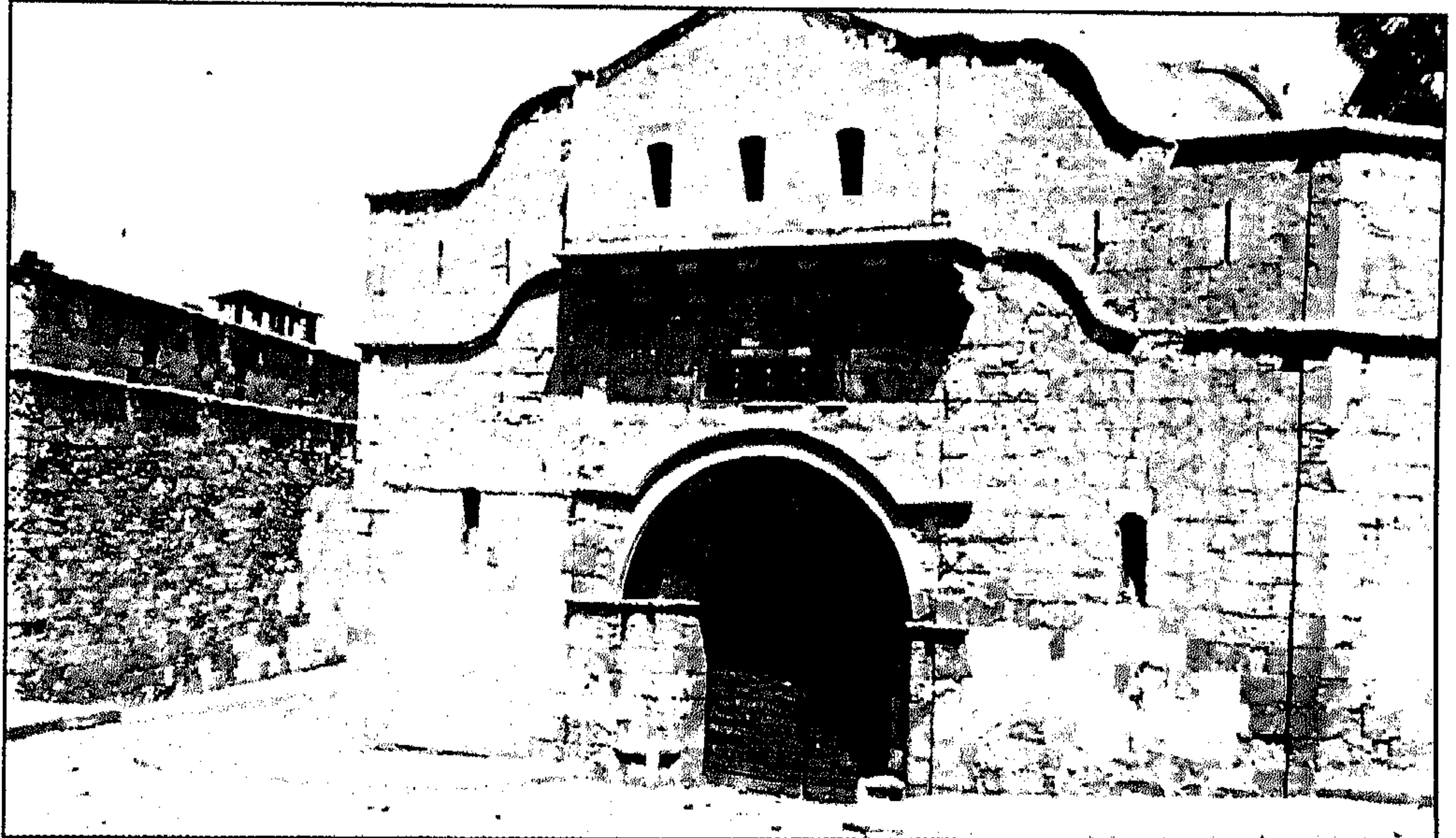
"والى مصر" محمد علي باشا الكريم
خديو أعظم لم يأت في الدنيا مثله
ومن جملة أعماله أن كانت قلعة مصر خرابا
كالعظم الرميم فجعلها كبستان إرم
فليحقق الله آماله بالليل والنهار
وليشرح الله صدره في كل آن
وضع "عزيز" تاريخا في شطره بعون الله
جدد بناء قلعة مصر من أساسها وجعلها قوية
١٢٤٢هـ"

والنص الثالث الذى يتضمن إشارة إلى تجديدات
محمد علي بالقلعة يوجد على الباب الفرعى المؤدى إلى
الفناء الأمامى للجناح الغربى لقصر الحرم وهو عبارة عن
نص تذكارى كتب باللغة التركية وترجمته^{١٣}:

"والى مصر محمد علي باشا الكريم
ذو الكلمة العالية وهو الخديو الأعظم
قد أراد له الحق سلوك هذا الطريق
ليشيد على خاطره (على عاتقه) ما تهدم من قبله في
هذا الركن

وعلى الجملة (كذلك) فقد كانت قلعة مصر
كالعظام الرميم فشيدها ببناء محكم
وخرج بعون الله تاريخ هذا الباب العزيز
الذى شيد بقلعة مصر على أساس جديد محكم
١٢٤٢هـ."

تدل الألقاب الواردة في النصوص السابقة على
طبيعة حكم محمد علي لمصر، ففي لقب والى مصر في
النصين الثانى والثالث تعبير عن تبعية مصر للدولة
العثمانية. وعلى استمداد محمد علي جانبا من شرعية



نص تجديد القلعة أعلى الدفترخانة - عصر محمد علي باشا

حكمه من فرمان عثمانى بتوليته حكم مصر. فى حين دل لقب خديو على رغبة محمد على فى الاستقلال عن الدولة العثمانية. فهذا اللقب كان يعطى سابقا فى فارس وتركيا إلى بعض حكام الأقاليم المستقلة^{١١}. وكان محمد على يستمد جانبا من قوته من كونه ولى أمر مصر بناءً على رغبة المصريين، وعلى حربه للوهابيين فى شبه الجزيرة العربية نيابة عن الدولة العثمانية وعلى مشاركته فى حرب المورة^{١٢}. ومن هذا المنطلق منح محمد على هذا اللقب لنفسه دون انتظار أن يمنحه له السلطان العثمانى. وأقدم نص وصلنا إلى الآن يحمل هذا اللقب نص تأسيس مدفن شريف بك الذى يعود إلى عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م. وينص سبيل محمد على بالعقائين ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. ثم توالى النصوص بعد ذلك. وهذا يدل على شيوع هذا اللقب فى المكاتبات الرسمية بمصر^{١٣}.

حصل الخديوى إسماعيل على هذا اللقب بناء على فرمان من السلطان العثمانى فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م. وقد تأكد هذا اللقب بفرمان آخر صدر من السلطان فى ١٣ ربيع الآخر ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. ويعنى كل ما سبق أن السلطان بمنحه هذا اللقب للخديوى إسماعيل إنما كان يعترف بأمر كان قائما بالفعل^{١٤}.

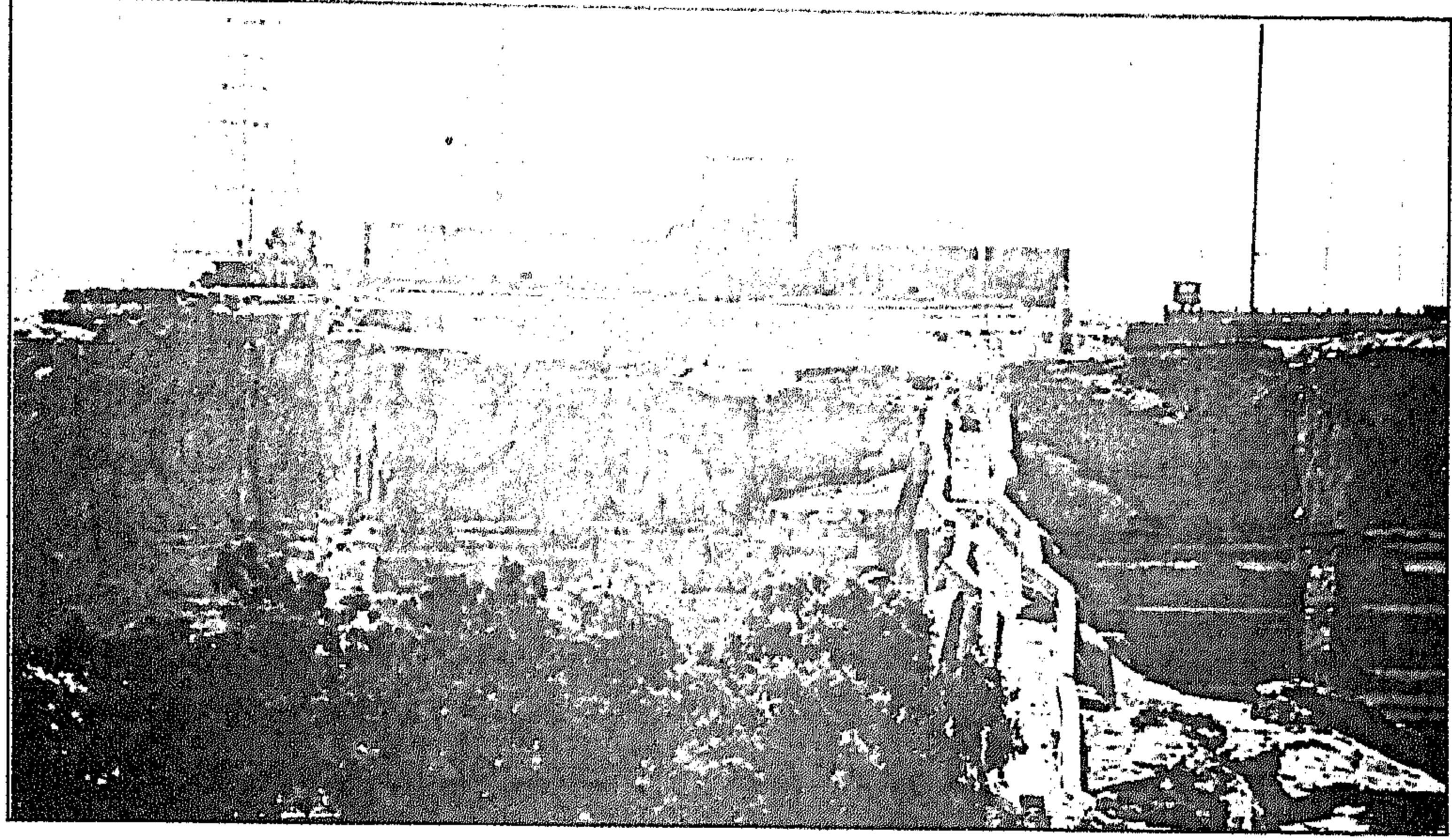
تدل أعمال محمد على على استيعابه لتقنيات العصر ومستجداته، ولنا فى ذلك الأمر ثلاثة إجراءات اتخذها: الأول هو إنشاء قلعة المقطم أعلى قلعة الجبل، والثانى إقامة أبواب جديدة للقلعة تسمح بمرور العربات، وهى وسيلة الانتقال التى بدأت تشيع بمصر منذ أن دخلها الفرنسيون. والثالث هو تشييده دارا للصناعات الحربية فى القلعة فى المكان الذى شغله جند العزب بالقلعة فى العصر العثمانى.

قلعة محمد على بالمقطم^{١٥}

أنشئت هذه القلعة لحماية قلعة الجبل، حيث أدت التطورات التى طرأت على الأسلحة بخاصة المدافع إلى سهولة قصف القلعة وتدميرها من جبل المقطم المواجه، حدث ذلك فى العصر العثمانى حينما احتلت طائفة العزب جبل الجبوشى

(المقطم) فى إثر نزاع دار بينها وبين الوالى العثمانى وطائفة الانكشارية عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م، وأطلقوا من جبل المقطم المدافع على ديوان الباشا وعلى باب الانكشارية^{١٦}. وحدثت تطورات إضافية منذ ذلك الحين فى المدفعية وقوة قذائفها ومداهما^{١٧} كان محمد على نفسه قد استخدم هذا الموقع فى محاصرة قلعة الجبل سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م حيث تم تصعيد مدافع إلى جبل المقطم لإحكام الحصار على الوالى المعزول أحمد باشا خورشيد^{١٨}.

بدأ محمد على هذا العمل فى عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م. حيث أمر بإنشاء زلاقة أى طريق صاعد ممتد من باب القلعة المعروف بباب الجبل إلى أعلى جبل المقطم وهو طريق واسع منحدر من أعلى إلى أسفل سهل فى الصعود والنزول، كان الهدف من إنشاء هذه الزلاقة هو تسهيل الصعود إلى المقطم من قلعة الجبل، وقد وصف الرجبى^{١٩} بناء هذه الزلاقة فى كتابه قائلا "فأمر (محمد على) بإحضار العملة والصناع وجمعهم فى هذه المحال والبقاع، فحضرها حسب أمره، وشرع فيما يثنى عليه به طول دهره، فأمرهم بنحت الأحجار وإتقان الصخور المهندمة الكبار، وإحضار كل ما يحتاجونه من حص وغيره، وكل عامل منهم فى شأنه وسيره فابتدءوا من هذا باب الجبل تجاهه وأحكموا عملهم متانة... وبالفعل فى قوة البناء المحكم حتى التصق بالجبل واستقام واستحكم، ومن رفقه بالمارة هناك جعل فيه قناطر للاستدراك يمر السائر فى ذلك الطريق الراكب على الجواد إذا خرج من باب القلعة مارا فى الطراد لا يزال يكر فى طلق واحد حتى يصير فى أعلى الجبل والعيون له تشاهد بحيث يصير الواحد والجمع العديد بلا تعب فى ذلك المسلك السديد، فحبذا هذا الاختراع والتجديد... وقد كان قبل ذلك يصير الصاعد فى تعب شديد وقلق بحال جهد جهيد"^{٢٠} هذه الزلاقة كان الهدف منها ربط قلعة الجبل بالقلعة الجديدة بطريق مباشر. يصل طول هذه الزلاقة ألف ذراع^{٢١} أى ما يقرب من ٦٤٠ مترا^{٢٢}. لم يتبق من هذه الزلاقة سوى جزء طوله ١٥٦م. وهو شديد الانحدار حيث تصل درجة انحداره من ١ إلى ٧ درجة. وعرض هذا الجزء متغير إذ



الزلافة الموصلة إلى قلعة محمد علي

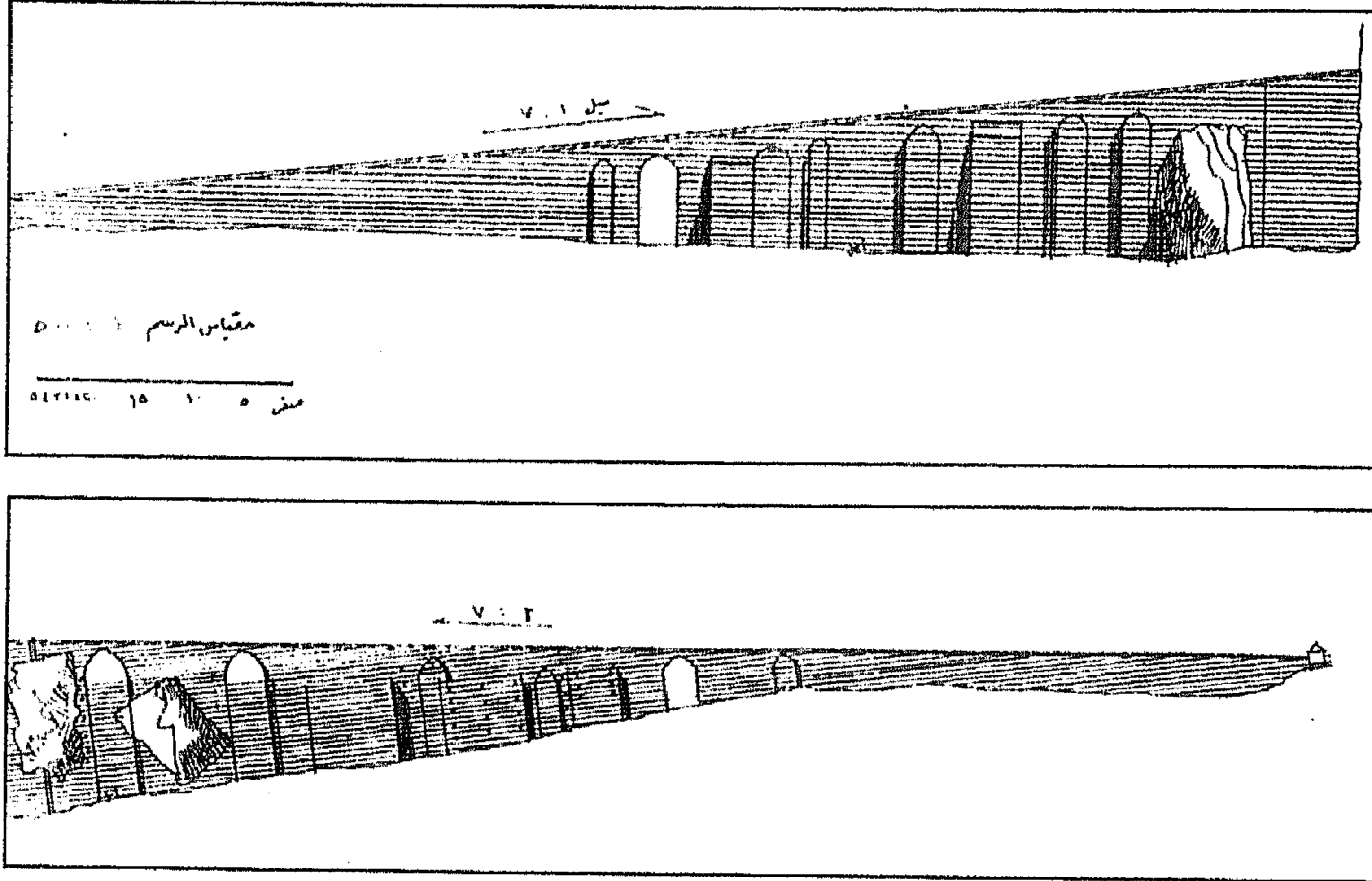
الأضلاع بهدف التحكم في مرامى النيران من كل الجهات^٣. وتتيح زوايا الأبراج فرصة قوية للدفاع عن القلعة، حيث يوجد بها أجزاء داخلية وخارجية، وكانت المدافع توضع فوق الأجزاء الخارجة أعلى البرج، وبذلك تتوجه فتحات المدافع من الدروة التي تعلو البرج وليس من خلال فتحات مزاغل. وهو ما يتيح لها تتبع حركة العدو إذا ما هاجم القلعة.

كان يحيط بالقلعة خندق كبير يشكل خط دفاع عنها معظمه مردوم حالياً. ويتراوح عرض الخندق حالياً ما بين ٥ و٦ م وعمقه حالياً ٢ م. يتكون تخطيط قلعة محمد علي من مساحة شبه مربعة حدودها الخارجية ٧٠ م، أما مساحتها الإجمالية فهي ٢٩٠٠ متر مربع، ويخرج من أركانها أربعة أبراج رئيسية غير منتظمة الشكل، يتكون تخطيط البرجين الموجودين في الواجهة الشمالية الغربية من شكل مخمس غير منتظم الأضلاع، أما البرجان الموجودان في الواجهة الجنوبية الشرقية فتخطيطهما غير منتظم الأضلاع.

تعد الواجهة الشمالية الغربية هي الواجهة الرئيسية للقلعة حيث تواجه قلعة الجبل وتلتقي مع الزلافة الصاعدة من قلعة الجبل للمقطم وطول هذه الواجهة ٧٣ م. وفي

يتراوح بين ٤ و٥ أمتار. تبدأ الزلافة من أسفل بدعامتين حجريتين مربعتين يعلو كلا منهما شكل هرمي وتتقدم كل دعامة جليستان حجريتان تأخذان شكلاً نصف دائري، وقد خصصت هاتان الجليستان لجلوس جنود الحراسة. والزلافة تصميمها غير مستقيم إذ إنها متعرجة بخاصة من أعلى إلى أسفل. وهو ما يزيد من قوتها من الناحية الإنشائية، علماً بأن جبل المقطم دائم الحركة وذلك لأسباب جيولوجية وبيئية^٤، وهذا ما جعل المهندس حريصاً على متانة وقوة الزلافة. فدعم واجهتيها الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية بعدة دعائم حجرية تختلف في أشكالها وأحجامها. يصل ارتفاع الزلافة عند جبل المقطم إلى ٤١ م، وبذلك ضمن محمد علي سرعة الاتصال بين قلعة الجبل والمقطم حيث القلعة الجديدة.

شيد محمد علي قلعته بعد الانتهاء من تشييد الطريق الصاعد إليها، وجاء هذا التخطيط وفق معطيات العصر، إذ روعي فيه استخدام المدافع والبنائى للدفاع عن القلعة من جميع الزوايا. عرف هذا التخطيط بالمبستن أو البستيون "Bastion". وهو اصطلاح أوروبى يشير إلى حصن له زوايا في أركانه الأربعة، هذه الزوايا منفرجة وغير منتظمة

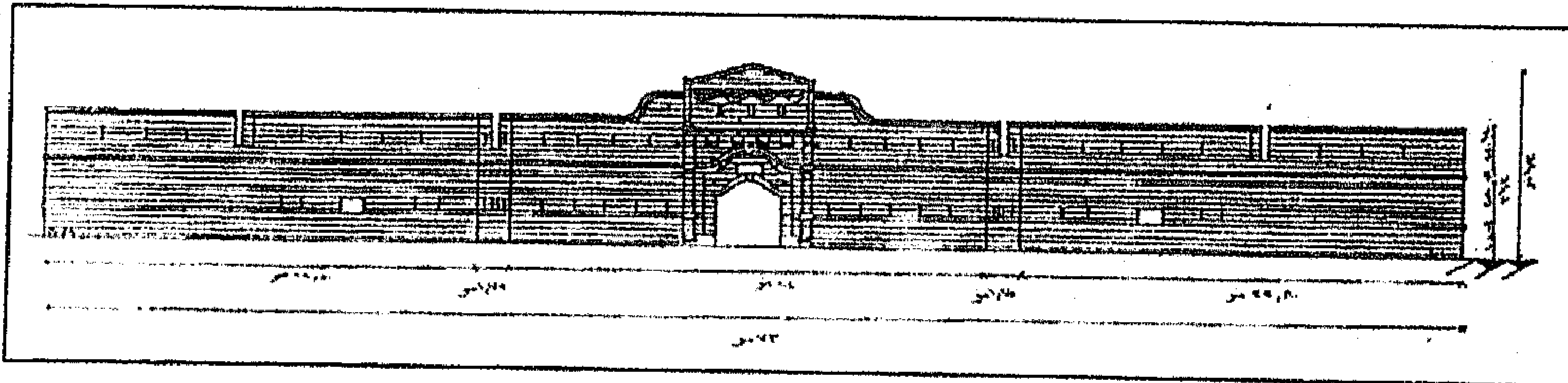


الزلافة الموصلة إلى قلعة محمد علي - رسوم توضيحية

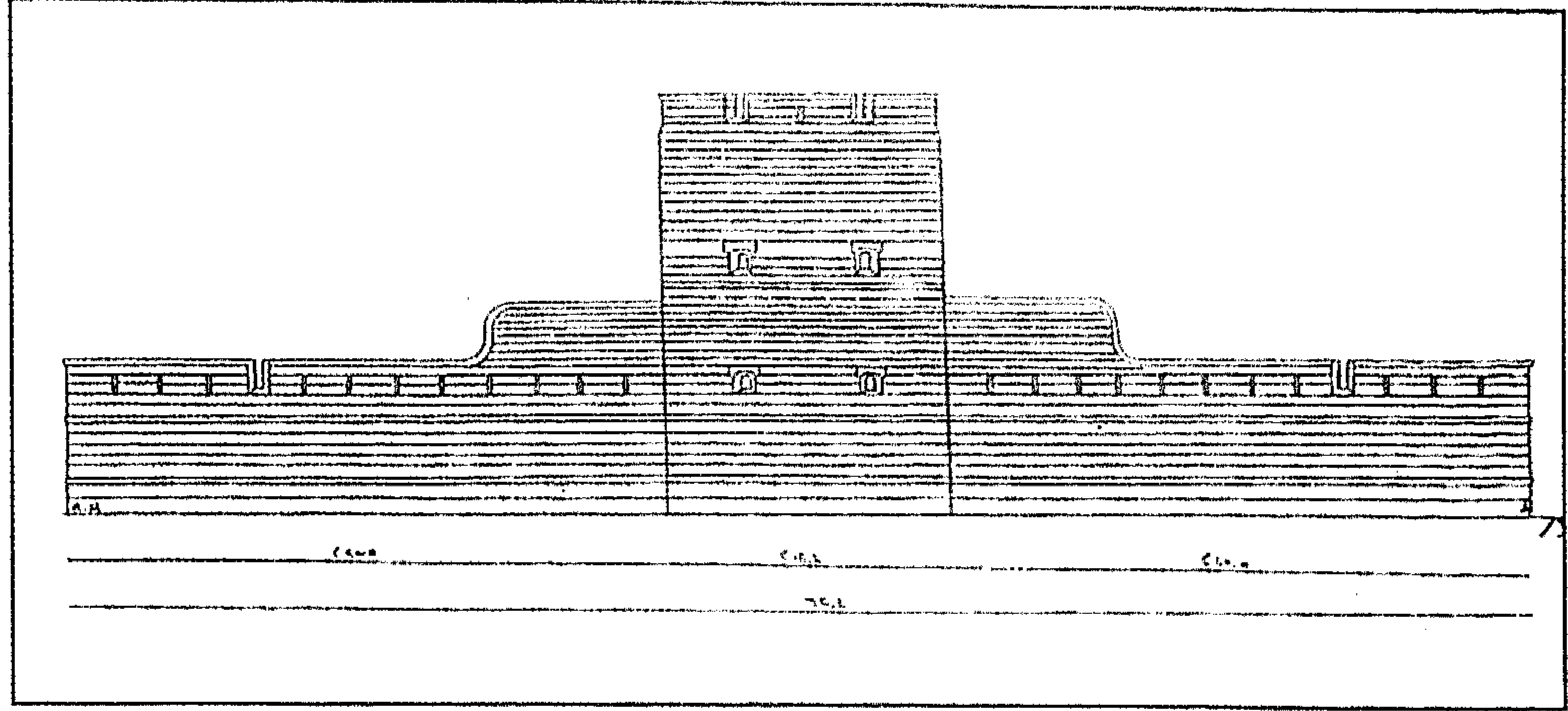
على القلعة، وسقف غرفة المراقبة الجمالوني الشكل زخرف
بستارة مثثة على الطراز الرومي.
تنقسم الواجهة الشمالية الغربية إلى مستويين،
المستوى الأول به ٢٦ فتحة مزغل من المزاغل التي كانت
تفتح لإطلاق السهام غير أنها هنا تستخدم لإطلاق رصاص
البنادق. كما توجد بهذه الواجهة فتحتان مستطيلتان
معدتان لتستخدمهما للمدافع. أما المستوى العلوي فبه
٢٦ فتحة مزغل إلى جانب أربع فتحات كبيرة مستطيلة
الشكل.

أما الواجهة الجنوبية الشرقية فيوجد بها ميل قدره

ركنيتها برجان يميلان عن الواجهة بميل قدره ١ : ٧ درجة.
ويتوسط هذه الواجهة كتلة المدخل الرئيسي، وهو مسدود
حالياً. وللمدخل باب بقنطرة عبارة عن باب متحرك يصعد
ويهبط بسلاسل ملفوفة على بكر. وكان يعلو كتلة المدخل
نص تأسيسى مازال مكانه باقياً إلى اليوم. ويحيط
بالمدخل من أعلى كرنيشان على هيئة منحني عرف باسم
Frinsh Carve. يعلو المدخل غرفة المراقبة الرئيسية،
وهي محمولة على ستة كوابيل حجرية، ويوجد بها ثلاث
فتحات مستطيلة تستخدم كفتحات للمراقبة وفي الوقت
نفسه كفتحات مزاغل لإطلاق نيران البنادق عند الهجوم

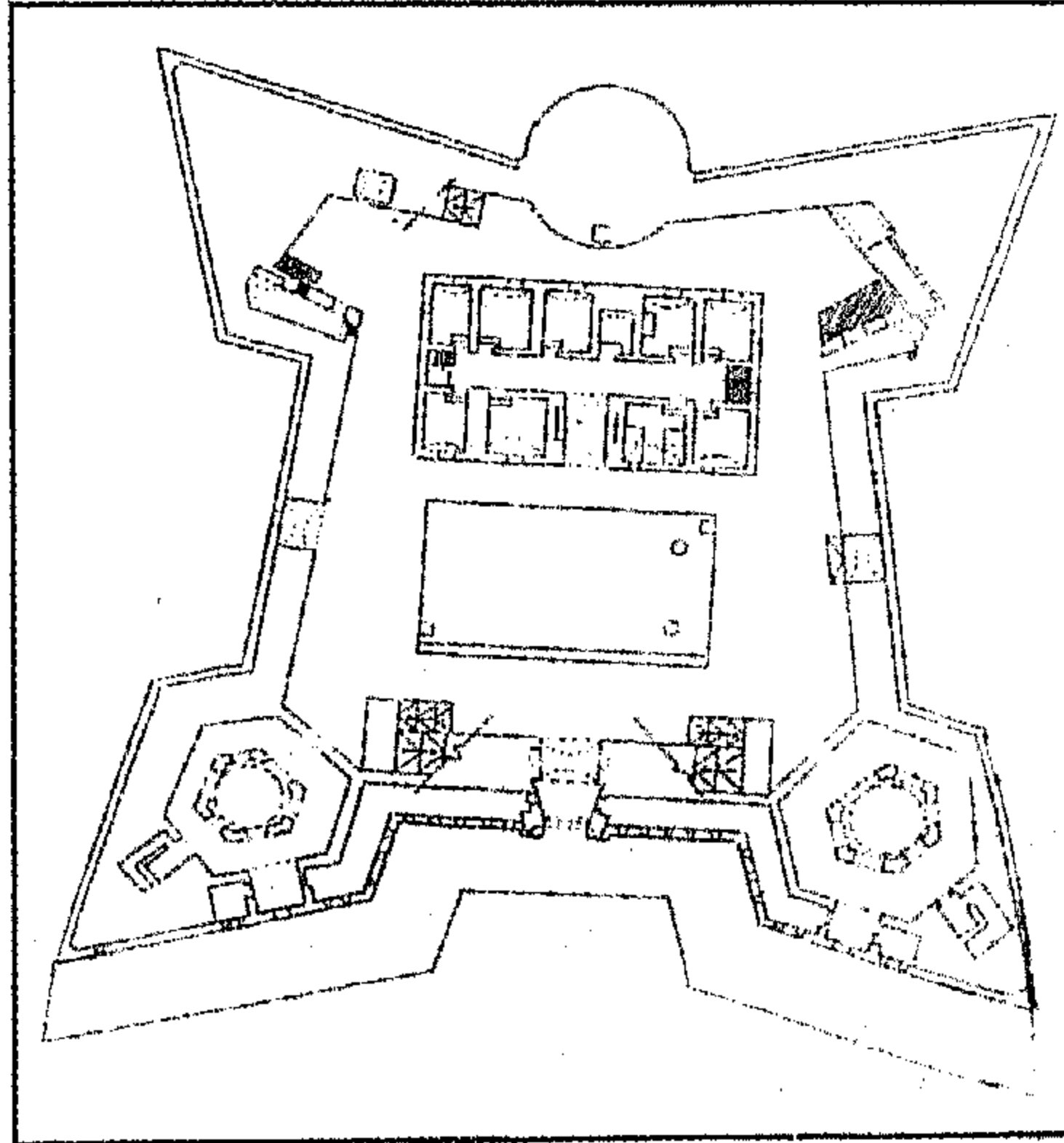


قلعة محمد علي بالمقطم - الواجهة الشمالية الغربية



قلعة محمد علي بالمعظم - الواجهة الجنوبية الشرقية

للقلعة. أما الطابق الأول فيعتبر سطح القلعة أو دروة القلعة حسب المصطلح العسكري وقت إنشائها، ويصعد إليه عن طريق زلاقات من قناء القلعة، وقد استخدمت هذه الزلاقات لسهولة الصعود والهبوط عليها، خاصة في حالة إصعاد المدافع أو إنزالها من سطح القلعة. أما قناء القلعة فيتوسطه مبنى مكون من طابقين كان يستخدم لمبيت الجنود. كما يوجد به صهريج مياه كبير لخزن المياه



قلعة محمد علي بالمعظم - مسقط أفقي

٥: ١. ويوجد بها في المستوى العلوى ٢٢ فتحة مزغل. يتوسط هذه الواجهة برج مراقبة دائرى الشكل ارتفاعه ٢٠م، يتكون من ثلاثة طوابق. بكل من الطابق الأول والثانى فتحتان مستطيلتان معقودتان بعقد نصف دائرى يعلوها عتب حجري، وهى فتحات تضيق من الداخل (٥٠ سم) وتتسع للخارج (١٤٠ سم) وكانت تستخدم للمدافع. أما سطح البرج فيرتد إلى الداخل قليلا وقد فتحت بدورته فتحتا مدفع كبيرتان مائلتان تتوسطهما فتحة مزغل، ويؤطر البرج من أعلى كرنيشان من الحجر.

وتتماثل كل من الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية حيث يبلغ طول كل منهما ٧٠ م تقريبا، وميولهما على خط الواجهة ٥: ١، وفتح بالمستوى العلوى لكلتا الواجهتين ٢٢ فتحة مزغل إلى جانب أربع فتحات مدافع كبيرة ذات ميلين. وقد فتح في منتصف الواجهة الشمالية الشرقية فتحة باب مستطيلة مستحدثة تستخدم حاليا كمدخل للقلعة حيث إن المدخل الرئيسى مسدود.

والقلعة مكونة من طابقين يشتمل الطابق الأرضى على غرف للمراقبة والحراسة وحجرات كانت تستخدم كمخازن للعتاد الحربى إلى جانب ممرات وسرايب داخلية بكل من الضلع الشمالى الغربى والضلع الجنوبى الغربى



أحد محاريس الطريق الصاعد

ارتفاعها فيبلغ ١٦ م. ويزيد قليلاً في الركن الأيمن لمواجهة الباب الشمالية لوجود محراس أعلاها. تتوسط فتحة الباب الواجهة حيث يعطوها عقد نصف دائري. وقد زخرفت فتحة الباب والعقد بوسائد حجرية. ويحيط بعقد الفتحة من أعلى جفت لآعب بميمات ينتهي بميمة كبيرة أعلى مفتاح العقد. ويكتنف دخلة الباب مكسلتان، ويغلق على هذا الباب باب من الخشب المصنوع بألواح حديدية مثبتة بمسامير مكوبجة. والباب من فودتي باب فتحت في اليمنى خوذة صغيرة. تستخدم للدخول إلى القلعة، وكان الباب لا يفتح بكامله إلا عند مرور عربة أو مدفع. يعلو المدخل السابق لوحة تذكارية كتب بداخلها بخط الرقعة البارز على أرضية من فروع نباتية "يا مفتاح الأبواب". ويوجد أسفل الكتابة السابقة باللوحة إطار زخرفي كتب بداخله "راقمه عبد الغفار" ويوطر اللوحة إطار زخرفي من فروع نباتية تتخللها زهور الرمان. ويعلو هذه اللوحة غرفة مراقبة تبرز عن واجهة فتحة الباب على حرامدين حجريين، وسقفها

العذبة، وهو محفور في تخوم صخر المقطم. ذكر الرجبي هذا الصهرج في كتابه بقوله "وأن يتخذ به سبيل جليل لخزن الماء العذب ليكون ثم كالسبيل"^{٣١} وهذا الصهرج ردمت أجزاء منه حالياً^{٣٢}.

يرى البعض أن من أسباب تشييد هذه القلعة، أن يجد محمد على منفذاً إلى خارجها عند حدوث أية مؤامرة ضده سواء بحصار القلعة أو بقيام ثورة عارمة بالقاهرة^{٣٣}. غير أن السبب الرئيسي في بنائها هو حماية قلعة الجبل من أي هجوم محتمل بالمدافع من جبل المقطم، وكذلك مراقبة العاصمة المصرية من هذا المكان المرتفع وإحكام سيطرة الباشا على جبل المقطم.

الطريق الجديد للقلعة

يعد إنشاء طريق جديد صاعد إلى القلعة الإجراء الثاني الذي اتخذته محمد علي وهو إجراء يعكس استخدام محمد على العربية كوسيلة انتقال رئيسية وكذلك ظهور المدافع ذات العجل، هذا التطور ترك أثره على أبواب القلعة، وهذا يتضح في عمارة كل من الباب الجديد والباب الوسطاني اللذين شيدهما مع الطريق الصاعد الجديد للقلعة. شُيِّد هذان البابان في الفترة (١٨٢٤: ١٨٢٦ م). بعد أن تم ردم أجزاء من الباب المدرج^{٣٤} وهو الباب القديم للقلعة. وجزء من الممر المنحوت في الصخر، وكذلك ردم البوابة الواقعة أسفل الباب الوسطاني والتي كانت تعرف بباب السر الكبير. ومن الملاحظ في هذين البابين اختفاء عناصر الدفاع التقليدية التي كانت تستخدم في أبواب القلاع كالزلاقات مثل التي كانت توجد في باب العزب في القلعة أو باب زويلة في أسوار القاهرة الفاطمية أو المداخل المنكسرة على نحو ما كان موجوداً في مدخل الباب المدرج بالقلعة.

الباب الجديد

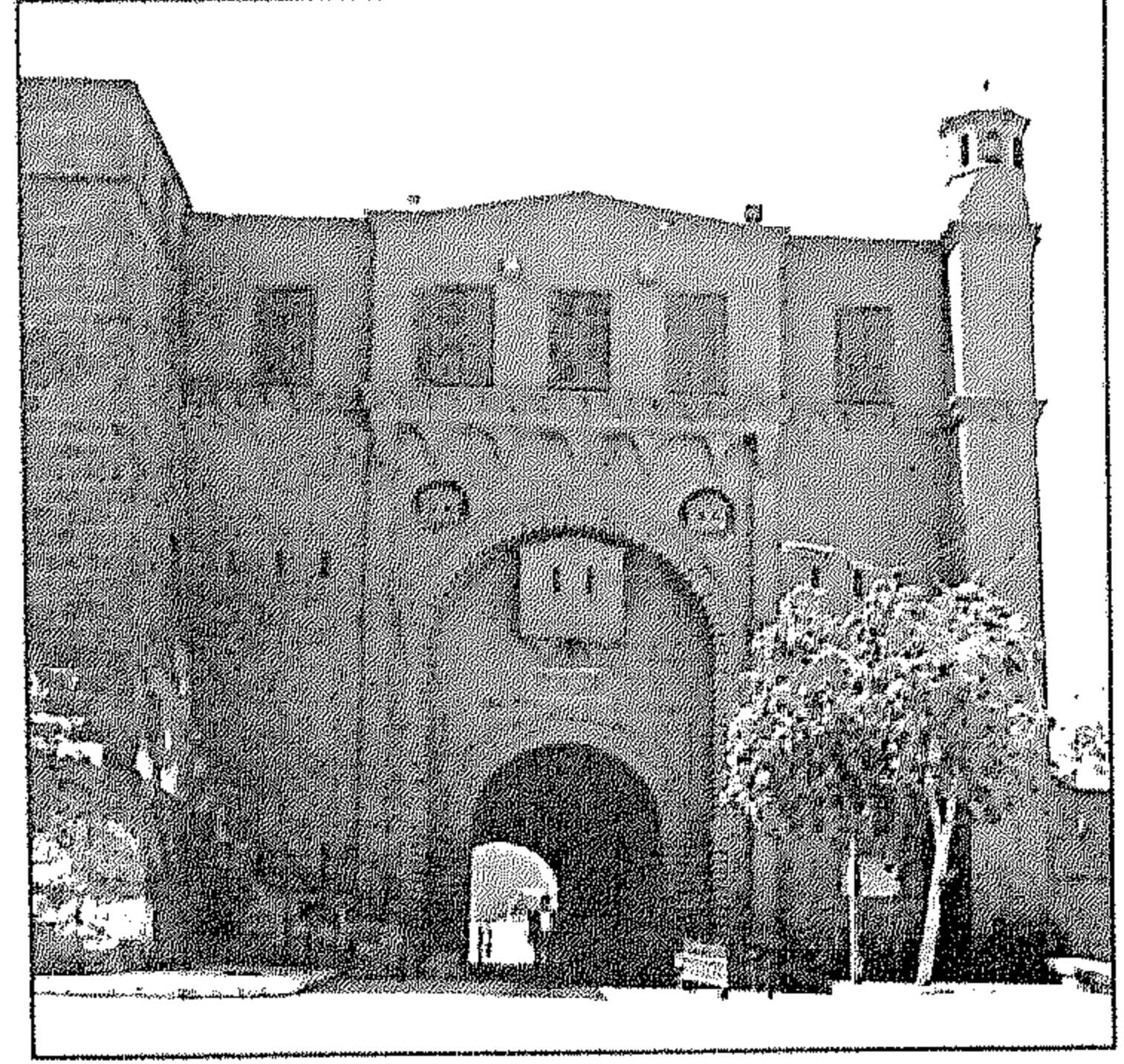
بنى هذا الباب على رديم رفع أرض القلعة أسفله إلى مستوى يوازي الطريق الجديد الصاعد إلى القلعة، يبلغ طول الواجهة الشمالية للباب الجديد ١٥,٥٠ م، أما

والأعلام والبيارق، والبنادق والسيوف والدروع والبلط والرماح إلى جانب الهلال والنجمة. وكلها تلتف حول ما يشبه الزهرة في المنتصف.

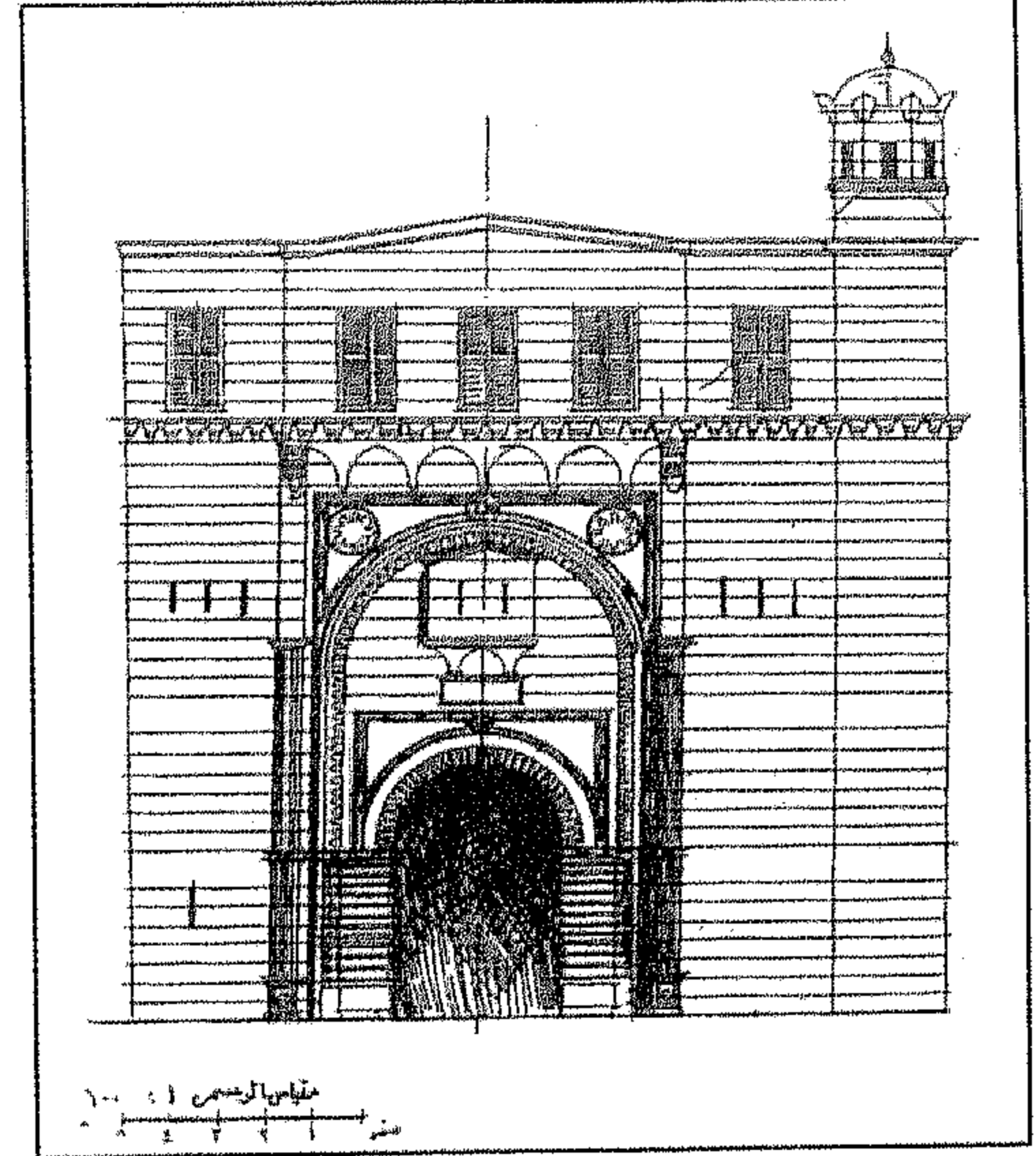
يحدد كتلة المدخل إطار على الجانبين على هيئة دعامتين حجريتين ومن أعلى كوابيل حجرية تبرز عليها حجرة المراقبة الرئيسية التي يسقفها سقف جمالوني، ويوجد بها ثلاثة شبابيك، وعلى يمين ويسار الغرفة يوجد شباك. يفتحان على حجرتين لهما سقف مسطح، وفي أعلى الركن الشمالي الغربي للواجهة يوجد محراس عبارة عن بناء مئمن تعلوه قبة حجرية وهو يرتكز على مربع شطفت زواياه. وكان هذا المحراس يستخدم في مراقبة القادمين إلى القلعة.

أما الواجهة الجنوبية للباب الجديد فيتوسطها الباب وهو عبارة عن فتحة معقودة بعقد نصف دائري، يعلوه عقد ذو طيات مزخرفة بوسائد رأسية وزخارف هندسية. ويعلو فتحة المدخل لوحة تذكارية كتب بداخلها بخط الرقعة البارز على أرضية من فروع نباتية "افتح لنا خير باب"، أسفل هذه الكتابة إطار زخرفي بداخل اللوحة كتب بداخله "راقمه عبد الغفار". ويوتر اللوحة إطار زخرفي بارز من الزخارف النباتية تتخللها زهور الرمان. ويحدد كتلة المدخل إطار على الجانبين على هيئة دعامتين. ويعلو ذلك حجرة مراقبة بارزة عن الواجهة بكوابيل حجرية لها سقف جمالوني. وعلى يمين ويسار فتحة الباب حنيتان عرض كل واحدة منهما ٢,٧٠ وعمقها ٤٠ سم. وقد عقدت كل منهما بعقد نصف دائري زخرف بوسائد رأسية، وفي الطرف الأيسر من الواجهة فتحة باب يعلوها عقد مورتور تؤدي إلى بقايا درج الباب المدرج حيث يوجد في نهايتها فتحتا باب، الأولى في المواجهة وتؤدي إلى دركاة الباب المدرج والثانية على اليسار وتؤدي إلى الطابق العلوي للباب الجديد. والذي يوجد به مجموعة من الحجرات المختلفة المساحة.

يوجد بين فتحتي الباب ردهة، وهي ردهة طويلة، تنقسم إلى خمس مساحات تبدأ من فتحة الواجهة الشمالية بمساحة مربعة الشكل يسقفها على هيئة قبة

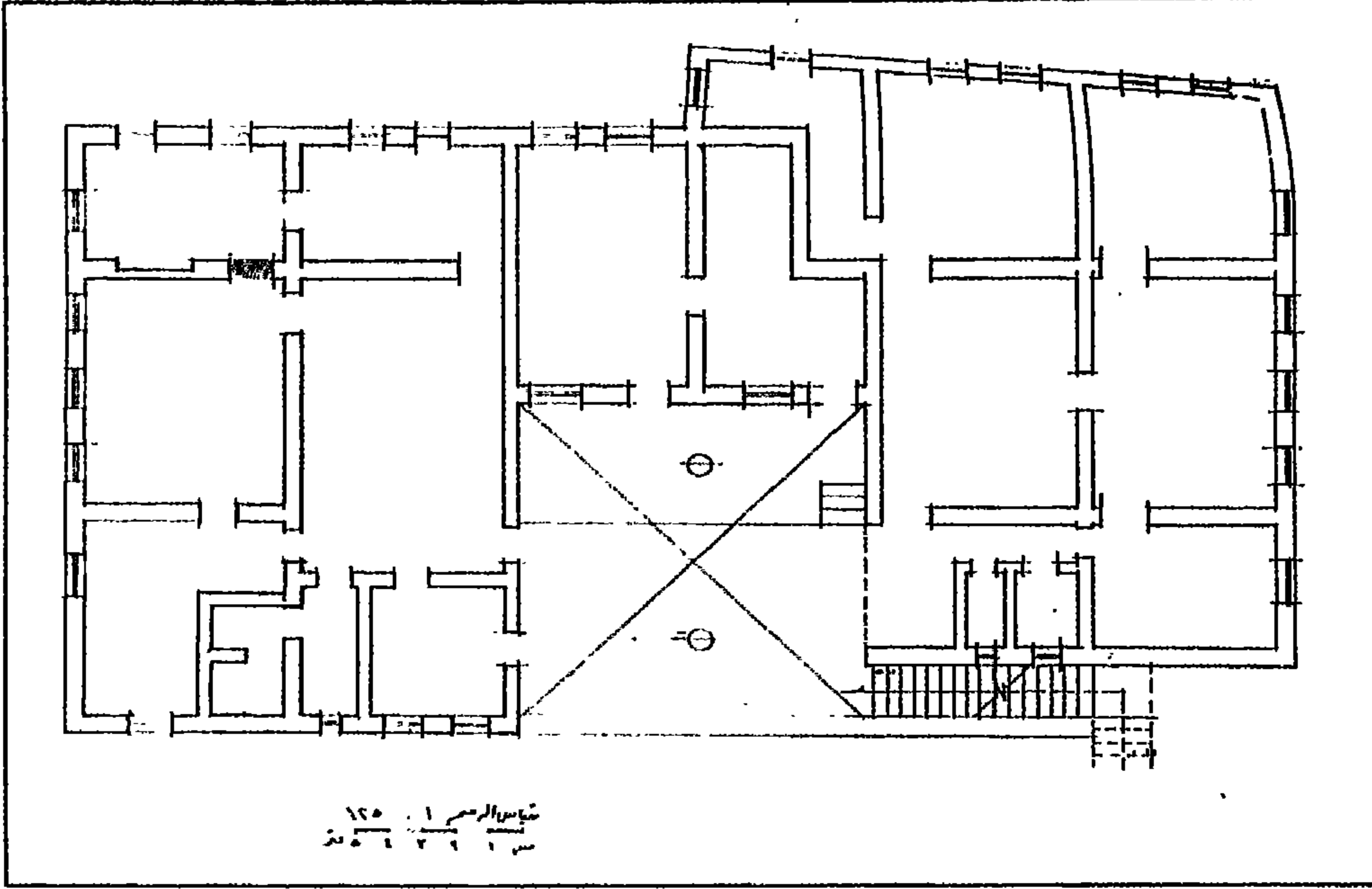


الباب الجديد - الواجهة الشمالية

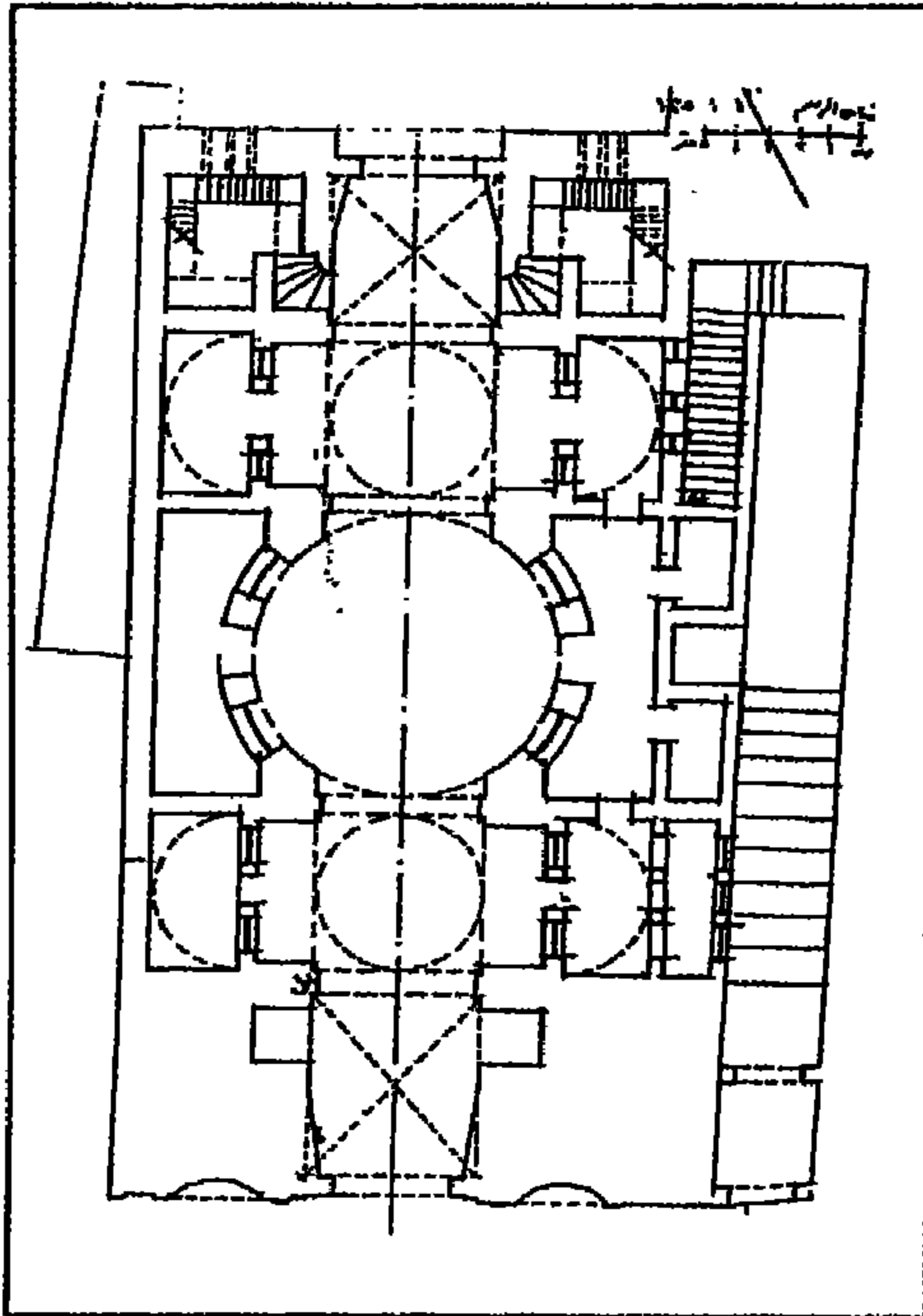


الباب الجديد - الواجهة الشمالية

من النوع الجمالوني. وتوجد بها فتحتا مزغل. وكل هذه العناصر توجد داخل العقد نصف الدائري المزخرف بوسائد حجرية. يوتر هذا العقد جفت لاعب بميمات ويعلو مفتاح العقد ميمة كبيرة وبكوشتي العقد جامتان دائريتان بهما رموز الجيش المصري، وهي المدافع رمزا للمدفعية، والمطلة والبوق رمزا للموسيقى العسكرية،



الباب الجديد - مسقط أفقي للدور الأول



الباب الجديد - مسقط أفقي للدور الأرضي

مقاطع، وعلى الجانبين توجد فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري، تؤدي إلى سلم صاعد يفضى إلى حجرة رماية في كل جانب، ويوجد بكل حجرة ثلاث فتحات مزاغل تفتح على الواجهة الشمالية. والمساحة الثانية بالردهة مستطيلة الشكل يتوسطها قبة ضخمة ويفتح عليها أربعة عقود نصف دائرية ويفتح بالناحتين الشرقية والغربية منها إيوانان تقع خلف كل منهما فتحة باب مستطيلة على يمينها ويسارها بخلتان تفتح بداخل كل منهما فتحة شبك مستطيلة يعلق عليها مصبغات حديدية ويعلو فتحة كل باب والشباكين إفريز حجرى يعطوه نفيس. ويؤدي كل مدخل إلى حجرة مستطيلة مسقفة بقبة نصف دائرية. والمساحة الثالثة بالردهة أكبرها مساحة وهي دائرية تسقفها قبة ضخمة، ويفتح على هذه المساحة أربعة عقود نصف دائرية، ويوجد بالجانبين الشرقي والغربي إيوانان ترتفع أرضيتهما عن أرضية الردهة. وفتحت بكل من الإيوانيين فتحة باب مستطيلة على يمينها ويسارها فتحة شبك مستطيلة يفضيها مصبغات خشبية. تؤدي كل فتحة

على كوابيل حجرية ولها سقف جمالوني يوجد بها ثلاثة شيايبك.

أما الواجهة الجنوبية فهي تماثل الشمالية ولكن يحدد حجرة المراقبة من أعلى كورنيش حجرى من النوع المعروف باسم Frinsh Carve كما فتحت على يسار الواجهة فتحة باب معقودة بعقد نصف دائرى تؤدي إلى الطابق الأول.

وردهة الباب مستطيلة وقد فتحت على يسار وعلى يمين الردهة فتحتا باب معقودتان بعقد نصف دائرى، يفلق عليهما مصراع باب خشبي، يؤدي كلا البابين إلى حجرتين مستطيلتين سقفتا بسقف عبارة عن قبة نصف دائرى. ويؤدي الباب الصاعد إلى الطابق الأول إلى ممشى يعرف حريبيا باسم قدم بيادة، فتحت بسوره أربع فتحات مزاغل للبناقد. وفي نهاية الممشى فتحة باب مستطيلة تؤدي إلى حجرة المراقبة الرئيسية السابق ذكرها.

باب القلعة

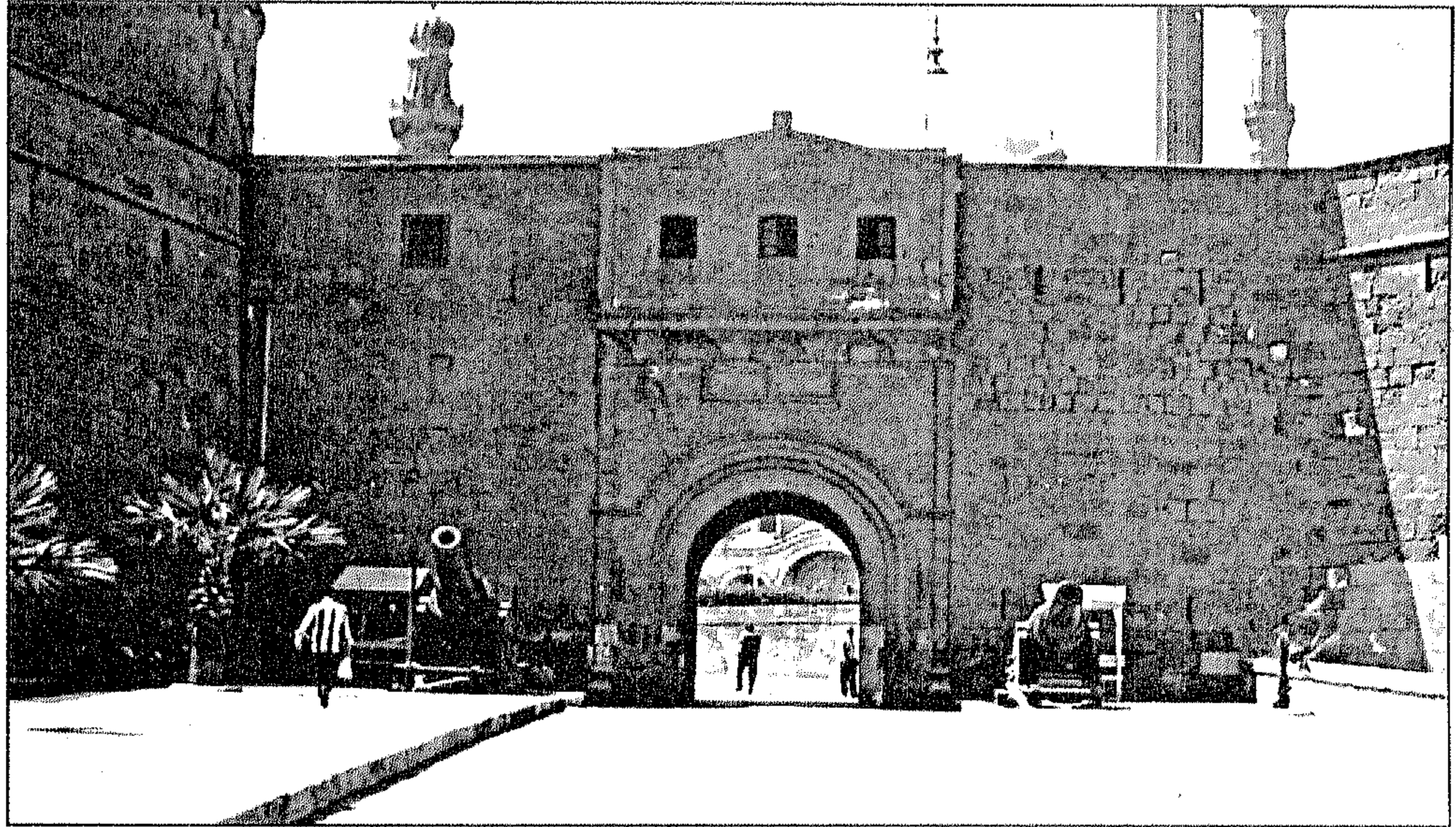
ارتبط تجديد باب القلعة بإنشاء محمد علي الباب الوسطاني الذي يرتبط مع باب القلعة بسور واحد، وفي إطار ما قام

باب إلى حجرة مستطيلة، والمساحتان الرابعة والخامسة تماثلان المساحتين الأولى والثانية بالردهة على التتابع.

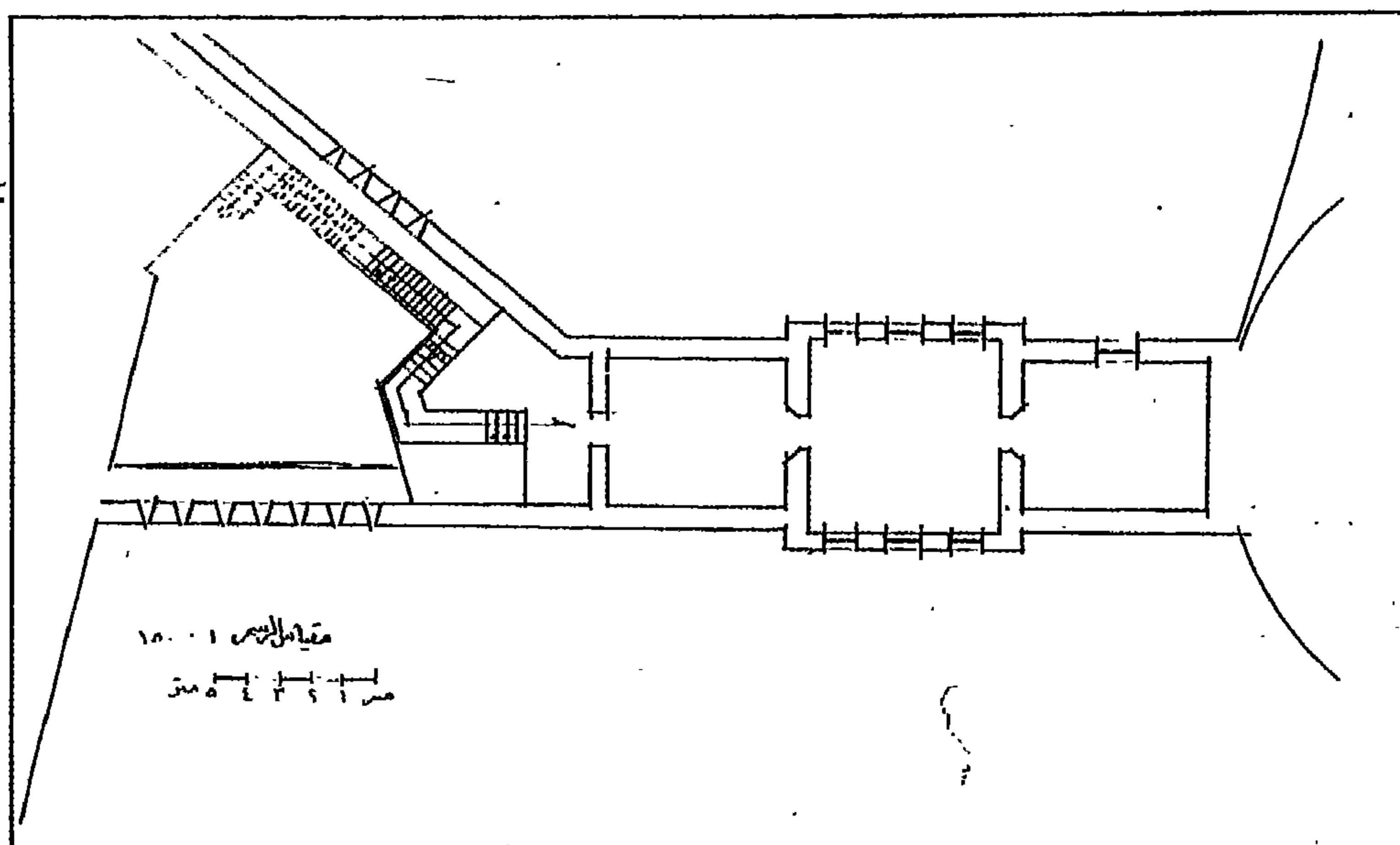
الباب الوسطاني

يقع هذا الباب أعلى باب السر الكبير الذي كان مخصصا في العصر المملوكي لدخول كبار أمراء المماليك إلى النطاق السلطاني في القلعة، وكان هذا الباب يفتح أيضا في المناسبات الرسمية. ردم محمد علي هذا الباب في إطار استكمال منسوب الطريق الصاعد إلى القلعة ودم كل المنشآت المهتمة بها لإقامة منشآت جديدة مكانها. ويرتبط هذا الباب بسور النطاق الجنوبي الذي يمتد من برج السباع إلى باب القلعة.

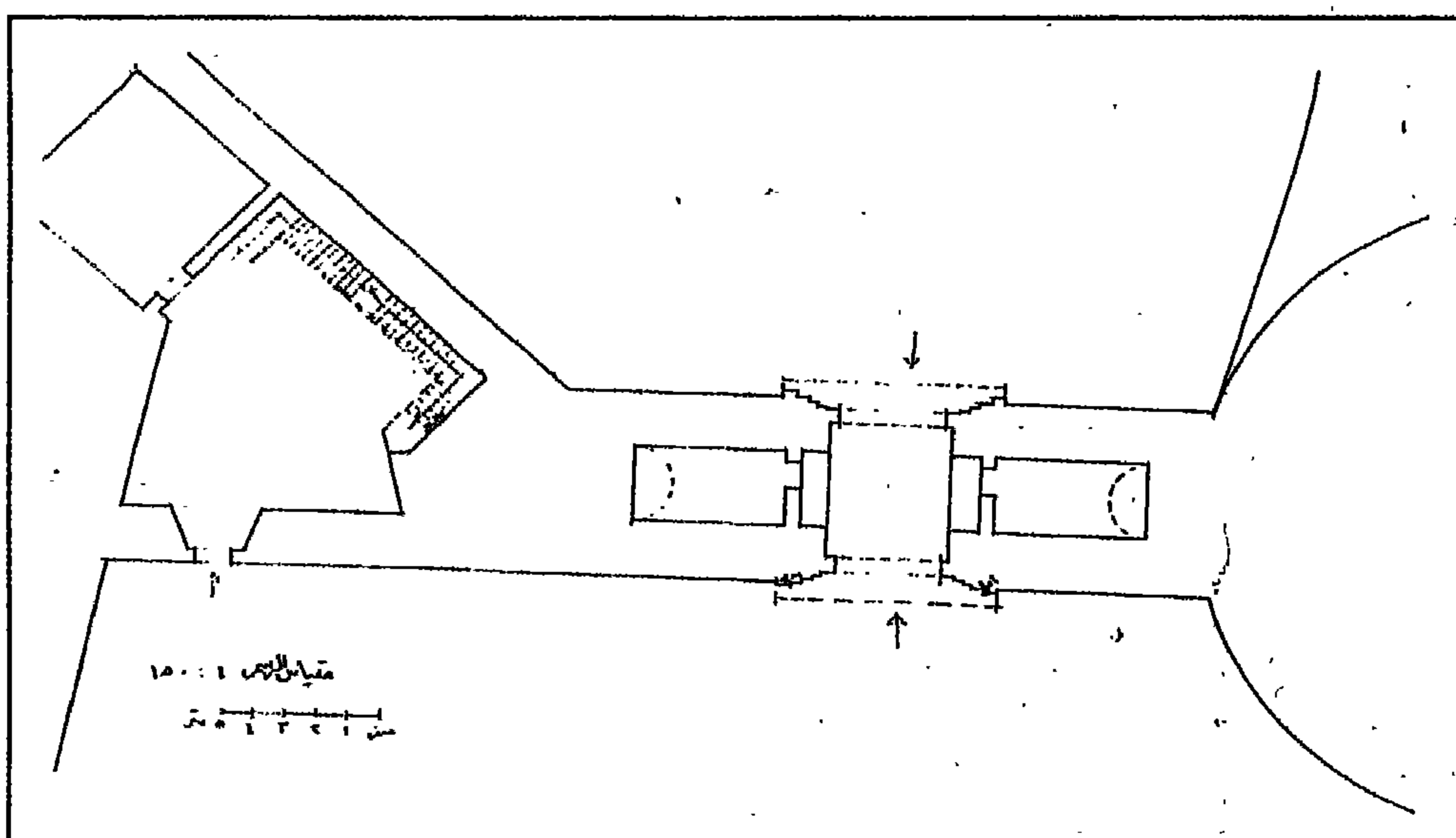
وللباب واجهتان أولاهما الشمالية، وهي تطل على امتداد الطريق الصاعد بعد الباب الجديد، يتوسط هذه الواجهة كتلة المدخل وهي تبرز قليلا عن سمت الجدار، وتوجد بها فتحة الباب وهي معقودة بعقد نصف دائرى ذى طيات، ويؤطر المدخل على جانبيه إطار على شكل عمودين منحوتين في الحجر، وكان يعلو المدخل نص تذكارى، نذعت له حته. ويعلو ذلك حجرة مراقبة بارزة



الباب الوسطاني



الجب الوسطاني - مسقط أفقي للدور الأول



الجب الوسطاني - مسقط أفقي للردفة

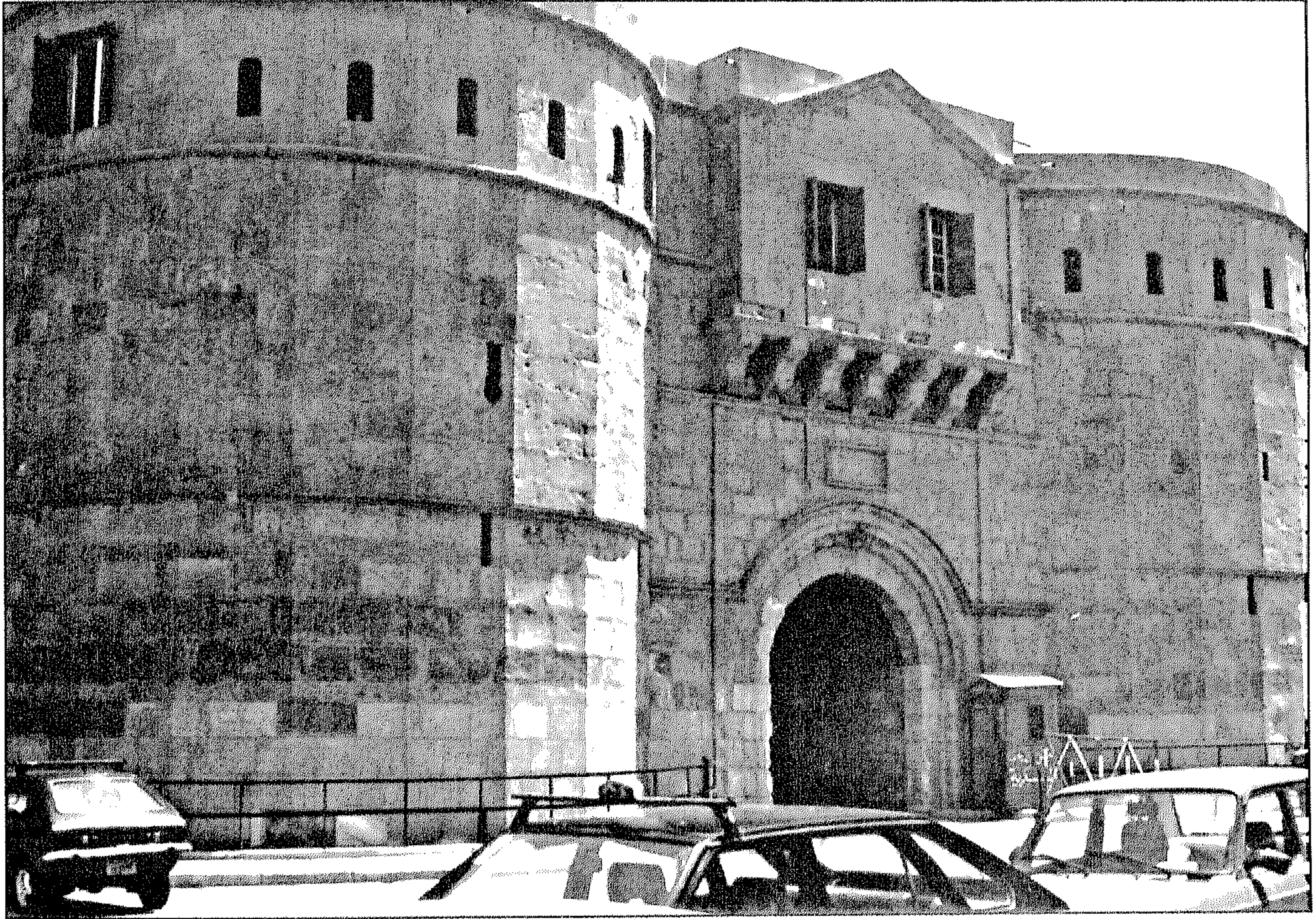
فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري ذي طيات يعلوه نص
تجديد الباب وهو باللغة التركية وترجمته كما يلي:
- فلتغلق عين العدو السيئ النية كلما فتح باب
الزغرة^{٣٧}

- وليبارك الله بأنبيه بحق سورة طه وياسين.
١٢٤٢هـ.

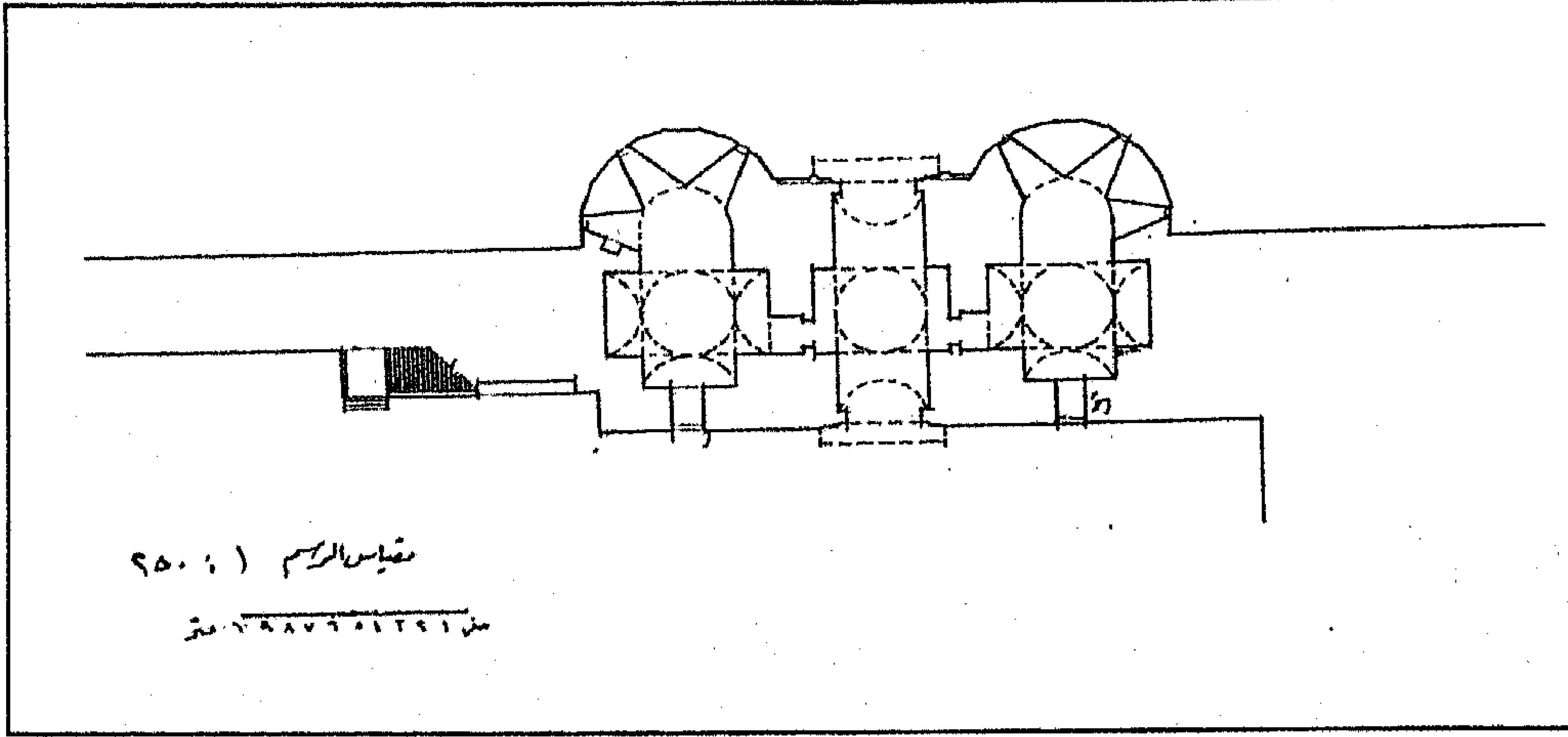
ومن الملاحظ أن تاريخ تجديد هذا الباب يوازي تاريخ
إنشاء الباب الجديد والباب الوسطاني، ويبرز فوق النص
السابق حجرة مراقبة على سبعة كوابيل حجرية، وسقف
هذه الحجرية جبالوني، ويكتنف المدخل برجان مزلغان
بهما فتحات مزاغل، تعلوهما دروة أضافها محمد علي، فتح
بها فتحات مستطيلة يعلوها عقد موتور، ويعود هذان البرجان
إلى العصر العثماني. أما ردهة المدخل فهي مقسمة إلى ثلاث

به من تجديد لأبواب القلعة جدد باب القلعة الذي يعد في
عصره المدخل الرئيسي للنطاق الشمالي للقلعة بعدما
ألغى الباب المدرج بإنشائه الباب الجديد فوقه وسد هذا
الباب بركاة الباب المدرج، فضلاً عن أن المنشآت التي
تعود لعصر محمد علي وخلفائه بالنطاق الشمالي ألغت
نهائياً استخدام الباب المدرج. ذلك أنها سدت مدخله
من داخل النطاق وكذلك السور المكمل له. ومنها قصور
الحريم والمبنى القديم لدار الوثائق^{٣٨}.

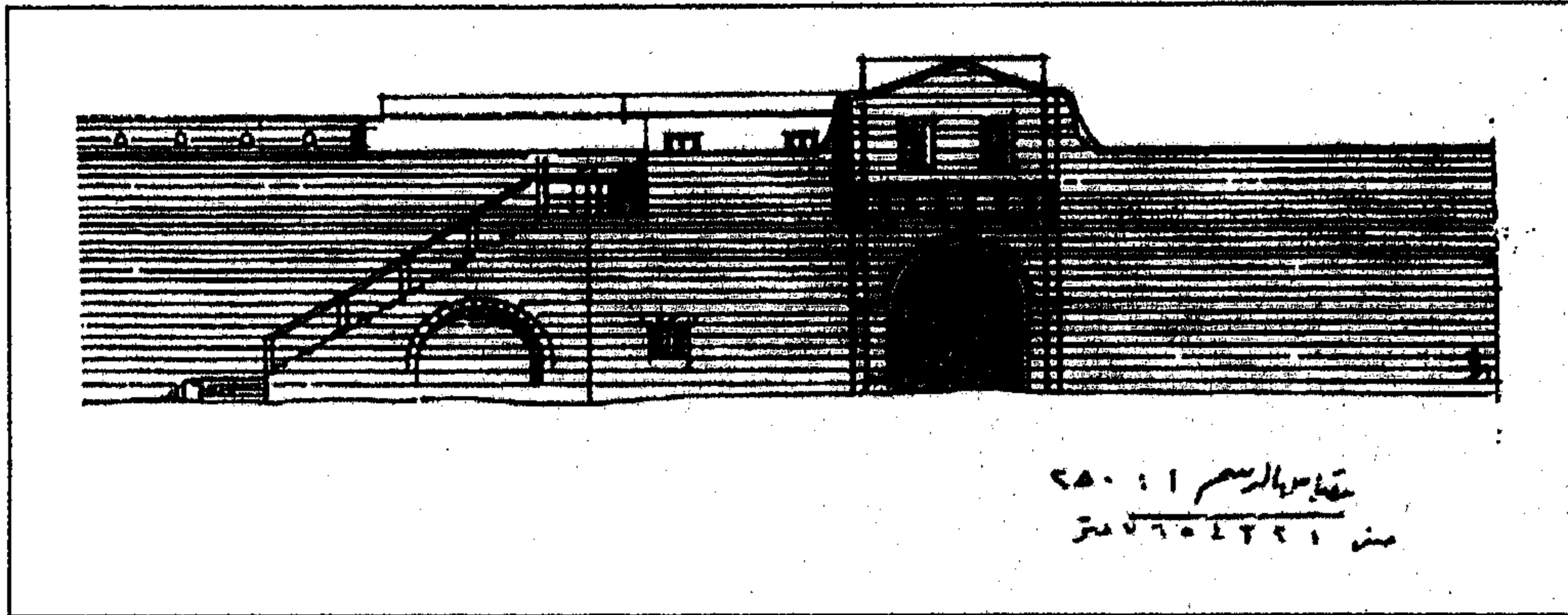
تتوسط الواجهة الجنوبية لباب القلعة السور الممتد
من البرج المنصوري الكبير الذي عرف على خريطة
الحملة الفرنسية ببرج الطباكين أو برج الطبلخاناه إلى
برج المقطم الذي يرجح أنه برج القلعة، هذا البرج جدد في
العصر العثماني، وهذه الواجهة من باب القلعة عبارة عن



باب القلعة



باب القلعة - مسقط أفقى للدور الأرضي



باب القلعة - الواجهة الشمالية

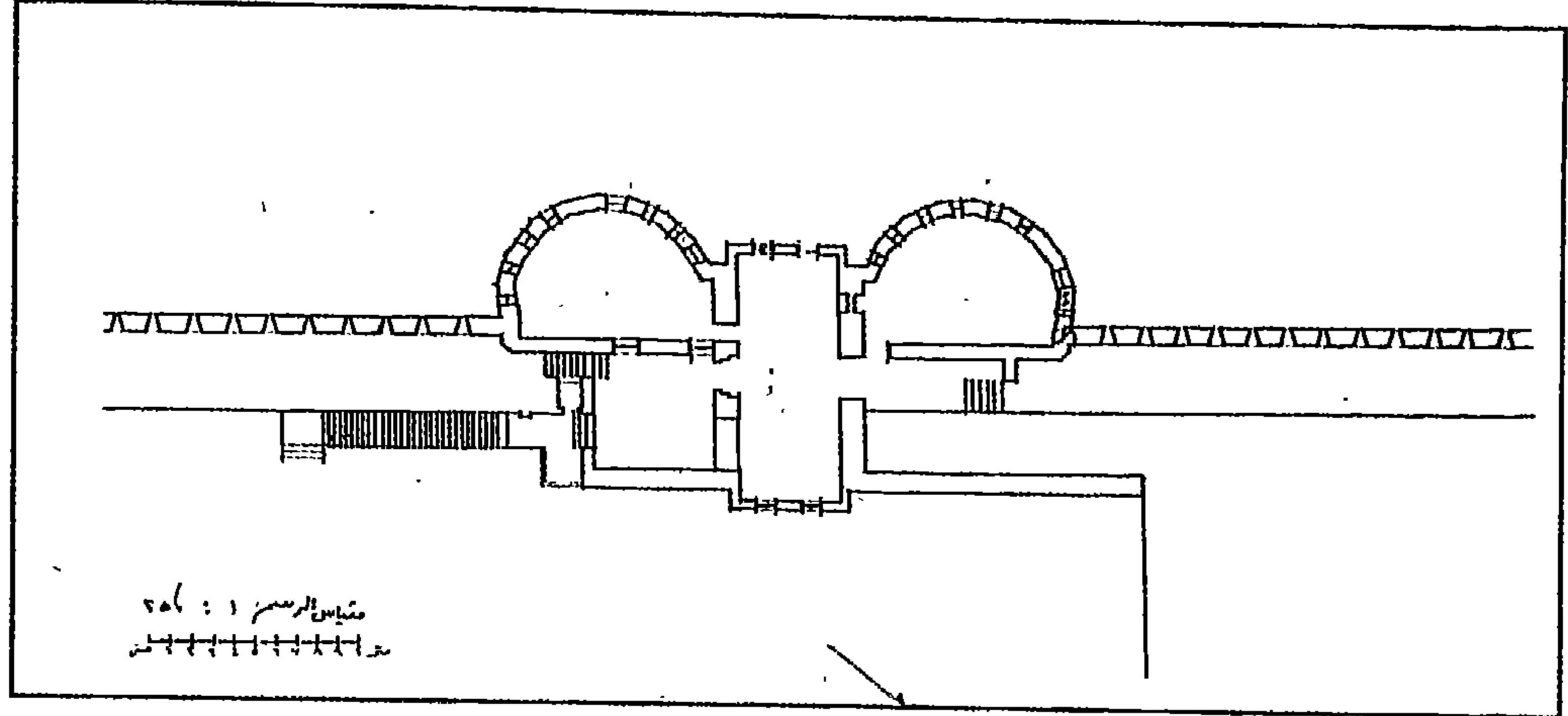
الجانبين دعامتان بارزتان فى الحجر، وتعلوه حجرة مراقبة تبرز على ثمانية كوابيل حجرية، وهى ذات سقف جمالونى. ويصعد إلى حجرة المراقبة بالطابق الذى يعلو البرج بواسطة سلم يوجد على يسار الواجهة الشمالية .

الديوان

حظى الديوان باهتمام محمد على لكونه مقر الحكم فى القلعة، وهو فى ذلك يتبع ما سارت عليه الأمور فى إدارة دفة الحكم من الحوش السلطانى بدءا من العصر

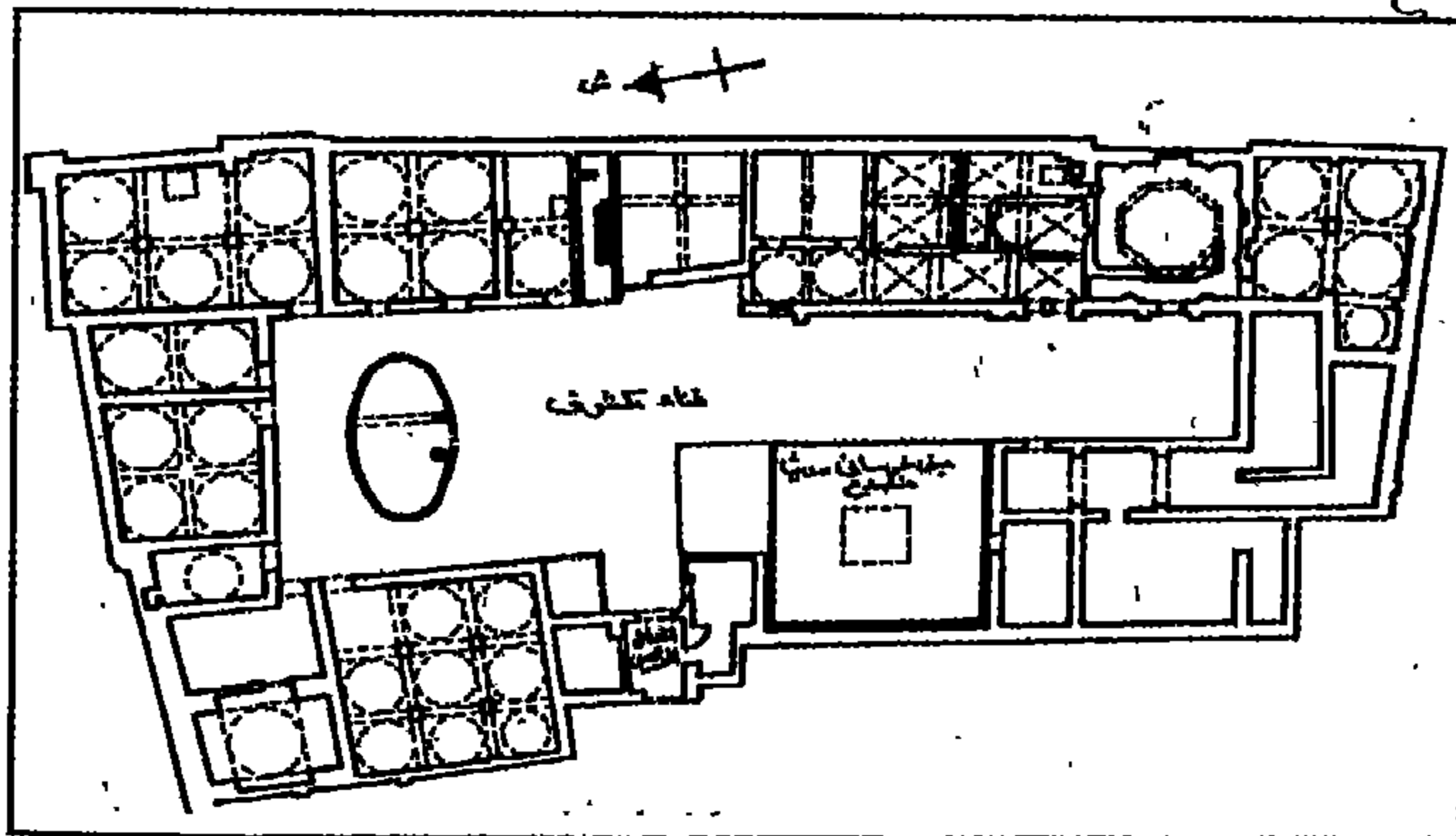
مساحات، الأولى والثالثة مسقفتان بقبو نصف دائرى. أما الوسطى فمسقفة بقبة ضحلة، وتؤدي فتحتا باب كل منهما مغفودتين بعقد نصف دائرى إلى البرجين داخل البرجين اللذين يكتنفان الواجهة الجنوبية وهما من الداخل، كل منهما مسقف فى الوسط بقبة ضحلة يكتنفها من ثلاث جهات ثلاث سدلات مسقفة بأقبية نصف دائرية، والجانب الرابع يفتح على الواجهة الجنوبية للبرج بثلاث فتحات مزغلية.

أما الواجهة الشمالية للباب فتتوسطها كتلة مدخل وهى ذات عقد نصف دائرى ذى طيات. تكتنفه على



باب القلعة - مسقط أفقي لحجرة الرماية والسلم الصاعد

باشا حالاً". وتم عمل إضافات جديدة لهذه الدار تم الفراغ منها سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م. وتشمل هذه الإضافات "محلات للموازين ومعرفة الذهب والفضة ومكتباً ومسجداً صغيراً" وبلغت تكلفة هذه الإضافات ١٢ ألف قرش^١. وبناء دار الضرب شبه مستطيل، إذ إن أضلاعه غير مستقيمة، يتوسطه فناء به استراحة، تحيط به حجرات متنوعة المساحة والتسقيف، وبعض الحجرات تطوها قبتان ضحلتان أو ست قباب ضخمة ترتكز في وسط الحجرة على أكتاف، وبعض الحجرات مربعة الشكل يغطيها أربع قباب ترتكز في منتصف الحجرة على كتف مبنى بالحجر. وبني القباب بالطوب وفتح بها مناور سماوية للتهوية والإضاءة،



دار الضرب - مسقط أفقي

المملوكي الجركسي مروراً بالعصر العثماني، وتعددت تجديدات محمد علي بهذه المنطقة من القلعة، وهذا يعكس مدى أهميتها.

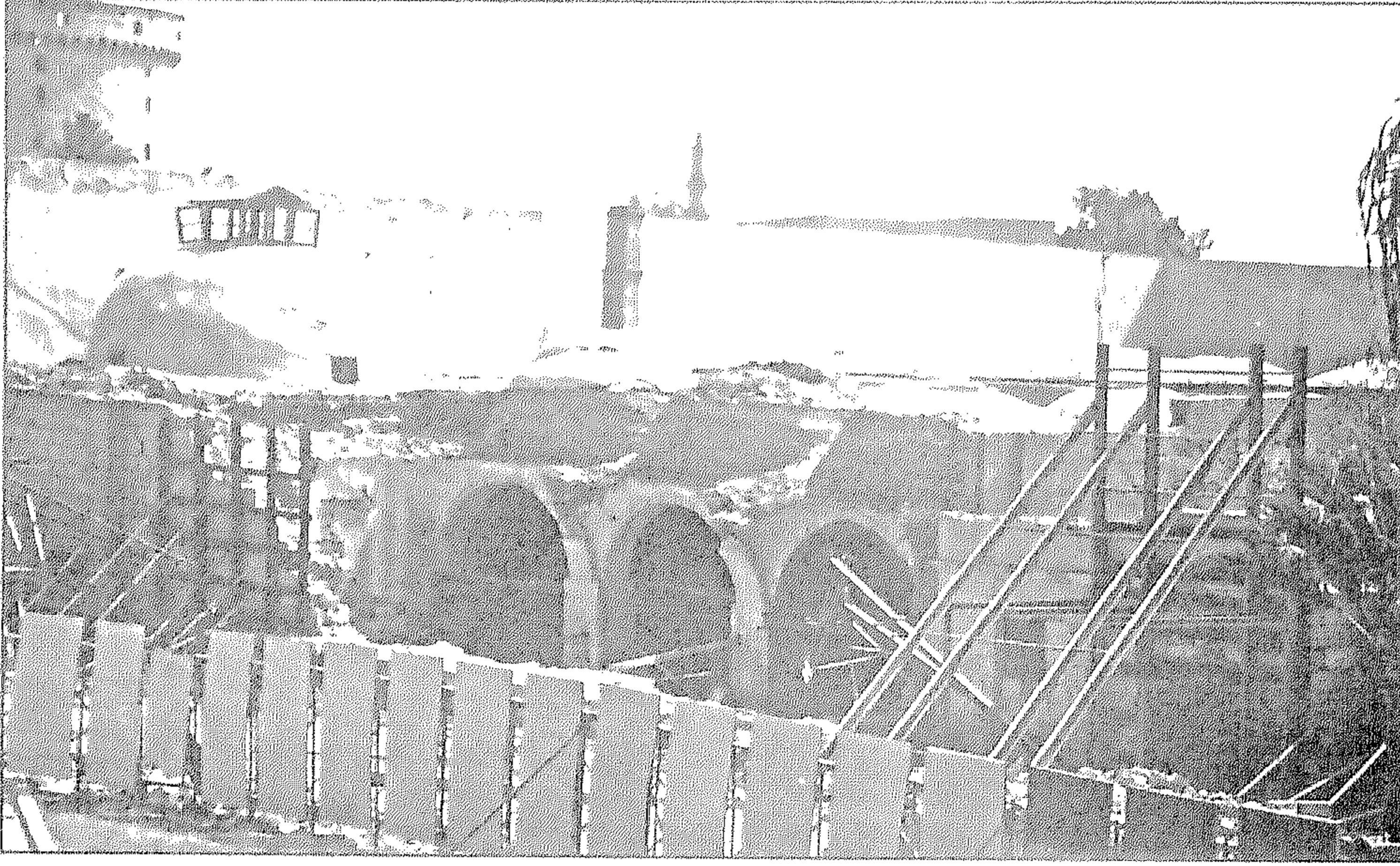
بدأت أعمال محمد علي في هذا النطاق في العام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢ م. وذكر الجبرتي هذه الحادثة قائلاً "هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الأماكن، فهدم قاعة البحرة والمجالس التي كانت بها الدواوين وديوان قاييتباي، وهو المقعد المواجه للداخل إلى الحوش على الكيلار الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين، وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب وبينون الأعلى قبل السفل، وأشيع أنهم وجدوا مخبآت بها ذخائر لملوك مصر الأقدمين"^{٣٨}.

وتسلسل هذه المنشآت المعجدة بدءاً من الدخول من

باب الجبل هي:

دار الضرب

جدها محمد علي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م^{٣٩}. وأثبت هذا التجديد على لوح رخامي ما زال موجوداً على بابها الأوسط نصه "جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد علي



دار الضرب

وهذا الطراز لم يكن له شيوع بمصر، ويتوسط الصحن غرفة بيضاوية الشكل مبنية بالحجر.

سراى العدل

ما زالت هذه السراى باقية إلى اليوم بجوار دار الضرب، وفي جنوب حوش الديوان، وشهدت هذه السراى اجتماعات الدواوين التي كانت تدير حكم مصر، إلى أن نقلت منها في عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م إثر حريق وقع في القلعة". ومن الأحداث المهمة التي شهدتها هذه السراى، تولية إبراهيم باشا حكم مصر خلفا لمحمد على"، الذي كان يعاني مرض الموت. كان محمد على قد أعلى أرضية الديوان، وهو ما أدى إلى اختفاء أجزاء من منشآت سابقه، ومنها ديوان الغورى الشهير الذى شيدت فوقه سراى العدل، والتي يبدو أنه قد انتهى منها عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م، طبقا لنص مسجل عليها يقول "من آمن بالقدر آمن الكدر سنة ١٢٢٩هـ".

تطل السراى على الحوش بواجهتها الشمالية وهي واجهتها الرئيسية، تتكون هذه الواجهة من مستويين،

المستوى الأول هو واجهة الطابق الأرضى منها، وهو عبارة عن سلم مزدوج أسفله ثلاثة عقود نصف دائرية ترتكز على دعامتين حجريتين مربعتين، أكبر هذه العقود أوسطها. تؤدي العقود الثلاثة إلى دخلة تفضى إلى باب يؤدي إلى الطابق الأرضى من السراى. أما المستوى العلوى من الواجهة فهو يمثل الطابق الأول، ويتم الوصول إليه بسلم مزدوج يتكون من ٣١ درجة في كل جانب وبسطة البسطة جوسق له ثلاثة عقود نصف دائرية، الأمامى منها يطل على الحوش ويعلوه كورنيش معقود، والجانبى يطلان على السلم المزدوج. وعلى يمين ويسار الواجهة ثلاث نوافذ في كل جانب معقودة ومغشاة بالحديد وعلى جانبى كل نافذة دعامة بارزة من فى الحجر، يعلوهما كورنيش حجرى بارز من عقود متتالية. ويعلو هذه الواجهة كورنيش من الحجر بارز منح من جانبيه، ويعلوه بناء من الطوب المغشى بالملاط. والطابق الأرضى للسراى عبارة عن صالة مستطيلة قسمت إلى سبع مساحات غير متساوية.



إبراهيم باشا ابن محمد علي

أما الطابق الأول فيدخل إليه من فتحة باب كبيرة، تؤدي إلى صالة مستطيلة بصدرها حنية عميقة لها جلسة ترتفع عن أرضية الصالة وهي ذات سقف مقبب.

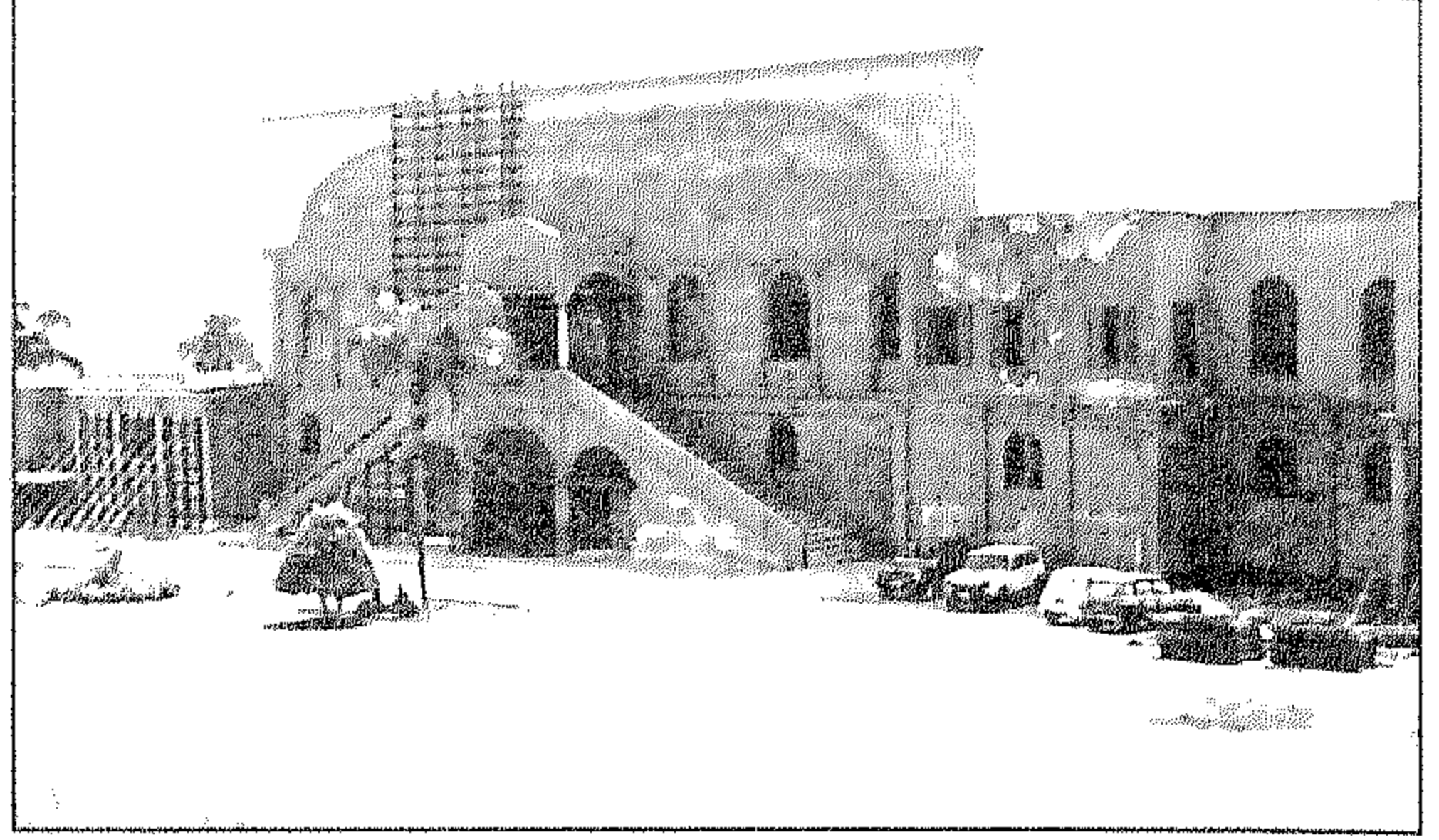
سراى الجوهرة

أنشأها محمد على سنة ١٢٢٧هـ/١٨١٢م. وذكرها الجبرتي تحت اسم "ليونان السراية" و "سراية الديوان" وكانت هذه السراى مخصصة للاستقبالات الرسمية. وتبين النصوص الكتابية بها أن مبانيها انتهت سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، ووقع حريق بها فى سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م. وذكر الجبرتي سبب هذا الحريق ويعزوه إلى المواد المستخدمة فى البناء حيث يقول "إن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود وليس بها إلا القليل من الأخشاب، فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة وأكثرها من الحجنة والأخشاب على طريق بناء إسلامبول والإفرنج، وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش، وكله سريع الاشتعال، حتى إن الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم، وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول: أنا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء، وبعد هذا الحريق انتقلت إلى بيت طاهر باشا بالأزبكية".

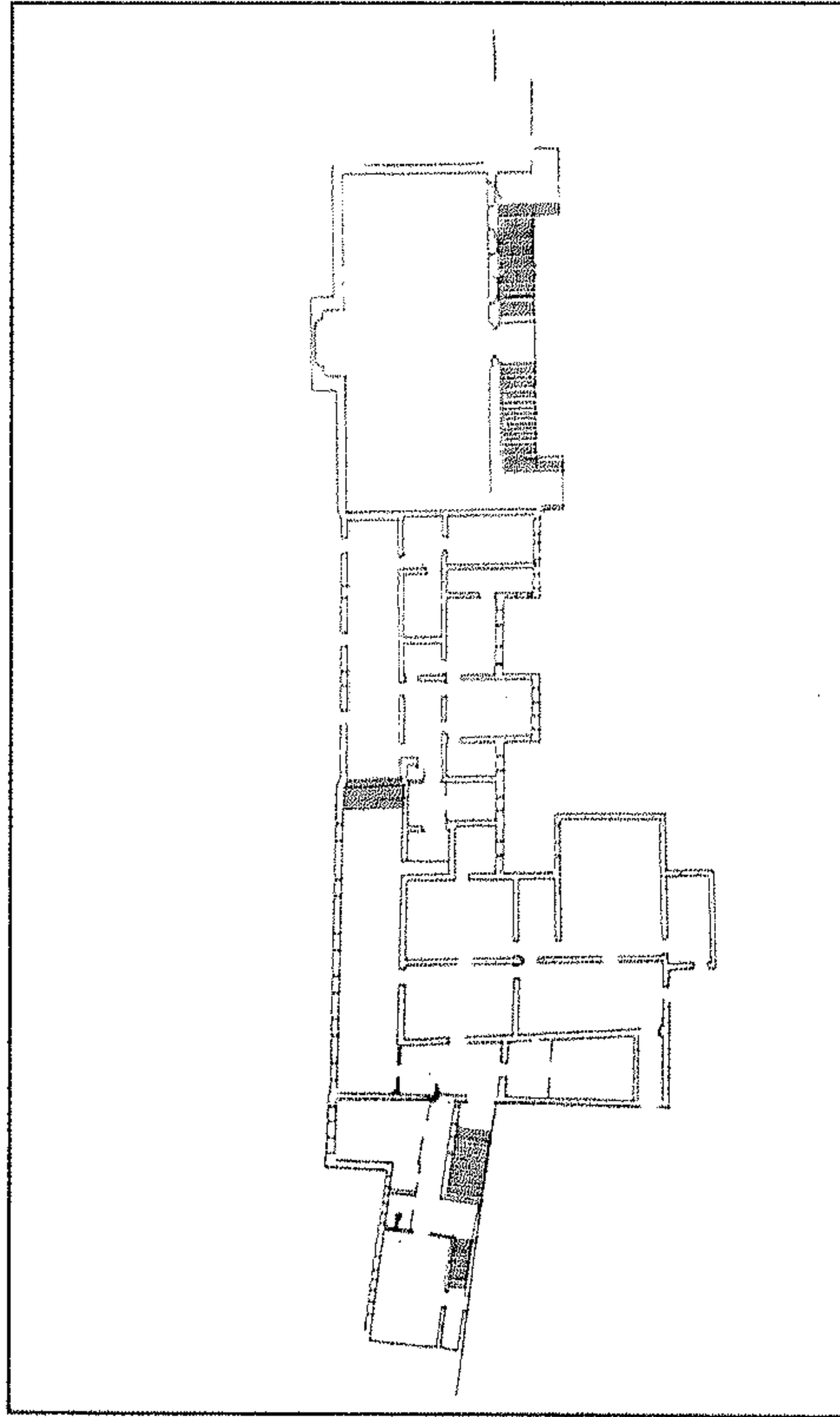
والمدخل الرئيسى لهذه السراية عبارة عن مظلة محمولة على أعمدة رخامية. ومكتوب أعلى الباب "يا مفتاح الأبواب افتح لنا خير الباب" (سنة ١٢٢٨). وهذا الباب يؤدي إلى طرقة كبيرة بها عقود حجرية تنتهى إلى سلم فباب كبير مكتوب عليه "الله ولى التوفيق" وتتكون هذه السراية من قسمين رئيسيين حاليا هما:

سراى الاستقبال

يدخل إلى سراى الاستقبال من المدخل السابق ذكره، وتتكون من قسمين: الأول بهو الاستقبال الرئيسى، ويعلوه الطابق الثانى المتمثل فى سراى الضيافة، والثانى هو جناح الاستقبال البحرى بشقيه الشرقى

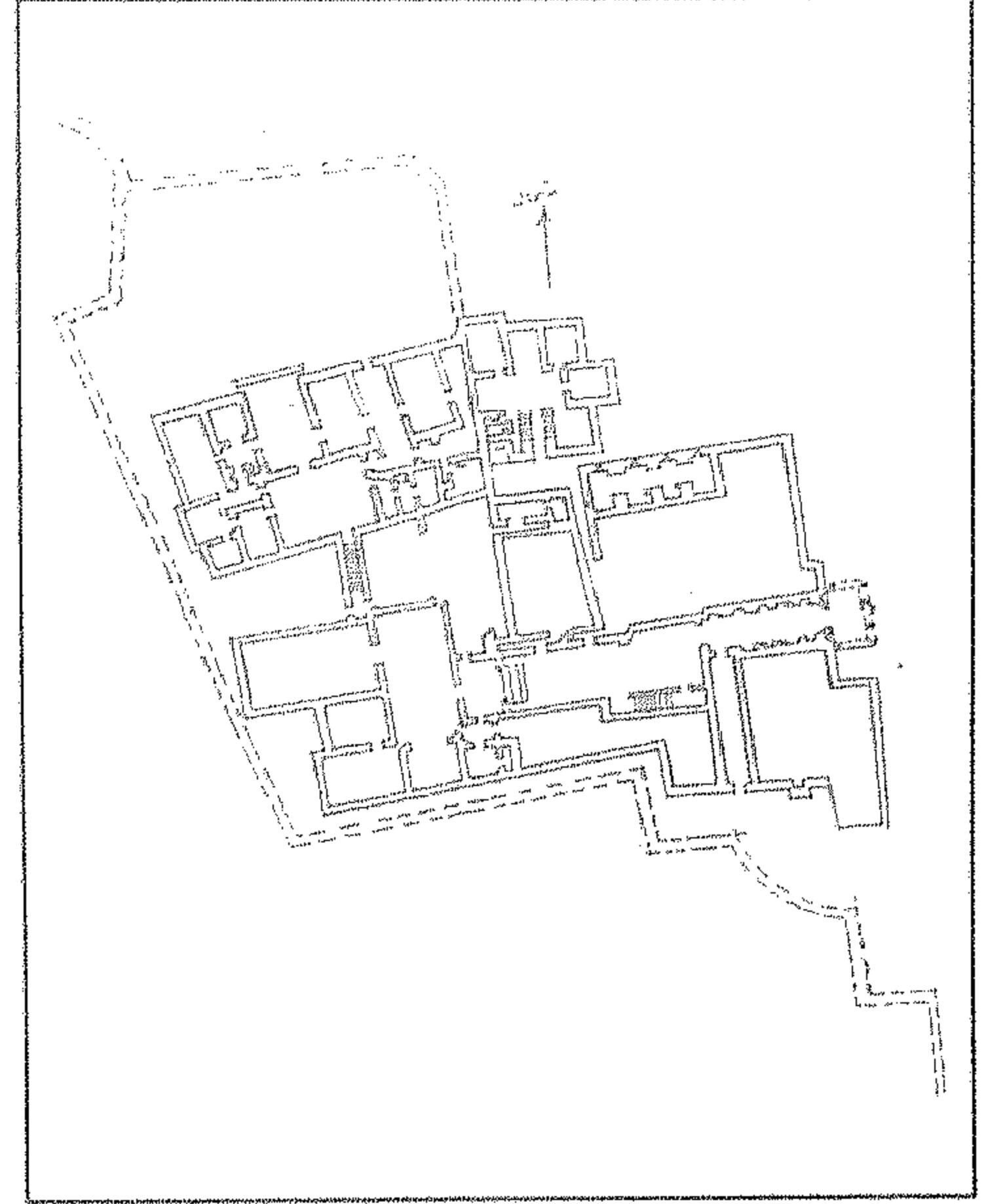


سراى العدل



سراى العدل - مسقط أفقى للدور الأول

والغربي. استخدم المعمار في القسم الأول وحدة تصميم تعتمد على صالة كبيرة (يهو) تتوزع منها وحدات صغيرة عبارة عن حجرات متداخلة (قاعة الكوشة وقاعة الكسوة) وأخرى أكبر حجما، وتمثل قاعة رئيسية في هذا اليهو (قاعة العرش السفلية)، بالإضافة إلى إيوان يفتح على هذه الصالة، فضلا عن أبواب تؤدي إلى ملحقات، تمتاز جدران هذا اليهو بوجود حنايا (دخلات) كانت تستخدم في وضع المصابيح والتحف. ووحدة التصميم هذه كانت شائعة في المنازل العثمانية بتركيا في القرنين ١٧، ١٨ م. في فترة عرفت باسم فترة الباروك التركي. ويرى البعض أن هذا التصميم استمد مباشرة من تصميم بيوت إستانبول، والذي استمر حتى عصر متأخر، وهو يعتمد على صالة مستعرضة يفتح عليها إيوان وتجاوره حجرتان، بالإضافة إلى ملاحق تخدم هذه الوحدة السكنية^{١٧}. وتفصل بين كشك الجوهرة وجامع محمد علي حديقة يتوسطها فسقية^{١٨}.



سراى الجوهرة - مسقط أفقى

سراى الإقامة (قصر الضيافة)

هذه السراى تتكون من وحدة رئيسية تتمثل فيما يعرف بقاعة العرش العلوية، حيث تتكون هذه



المدخل المؤدى إلى سراى الاستقبال - سراى الجوهرة

دى قوربان الذى وصف فى كتابه مدينة القاهرة حفلة استقبال فى السراى (١٨١٧ - ١٨١٨م)^٢. كانت هذه السراى هى المكان المفضل لسعيد باشا لإدارة حكم مصر لذا أعيد فرشها على يد الأسطى يعقوب وابنه كلش^٣. كما زودت سراى الاستقبال بمرايات كبيرة^٤. ولما زار السلطان العثمانى عبد العزيز مصر عام ١٨٦٢م أقام بهذه السراى، واستقبل فيها المرحبين به من كبار رجال الدولة والعلماء^٥.

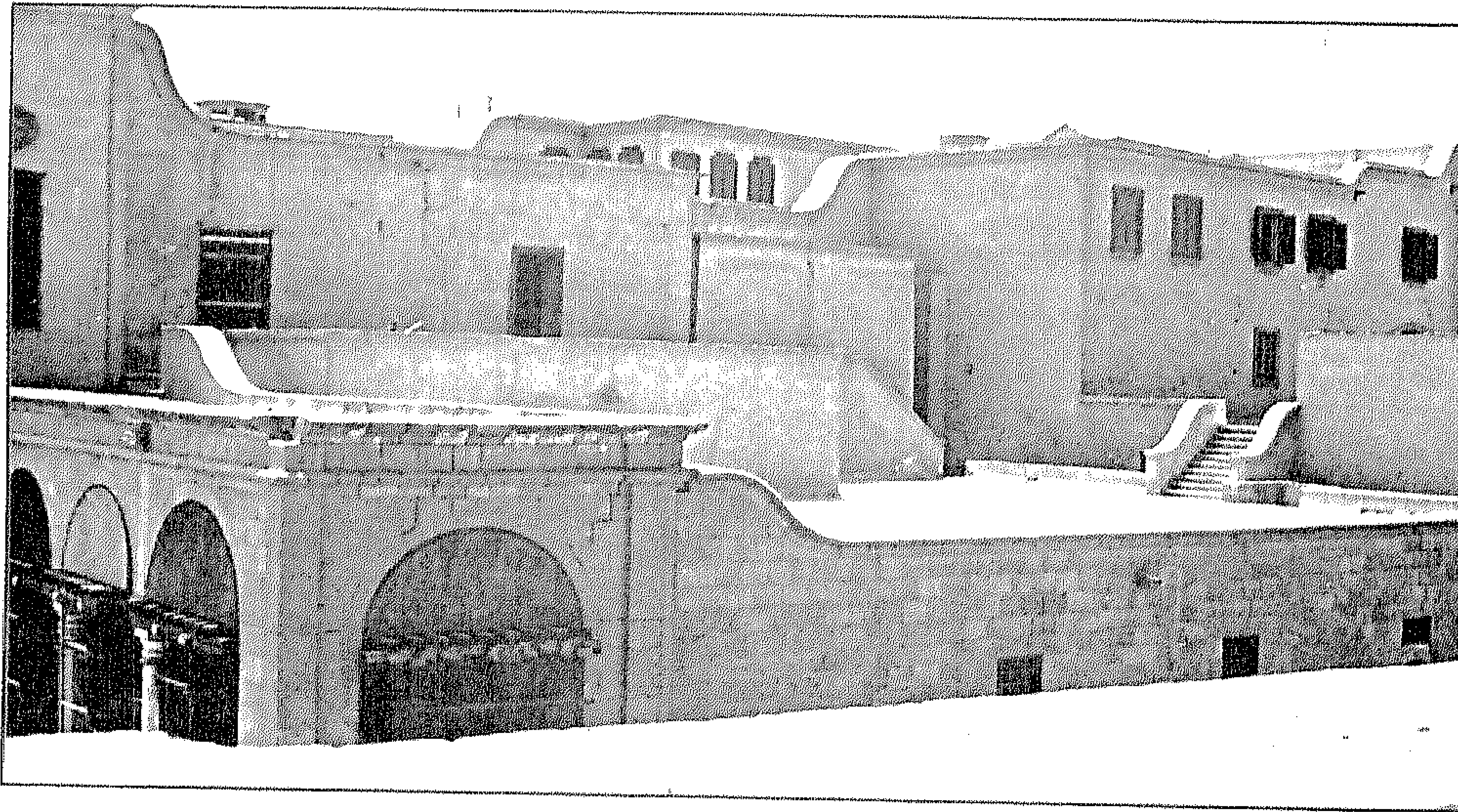
سراى الحرم

كانت أصلا بيتا لإسماعيل أفندى أمين عيار الضربخانة، ثم أخذها محمد على لحريمه عند انتقاله للسكن فى القلعة لأنها كانت دارا عظيمة، ويبدو أن هذا القرار جاء نتيجة لتهدم قاعات الحريم بالقلعة والتي كانت تقع بجوار سراى الباشا أو ما يعرف حاليا بسراى الجوهرة، واستخدم محمد على هذه الدار فى يوم مذبحة المماليك، وذلك بعد بدء موكب ابنه طوسون، إذ انتقل إليها حيث كان حريمه يقيمون^٦، وأسقط محمد على ثمنها من الغرامة التى قررها على إسماعيل أفندى، الذى سكن فى دار أخرى بحارة الروم^٧. وجعل إلى الغرب منها بيوان المالية وديوان

القاعة من صالة يفتح عليها إيوانان فى الجهة الشمالية والجهة الجنوبية، بالإضافة إلى هذه الوحدة الرئيسية هناك وحدات أخرى بعضها مستقل عنها مثل (غرفة النوم) وبعضها يتفرع من الإيوان الجنوبى للوحدة الرئيسية: مثل قاعة الاستقبال العلوية وجناح الهدايا^٨. وعرفت سراى الاستقبال بالكشك أو كشك الجوهرة. وتبقى من ملحقات الكشك حمام مفروش بالرخام وبه حوض من قطعة واحدة مجلوب من محاجر بنى سويف^٩.

تعتبر عمارة سراى الجوهرة مشتقة من الأسلوب العثمانى لتقسيم المساكن وخاصة الراقية منها، إلى سلامك وحرمك، مع محاولة تطويع ذلك المخطط لنظام القصور الأوروبية فى القرن ١٨م. والذى نتج عنه عناصر معمارية مثل باحة الشرف^{١٠}. وبهو للاستقبالات وأجنحة خاصة بالباشا وحريمه. وفيما عدا ذلك فإن القصر قليل الأهمية على الصعيد المعماري، لكن زخرفة أسطحه المنقولة عن النماذج الأوروبية تدل دلالة مباشرة على دور تلك الطرز فى صياغة أنواق الطبقة الحاكمة فى مصر آنذاك.

استقبل محمد على فى هذه السراى كبار زائريه من الأجانب، منهم الأديب الفرنسى شاتوبريان والكونت



سراى الإقامة

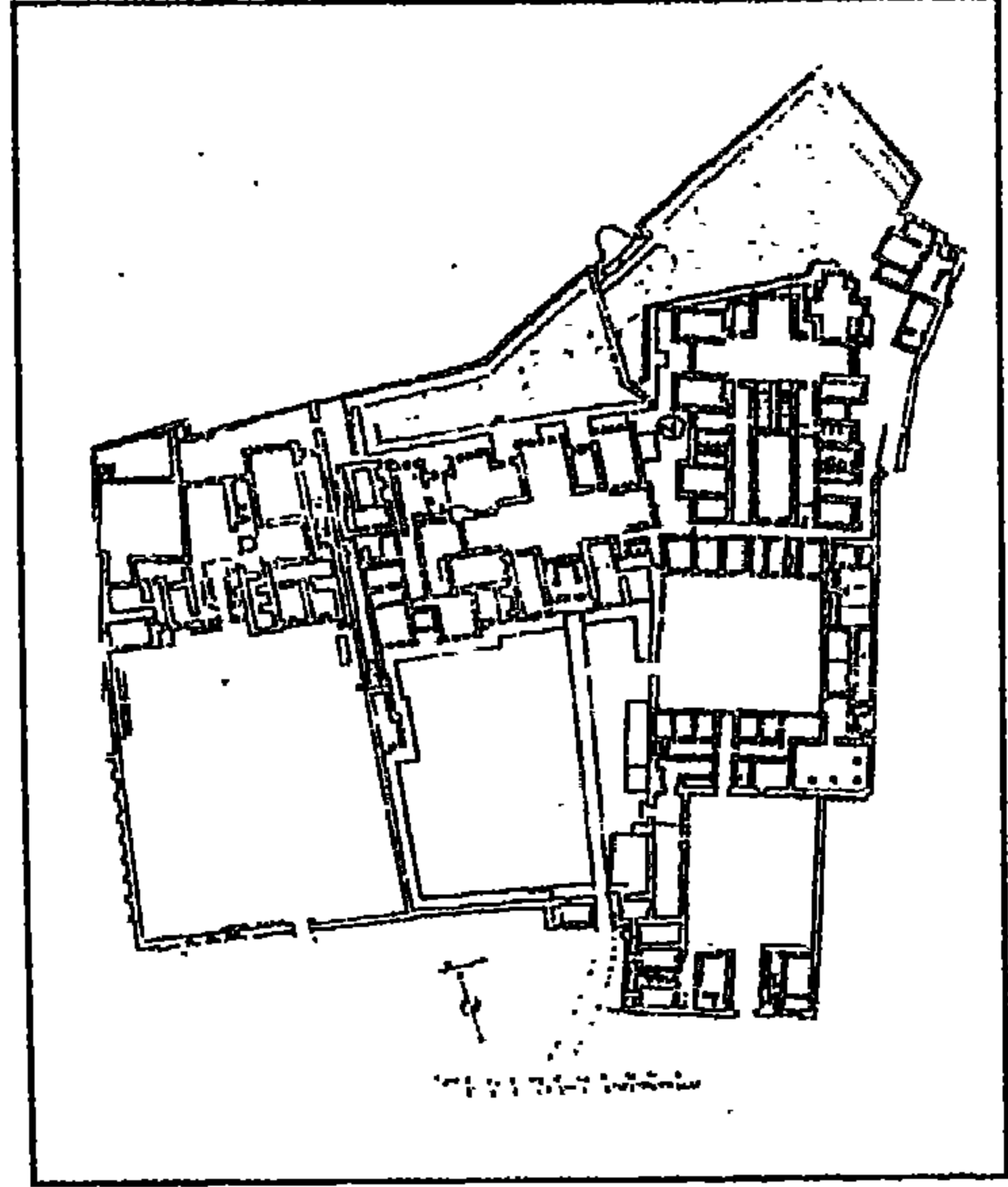
الذي يجد العالم في باب لطفه وكرمه الزخرف التام.
هو خديو أعظم يطاول السماء في علاها ويحاكيها في
ظله
وصاحب السيف والقلم وهو آصف غلامه بمنزل
بهرام.

سيفه يشمت شمل زمرة الطغاة
وقلمه كسحاب الربيع وورد حديقته الكرام.
قد أنشأ ذلك الحاكم العالى الشأن قصرا جديدا كتحفة
يجد ربه إذا كان بهرام بوابه.
هو قصر كالجنة يا له من قصر بديع مزخرف
لم ينطبع مثله في أنيم السماء الصافي كالمرآة .
(إذا شاهدته) شعرت في داخله بانسراح
يفوح من صوره ونقوشه أريج الجنان.
وقد فتن رسمه بهزاد

بخ يخ هكذا يجب أن يكون الرسام في العالم.
لقد كتب التاريخ (عزيز) بيت مجوهر
جعل العلام منشئه سعيدا.

إن هذا الباب الجميل لمحمد علي باشا العادل
ظل مفتوحا بالسعادة إلى يوم القيامة ١٢٤٤.

يؤدي مدخل هذا القصر إلى دركاة تقود إلى فناء بجداره
البحري باب يؤدي إلى قاعة كبيرة، في حين يوجد باب آخر
بدركاة تشبه السابقة يوصل إلى فناء آخر تطل عليه واجهة
القصر على امتداد القصرين الآخرين. وتحيط بهذا الفناء
أبنية مكونة من دورين. وواجهة هذا القصر يتوسطها باب
صغير يؤدي إلى سلم مزدوج يوصل من الطابق الأرضي
للطوى وأهم ما يسترعى النظر في الدور الأرضي قاعة
الفسقية، وبها أربعة إيوانات يتصدرها سلسبيل رخامي
تكتنفه عند رشيقة من الرخام نقش به زخارف على
هيئة طيور من أفواهها مياه تصب في أحواض متدرجة
تنساب في قناة الفسقية التي تقع وسط القاعة. ويوصل
السلم المزدوج إلى قاعة علوية كبيرة بها إيوانات تتفرع
منها حجرات وطرقات توصل إلى باقي القصر. وتلى هذه
القاعة قاعة أخرى مستطيلة على جانبها حجرات جدرانها
وأسقفها مزخرفة بنقوش ما زالت باقية حتى الآن.



قصور الحريم - مسقط أفقي للدور الأرضي

الجهانية ونبوان المدارس^{٢٨}.

تتكون سراي الحريم من ثلاثة قصور بشكل منفصل
عن بعضها البعض، وإن كانت صممت لتكون متصلة على
مستوى الطابق الأرضي، وكانت مخططاتها متشابهة،
والقصر الوسطاني هو الأقدم بناءً، وتلاه القصر الشرقي،
ثم القصر الغربي. ومن الخطأ تسمية هذه القصور باسم
الحرم أو الحريم، وهو الاسم الشائع لها الآن - لأنها لم
تحمّر أساسا لإسكان الحريم فقط. وكانت هذه القصور
محاطة في الماضي بجدار، مما فصلها عن بقية النطاق
الشمالي للقلعة ولكنه أزيل لاحقا.

القصر الشرقي

هو أكبر هذه القصور، وقد أقيم أصلا لسكن أيتام عائلة
محمد علي وأيتام العوائل المملوكية الذين كانوا يهيأون
لكي يصبحوا ضباطا في الجيش المصري الجديد، ويمكن
تحديد تاريخ بنائه في عام ١٨٢٦م. من اللوحة التأسيسية
المكتوبة باللغة التركية والمثبتة فوق المدخل ونصها:
إن محمد علي باشا حاكم مصر الذائع الصيت



القصر الشرقي - المدخل يعلوه اللوحة التأسيسية

القصر الوسطاني

يوجد بالحائط القبلي لهذا القصر باب يؤدي إلى حديقة هذا القصر حيث توجد فسقية يعلوها جوسق، ويتوسط واجهة هذا القصر باب له مصراعان حليت حشواتهما بزخارف نباتية. والدور الأرضي عبارة عن قاعة كبيرة بكل ركن من أركانها حجرتان، احتفظت جميعها بنقوش أسقفها التي تتنوع بين مسدسات ومربعات وجدائل انتشرت بها الزهور. ويوجد بهذا الدور الأرضي حمام يتكون من طرقة مستطيلة مغطاة بسقف محلى بزجاج ملون، يليها باب يؤدي إلى قاعة مقسمة إلى إيوانين بينهما درقاعة، وواجهة كل من الإيوانين محمولة على عمد رخامية رشيقة قواعدها مربعة ومطعمة برخام أحمر. والقسم الداخلى من هذا الحمام هو بيت الحرارة، وهو مقسم إلى أقسام أكبرها هو أوسطها. والحمام مسقوف بسقف مغشى بالجص بداخله تقاسيم زخرفية على هيئة زهرة ذات أربع أوراق.

القصر الغربى

يمتد الحائط الخارجى لهذا القصر مع القصر الوسطاني، ويمثل تصميم هذا القصر القصرين السابقين، ولكن طرأت تغييرات كثيرة وجسيمة منذ مدة على هذا القصر أفقدته جميع زخارفه، واستبدلت أسقفه بأسقف حديدية^١. ومن الملاحظ أن فى كل من القصور الثلاثة، فى الطابق الأول والثانى توجد قاعات مكونة من أربعة إيوانات حول فراغ مركزي، وكلها كانت تستعمل للاستقبال، وقد تكون مخططاتها نابعة من مخطط القاعات المملوكية، أو أنها مقتبسة من مخطط البهو التركى المتأثر بالعمارة الأوروبية. وهو الأرجح^٢. فالأسلوب الغالب فى القصور هو التشكيلات النباتية الملونة المرسومة على الأسقف أو على لوحات فى زوايا جدران الغرف والأبهاء. وهذه المواضيع الزخرفية إستاثنولية الطراز، أما التنفيذ فهو يخضع لطراز الباروك. وهذه القصور مهيبة باتساعها وليس بعمارتها، ولافتة للنظر بالتكرار فى مواضيع وأشكال زخارف غرفها وليس بالجدة فى أسلوبها أو البذخ فى تنفيذها. وتعتبر هذه القصور أكبر منشآت محمد

على في النطاق الشمالي، والذي تبقى به أيضا من عصره في النطاق الشمالي:

القصر الأحمر

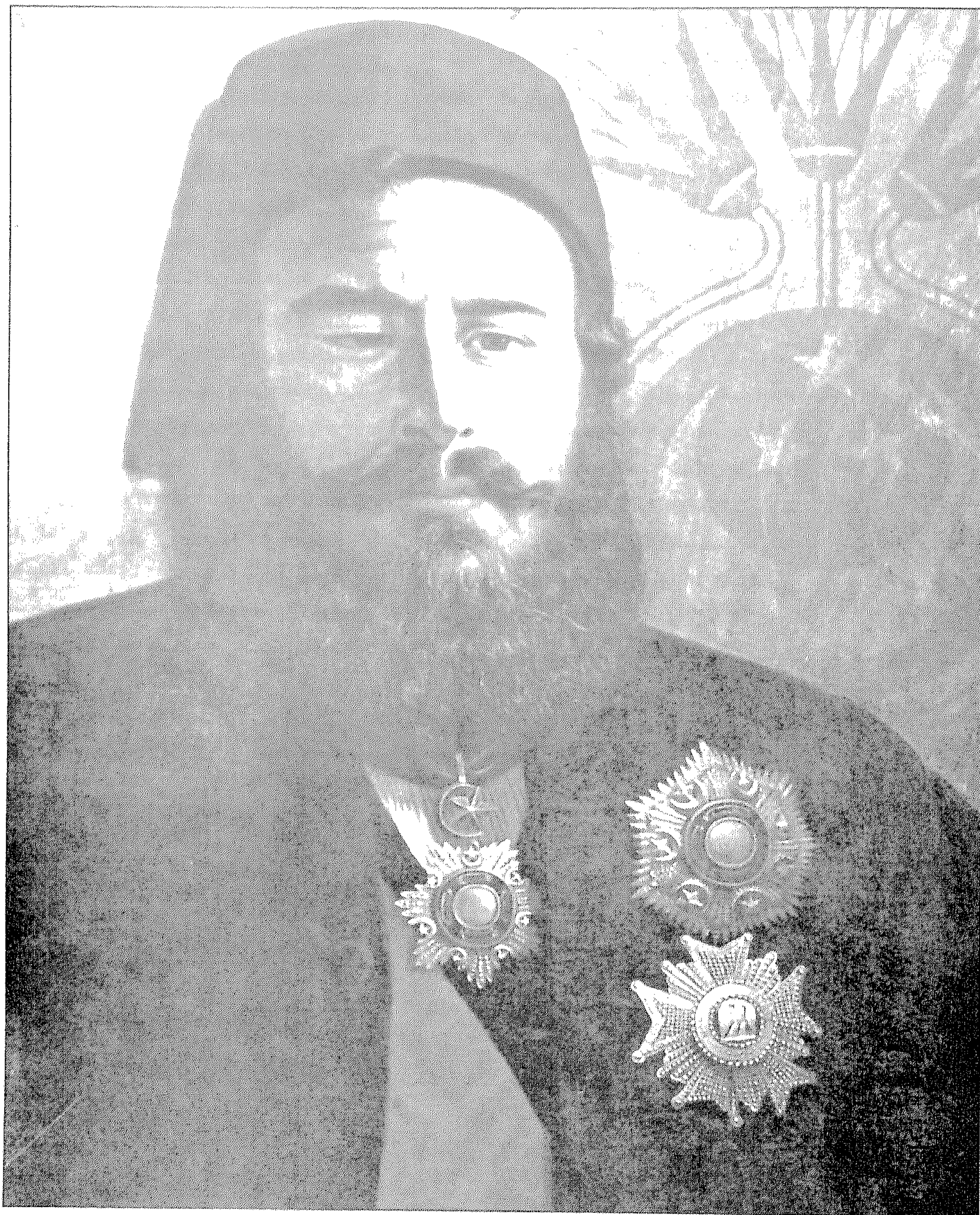
تقع هذه المنشأة على يمين الداخل من باب القلعة، وهي في الأصل من تشييد محمد علي حيث استكمل مباني قديمة كانت في هذا الموقع، يرى الدكتور محمود الألفي أن هذه المنشأة استغلت كمقر للمهندسخانة التي أمر بأن يلحق بها التلاميذ لتعلم فنون الهندسة، وذكر الجبرتي هذه الواقعة في تاريخه في عام ١٢١٣هـ / ١٨١٦م حيث يذكر "فأمر - أي محمد علي - ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخرج المجهولات مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي، بل وأشخاص من الإفرنج. وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنجليز ...". ولم تستمر الدراسة بهذا المبنى في رأيه لفترة طويلة إذ شيد محمد علي مدرسة للمهندسخانة في بولاق سنة ١٨٢٤م، حيث تتركز حركة الصناعة بالبلاد^{٦٣}. غير أن

نص الجبرتي صريح فهو حدد موقع المهندسخانة في حوش السراية، ومن المرجح أن موقعها اليوم هو المباني المحصورة بين سراي العدل وسراي الجوهرة. وترى أمل محفوظ أن هذا المبنى كان مدرسة حربية في عصر محمد علي، وهي التي نقلها إلى أسوان فيما بعد^{٦٤}، غير أنه من المؤكد أن هذا المبنى يعود إلى عصر محمد علي، والمحتمل أنه كان أحد المباني الإدارية ولذا ربما استغل كأحد مقار الدواوين في عهد محمد علي كديوان الجهادية. واستغل هذا المبنى كمدرسة للحربية في عهد سعيد باشا الذي أضاف إليه قسما جديدا، وهو الجناح الشمالي الغربي، وذلك في عام ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م. وكان عدد طلبة هذه المدرسة ٢٥٠ يقيمون بها، وهو ما استدعى توسعتها، إلا أن سعيدا نقل المدرسة من القلعة في سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م^{٦٥}.

والمسقط الأفقي لهذا المبنى غير منتظم، هذا المبنى شيد على جزء من سور القلعة، وهو يتكون من طابقين أرضي وأول، وله مدخلان الأول يطل على الساحة التي بينه وبين قصر الحرم، والثاني يتوصل إليه من حوش يتقدم المبنى، يدخل إليه من باب في الطريق المحصور بين المدرسة وقصر الحرم^{٦٦}.



قصور الحرم



محمد سعيد باشا

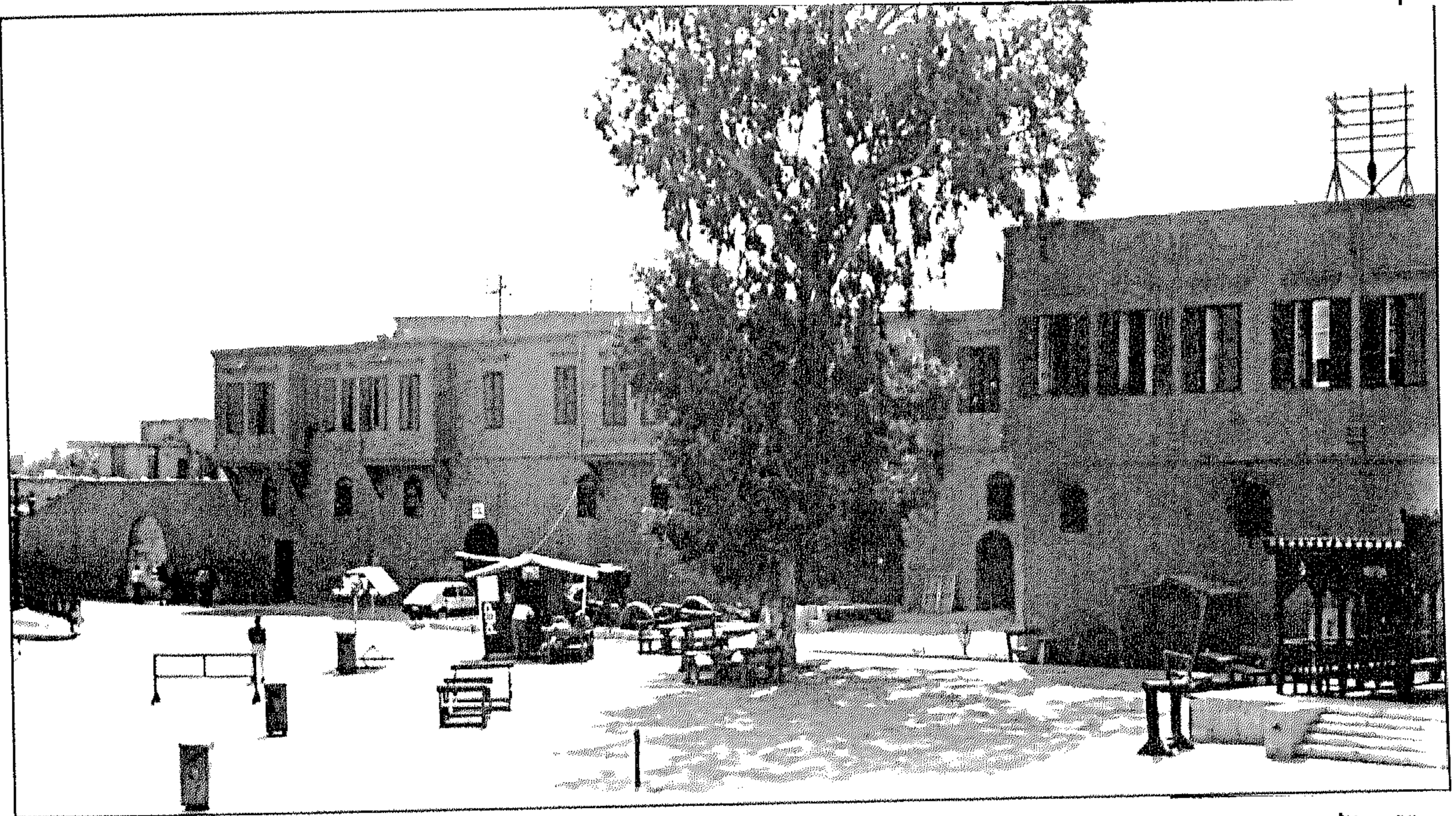
مسجد محمد علي

أجبرت الاضطرابات المستمرة منذ أن تولى محمد علي حكم مصر على الاهتمام بالقلعة وتحسينها، وذلك بدءاً من الخطر المملوكي الذي كان يتهدهده، والذي انتهى بإبادة المماليك في مذبحه القلعة الشهيرة، ثم الخطر العثماني المتمثل في محاولات عزله من قبل الدولة لإدراكها أنه خطر عليها، ثم انتهوا بها بالتحالف الإنجليزي المملوكي والذي انتهى بالفشل أيضاً، إلى محاولات اغتياله والتي دبرتها على يد الجنود الأتبان. كل هذا كان كفيلاً بأن يجعل محمد علي يولي اهتمامه إلى زيادة تحصين القلعة وتجهيزها لتكون مقراً له في حالات الاضطرابات، خاصة أنه قد نجح في إضعاف الزعامة الوطنية بعد نفيه عمر مكرم.

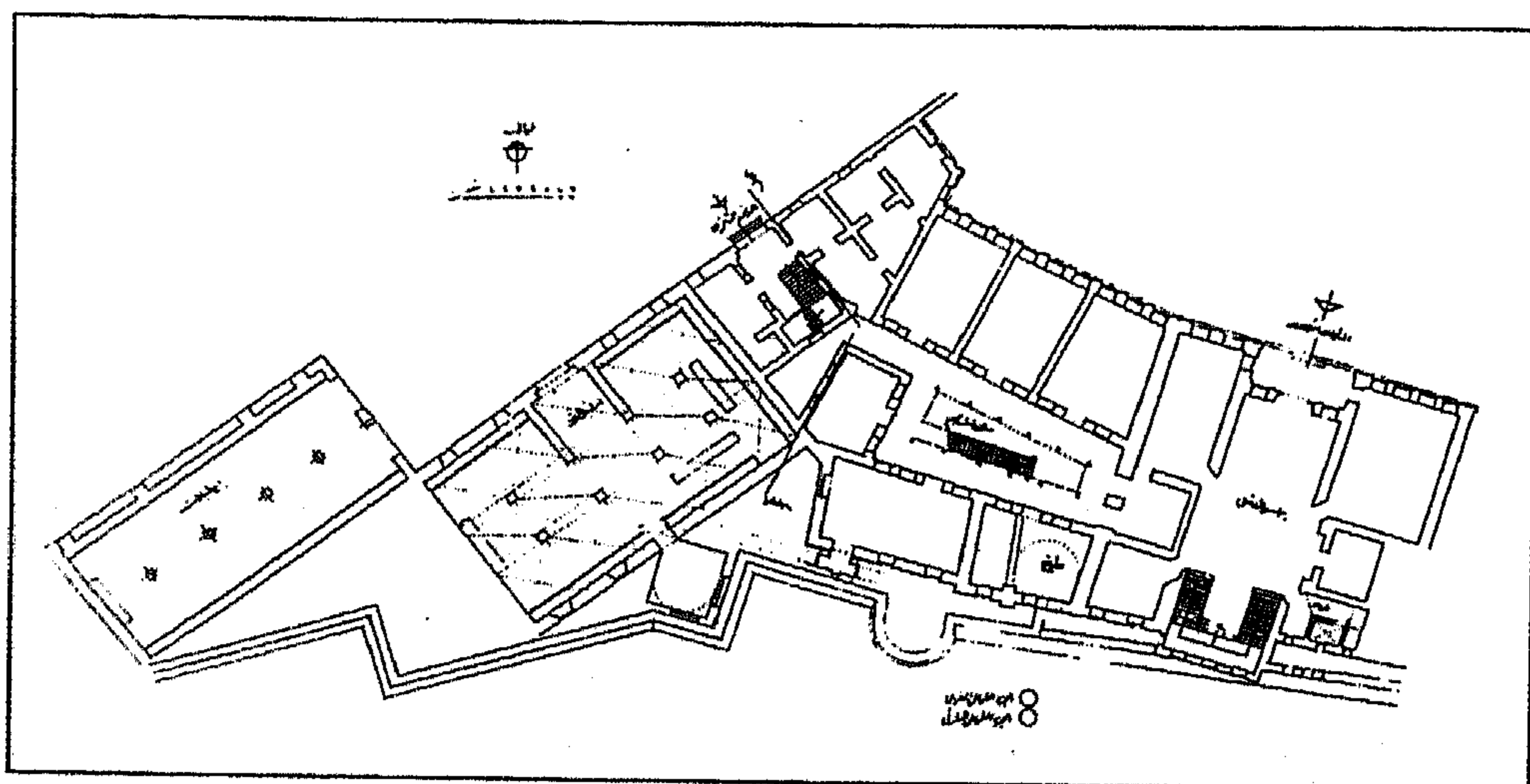
ولذا بعد انتهاء محمد علي من ترميم أسوار وأبراج القلعة، وكذلك ردم الأجزاء المتخربة منها، خاصة بقايا دار العدل أو الإيوان الناصري وقاعات الحريم، وإعادة تشييد مقر الباشاوات، وهو حوش الباشا، وإقامة قصر لحريمه. اتجه ليشييد عمارة ترمز لعظمة سلطانه في مصر،

معبراً عن استقرار الأوضاع له، هو مسجد محمد علي. ذلك المسجد لم تكن له ضرورة ملحة بالقلعة لوجود مسجد جامع بها، هو جامع الناصر محمد بن قلاوون الذي يجاور الموقع الذي اختاره محمد علي لمسجده، ولعل لهذا العمل منحنى سياسياً بحثاً يرتبط بتوجهات محمد علي.

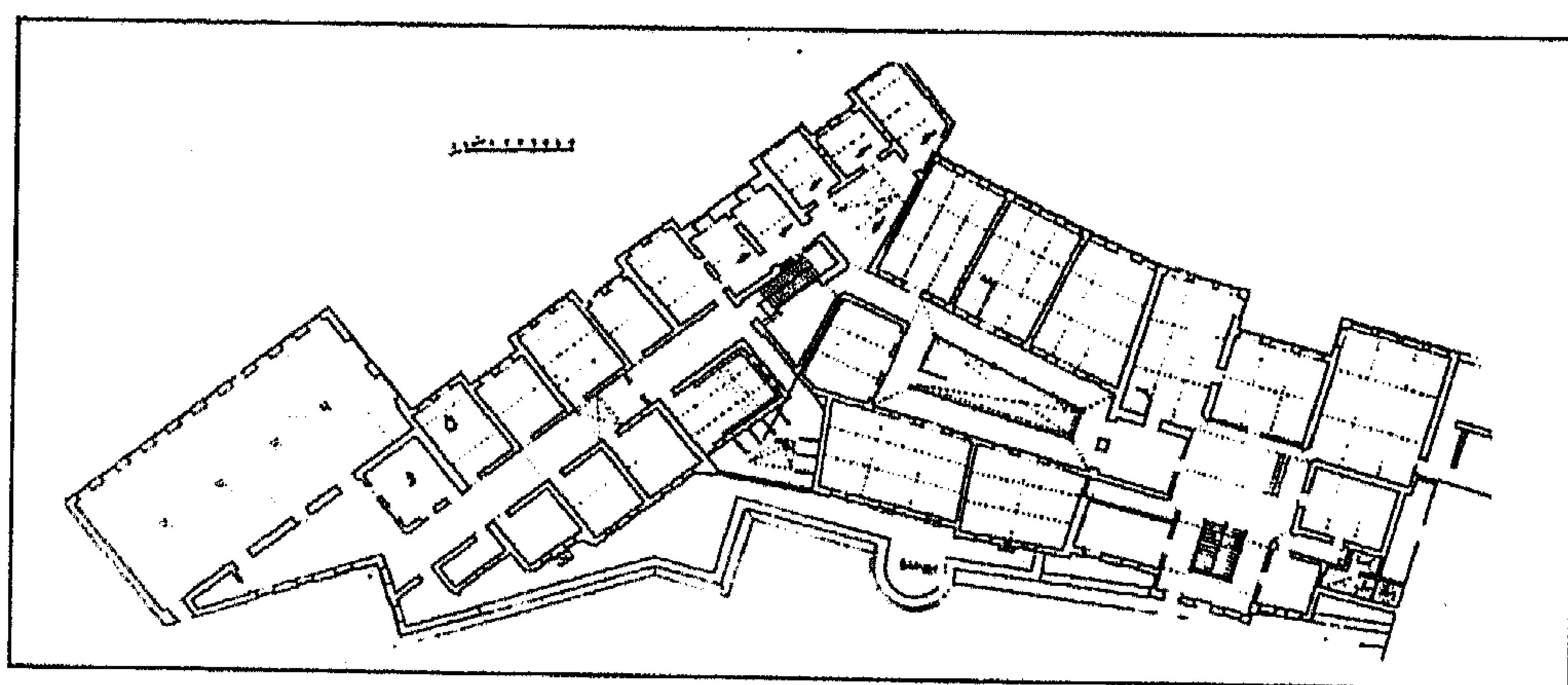
سجلت الوقائع المصرية في حوادث سنة ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، وقائع وضع حجر أساس المسجد، وجاء التقرير المنشور ليحمل العديد من المعاني السياسية، ومنها أن المسجد لم يشيد إلا بعد إصلاح أسوار القلعة وقصورها، وذكر التقرير أن محمد علي (قدم بناء القلعة على بناء الجامع وأخره حتى حين اقتداء بمن قال الأمور مرهونة بأوقاتها) وحضر وضع حجر الأساس محمد علي وتجله سعيد ووالى جدة إبراهيم باشا، وملا أفندي قاضي مصر، وأعيان مصر وعلمائها. وقرأ الجميع الفاتحة، وذبحت القرابين ونشرت الدنانير والدرهم، وذكر التقرير أن المهندسين وعمال البناء عملوا تحت إشراف أمين أفندي ناظر الأبنية. وأن المسجد سيشتيد ليكون من الآثار المعمارية^{١٢}.



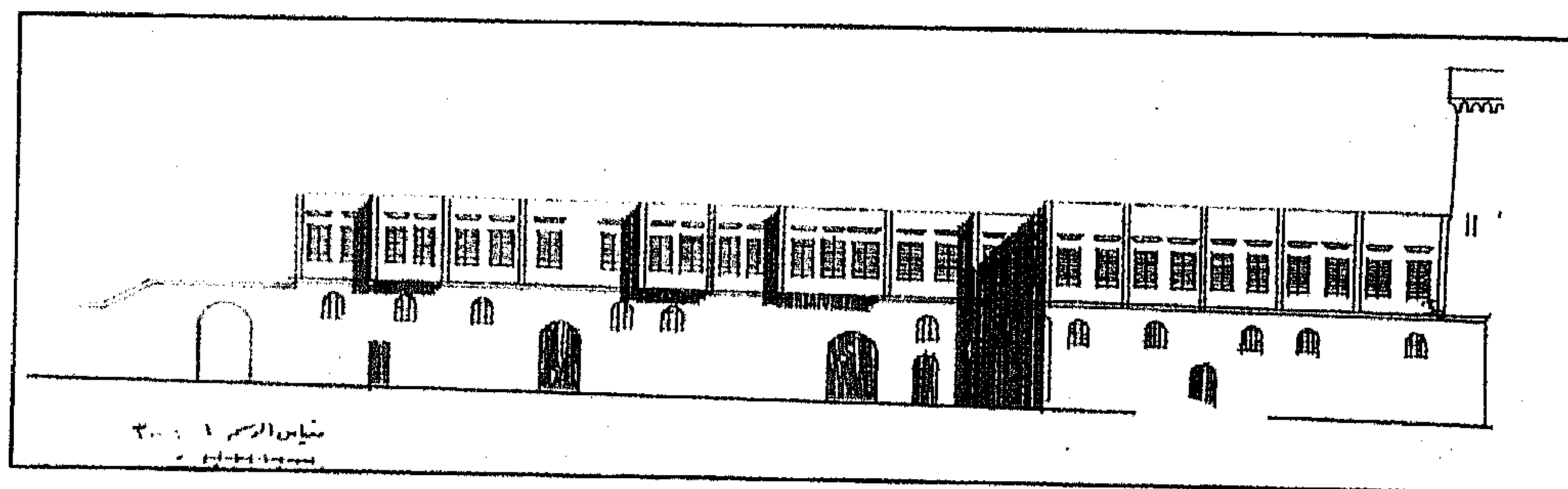
القصر الأحمر



القصر الأحمر - مسقط أفقى للدور الأرضي



القصر الأحمر - مسقط أفقى للدور الأول



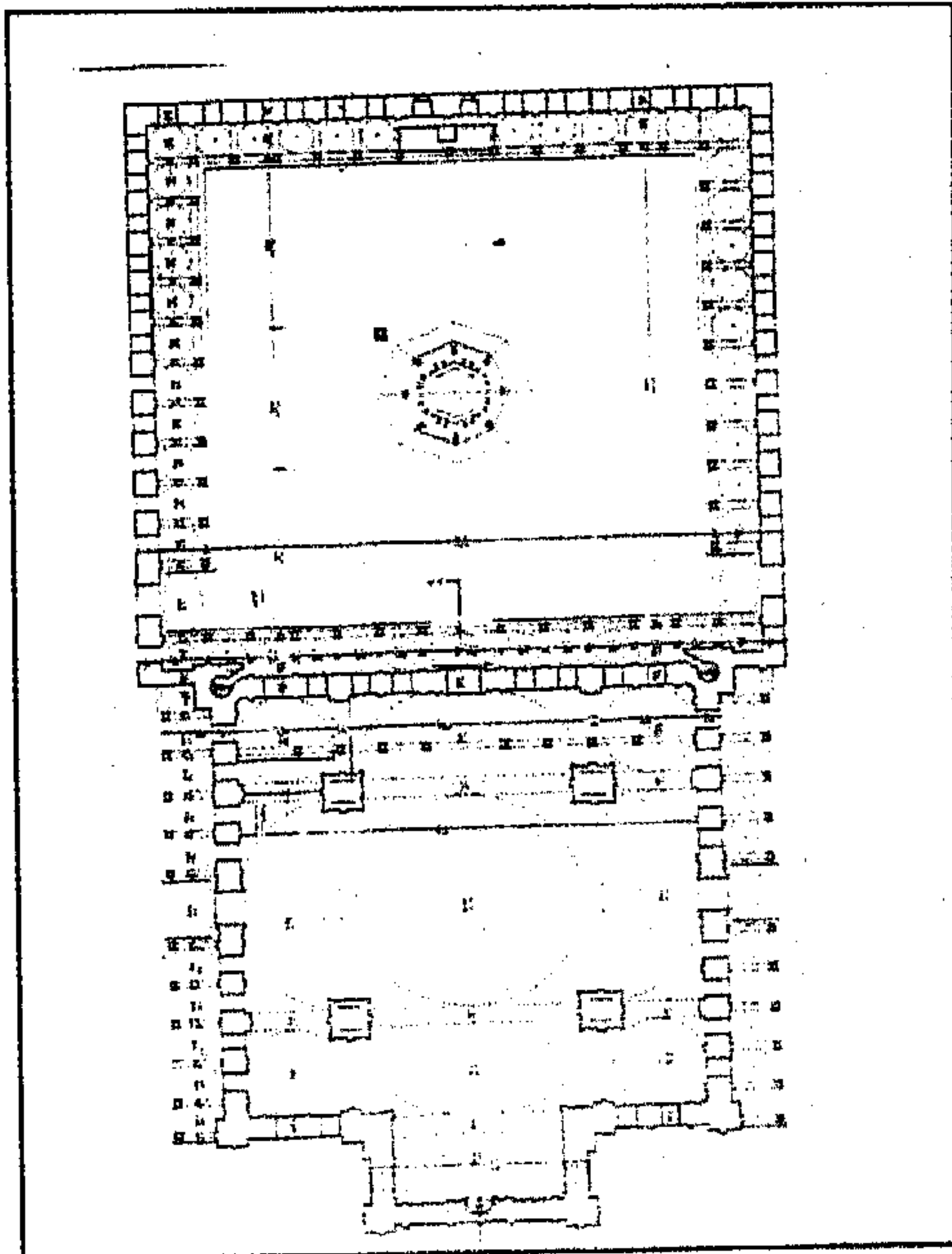
القصر الأحمر - الواجهة الرئيسية

تلك التى بنيت فى عاصمة الخلافة إستانبول فى بدايات القرن التاسع عشر، وإنما يعود بأسلوبه إلى الجوامع التقليدية الإستنبولية. وهى جوامع القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبشكل خاص جامعا بيتى فاليدى (جامع الوالدة صفية والدة السلطان محمد الثالث، بنى بالجامع الأزرق، وإن كان معظم المتخصصين فى العمارة العثمانية يعيرون عليه أنه لا يتسم بالدقة والرشاقة التى تتسم بها الجوامع الكلاسيكية العثمانية.

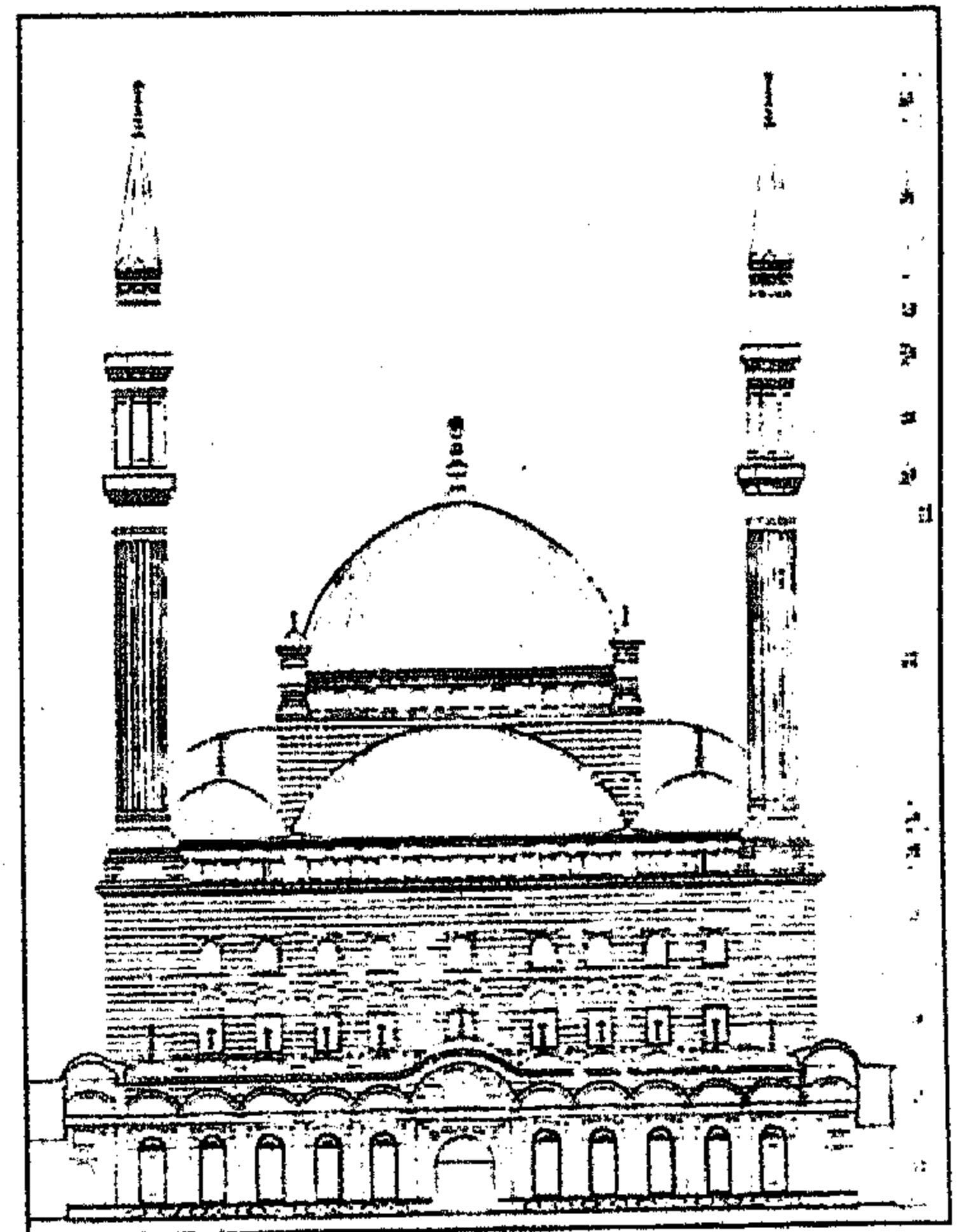
بالإضافة إلى ذلك يتباين وضوح وصراحة إنشاء وعمارة جامع محمد على مع زخرفته بغزارتها وانتقائية طرزها، فقبة التى ترتفع إلى علو ٥٢ مترا، مكسوة من الخارج بصفائح الرصاص، فى حين غطيت سطوحها الداخلية بالنقوش النافرة الملونة والمذهبة والتى نفذت بأسلوب باروكى محدث ويحيط بالصحن الملاصق للمصلى من جهة القبلة، ثلاثة أروقة، وقد كسيت أعمدة وعقود وجدران الأروقة بالمرمر المصرى الشاحب، وكذلك كسيت القبة وفسقية الوضوء التركية الباروكية

يتربع جامع محمد على على قمة القلعة فى الزاوية الشمالية الغربية من السور فى موقع لا بد وأنه اختير بعناية بحيث يشرف على المدينة كلها. وهو الآن المعلم الأكثر شهرة من معالم القلعة، حتى أنه أعطى اسمه لها فى اللغة الدارجة المصرية اليوم، بحيث إن عامة الناس تنسب القلعة إلى محمد على، مع أنه آخر من بنى فيها. فهل كان ذلك مقصودا من محمد على ومهندس جامعته؟

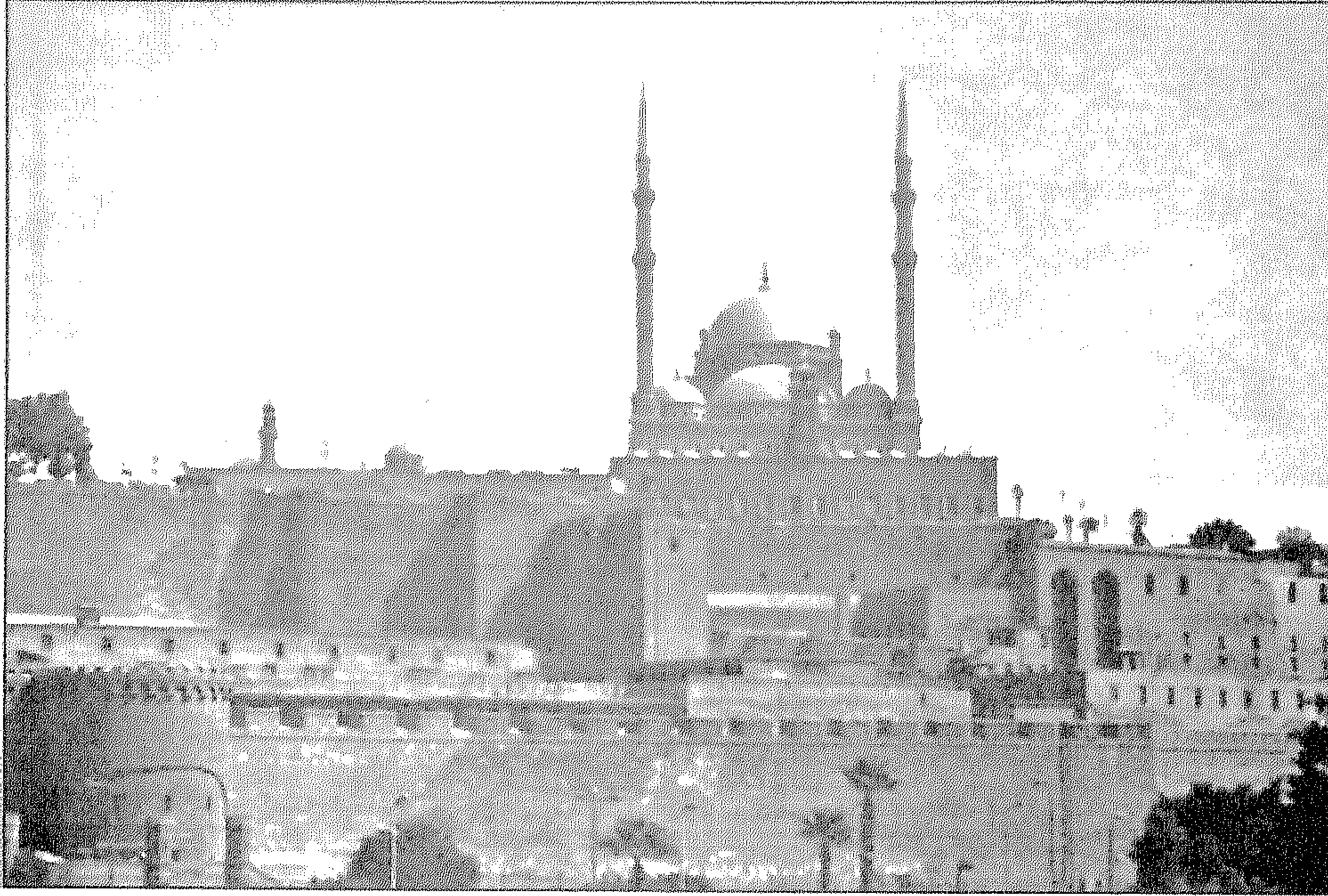
أكثر ما يلفت النظر فى جامع محمد على هو اختلاقه الجذرى شكليا ومعماريا عن غالبية جوامع القاهرة الكبيرة، فهو ينتمى للطراز المعمارى العثمانى الكلاسيكى يقبته وبمئذنتيه المديبتين الشاهقتى الارتفاع اللتين تقطران القبة، على حين أن صورة جوامع القاهرة عموما بما فيها جامع القلعة الرسمي، فيما عدا بعض الجوامع، تنتمى للنموذج المملوكى الذى يمتاز بقبابه الصغيرة نسبيا والمنحوتة بالنقوش الهندسية والنباتية الرائعة، وبتشكيلاته الفراغية المعقدة، وبمأذنتيه ذات الجواسق. ومما يزيد فى غرابة جامع محمد على بالنسبة لمحيطه وزمنه هو أنه لا يشبه الجوامع العثمانية المعاصرة له، أى



مسجد محمد على - مسقط أفقى



مسجد محمد على - الواجهة

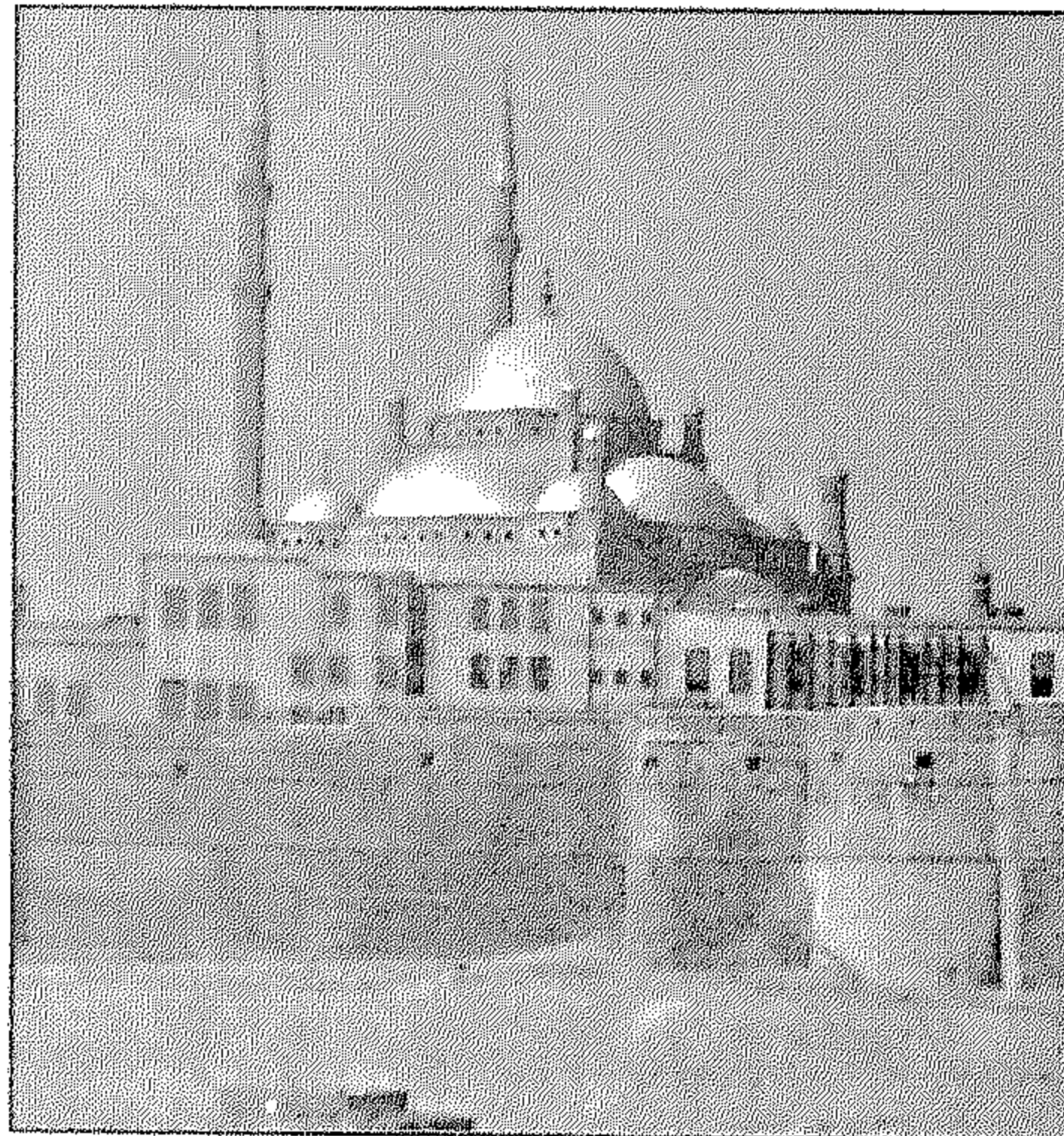


مسجد محمد علي

والمطل على ميدان الرميلى برج الساعات النحاسى المزخرف الذى أهدها لويس فيليب ملك فرنسا لمحمد على سنة ١٨٤٥م، مقابل المسلة الفرعونية فى ميدان الكونكوردي فى باريس^{٣٨}، ومن اللافت للنظر أن هذا البرج لا يتعارض مع الشكل العام للجامع، على الرغم من أنه منطقيا وأسلوبيا يجب أن يكون نقيضه تماما.

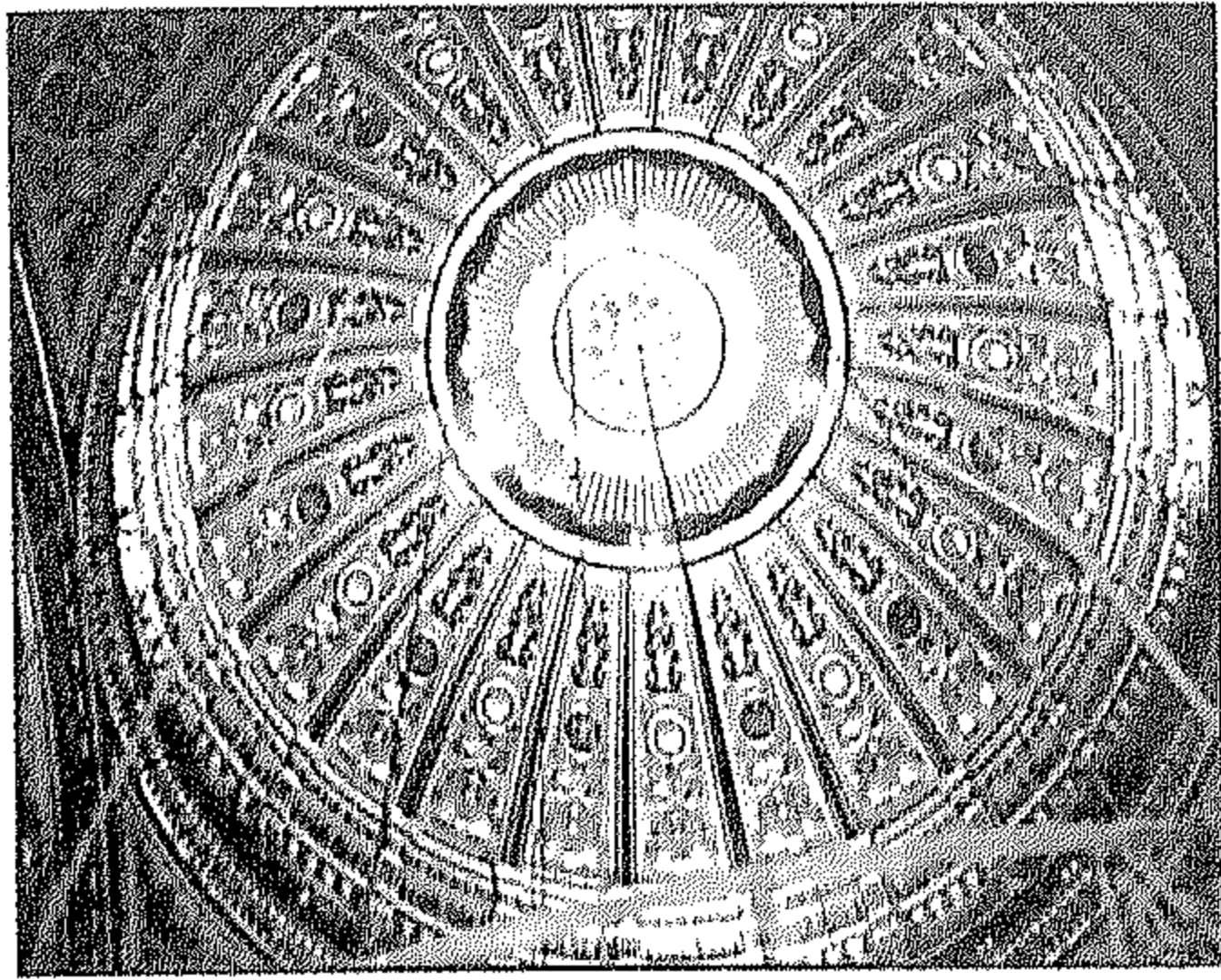
يزخر جامع محمد على بكم هائل من الكتابات تتناسب وحجم المسجد وإمكانات المنشئ الهائلة، بعضها أبيات شعر من نظم الشيخ محمد شهاب الدين^{٣٩}. علمنا من هذا الشاعر أن سلامة أفندى المهندس صنع مزولة للجامع، وأن الأبواب انتهت سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، وأن القبة الكبيرة انتهت سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م. ويستوقفنا فى كتابات المسجد استخدام ثلاث لغات فيها. فالأبيات الشعرية كتبت باللغة العربية، والنصوص الكتابية على الميضاة كتبت باللغة الفارسية^{٤٠}، وشاهد قبر محمد على بالتركية. وهذه التعددية اللغوية تعكس طبيعة العصر الذى شيدت فيه المنشأة. فقد كان محمد على ويطانته لا يجيدون إلا

الطراز بنفس المادة، وقد رفعت فوقها ظلة خشبية على ثمانية أعمدة رشيقة، وتتشامخ مؤذنتا الجامع المبنيان على زاويتي الجدار الغربى للمصلى إلى ارتفاع ٨٢ مترا، على حين يبرز فى منتصف الضلع الغربى للصحن،

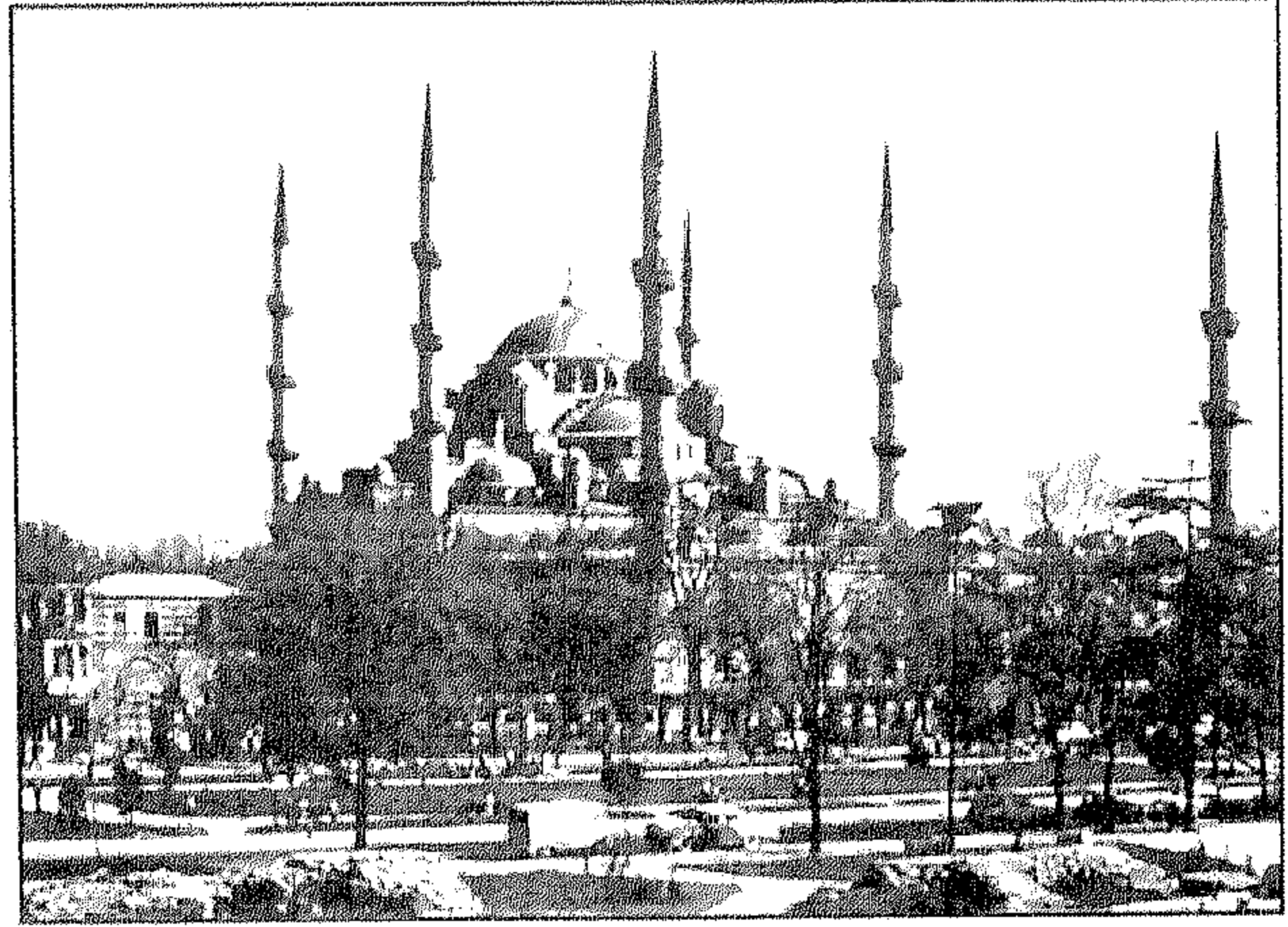


مسجد محمد علي

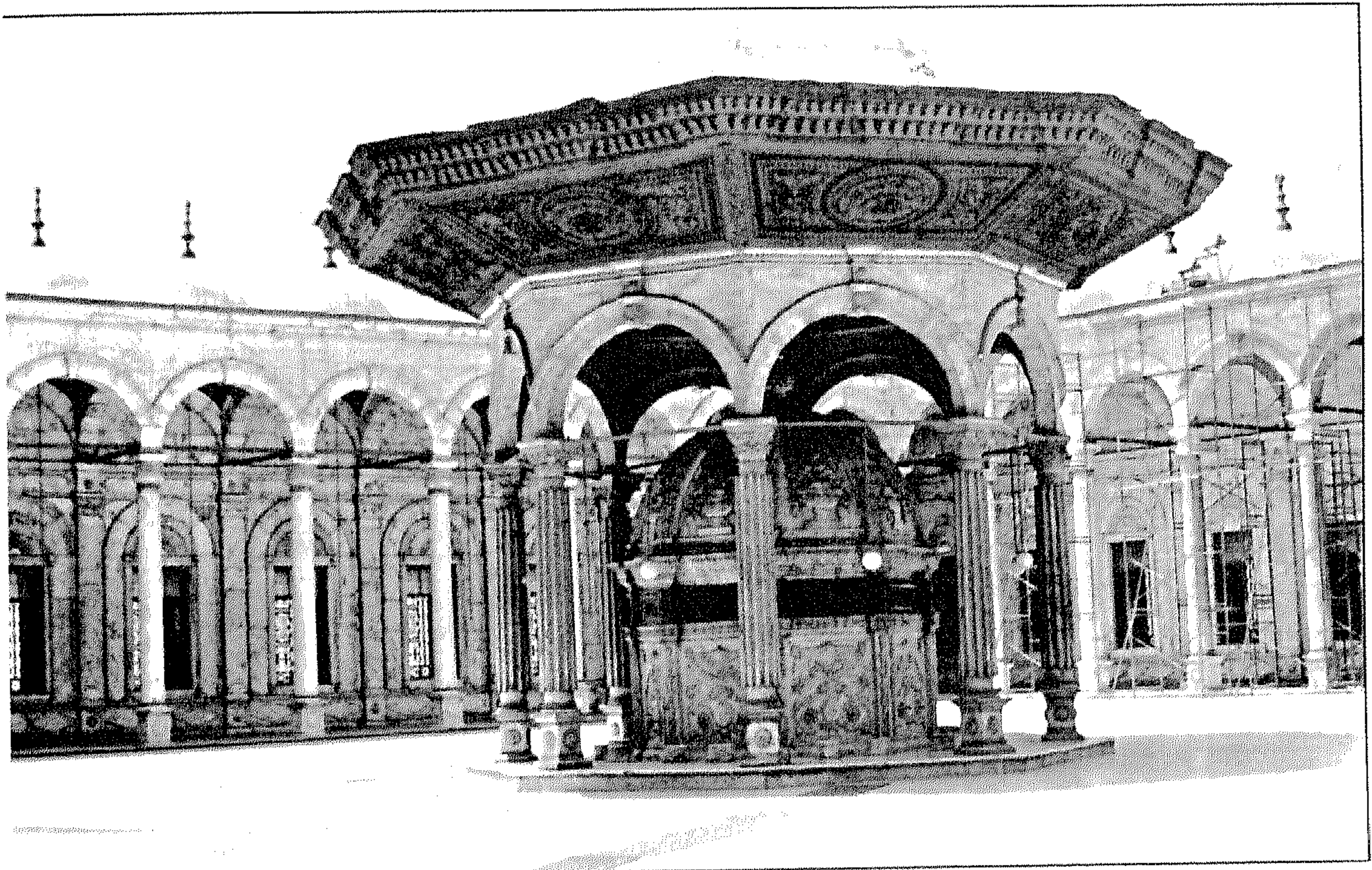
القلعة في عصر محمد علي وخلفائه



مسجد محمد علي - زخارف القبة من الداخل



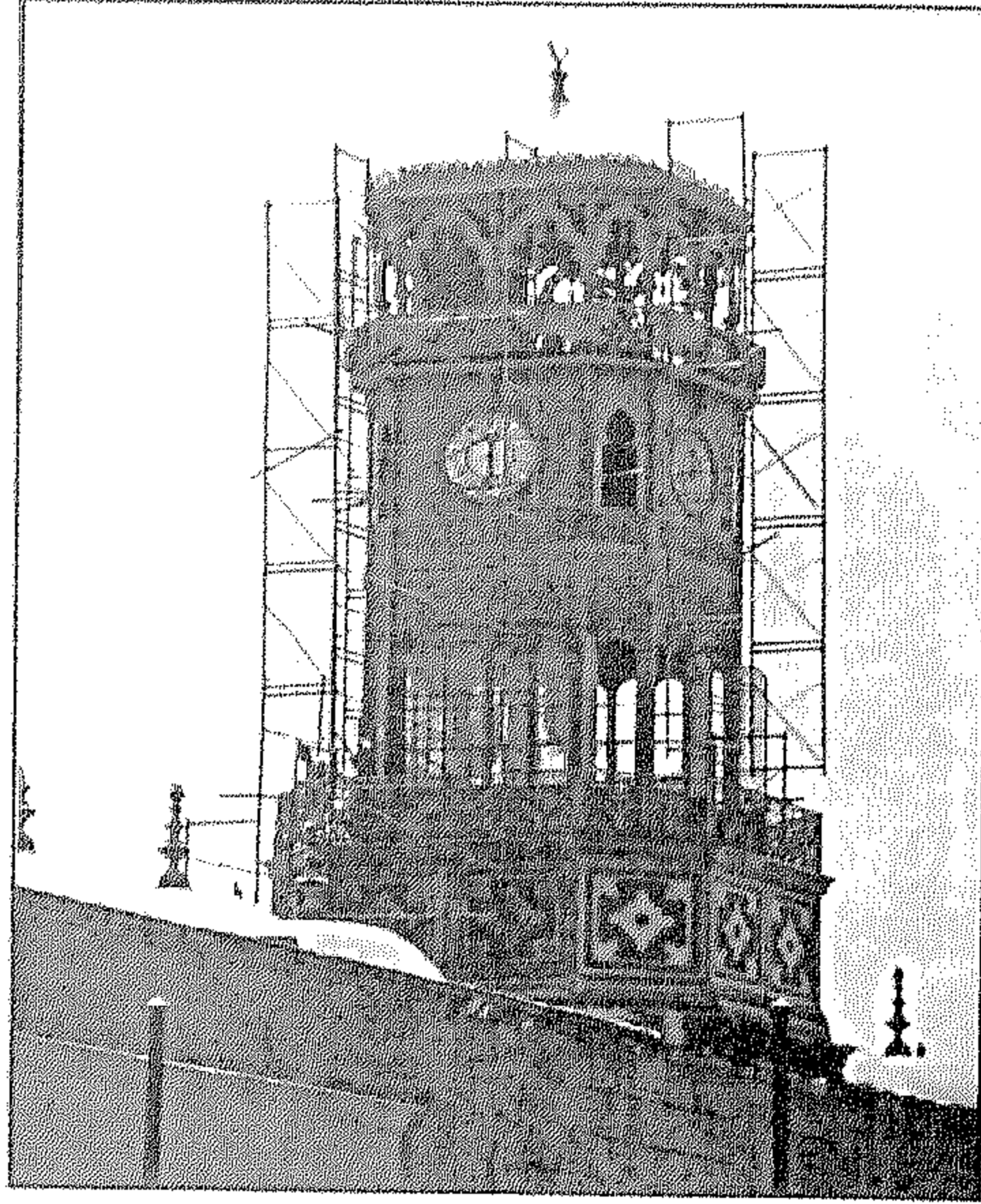
مسجد السلطان أحمد - إستانبول



مسجد محمد علي - الميضية

بأن محمد علي باشا طلب منه تصميم جامع في القلعة وجامع آخر في الإسكندرية بين عامي (١٨٢١ - ١٨٢٢م) فامتثل كوست للطلب بعد أن قضى سنتين (١٨٢٢ - ١٨٢٤م) يدرس جوامع القاهرة^{٢٥}. ومن خلال دراسته توصل إلى أن بناء الجوامع في مصر يجب أن يعتمد على الطراز المملوكي، لكونه الطراز المميز للعمارة المصرية في العصور الإسلامية.

وضع كوست مشروعين، مازالت رسوماتهما في المكتبة البلدية في مارسيليا^{٢٦}، يبدو التأثير المملوكي فيهما واضحا في مساقطهما وواجهاتهما ومآذنهما مع بعض التفاصيل الباروكية في العناصر الملحقة بالجامع كالسبيل، ولكن التنفيذ تعثر على ما يبدو، ووجد الباشا نفسه مضطرا لإلغاء مشروع جامع الإسكندرية بسبب نقص السيولة الناتج عن اشتراك مصر في الحرب اليونانية كجزء من قوات الدولة العثمانية، ولم يشرع في بناء جامع القلعة إلا بعد نهاية حملة المورة الفاشلة، وبعد مغادرة كوست لمصر مغادرة نهائية، وإن كانت في الأصل غير مخطط لها. ولكن يذكر كوست في مذكراته أن المشروع اتبع مخططه مع أنه كان بعيدا في فرنسا. ويؤكد كلام كوست تقرير للقنصل الروسي في القاهرة عام ١٨٣١م يذكر فيه أن تجميع الرخام لجامع القلعة الذي صممه كوست قائم على قدم وساق^{٢٧}. ولكن اسم كوست يختفى من الوثائق القنصلية والرسمية بعد ذلك، واعتبارا من عام ١٨٣٣م تطالعنا تقارير من مسافرين زائرين للقلعة مثل الإنجليزي كوروزون، تتحدث عن الطراز البربري أو الطراز الأرمني^{٢٨}، واعتبارا من تلك السنة نجد أن أكثر المعلقين على جامع الباشا في القلعة الذي ما زال في طور البناء يعيرون عليه غرابته عن محيطه القاهري وبشاعته وعدم انتظام نسبه بالنسبة لجوامع إستانبول العثمانية. وبعضهم يذكر معماريين مغمورين من عاصمة الخلافة، أرمن أو أتراكا أو يونان أو حتى بوسنيين، على أنهم هم المسئولون عن عمارة هذا الجامع، ولكننا لا نملك وثيقة رسمية واحدة توضح لنا من هم حقا هؤلاء المعمارليون؟ وكيف تحول تصميم كوست المملوكي

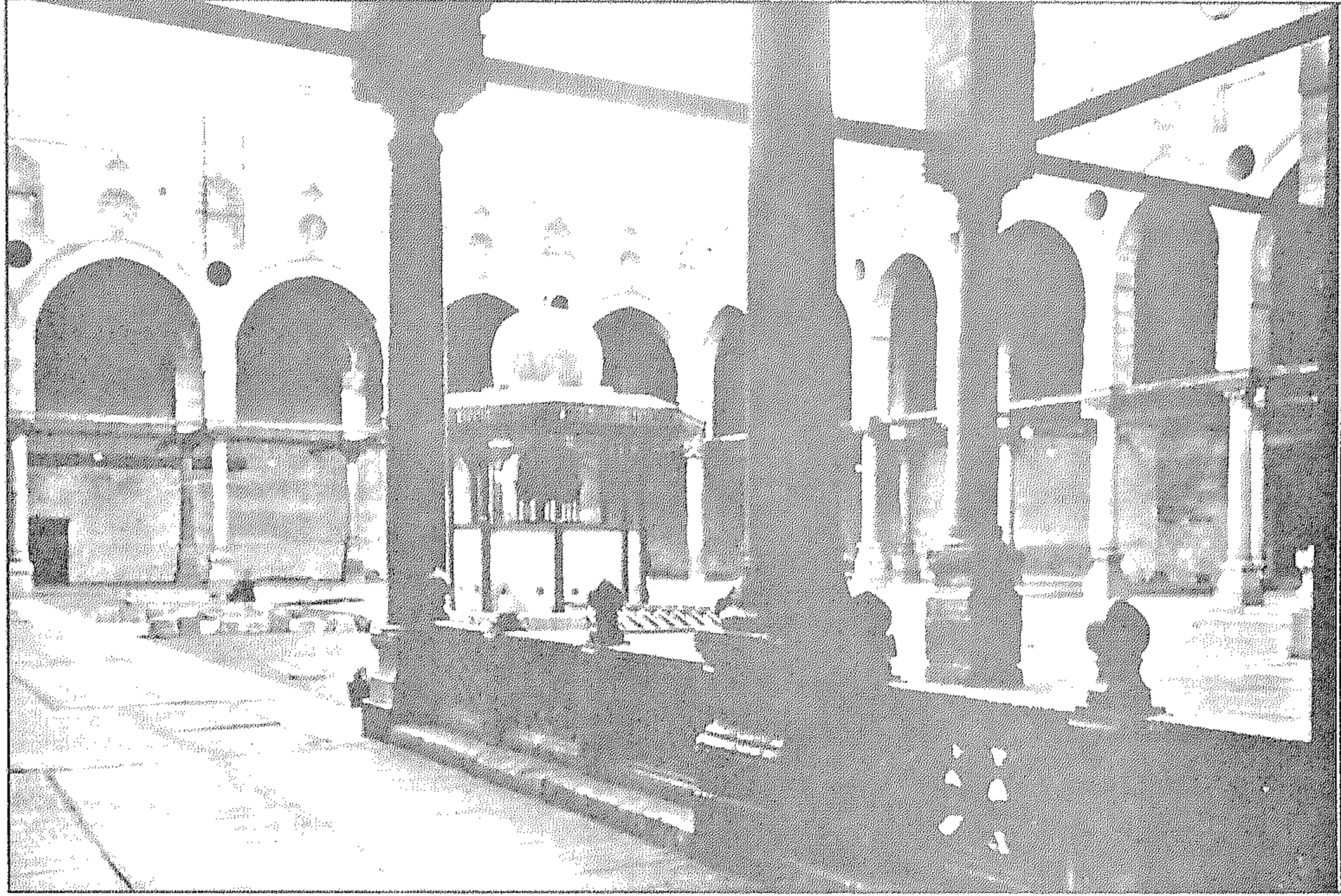


مسجد محمد علي - برج الساعة

التركية. وبالتالي شاعت التركية في النصوص التأسيسية بالقلعة وبالمنشآت الكبيرة في هذا العصر^{٢٩} وفي المكاتبات الرسمية لكونها اللغة المشتركة بين الإدارة في مصر ومقر السلطنة في إستانبول. وهذا هو السبب الذي جعل اللغة التركية تستمر في مصر إلى عام ١٩١٦م^{٣٠}. ويعود ظهور اللغة الفارسية إلى اهتمام محمد علي بها وبتدريسها في المدارس المصرية، إلا أنها لم تستخدم كلغة للإدارة، وإنما كانت معينا تقوم به الأصول الفارسية في اللغة التركية. وجاءت الفارسية في مسجد محمد علي على يد خطاط فارسي هو ميرزا سنكلخ^{٣١}.

بنى الجامع في تاريخ متأخر نسبيا في عهد محمد علي، الذي رغب في إنشاء مدفن لنفسه فيه^{٣٢}، وتدل وقائع الأحداث الخاصة ببناء الجامع على دلائل مهمة لمعناه ولدوره الأساسي كمعبر عن نفسية الباشا وسياسته تجاه السلطنة العثمانية وعن طموحاته للحلول محلها أو بالأحرى لإحياء مجدها الغابر.

يخبرنا باسكال كوست المعمارى الفرنسى الذى عمل في مصر تسع سنوات (١٨١٩ - ١٨٢٨م) في مذكراته



مسجد الطنبغا الماردني - العصر المملوكي

رجل أوروبا المريض (الباب العالي)، وأجبرت محمد علي بعد معاهدة لندن على الاكتفاء بمصر. ولكن محمد علي لم يعتبر نفسه ثائرا على الدولة العثمانية هادفا لإزالتها من الوجود كدولة، بل مجددا لها: فمشروعه كان قائما على فكرة أن الدولة منهكة ومهلهلة وأنها بحاجة لدفقة دم جديدة تعيد لها مجدها الغارب، وأنه هو من سيقدم هذه الدفقة عن طريق برنامج التطويري الإصلاحى الذى بدأه فى مصر فى العشرينيات من القرن التاسع عشر، والذى بلغ ذروة نشاطه فى الثلاثينيات. وقد اعتمد محمد علي على الأنظمة الأوروبية فى الجيش والزراعة والرى والتعليم والصناعة، بيد أن محمد علي ويطانته من أرناقوط وشركس وأتراك وقليل من المصريين لم يتخلوا عن أساليب حياتهم وعاداتهم وأذواقهم ورواهم لصالح الجديد الأوروبى الذى استقدموه لانتشال البلاد من تخلفها، فهم على الرغم من قيادتهم للمشاريع التحديثية، تعسفا وبالكرباج أحيانا، حافظوا على توجههم العثمانى

إلى الجامع القائم اليوم العثمانى الكلاسيكي، ومن هو صاحب قرار التحول، وما دلالة هذا التحول؟، بادئ ذى بدء أخطأ كوست حين اقترح على الباشا بتصميمه جامعاً، على أن يتخذ طرازه الطراز المملوكى، فى أعقاب مذبحه المماليك أعداء الباشا، ثم بنى قصوره على أنقاض قصور المماليك التى ردمها ودمر بعضها، فمما لاشك فيه أن الباشا ما كان ليرضى لنفسه أن يتبع أسلوب المماليك معماريا بعد أن حطمهم سياسيا وأفناهم فعليا. ولكن اختياره لطراز الجوامع التقليدية الإستانبولية يفصح عن جوانب مثيرة من شخصيته وطموحه وقوة عزمه وتصميمه وذوقه العثمانى المحافظ بخاصة إذا تذكرنا أن بناء الجامع توافق زمنيا مع محاولة الباشا إقامة دولة إسلامية قوية على أنقاض الدولة العثمانية. ذلك المشروع الذى أشعل حربا مع الباب العالي دامت عشر سنوات (١٨٣٠ - ١٨٤١م) وكادت أن تودى بكل طموحات محمد علي، عندما تدخلت الدول الكبرى لحماية

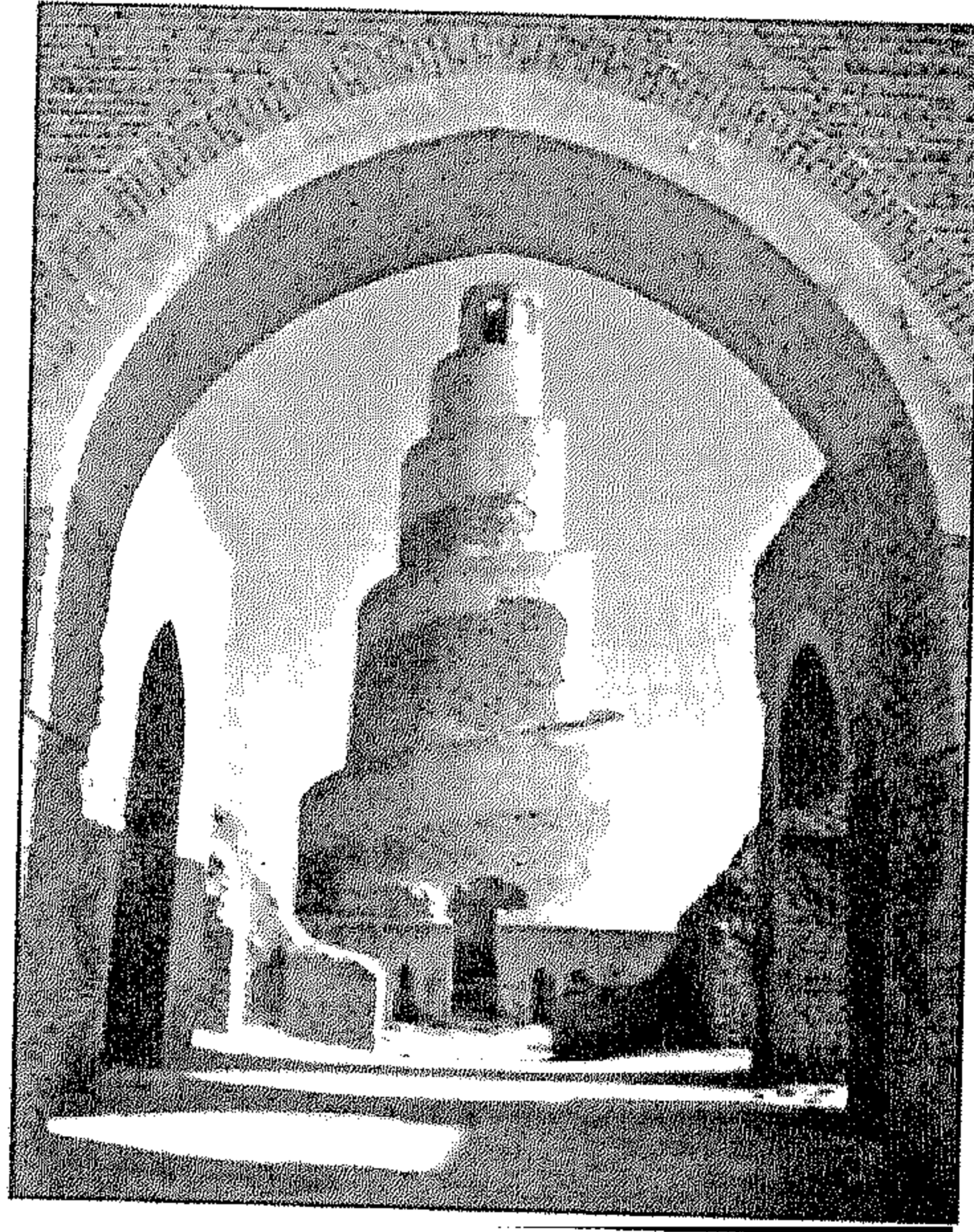
الطابع، والتقليدي الاتجاه وحتى الجامد التفكير في بعض الشئون الاجتماعية والشخصية. فمحمد علي الذي ترعرع في جو عثماني محافظ في كافالا باليونان^{٣١}. أظهر ميلا واضحا منذ استلامه الحكم في مصر لتثقيف نفسه ثقافة عثمانية أرسقراطية قوية. ويمكننا أن نلاحظ ذلك في مطبوعات مطبعة بولاق باللغة التركية. من هذا المنطلق نفسه، يمكننا أن نفهم لماذا أختار محمد علي والمحيطون به لجامعه طرازا تقليديا إستانبوليا، فبالنسبة لعقيدة محمد علي والمحيطين به كانت تلك علامات السيادة والعظمة والأصالة التي فهموها وتذوقوها ورغبوا في التمسك بأهدابها. وهي نفس الأسباب التي دفعت أحمد بن طولون إلى اختيار طراز مسجده الجامع تقليدا لمسجد سامراء خاصة في الزخارف والمثدنة.

ولاشك كذلك في أن قرار محمد علي باشا بالعودة إلى الماضي العثماني في عمارة جامعته في نفس الفترة التي كانت فيها جيوشه تدك معقل الحاضر العثماني، كان الهدف من هذا الاختيار هو إثبات الولاء لذلك الأمر العثماني العظيم، الذي كان محمد علي يحاول إحياءه فعلا

من خلال حكمه وشخصه وطموحه، والتأكيد على فك الارتباط مع الحاضر الضعيف، الذي كان يحاول الحلول محله. وهذا المعنى هو ما عبر عنه الجامع، بالإضافة إلى كل مشاريع محمد علي في القلعة من سرايات وتكنات ومستودعات من خلال ضخامة المعمار، وموقع البناء، وأسلوبه المرجعي الملىء بالإشارات التي فهمها معاونو الباشا تماما، وإن كانت غامضة بالنسبة لعامة الناس، الذين لم يهتم الباشا برأيهم أصلاً. فجامع محمد علي إذن وبن بلاغ تشكيلي صمم عن سابق إصرار الأسلوب الإستانبولي المبكر في عمارة لطانية، ولكي يقتبس من مدلولاته مسوغات لتصرفات بالية خلال تلك الفترة المثيرة التي شهدت محاولة محمد علي إنشاء دولة جديدة. لقد كان محمد علي مدركا ما يفعله بالضبط فهو يريد دولة قوية ذات استقلال عن الدولة العثمانية أو دولة تقام على أنقاض هذه الدولة، لذا فليس من المستغرب أن يمنح محمد علي نفسه ألقابا كانت لا تطلق إلا على السلاطين مثل لقب خان^{٣٢}، ولقب خديو ولقب عزيز^{٣٣} ويتبقى أنه ليس من المعقول أن يختار الباشا طرازا لمسجد يماثل طراز مسجد الناصر محمد مسجد القلعة الجامع. فلا بد أن يكون الطراز مختلفا لكي يلتفت انتباه الناس إليه.

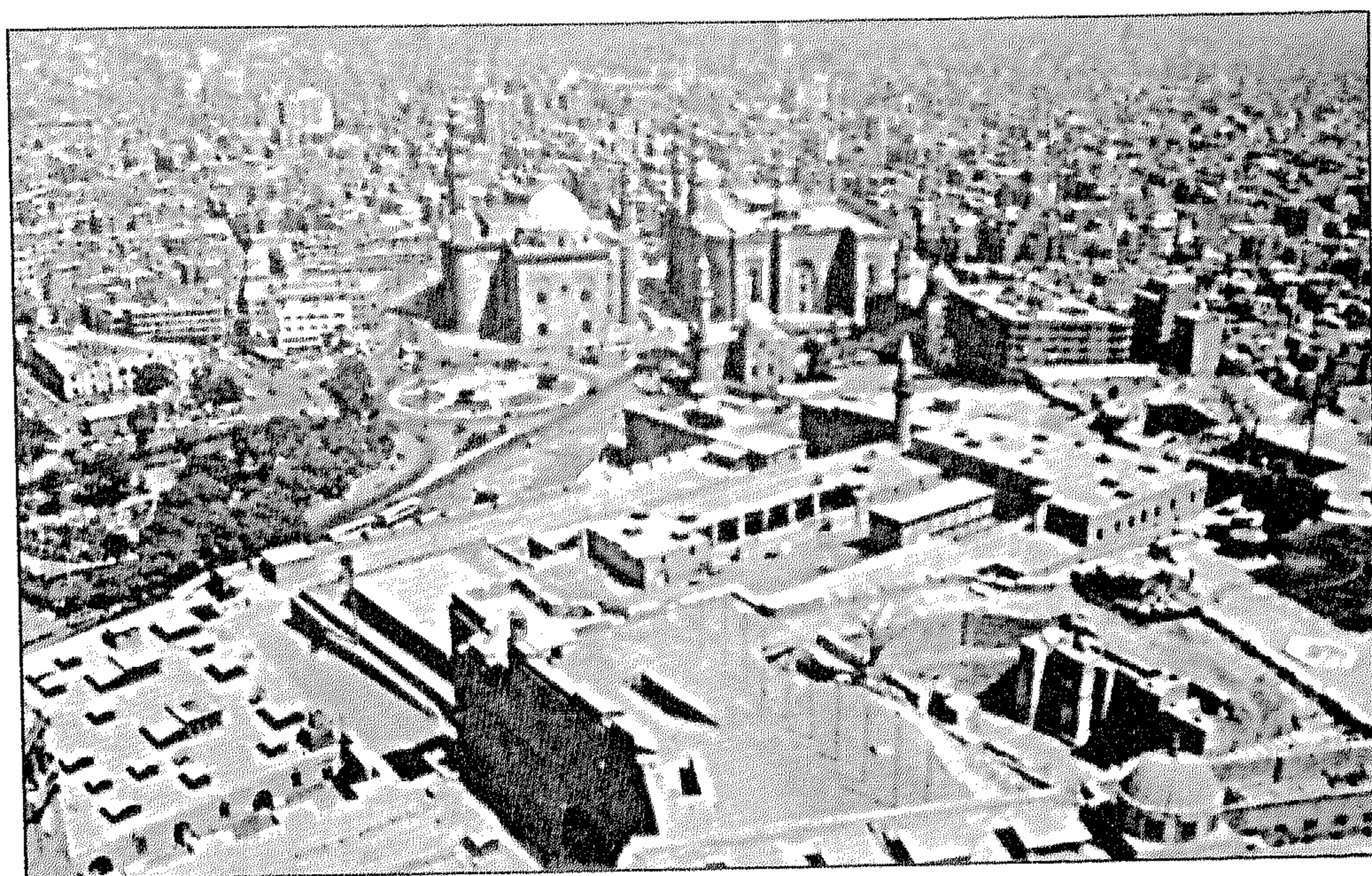
نطاق باب العزب

حدث تحول مهم في وظيفة هذا النطاق من القلعة، إذ تحول من مكان لإقامة جند طائفة العزب، إلى منطقة صناعية حديثة تعكس رغبة محمد علي في إقامة جيش قوى حديث كان محمد علي بدأ في عام ١٨٠٦م في تصنيع الأسلحة بالقلعة، وظلت هذه الصناعة تنمو، حيث شهدت في عام ١٨٢٠م تشييد مصنع جديد لصناعة وسبك المدافع والقنابل والسيوف والرماح وغير ذلك وسمى "الطوبخانه" وعمل تحت إشراف أدهم بك قائد المدفعية، كان بهذا المصنع ٩٠٠ عامل ومعهم عدد من الأجانب للاستفادة بخبراتهم. تراوح إنتاج هذه الطوبخانه من المدافع ما بين ثلاثة وأربعة مدافع في الشهر. وكان

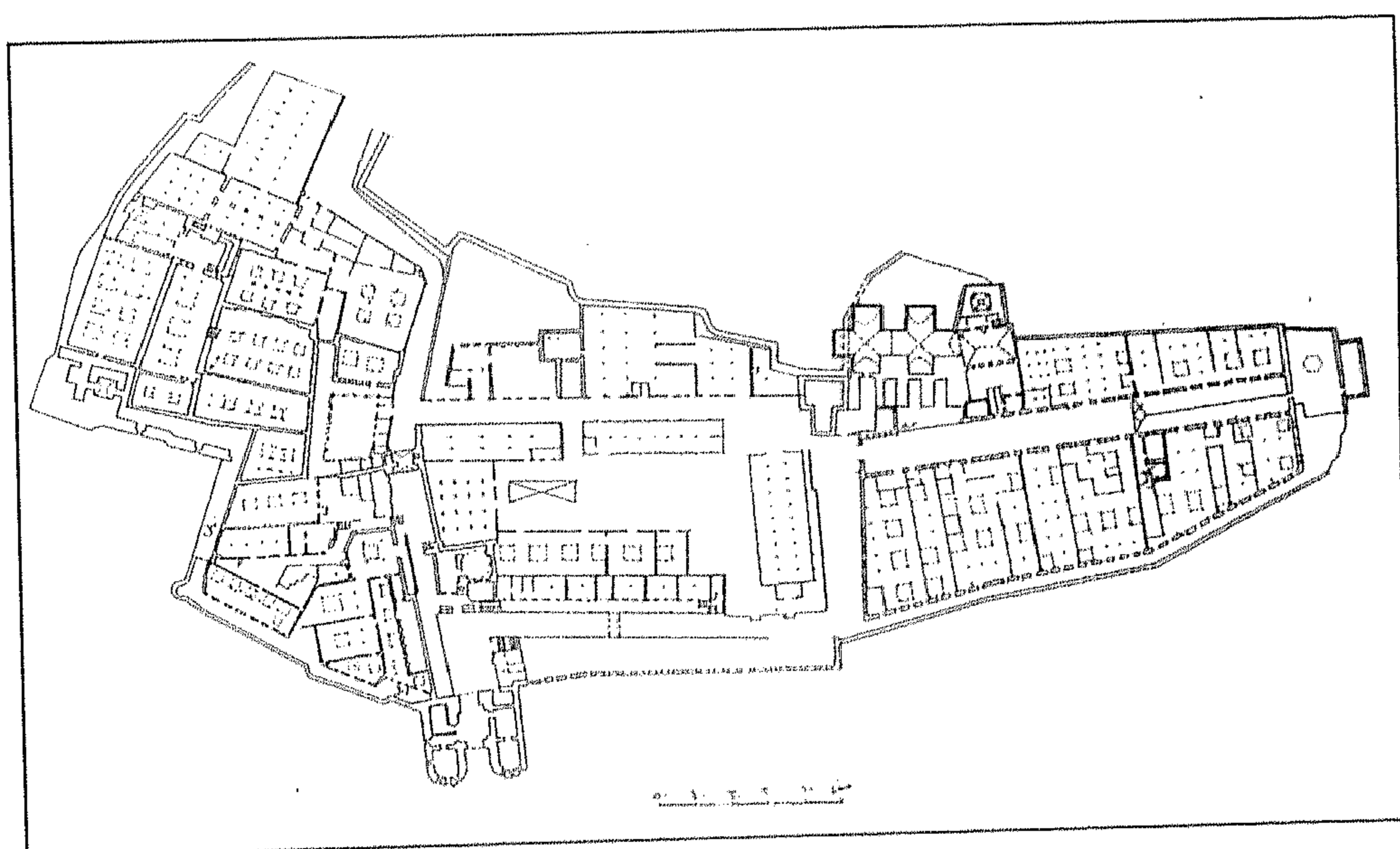


مسجد سامراء

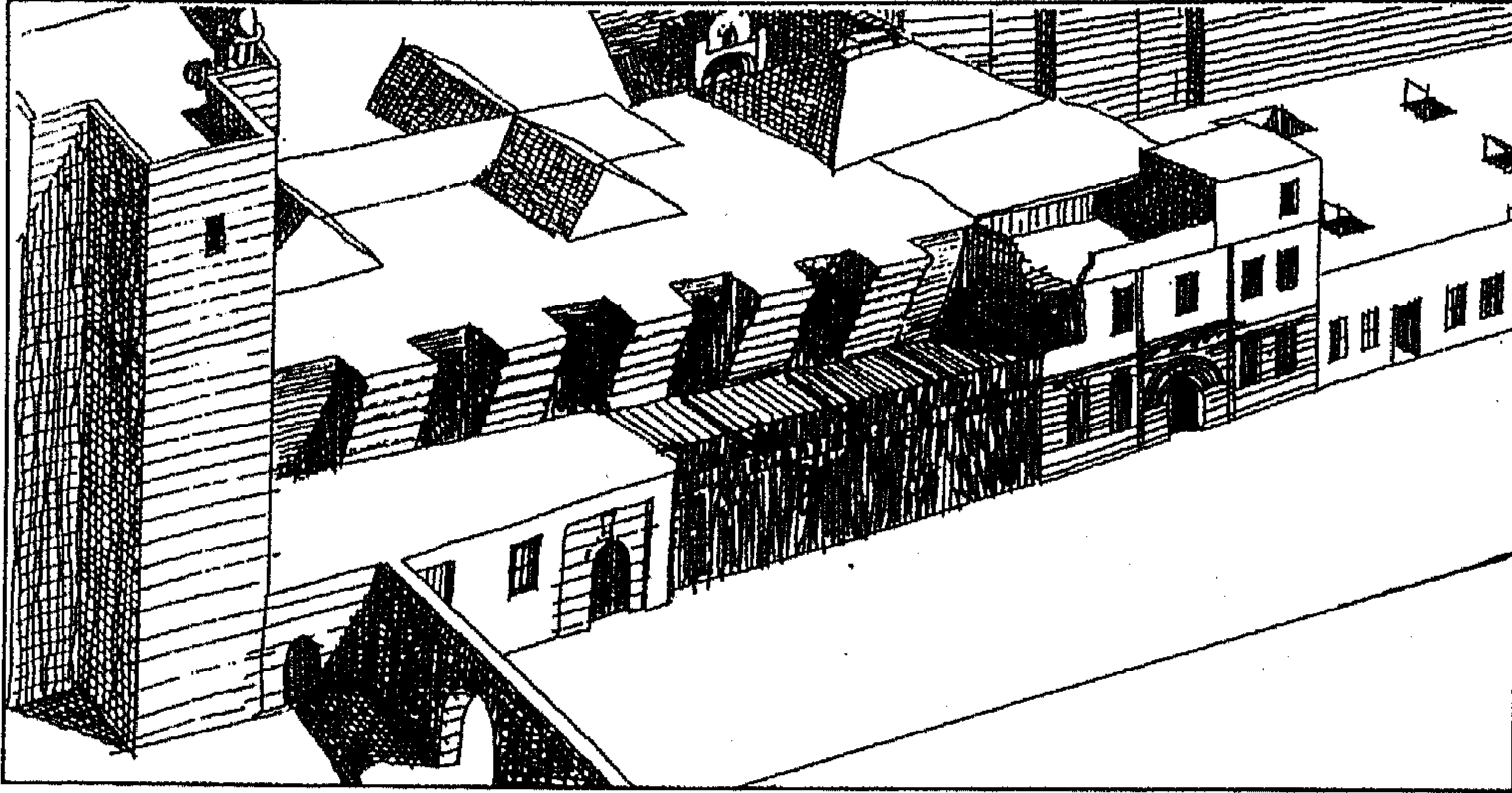
القلعة في عصر محمد علي وخلفاؤه



نطاق باب العزب



نطاق باب العزب - مخطط



مصنع المدافع والمسيك

تحديد وظيفتها وكان يعطى مدخل هذا المسيك لوحة رخامية يشير نصها الذي كتب بالتركية إلى تاريخ تشييد محمد علي له ترجمته بالعربية^٨:

شيد محمد علي باشا والى مصر الشهير
بناء عاليا هنا لحسب المدافع
فتنظمت أنا خيرت تاريخه الجوهري
صار هذا البناء المتين العالى طوبخانه^٩

يقع هذا المصنع أسفل القصر الأبلق ويمتد إلى برج الرفرف. والمصنع غير منتظم الأضلاع. به فناء مكشوف مستطيل غطى حديثا بسقف جمالونى من ألواح الأسبستوس. يقع مسبك المدافع فى الناحية الغربية من الفناء وقد قسم المسبك إلى ثلاث مساحات غير متساوية يودى كل منها للآخر، يتصدر القسم الثالث منها جدار حجري يتوسطه فتحة معقودة بعقد نصف دائرى كان يوضع فيها الوقود الذى يستخدم فى صهر الحديد المستخدم فى سبك المدافع. وهذه الفتحة مسدودة حاليا تعلوها مدخنة تستدق كلما ارتفعت لأعلى. وتخرق المدخنة قبة محمولة على أربعة عقود نصف دائرية يربط بينها عوارض خشبية تزيد من قوتها من الناحية الإنشائية.

يصنع بها كل شهر من ٦٠٠ إلى ٦٥٠ بندقية على الطراز الفرنسى. شُيد أيضا بهذه المنطقة مصنع لألواح النحاس التى تبطن بها السفن وكان ينتج فى اليوم من سبعين إلى مائة لوح من النحاس مختلفة المقاس والسمك وضع هذا المصنع تحت إدارة توماس جالوى الإنجليزى. وجدت هذه المنطقة وشهدت توسعات فى عام ١٨٢٠م^{١٠}. وما زالت أجزاء كبيرة باقية منها إلى اليوم، غير أننا لا نستطيع أن نحدد وظيفة كل المنشآت الباقية نظرا للتغيرات التى طرأت على وظائفها، بخاصة فى ظل سيطرة الجيش الإنجليزى عليها فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٤٦م، ثم سيطرة الجيش المصرى عليها من ١٩٤٦ إلى ١٩٨٤م. فى هاتين الفترتين استغلت منشآت النطاق فى وظائف متعددة استلزم بعضها تغيير معالم الأبنية من الداخل. تتكون حاليا دار صناعة القلعة من عدة مبان متجاورة عبارة عن أبنية مستطيلة غطيت أسقفها بأسطح متوازية فتح بها إما ملاقف وإما مناور خشبية للإضاءة والتهوية وإما مناور حجرية تستخدم كمداخن لإخراج الدخان الناتج عن عمليات التصنيع المختلفة.

يعد مصنع المدافع والمسيك الملحق به المنشأة الوحيدة ذات المعالم الواضحة التى يمكن من خلالها

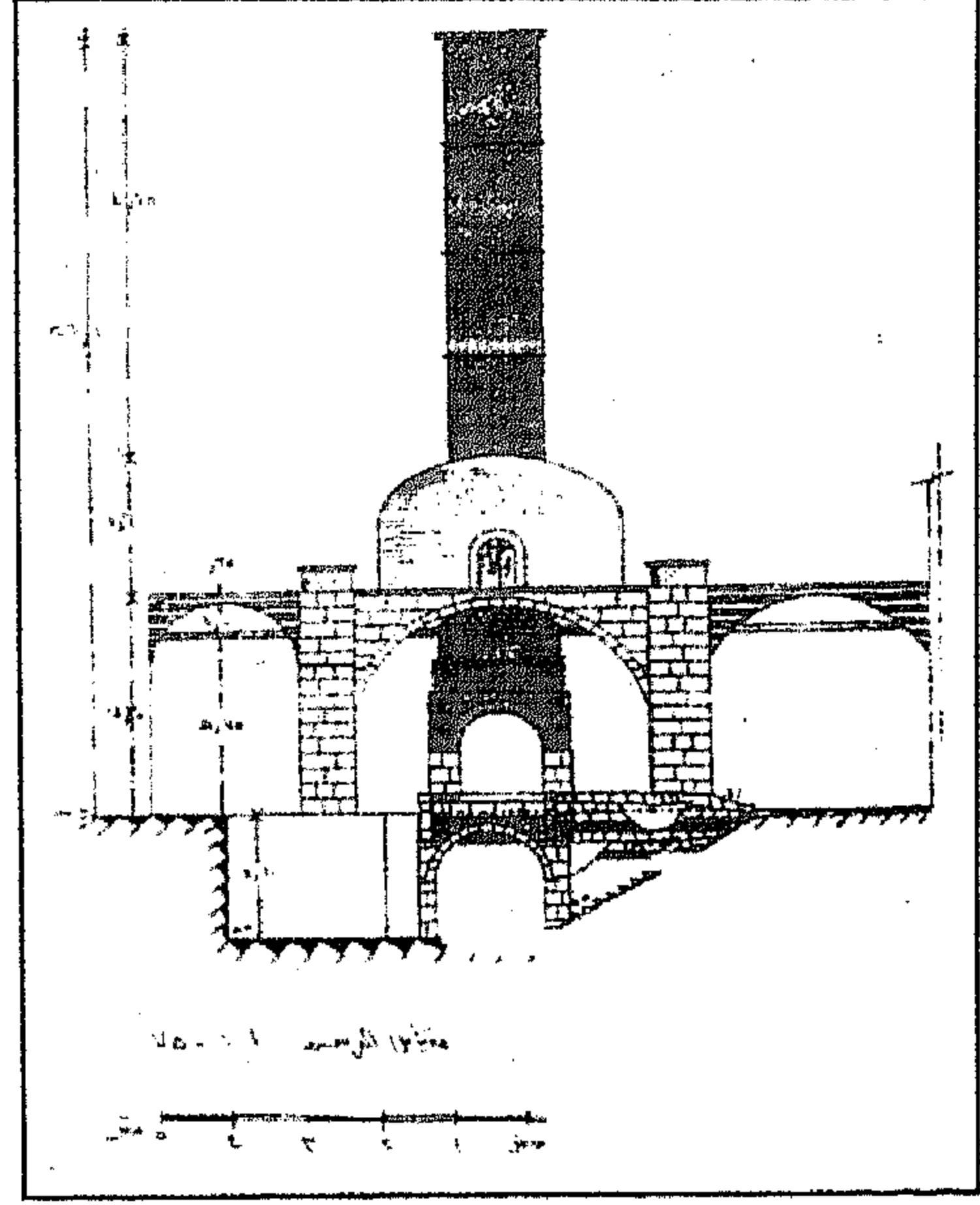
عهد خلفائه لأهميتها الإستراتيجية. ونرى في القلعة العديد من ثكنات الجند مثل القشلة^{٨٥} الكبيرة التي أجريت بها العديد من الإصلاحات في عهد سعيد باشا، وعندما تولى الخديوي إسماعيل وجه عنايته لبناء قشلاقات جديدة بالقلعة، فبنى أربعة قشلاقات لإقامة الفرق العسكرية المختلفة^{٨٦}. وهذه القشلاقات كانت تقع في النطاق الشمالي من القلعة. ويكشف أمر أصدره الخديوي إسماعيل للواء على سرى باشا ليتولى مأمورية محافظة القلعة عن القوة الموجودة بالقلعة في عصره والتي كانت تتكون من لواءين للمشاة ألحق بهما ثالث، وهي لاشك قوة كبيرة لها أهميتها^{٨٧}.

رسم سعيد باشا أسوار القلعة، حيث قام ديوان الأشغال بتكليف على حمدي المقاول لترميم الأجزاء المتهدمة من الأسوار خلال أربعين يوما، وكلف الديوان أحد مهندسيه للإشراف على أعمال الترميم^{٨٨}. كما قام الخديوي إسماعيل بترميم أسوار القلعة، بخاصة الجزء الذي يتقدم نطاق باب العزب^{٨٩}، فقد وردت إلى الخديوي إسماعيل إفادة عن نتيجة التفتيش على متانة أسوار القلعة فوجد أن السور بجهة ميدان الرميّة بالجهة البحرية من باب العزب، وكذلك السور بجهة ديوان الخديوي المطل على قرة ميدان كلاهما مهدم، ويمكن لأي شخص أن يمر خلاله، وأمر الخديوي إسماعيل بتوفير الاعتمادات المالية الكافية لترميمهما^{٩٠}. استغرق العمل في إعادة بناء وترميم أسوار القلعة ست سنوات حيث يشير إلى ذلك نص تذكاري وضع بداخل سور القلعة بالقرب من باب العزب يعود إلى عصر الخديوي إسماعيل نصه:

إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
أمر بإنشاء وتجديد هذا السور المبارك خديو مصر
حالا إسماعيل ابن الحاج

إبراهيم ابن الحاج محمد علي في تاريخ شهر رجب
سنة خمسة وثمانين ومايتين وألف^{٩١}

وقام إسماعيل بتحويل جبخانة القلعة إلى دفترخانة لحفظ أوراق ودفاتر المديرية سواء في الوجه القبلي أو البحري لأن دفترخاناتهم قد ألغيت ونقلت أوراقها إلى الدفترخانة المصرية^{٩٢}.



مصنع المدافع والمدخنة

يقع مصنع صهر المعادن إلى الشرق من مصنع سبك المدافع، ومن الواضح أن المبنى أحدثت به تجديدات في عصر الخديوي إسماعيل وفي فترة الاحتلال الإنجليزي. وواجهت المصنع تعود إلى عصر محمد علي، يوجد بها مدخلان بارزان بكل منهما فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري. والمصنع من الداخل غير منتظم الأضلاع. وهو مقسم إلى أقسام بواسطة دعائم حجرية تحمل سقفا من الخشب عبارة عن عروق يعلوها ألواح خشبية يتوسط هذا السقف مناور وملاقف للهواء. ومازال باقيا في أرضية المصنع مجارٍ كان يصب بها الحديد المصهور.

خلفاء محمد علي والقلعة

بدأ محمد علي في اتخاذ القصور كمقار لإقامته وإدارة دفة الأمور في مصر بالإضافة إلى القلعة، وصار هذا الأمر في تزايد مستمر في عهد خلفائه، إلا أن القلعة كان لها سطوتها عليهم، إلى أن نقل إسماعيل إدارة الحكم منها نهائيا إلى قصر عابدين. وعلى الرغم من ذلك شهدت القلعة بعض الاهتمام في



تمثال محمد علي - ميدان المنشية في الإسكندرية

حصاته. وصمم الميدان على أن تكون الجهة الجنوبية منه منتزها مما يساعد على عمران المناطق المجاورة لهذا الميدان، والتي كانت خربة^١. ولم يوضع تمثال محمد علي بهذا الميدان، بل وضع في ميدان المنشية بالإسكندرية. شاب تخطيط هذا الميدان عيب فني حيث إن الجزء المستدير تجاه باب العزب عند حوض المياه تتبع الميدان في انحداره، وبذلك يكون حوض المياه على ارتفاع ٦٠ سم من ناحية ومترين من ناحية أخرى^٢. اكتسب هذا الميدان اسما جديدا هو ميدان محمد علي، وارتبط بشق شارع محمد علي منه إلى ميدان العتبة، وكذلك بإصلاح أسوار القلعة تجاه الميدان، وهو ما يجعل من أعمال إسماعيل بهذه المنطقة مشروعا عمرانيا متكاملًا^٣.

أمر الخديوي إسماعيل على باشا مبارك أن يعد تخطيطا لميداني القلعة (الروميلي) الرميطة (وقرة ميدان) المنشية. ونشرت الوقائع المصرية هذا الحادث في عام ١٨٦٨م، حيث ذكرت أنه كان (ميدانا الروميلي وقرّة ميدان الفسيحان مشحونين بالتراب وخاليين من العمران ولذا فإن أوباش الناس يجتمعون فيهما مثل السحرة والمشعوذين، وكان هذا عملا لا يليق لاسيما وأن الميدان يقع في سفح القلعة، ولذا فمنذ عام ١٨٦٧م بدأت أعمال التنظيف لهذين الميدانين وإزالة السور بينهما، وجعله ميدانا واحدا، كما هدمت جميع المباني التي أنشئت على غير القواعد الهندسية التي كانت تحجب مدرسة السلطان حسن، وغرست الأشجار في جميع طرقات الميدان، وكذلك كثير من الزهور والرياحين. وقد تقرر أن يوضع في هذا الميدان تمثال من البرونز لمحمد علي راكبا

الحواشي

١ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٢٧، عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر، ص ٧٥.

٢ ج. كريستوفر هيرولد، بونايرت في مصر، ص ١٦٢، ترجمة لؤاد أندراوس، مراجعة محمد أحمد أنيس. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م.

٣ عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر، ص ٨٠ - ٨١.

٤ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٢٧ : ١٢٩.

٥ يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٧٦ - ٦٧٨، منشورات فيصل إستانبول ١٩٨٨ م؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) في أصول التاريخ العثماني، ص ١٩٠ - ١٩١، دار الشروق ١٩٩٢.

٦ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١١.

٧ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٥٢، ٥٤ - ٥٥.

٨ أول من نشر هذا النص الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه قلعة مصر، ص ١١٢.

٩ محافظ المعية السنية، محفظة رقم ١٢٢، ترجمة النص التركي بالقلعة، دار الوثائق القومية. نشر كازانوفنا هذا النص في كتابه عن القلعة ولكن لم ينشره كاملاً؛ انظر كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٩٨ - ١٩٩. وكان الدكتور عبد الرحمن زكي نشر ترجمة لهذا النص أيضاً؛ انظر كتابه، قلعة مصر، ص ١١٢؛ مصطفى بركات (دكتور) النقوش الكتابية على عمائر مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر، ص ١٢٦، رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.

١٠ خديو: بفتح الخاء وكسرها، كلمة فارسية معناها السيد. عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، ص ٢٣٦. القاهرة ١٩٤٦ م؛ مصطفى بركات (دكتور)، الألقاب والوظائف العثمانية، ص ٣٠٧، دار غريب ٢٠٠٠.

١١ الوزير: اسم وظيفة اختلف في أصلها فقل كلمة فارسية الأصل. وقيل عربية الأصل اختلف في اشتقاقها فقل إنها مشتقة من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ سمي بذلك لأن الرعية يلجأون إليه في حوائجهم. وقيل مشتقة من الأوزار بمعنى الأمتعة لأنه متخذ بخزائن الملك وأمتعته وقيل مشتقة من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي وهو الثقل لأنه يتحمل أثقال الملك وقيل من الأزر وهو الظهر سمي بذلك لأنه يقوى الحاكم كما يقوى الظهر البدن. وقد عرفت وظيفة الوزير بصفة غير رسمية عند العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام إذ كان العرب قد خالطوا الروم والفرس قبل الإسلام. يسمون أبا بكر وزير النبي وكذلك شأن عمر مع أبي بكر وشأن علي وعثمان مع عمر ويبدو أن صاحب هذه الرتبة في العصر الأموي لم يكن يسمى وزيراً إذ إن اختصاصات الوزير لم تتحدد إلا في العصر العباسي. وعرفت هذه الوظيفة في مصر منذ عهد الإخشيديين واستمرت تظهر تارة وتختفي تارة وتقوى تارة وتضمحل تارة أخرى حتى نهاية العصر المملوكي الجركسي بمصر. وقد كانت هذه الوظيفة في عصر المعريزي تطلق على موظف يشتري حاجيات

السلطان. ظهرت هذه الوظيفة في الدولة العثمانية وعرف صاحبها بالصدر الأعظم أو الوزير الأعظم. وحدد قانون نامة محمد الفاتح اختصاصاته. وفي القرن الخامس عشر منح لقب وزير إلى عدد من حكام الولايات الكبرى وإلى بعض موظفي الدولة الكبار في إستانبول. وبعد أن كان والي مصر برتبة أمير الأمراء صار لا يلي مصر إلا رتبة وزير. ورد هذا اللقب ضمن ألقاب محمد علي باشا يشاهد قبر طوسون باشا بحوش الياشا ١٢٣١ هـ. وينص الدفترخانه ١٢٤٠ هـ، وينص مطبعة بولاق ١٢٤٥ هـ. القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٥، ص ٤٨٨؛ حسن الباشا (دكتور) الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٣٣٠، ١٣٣٦؛ مصطفى بركات (دكتور) الألقاب والوظائف العثمانية، ص ٧٢: ٧٩، ٣١٨.

١٢ المقصود هنا هو كاشف أفندي باشكاتب جريدة الوقائع المصرية آنذاك وعضو مجلس المشورة العالي. كازانوفنا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ١٩٩؛ عبد الرحمن زكي (دكتور)، قلعة مصر، ص ١١٢.

١٣ وردت الترجمة الكاملة في محفظة رقم ١٢٢ تركي، دار الوثائق القومية. كما نشر الدكتور عبد الرحمن زكي ترجمة له، انظر كتابه قلعة مصر، ص ١١٣ - ١١٤.

١٤ والي: تطلق هذه اللفظة عادة على أمير القطر وحاكمة والمصدر منها ولاية بمعنى الإمارة، وقد عرفت هذه الوظيفة منذ صدر الإسلام إذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم ولادة كانوا يعرفون بالأمراء والعمال. وقد ورد اللقب الوظيفي "والى مصر" بالنصوص التأسيسية العثمانية لقباً لإبراهيم باشا والى مصر بنص رابط الآثار ١٠٧٧ هـ للإشارة إلى حاكم مصر أو أعلى سلطة بها فيرد في الفرمانات مثلاً إلى عزت باشا والى مصر وأحياناً كان السلطان يكتفى بمخاطبة الباشا في فرماناته بلقب الباشا والى مصر دون ذكر اسم الباشا بالتحديد. حسن الباشا (دكتور)، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٣٠٩؛ ليلى عبد اللطيف (دكتورة) المجتمع المصري في العصر العثماني، ص ٢١٨. دار الكتاب الجامعي ١٩٨٧ م؛ مصطفى بركات (دكتور) الألقاب والوظائف، ص ٧١ - ٧٢.

١٥ مختار الكسياني (دكتور) تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي الباقية بمدينة القاهرة، ص ١٥٠ - ١٥١. رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٣ م.

١٦ رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، ج ٣، ص ٣٢٢. مصر ١٩٠٧ م.

١٧ أحمد فهم بيومي، حرب كريت والمورة، ص ٢١١: ٢٨٠. بحث ضمن كتاب إبراهيم باشا، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ١٩٤٨ م.

١٨ مصطفى بركات (دكتور)، الألقاب والوظائف، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

١٩ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار في تاريخ دول البحار، ج ٢، ص ٣٤٠ - ٣٤١. بولاق ١٣١٢ هـ؛ مصطفى بركات (دكتور)، الألقاب والوظائف، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

٢٠ كانت هذه القلعة تعرف بطريق الخطأ باسم قلعة نابليون يونابرت أو قلعة الجبل إلى أن قام محمد عبد الجواد الأصمعى بإعادة نسبتها إلى محمد على وذلك بعد أن قام بدراستها دراسة وافية سنة ١٩١٩ م. وقد قام بنشر دراسته فى كتاب. محمد عبد الجواد الأصمعى، قلعة محمد على لا قلعة نابليون، دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م.

٢١ المصرى، التاريخ العيى، ص ٢٤٩.

٢٢ عن تطور المدفعية وأساليب القتال انظر، جورج كاستلان، تاريخ الجيوش، ص ٨٨ وما بعدها، ترجمة كمال دسوقي، الألف كتاب (٧٤) ١٩٥٦ م.

٢٣ عزل عمر مكرم نقيب الأشراف فى مصر وعلماء الأزهر الوالى العثمانى أحمد باشا لمظالمه وولوا مكانه محمد على. وحاصر محمد على وجنده والمصريون القلعة إلى أن أجبروا الوالى على النزول منها ومغادرة مصر. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٨٠؛ ٤٨٣.

٢٤ هو خليل بن أحمد الرجبى الشافعى، لم تحدد المصادر التاريخية تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته، غير أنه عاش فى القرن التاسع عشر، كان مدرسا للتوحيد فى الجامع الأزهر، ولذا طلب منه الشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر تأليف كتاب عن محمد على وأعماله فى مصر وكان العروسى من مؤيدى سياسات محمد على. حول حياة الرجبى، انظر: مقدمة تحقيق كتابه، ص ١٦؛ ١٩؛ الرجبى، خليل بن أحمد، تاريخ الوزير محمد على، تحقيق دانيال كريسيلىوس (دكتور)، حمزة بدر (دكتور)، حسام إسماعيل (دكتور)، دار الأفاق العربية ١٩٩٧ م.

٢٥ الرجبى، تاريخ الوزير محمد على، ص ١٨٤ – ١٨٥.

٢٦ الرجبى، تاريخ الوزير محمد على، ص ١٨٤.

٢٧ هدمت أجزاء عديدة من هذه الزلاقة نتيجة لمشاريع التوسع العمرانى للعاصمة المصرية، فقد أدى إنشاء خط سكك حديد مهمات المحاجر القديمة وكذلك شق طريق صلاح سالم من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٥ م بمحاذاة قلعة الجبل، ثم طريق أوتوستراد مصر الجديدة حلوان سنة ١٩٦٤ م بمحاذاة خط سكك حديد المحاجر إلى جوار جبل المقطم، أدت هذه المشاريع إلى هدم أجزاء من الزلاقة حتى وصل طولها الآن ١٥٦ م. انظر: فتحى الحديدى، دراسات فى مدينة القاهرة منطقى الجمالية ومنشأة ناصر، ص ١٦٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢.

٢٨ فتحى الحديدى، دراسات فى مدينة القاهرة، ص ٥٧ – ٥٨.

٢٩ A. M. Mantell , Dictionary of military technical terms , part 1 , p 14. Cairo National Prainting 1886، أمل محفوظ جمعة، الاستحكامات الحربية فى عصر محمد على بمدينة القاهرة، ص ٣٢٩. رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٩ م.

٣٠ صالح مجدى، المطالب المنيفة فى الاستحكامات الضخفية، ص ٧١. القاهرة ١٨٦٢ م. محمود فهمى، البذور السافرات فى فن الاستحكامات، ص ٤١، القاهرة ١٨٦٧.

٣١ الرجبى، تاريخ الوزير محمد على، ص ١٨٥.

٣٢ حول هذه القلعة انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٩٩، ١٠٤، ١٠٨؛ الرجبى، خليل بن أحمد، تاريخ الوزير محمد على،

ص ١٨٤ – ١٨٥؛ عبد الرحمن زكى (دكتور)، الحصون والقلاع، ص ٩٠؛ ٩٥، مجلة العمارة، العدد (٢، ٤). ١٩٤١؛ حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله، ص ١١٢ – ١١٣؛ أسس التخطيط الحضرى والعمرانى لمدينة القاهرة، ص ٤٠٣. منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ١٩٩٠ م: أمل محفوظ، الاستحكامات الحربية فى عصر محمد على، ص ١٤؛ ٦١.

٣٣ الرجبى، تاريخ الوزير محمد على، ص ١٨٤.

٣٤ حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن، ص ٧٦؛ عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة مصر، ص ٩٣.

٣٥ هو القنان عبد الغفار بيضاوى، وهو خطاط إيراني، قدم إلى مصر فى عهد محمد على وعمل فى خدمة الحكومة فى الفترة من ١٨٢٤ / ١٨٢٥ م إلى ١٨٦٢ وهو تاريخ إحالته على المعاش. وكان يعهد إليه بكتابة نصوص النياشين وتذهيبها. وشارك فى كتابة نصوص مسجد محمد على. محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية فى الحياة الفنية فى مصر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص ٣٩٦، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠٠٠ م .

٣٦ كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص ٨٩ – ٩٠، ٩٣.

٣٧ الزغرة عرفها كازانوفيا بأنها مأخوذة من الزغار وهو كلب الصيد وكان فى الانتكشورية ضباط لرعاية كلاب الصيد وكان كبيرهم يعرف بزغارجى باشي. كازانوفيا، وصف قلعة الجبل، ص ١١٨.

٣٨ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٨٠.

٣٩ على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٢، ص ٨٥؛ عبد الحميد نافع، ذيل المقرئى، ص ٤٧، ٤٨. مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر، رقم ٧٧٠٣؛ عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة مصر، ص ٨٠ – ٨١، ١١٤.

٤٠ حسن عبد الوهاب، دار الضرب، ص ٥١. مجلة العمارة، العدد ٣ – ٤ المجلد ٣، القاهرة ١٩٤١.

٤١ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩.

٤٢ أمين سامى، تقويم التيل، ج ٢، ص ٦١٨.

٤٣ حسن عبد الوهاب، قصر الجوهرة، ص ٢٨، مجلة العمارة العدد (٣ – ٤)، المجلد الثالث ١٩٤١ م.

٤٤ حسن عبد الوهاب، قصر الجوهرة، ص ٣٠.

٤٥ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩.

٤٦ حسن عبد الوهاب، سراى الجوهرة، ص ٣٠، مجلة العمارة، العدد (٣ – ٤)، ١٩٤١ م.

٤٧ مختار الكسباني (دكتور) تطور نظم العمارة فى أعمال محمد على الباقية بمدينة القاهرة، ص ٢٤٦؛ ٢٤٨. رسالة دكتوراه. كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٣.

٤٨ انظر الوصف التفصيلى لهذه السراى فى: مختار الكسباني، تطور نظم العمارة فى أعمال محمد على، ص ١٠٨؛ ١٤٥.

٤٩ مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة فى أعمال محمد على، ص ٢٤٨ – ٢٤٩.

- ٥٠ محمد حسام الدين إسماعيل، مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسماعيل، ص ٧٦ - ٧٧، دار الأناق العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م.
- ٥١ احترقت منشآت الباحة التى كانت تشكل جزءا من السلامك عام ١٩٧٤. ناصر الرباط (دكتور)، تاريخ قلعة القاهرة، ص ٢٩.
- ٥٢ عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة مصر، ص ٨٢ .
- ٥٣ ديوان الأشغال عربى، م / ١ / ١، صادر قلم الهندسة، ص ١٠، صفر ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م.
- ٥٤ ديوان الأشغال عربى، م / ١ / ١، صادر قلم الهندسة، ص ٦٥، صفر ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م.
- ٥٥ إلياس الأيوبى، تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا، ج ١، ص ٤٠: ٤٣. دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ م.
- ٥٦ الجيرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٢٨.
- ٥٧ الجيرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٥١.
- ٥٨ عبد الحميد نافع، ذيل المقرئى، ص ٥٢ - ٥٣.
- ٥٩ حسن عبد الوهاب، سرائى الجوهرة، ص ٣٤ - ٣٥؛ مختار الكسياني (دكتور)، تطور نظم العمارة فى أعمال محمد علي، ص ١٤٩ - ١٥٠.
- ٦٠ انظر الوصف التفصيلي لهذه القصور في: مختار الكسياني، تطور نظم العمارة فى أعمال محمد علي، ص ١٤٦: ٢٠٤.
- ٦١ ناصر الرباط (دكتور)، تاريخ قلعة القاهرة، ص ٣١.
- ٦٢ الجيرتى، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٥٥.
- ٦٣ عبد الرحمن الرافعى، عصر محمد على، ص ٤٠٠. مكتبة نهضة مصر ١٩٥١؛ محمود الألفى (دكتور) العمارة فى مصر فى القرن التاسع عشر، ٣١٤، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة جامعة القاهرة ١٩٨٦ م.
- ٦٤ أمل محفوظ، الاستحكامات الحربية فى عصر محمد، ص ١٢٨ - ١٣٩.
- ٦٥ عبد الحميد نافع، ذيل المقرئى، ص ٤٤.
- ٦٦ انظر الوصف التفصيلي والتحليل المعماري لهذا المبنى في: محمود الألفى، العمارة فى مصر خلال القرن التاسع عشر، ص ٣١٢: ٣٥٤.
- ٦٧ الوقائع المصرية، مجلد ٥ / ١ حوادث ١٢٢٤ هـ، دار الكتب المصرية.
- ٦٨ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٣٨٦. القاهرة ١٩.
- ٦٩ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٨٧.
- ٧٠ قام بنشر هذا النص وترجمته الدكتور مصطفى بركات فى رسالته للدكتوراه لأول مرة: انظر مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٢: ٢٤.
- ٧١ لم يتجاوز عدد النقوش التركية فى مصر خلال العصر العثمانى أصابع اليد، ولكن فى عصر محمد على تجاوز عددها ثلث عدد النقوش، مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٤٨.
- ٧٢ مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٤٨.
- ٧٣ مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٥٠.
- ٧٤ كان باشاوات مصر لقصر مدة حكمهم يغادرون مصر حال انتهاء هذه الفترة، وعندما يموت أحدهم يدفن فى مدافن الباشاوات بالإمام الشافعى والتى استخدمت كمدفن لأسرة محمد على إلى حين تأسيس جامع الرقاعى ليكون مدفنا للأسرة المالكة فى مصر على يد خوشيار هانم والددة الخديو إسماعيل. انظر: المصرى، التاريخ العيى، ص ١١١: ١٢١؛ حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ٧٩ - ٨٠.
- ٧٥ نشرت هذه الدراسات فى باريس عام ١٨٣٦ pascal coast, la architecture arabe ou monuments cairre. Pairs، ناصر الرباط (دكتور)، قلعة الجبل، ص ٢٦، ٢٨؛ حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ٨٠.
- ٧٦ ناصر الرباط (دكتور)، جامع محمد على الكبير فى قلعة القاهرة، دراسة تحت النشر.
- ٧٧ ناصر الرباط (دكتور)، جامع محمد على الكبير فى قلعة القاهرة.
- ٧٨ ناصر الرباط (دكتور)، جامع محمد على الكبير فى قلعة القاهرة.
- ٧٩ ناصر الرباط (دكتور)، جامع محمد على الكبير فى قلعة القاهرة.
- ٨٠ ورد هذا اللقب بطغراء محمد على بمعسكر القصر العيى بتاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م. مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٩٩.
- ٨١ ورد هذا اللقب بنص، عزيز مصر القاهرة، وذلك بجامع البنات بالقاهرة بتاريخ ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م. مصطفى بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٣١٢.
- ٨٢ عبد الرحمن الرافعى، عصر محمد على، ص ٥٩٩ - ٦٠٠؛ عمر طوسون، الصنائع والمدارس الحربية، ص ٢١، ٣٤، ٣٥. الإسكندرية ١٩٣٥؛ عبد الحمن زكى (دكتور) قلعة مصر، ص ١١١؛ أحمد أحمد الحق (دكتور)، تاريخ مصر الاقتصاى فى القرن التاسع عشر، ص ١٥٨. مطبعة المصرى ١٩٦٧ م؛ حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٩٧.
- ٨٣ قام بنشر هذا النص لأول مرة الدكتور عبد الرحمن زكى فى كتابه قلعة مصر حيث نشر النص التركى وترجمته إلى العربية ص ١١١.
- ٨٤ تاريخ النص بحساب الجمل ١٢٣٦ هـ وهو يعادل ١٨٢٠ م. عبد الرحمن زكى (دكتور) قلعة مصر، ص ١١١.
- ٨٥ القشلة: كلمة تركية من كلمة قيش بمعنى الشتاء والقشلة هى المعسكر الشتوى. وكان محمد على أمر ببناء القشلات فى ريف مصر، لسكن الجنود لتضررهم من الإقامة الطويلة فى الخيام. أحمد السعيد سليمان (دكتور)، تأصيل الدخيل، ص ١٦٩.
- ٨٦ ثناء عميرة، تحديث مدينة القاهرة، ص ٢٠٨. رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر ١٩٩٥ م.

٨٧ أمين سامي، تقويم النيل، المجلد ٢، ص ٤٤٤.

٨٨ ديوان الأشغال، سجل ١٩، وارد ٢٠٨، ٢٠٩، ص ١٤، ٢٩ ذى الحجة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م.

٨٩ عبد الرحمن زكى (مكتور)، قلعة مصر، ص ٩٢.

٩٠ بلغت تكاليف ترميم هذين السورين ١٠٢٥٠ قرشا و ٢٠ فضة. سجلات المعية السنوية: سجل ١ / ١ / ٢٢، صادر الأوامر، أمر كريم، رقم ٢٤، الصادر في ٢٤ ذى القعدة ١٢٧٩ هـ / ١٢ مايو ١٨٦٢ م، ص ٤٧.

٩١ كانانوف، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص ٢٠٠.

٩٢ محافظ المجلس الخصوصي م ١٤، قرارات، صورة قرار رقم ٣، في ٢٦ جماد أول ١٢٨٥ هـ / ٤ سبتمبر ١٨٦٨ م.

٩٣ الوقائع المصرية، ص ١، عدد ٢٤٤ الصادر في ١٢ رجب ١٢٨٥ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٦٨ م.

٩٤ لبنان دي يلفون، مذكرات عن أعمال المنافع العامة الكبرى التي تمت في مصر منذ أقدم العصور حتى عام ١٨٧٢ م. ص ٢٨٤. القاهرة ١٩٤٩ م.

٩٥ علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ٩٦ - ٩٧؛ حسام إسماعيل (مكتور)، مدينة القاهرة، ص ٢٨٥؛ ثناء عميرة، تحديث مدينة القاهرة، ص ٢٠٨.

الفصل الخامس

التحول السياسى واتخاذ القصور كمقار للحكم

كان التحول الذى حدث فى مقر الحكم فى مصر فى القرن التاسع عشر استجابة طبيعية ومتوقعة للتغير الذى حدث فى نمط الحكم، إلا أن هذا التحول، وهو الانتقال من نمط القلعة الذى ساد فى العصور الوسطى إلى القصر لم يحدث دفعة واحدة، بل كانت له دلالات كثيرة سبقت هذا الحدث وهذا التغيير.

لقد بدأ مقر الحكم فى المدينة المنورة فى عصر الرسول بسبباً إذ انحصر فى مسجده وداره، وصار الأمر على هذا المنوال فى عهد الخلفاء الراشدين، وصارت الدار تعرف بدار الإمارة ورويدا رويدا صار لها محل ثابت لا يتغير بتغير الحاكم، غير أن اتساع رقعة الدولة وحوادث اغتيال الخلفاء والملوك والنزاعات السياسية داخل الدولة، جعل من المهم أن يتم تأمين مقر إقامة الحاكم، فأحيط بالأسوار وضم مسجدا جامعاً وبواوين الدولة. وهذا هو سبب نشأة نموذج المدينة الحصن كمقر للحكم، وأبرز أمثله بغداد والقاهرة. غير أن هذا النموذج سرعان ما فشل نتيجة لقابليته للتحويل إلى نمط المدينة الطبيعية بمرور الوقت لأسباب عديدة على

رأسها ضعف الدولة، أو تغير نظام الحكم، واتجه بعد ذلك إلى نموذج القلعة المنعزلة على تبة جبلية، وهو نموذج انتشر فى معظم مدن العالم الإسلامى، وأبرز أمثله فى القاهرة وحلب.

ظل هذا النموذج له دوره فى القاهرة، غير أن سقوط دولة المماليك، كان بداية لمؤشر ضعف هيمنة القلعة على السلطة فى مصر. فعندما دخل السلطان سليم القاهرة تعددت أماكن إقامته بها وذلك لاضطراب الأوضاع. وعدم استقرار الأمر بها وعدم استقرار الأمر له فى بادئ الأمر. ثم لرغبته فى عدم إكساب القلعة أهمية سياسية وهى رمز لقوة وعظمة دولة المماليك.

أقام سليم فى أول الأمر فى بركة الحاج ثم انتقل إلى الريدانية، ثم نقل خيمته إلى بولاق، وهناك حملت إليه مفاتيح قلعة الجبل ليصعد إليها فلم يلتفت إلى ذلك، واختار الإقامة على شاطئ النيل، وقد يعود ذلك إلى سببين ذكرنا أولهما سابقا، وثانيهما أن قصره أو مقر حكمه بإستانبول على شاطئ البوسفور، فأراد مكانا شبيها به.



قلعة حلب

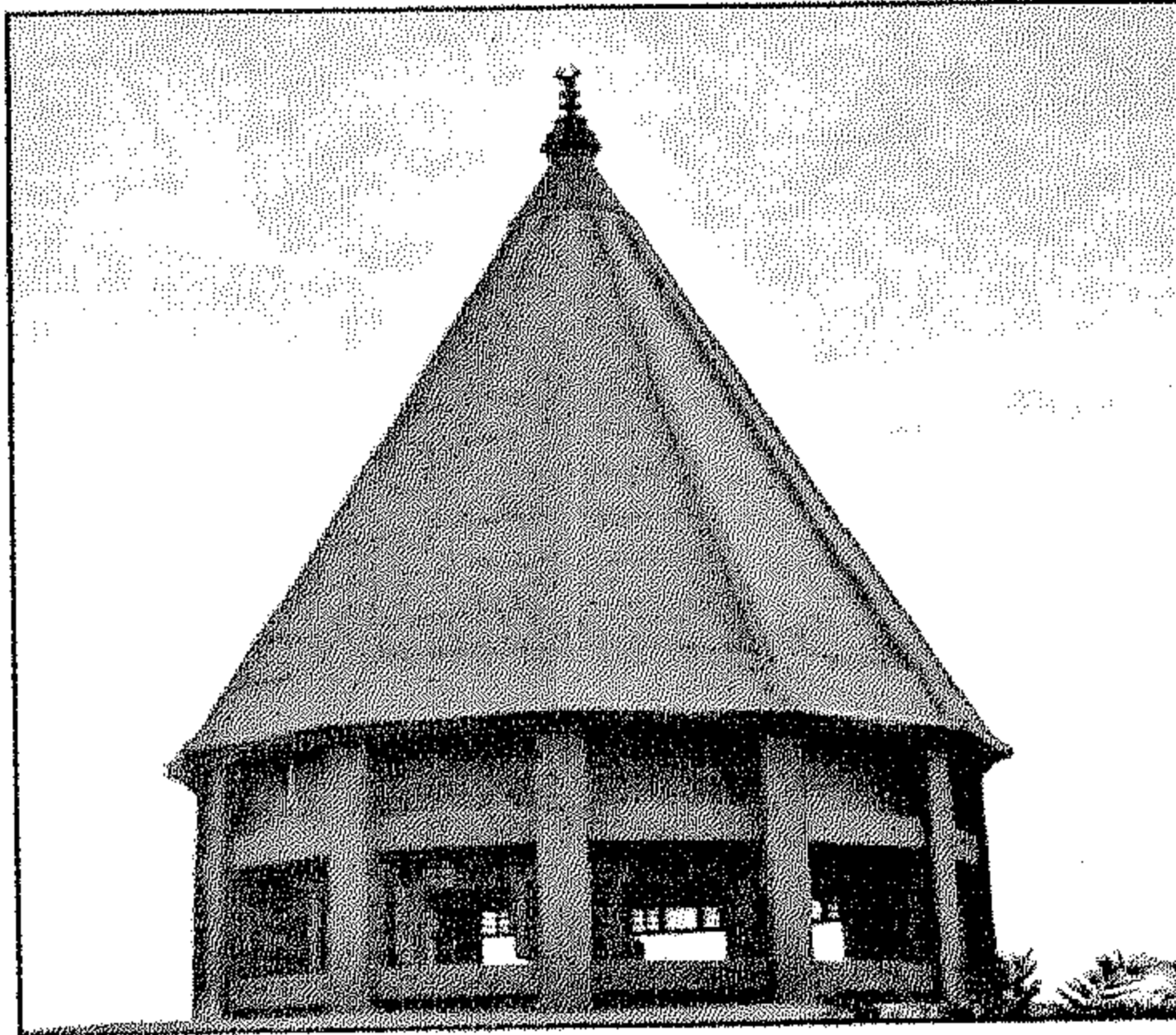


قلعة حلب

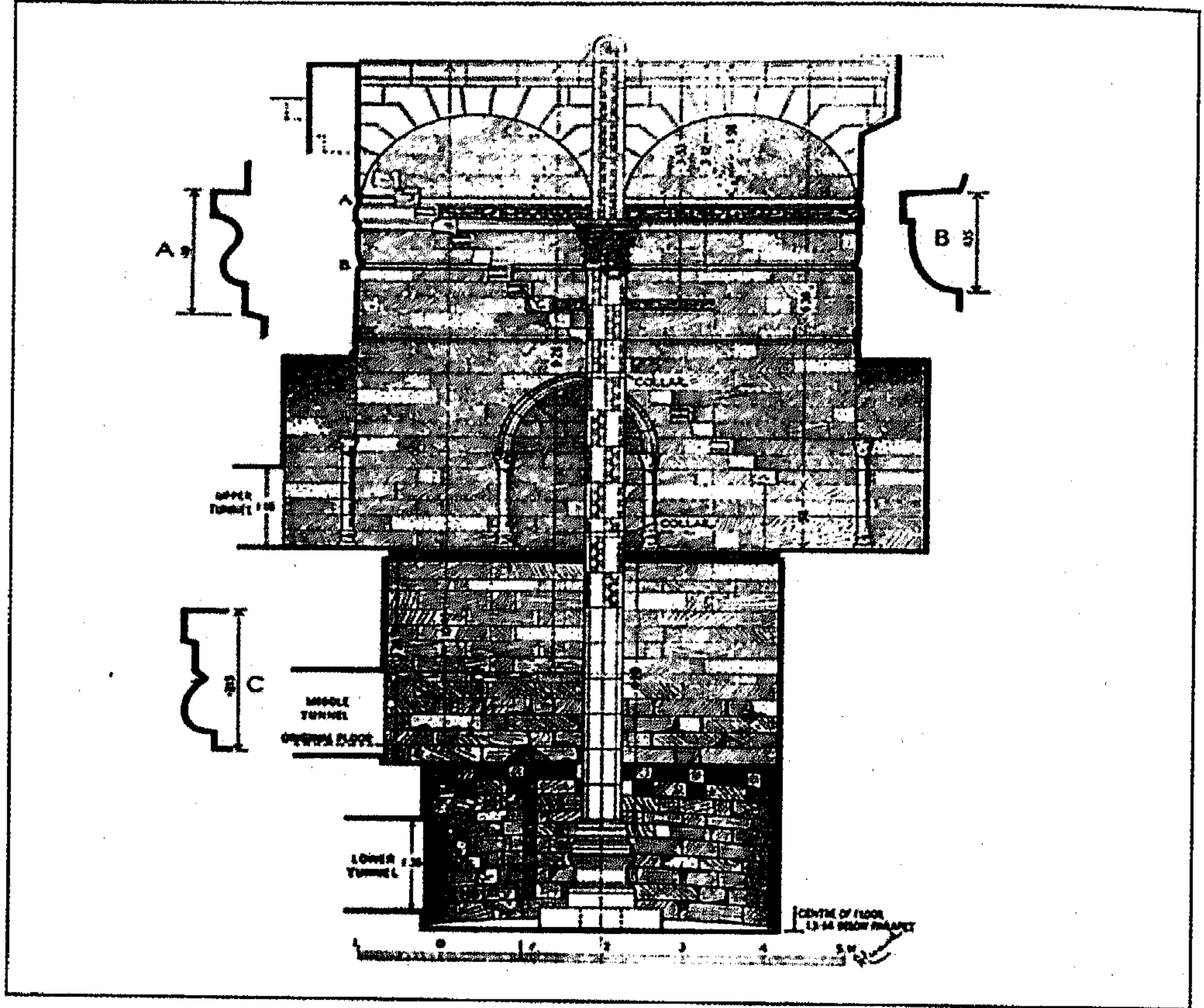
وفي ٢٠ محرم سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م صعد السلطان سليم إلى القلعة^٢. وسرعان ما نزل منها في ٢٠ من صفر حيث أقام ببركة الحبش^٣، ومنها رحل إلى الجيزة^٤. ومنها أقام السلطان سليم في قصر شيده الغوري بجوار مقياس الروضة^٥. وهناك شيد فوق القصر كشكا من الخشب ليجلس فيه، وكان هذا الكشك أول منشأة عثمانية في مصر^٦. ثم انتقل إلى دار السلطان قايتباي على بركة القيل^٧، هكذا تنقل سليم بين العديد من الأماكن في مصر في فترة إقامته فيها.

عندما ترك السلطان سليم مصر قسمت القلعة إلى ثلاثة نطاقات مستقلة عن بعضها، وهي نطاق الانكشارية ونطاق العزب والديوان. هذا ما ترك أثره السلبي على القلعة، وبقي بينها المنطقة السلطانية المملوكية مهمة بما تضمنه من قصور ومنشآت.

لم تعد مصر مع نهاية القرن السابع عشر الميلادي منطلقاً للقوات العسكرية العثمانية لخوض معارك في البحر الأحمر أو البحر المتوسط، بخاصة بعد استيلاء العثمانيين على كريت من البنادقة في سنة ١٦٦٩ م، وفشل



مقياس النيل



مقياس النيل - قطاع رأسي

تطلب الأمر تطور مساكن الأمراء من حيث الفخامة التي عكست ثروتهم، أو من حيث الوظائف التي تؤديها هذه المساكن. ولم يصلنا من هذه المساكن سوى أجزاء أبرزها منزل الرزاز بباب الوزير، ومنزل علي كتحدا بالسيدة زينب، ولم تصلنا آثار لمساكن كبار الأمراء في هذا العصر مثل الأمير عبد الرحمن كتحدا والأمير محمد أبو الذهب. وهناك مؤشرات في الوثائق تدل على الرفاهية والبذخ في هذه القصور بخاصة في قصور القرن الثامن عشر مقارنة بقصور القرن السابع عشر، فكان من العادة أن تشمل القصور قبل القرن الثامن عشر على منافع متنوعة كالإسطبلات والحواصل والمخازن لخبز الأطعمة والأشربة والأواني النحاسية والخيم، ومثل الآبار التي

الحصار العثماني للقسطنطينية عام ١٦٨٣م، وإطاحة الزيديين بالحكم العثماني في اليمن ١٦٣٦م، ومع نهاية هذا القرن فصاعدًا أصبحت مصر مقتصرة على إرسال الإرسالية المالية والحبوب، وبدأ ازدياد نفوذ العسكريين المحليين وتحولت الحامية العسكرية إلى موظفين بيروقراطيين، مهم جباة الأموال^٤.

أدى تفتت السلطة العثمانية إلى نمو نفوذ المماليك تدريجياً على حساب الباشا العثماني الذي فقد سيطرته على الحكم في البلاد، وسيطر الأمراء على تحصيل الضرائب والجمارك واستولوا عليها لحسابهم الخاص بدلا من خزينة الدولة، مما أدى إلى تضخم ثروتهم الخاصة وازدياد نفوذهم السياسي ومع زيادة هذا النفوذ



منزل الرزاز

إلحاق الطواحين بالقصور والمنشآت السكنية عرفت في العصر المملوكي البحري، فعلى سبيل المثال كان ملحقا بقصر ألين آق الحسامي طاحونة، في حين كان سكان القاهرة يكتفون بالطحن في المطاحن العامة التي كانت منتشرة في المدينة نظير أجر^١. وأخذت ظاهرة الاكتفاء الذاتي داخل هذه المساكن والقصور شكلاً آخر بوجود المساجد بداخلها. ويروى لنا الجبرتي عن الشيخ محمد أبو الأنوار السادات شيخ الطريقة الساداتية الوفائية أنه قام ببناء مسجد داخل قصره بجوار بركة القيل. وقد بقيت من منزله أجزاء صغيرة حالياً، وعندما سئل عن سبب ذلك أجاب أنه لا يريد الاختلاط مع العامة^٢. على الرغم من أنه بنى مسجداً لهم في منطقة الأزهر.

يدل كل هذا على نوع من الانغلاق والاكتفاء الذاتي فيما يخص جميع متطلبات سكان هذه البيوت من مأكّل ومشرب وأماكن عبادة بحيث إنه لا حاجة لديهم لاستعمال المرافق العامة في العاصمة، ولكن ظاهرة الاكتفاء الذاتي

توفر المياه لسكان البيت وتشمل مساكن للخدم. وأما في القرن الثامن عشر فنجد زيادة عدد القصور التي بها حمام أو أكثر. والمعروف أن الحمام يحتوى على مساحة كبيرة تضم مستوقداً وغرف الاستحمام. ووجوده في أحد منازل هذه الفترة يعد علامة من علامات الثراء. فقد كانت معظم المنازل بالقاهرة لا تحتوى على حمام ولذا انتشرت الحمامات العامة في المدينة. وأما بيوت الأمراء في القرن الثامن عشر فقد احتوى الواحد منها على حمام أو حمامين، فقد ضم قصر الألفى حمامين^٣. وأكدت الوثائق ذلك حتى إنها تشير إلى القصر الذي اشتراه الأمير مصطفى آغا الجراكسة سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م بأنه كان يضم خمسة حمامات^٤. ويوجد في منزل الرزاز حمامان أحدهما في الطابق السفلي بجوار القاعة السفلية الكبرى والآخر في الطابق العلوي في القسم الخاص بالحريم.

ينطبق الشيء نفسه على الطواحين التي ألحقت بالقصور، ومنها طاحون كان ملحقا بمنزل الرزاز، وعادة

وانغلاق القصور على نفسها لا تنطبق إلا على جانب محدود من حياة الأمراء. وفى الوقت نفسه اكتسبت هذه القصور وظائف سياسية واجتماعية وثقافية جديدة وفتحت أبوابها لشرائح مختلفة من المجتمع.

إن اضمحلال سلطة الباشا وانتقال السلطة الحقيقية من الباشا المقيم فى القلعة إلى طبقة الأمراء والبكوات القاطنين فى القصور، قد أدى بطبيعة الحال إلى أن تصبح قصورهم مراكز لحكم البلاد. فمن بيوت الأمراء تنبع القرارات السياسية ويجتمع الأمير مع أتباعه لمناقشة أمور الحكم، ويسجل الجبرتى العديد من الحوادث التى اجتمع فيها الأمراء لمناقشة مواضيع سياسية فى منزل أحدهم، ويسمى هذه الاجتماعات بالجمعية، ومنها عدة اجتماعات فى منزل حسن آغا بلفية أخذ أثناءه قرارا بإبطال المقاصيص أى العملة النحاسية وضرب عملة فضية جديدة لتوزيعها على الصيارفة، واتفق الأمراء على سعر العملة، وكل ذلك من أمور الحكم التى وقعت على عاتق هؤلاء الأمراء^{٣٠}. وكان يتم بهذه المجالس تحديد المسئوليات والمشورة بخصوص أية مشكلة يواجهونها. وتتم هذه المجالس فى أفخم قاعات القصر أو البيت، وكثيرا ما كانت الاجتماعات تطول النهار بأكمله، ويستضيف الأمير من معه لياكلوا ويشربوا ويناموا عنده. وكثيرا ما أدى ذلك إلى نزاعات عديدة بين الأمراء، وتتم هذه الصراعات بداخل بيوتهم التى يقع فيها أحيانا مشاهد عنف دموية^{٣١}.

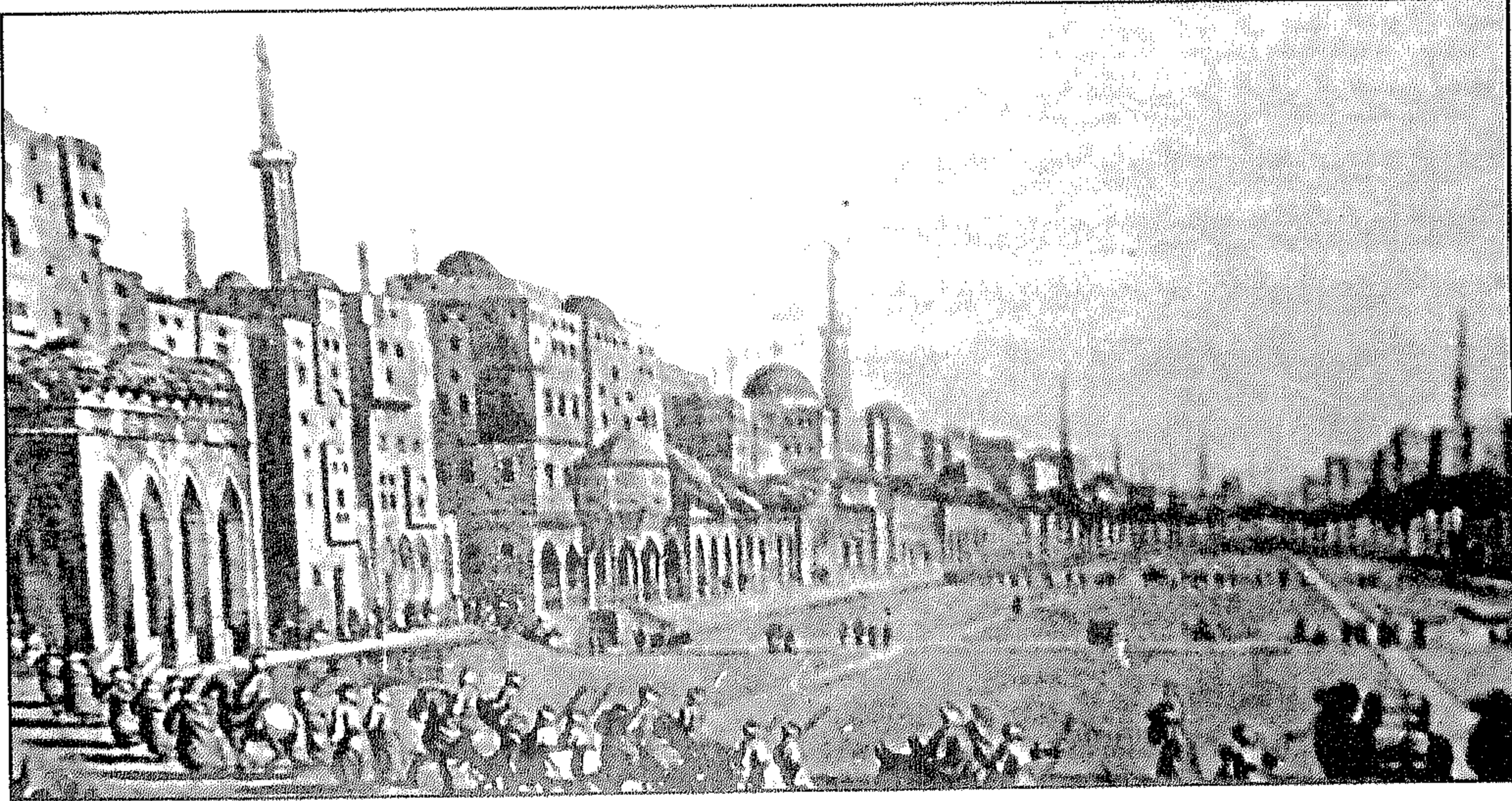
قام الأمراء بدور سياسى تجاه المجتمع، فالتجأ الناس إليهم لأهداف متعددة ولحل مشاكلهم التى يصعب حلها دون سند من أحد أصحاب السلطة، ويذكر الدمرداشى أن الأمير إسماعيل بك عرض فتح بيته لجميع القاصدين للنظر فى شكواهم^{٣٢}. ويقول الجبرتى فى ترجمة الأمير رضوان كتحدا الجلفى "إن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين أحدهما أسفل رجالي والثانى فى الحريم فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغذاء مستطيلا فى الخارج ويجلس فى صدره أمير المجلس، ولا يمنع فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا حتى إن بعض

نوى الحاجات عند الأمراء إذا حجبهم الخدم انتظروا وقت الطعام دخلوا فلا يمنعهم أحد فى ذلك الوقت فيدخل صاحب الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير فيقضى له حاجته^{٣٣}. وأخذت هذه الظاهرة شكلا خاصا فى بيت عثمان بك ذو الفقار حيث إنه أقام محكمة فى بيته كان يرأسها شخصا ويستقبل فيها الأفراد من نساء ورجال. ولقد حظى باحترام الجميع لدرجة أن قراراته كانت نافذة لدى الجميع^{٣٤}. ومثل هذا التخصيص لجزء من المنزل يتطلب فصلا كاملا لحركة الضيوف عن مناطق حركة أهل المنزل.

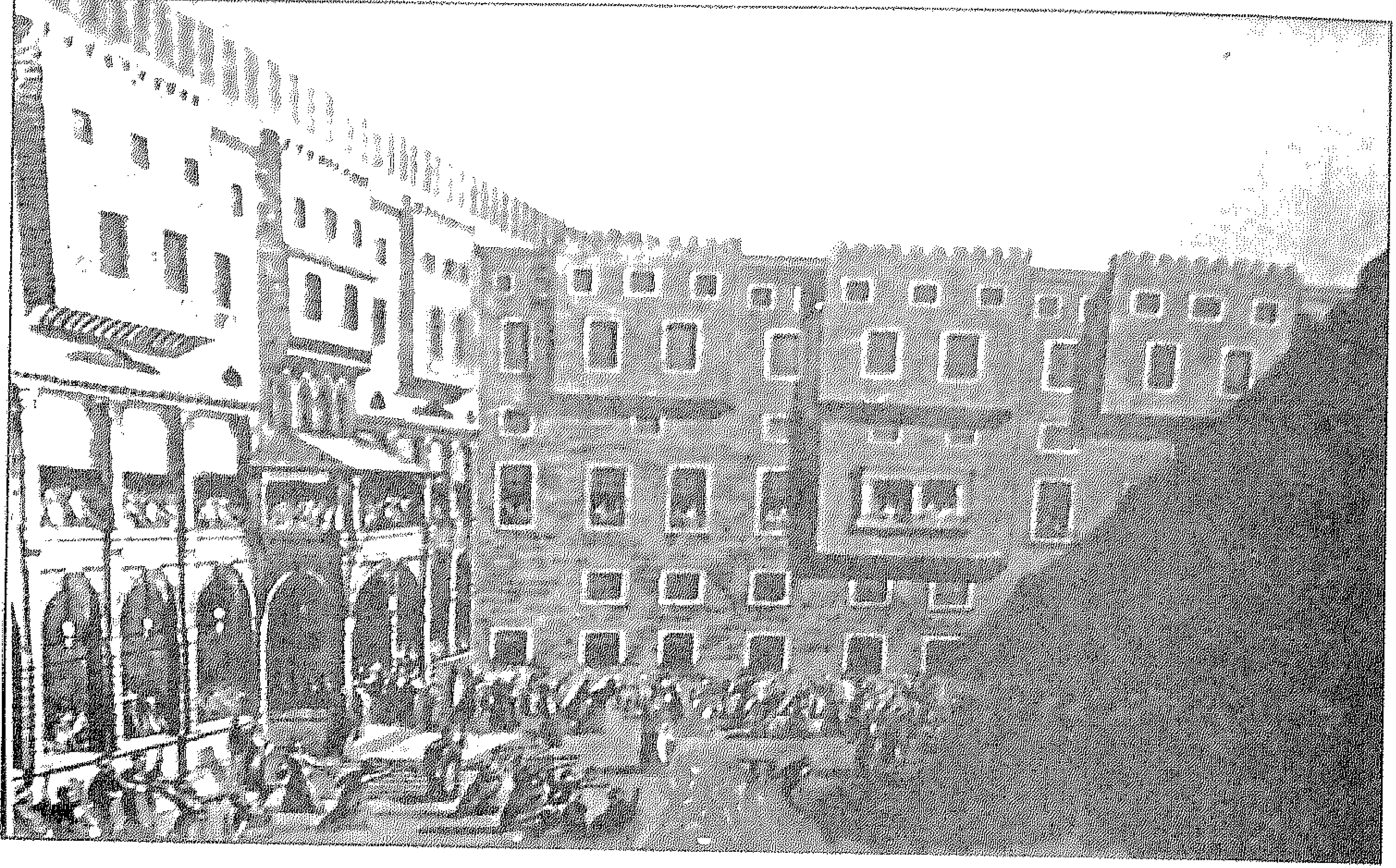
تقدم حجج الوقف التى تصف هذه القصور الدليل على تعدد الأنشطة بها، ويتضح ذلك من خلال المصطلحات المستعملة فى وصف أجزاء القصر فقد أظهرت أنواعا جديدة من الحجرات والقاعات نتيجة لتزايد الدور السياسى لقصور ومنازل أمراء المماليك فى القرن الثامن عشر، وفى وصف البيوت فى القرن السابع عشر كانت قاعات الاستقبال تقتصر على قاعات الاستقبال والمقعد ونادرا على المنطرة^{٣٥}. أما فى القرن الثامن عشر فقد زادت غرف الاستقبال التى تختلف فى استعمالها طبقا لنوعيتها من حيث الفخامة أو الموقع فقد كان هناك عدة أنواع من الوحدات المعمارية يطلق على كل منها الديوان فهناك البرانى ويقع بابه بالقرب من الباب الرئيسى لسهولة الوصول إليه. ويتمثل فى المقعد الديوانى ووصفت وثيقة وقف رضوان بك أحد هذه المقاعد بمكة المكرمة حيث تذكر "وعلى اليمين درج يصعد من عليه إلى الديوان الكبير وهو مقعد به خزائن^{٣٦}". ونكرت الوثيقة وجود مقعد ديوانى فى منزل رضوان بك فى القاهرة^{٣٧}. والمقعد الديوانى لا يختلف فى تصميمه عن المقعد التركى^{٣٨}. إلا فى عناصر قليلة جاءت هنا بشكل إضافات بسيطة تتناسب مع طبيعة الاستخدام والوظيفة. فهو مقعد يقوم بين مستوى الدور الأرضى والأولى، واجهته تقوم على ثلاثة أعمدة، فيرد فى إحدى الوثائق "مقعد ديوانى ذو أعمدة ثلاث بقناطر مركبة على الأعمدة المذكورة^{٣٩}". أو تكون مكونة من ثلاثة عقود تقوم على عمودين، فيرد فى إحدى الوثائق "مقعد

الأمثلة الباقية التي يمكن أن تطبق عليها ما سبق ذكره، هي منزل الرزاز^{٢٧} الذي نستطيع أن نميز فيه الديوان البراني متمثلاً في المقعد، والديوان الجواني والتختبوش. ولكننا لا نرى بقايا المنطرة، وربما يعود هذا لاندثارها مع ما اندثر من أجزاء المنزل. وقدم لنا باسكال كوست لوحتين لقصر مراد بك أحد أبرز زعماء المماليك في نهاية القرن ١٨م، وكان يقع على بركة الأزبكية ويتميز هذا القصر بالفخامة والضخامة، وهناك ملاحظتان أساسيتان على هاتين اللوحتين، أولاهما احتواؤهما على مسجد ليؤكد ذلك رغبة متشبهة في العزلة عن المجتمع المحيط به، فضلاً عن الرهبة التي توحى بها عمارة هذا القصر، والتي تنم عن طبيعته ككتلة عسكرية يتركز بها أتباع ومماليك مراد بك، وهذا ما تظهره اللوحة الثانية إذ نرى بها عدداً ضخماً من المماليك في حوش القصر، وشرفة تطل على الحوش، ربما أنشئت لكي يراقب منها مراد بك حركة مماليكه. ومن المؤكد أنه ألحق بالقصر حجرات لإقامة مماليك مراد بك. ومن اللافت للنظر أيضاً أن قصر مراد بك شيد بالأزبكية، وهو ما يجعلنا نتوقف قليلاً عند هذا الحي، الذي نشأ في العصر المملوكي، وصار له دور محوري في إدارة حكم مصر في العصر العثماني، وأصبح مركز السلطة في

ديوانى يشتمل على مجاز وإيوان به عمودان من الرخام الأبيض معقود عليها بوائك بالحجر الأحمر^{٢٨}. وقد تكون الواجهة عبارة عن باثكة ذات عقدتين يستندان في الوسط على عامود^{٢٩}. وقد كان يتوصل للمقعد عبر مدخل خاص تتقدمه بسطة وعدة درجات توصل إليها، وقد عني بهذه المقاعد من الداخل فزودت بعدد من الكتيبات والخزائن الجدارية، ويظهر بها عدم التركيز على الملحقات التي عني بها في المقعد التركي مثل المبيبات المتعددة والخزائن النومية، رغم أنه ألحق بها أحياناً عنصر المبيت. ويلحق بها أحياناً ممرات أغان^{٣٠}. أما الديوان الجواني فهو قاعة ضخمة مزخرفة بالرخام الملون وبالأسقف العالية المسقوفة بالأخشاب النقية المدهونة وقد يوجد بها فسقية. وتعتبر القاعة التي يعقد بها الأمير مجلسه مع أتباعه عند التشاور في أمور الحكم. وهناك غرف بالدور الأرضي تطل على الحوش مزخرفة بالرخام الملون، وقد تكون أصغر حجماً من الديوان يطلق عليها المنطرة. وقد انتشرت في بيوت الأمراء في ذلك العصر. ويوجد بالقصر أيضاً قاعة متوسطة الفخامة واجهتها مفتوحة على الحوش يطلق عليها اسم التختبوش. وهذا التطور تم في جزء القصر المخصص للاستقبال^{٣١}. ولعل أبرز



منزل مراد بك بالأزبكية ونظهر به مثبته المسجد الملحق - بسكال كوست



تدريبات المماليك في منزل مراد بك - باسكال كوست

عهد الحملة الفرنسية، وأحد مراكز السلطة في عهد محمد على.

الأزبكية

كانت الأزبكية من المناطق السكنية المهمشة بالقرب من القاهرة، وكان مولد هذه الضاحية سياسيا وعمرانيا على يد الأمير أزيك من ططخ^{٢٨}، وإليه نسبت. كان عصر أزيك عصر الأمراء الأقوياء الذين يطمح كل منهم في أن يكون سلطانا، وبهذا ملك كل منهم قدرات اقتصادية كبيرة.

سجل لنا ابن إياس ما قام به أزيك من عمارة لهذه المنطقة فهو يقول "إنه حسن ببال أزيك أن يعمر مناخا لجماله في تلك البقعة وكان ساكنا بالقرب منها فلما عمر المناخ حاله هناك العمارة فبنى القاعات الجليلة ثم الدوار والمقعد والمبيتات والحواصل وغير ذلك، ثم إنه أحضر أبقارا ومحارث وجرف الكيمان التي كانت هناك ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن"^{٢٩} ويضيف ابن إياس أن الناس شرعت في عمارة القصور والدور حول بركة الأزبكية. وصارت مدينة متكاملة، مما جعل أزيك

ينشئ بها جامعا. شيد حوله الربوع والحمامات والقياسر والطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع، أي أننا أمام مشروع عمراني لإنشاء ضاحية لمدينة القاهرة متكاملة المرافق. ولما كملت عمارة الأزبكية ودخل الماء إلى بركتها أنعم السلطان قايتباي على الأتابكي أزيك بأرضها وكتب بذلك ربعة شريفة^{٣٠}. وتدلنا وثيقة وقف الأمير أزيك على طبيعة الحركة العمرانية التي قام بها في هذه المنطقة، فبالإضافة إلى الدوار الذي كان يشتمل على ثلاثة قصور سكنية للأمير أزيك، شيد مسجدا جامعا لأداء الصلوات وقيسارية^{٣١} تعد سوقا صغيرا يوفر متطلبات هذه الضاحية الجديدة، فضلا عن الحمامات والأسبلة وأحواض سقى الدواب^{٣٢}.

تعرضت مجموعة الأمير أزيك المعمارية للاضطرابات التي سادت القاهرة في العصر المملوكي الجركسي. فعندما كسر السلطان قنصوة خمسمائة صهر الأمير أزيك - الذي كان يقيم في مكة حينئذ - هجم المماليك الجلبان على طبلخانة الأمير أزيك وباب داره وربوع الأزبكية ونهبوا قناديل جامعته وحواصله ونور سكان الأزبكية^{٣٣}. بعد

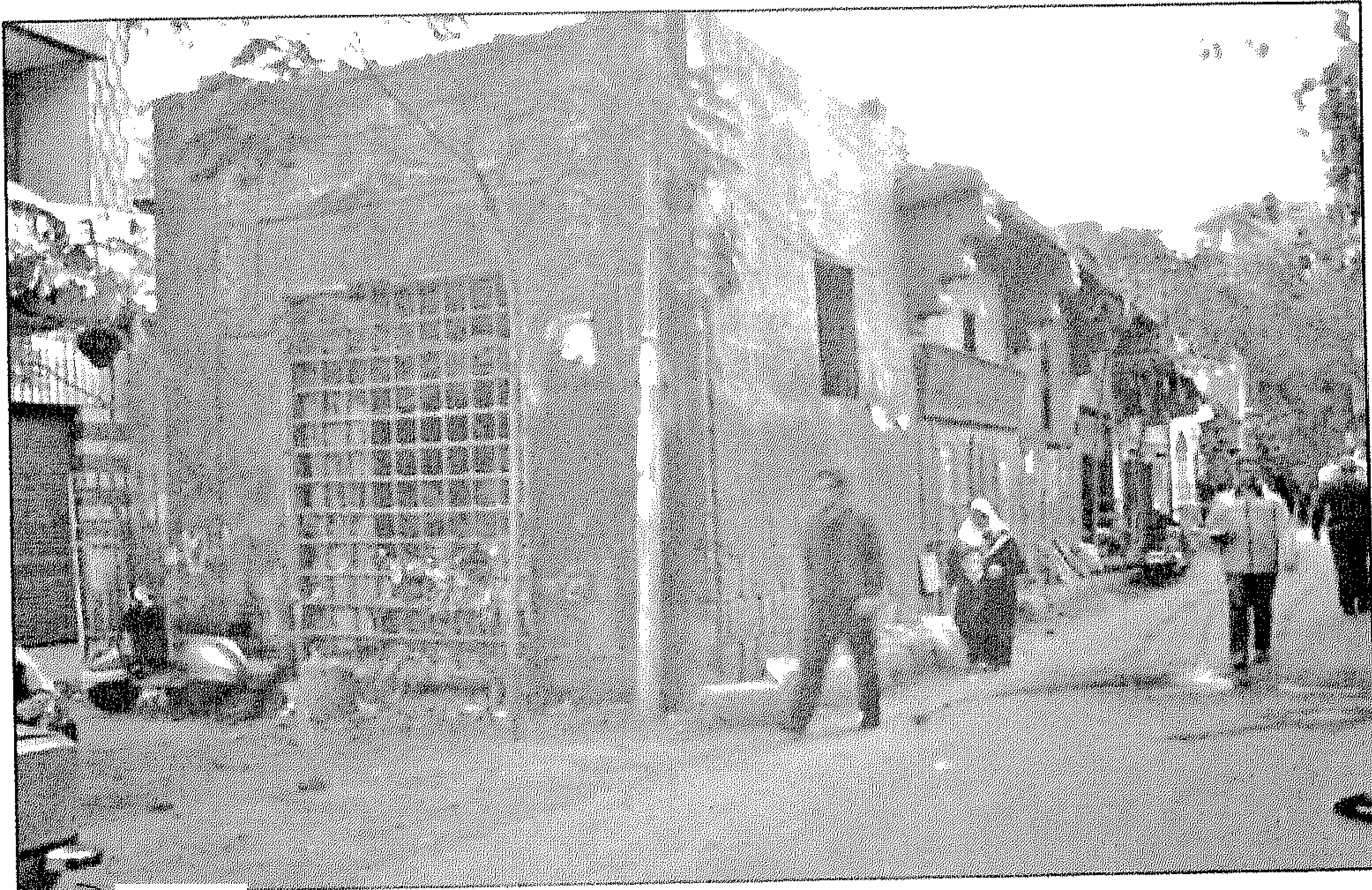
العوامل التى جعلت الأزبكية تكتسب أهمية فى إدارة دفة الأمور فى مصر لعل أبرزها:

عوامل سلبية

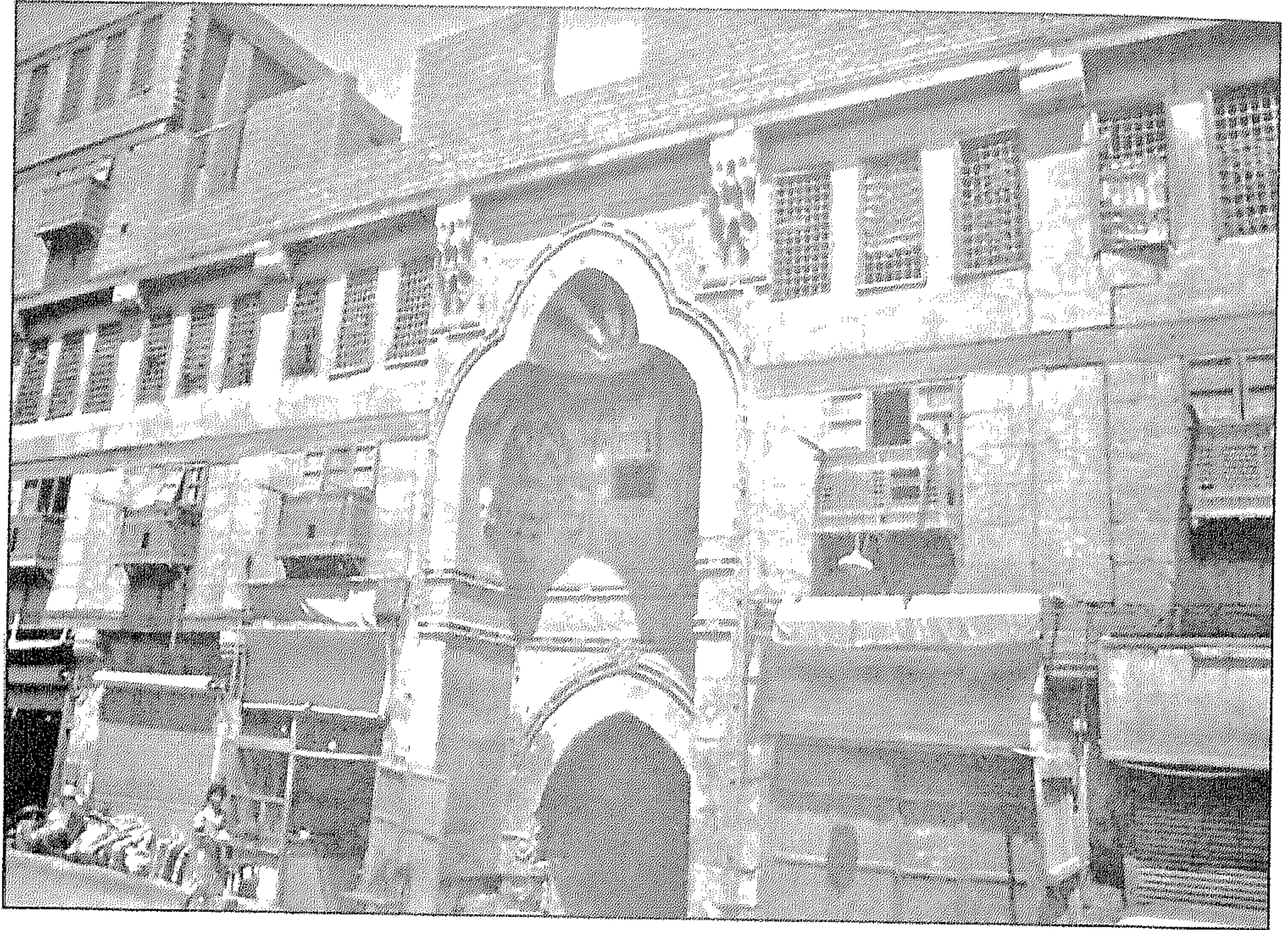
أدى عدد من العوامل إلى توجه حركة العمران خارج مدينة القاهرة، ولعل أبرز هذه العوامل، ضيق المساحات وتطور الفعاليات الاقتصادية داخل المدينة بشكل يصعب إنشاء مساكن واسعة، ويعود ذلك إلى اكتظاظ القاهرة بالمنشآت السلطانية المملوكية من مساجد ومدارس وخانقاوات، وكذلك سابقتها الفاطمية والأيوبية، فضلا عن الاتجاه المتزايد فى العصر العثماني نحو إقامة المزيد من المنشآت التجارية بالمدينة، فقد أمكن تحديد ٣٦٠ وكالة فى العصر العثماني بالقاهرة مقابل ٥٨ وكالة فى العصر المملوكي نكرها المقريري^{٣٨}، فضلا عن مشكلة الأمن فالسكن فى مدينة مكتظة له عواقب وخيمة فى حالة حدوث اضطرابات، وهو ما عزز فكرة السكن فى ضاحية مجاورة للمدينة القديمة^{٣٩}.

وفاة أزيك مؤسس الأزبكية قل الاهتمام بعمارته، بل إن منشآتها تعرضت للنهب والتخريب أيام السلطان الغوري^{٤٠}. وتعرضت للدمار أكثر أثناء الغزو العثماني لمصر^{٤١}.

بدأ الاهتمام يعود للأزبكية بشكل واضح فى القرن ١١هـ/١٧م فقد بدأت بعض الأسر الثرية من الشيوخ والتجار فى البناء حول البركة وتبعهم كبار الأمراء^{٤٢}. وكان أكبر عمران شهدته فى القرن الثامن عشر إنشيدت بها بيوت للأمراء من أصحاب الوظائف الكبرى فى الدولة، وكذلك كبار التجار. كانت الأزبكية موضع عناية الولاة فى العصر العثماني فكانوا يحرسون دائما على تعميرها، فعلى سبيل المثال وقع حريق فى سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م. فى حى الساكت على البركة كان سببا فى تلف كثير من الدور الكبيرة، غير أن ولاة الأمور وقتئذ حسموا سرعة تعميرها لدرجة أنهم ألزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن يستطيع التعمير، وهكذا تم تعميرها فى أقرب وقت فلم يحل ميعاد الفيضان الثانى حتى كانت الأزبكية أبهج وأحسن مما كانت عليه^{٤٣}. هناك العديد من



وكالة مصطفى بك طيطباوى - العصر العثماني



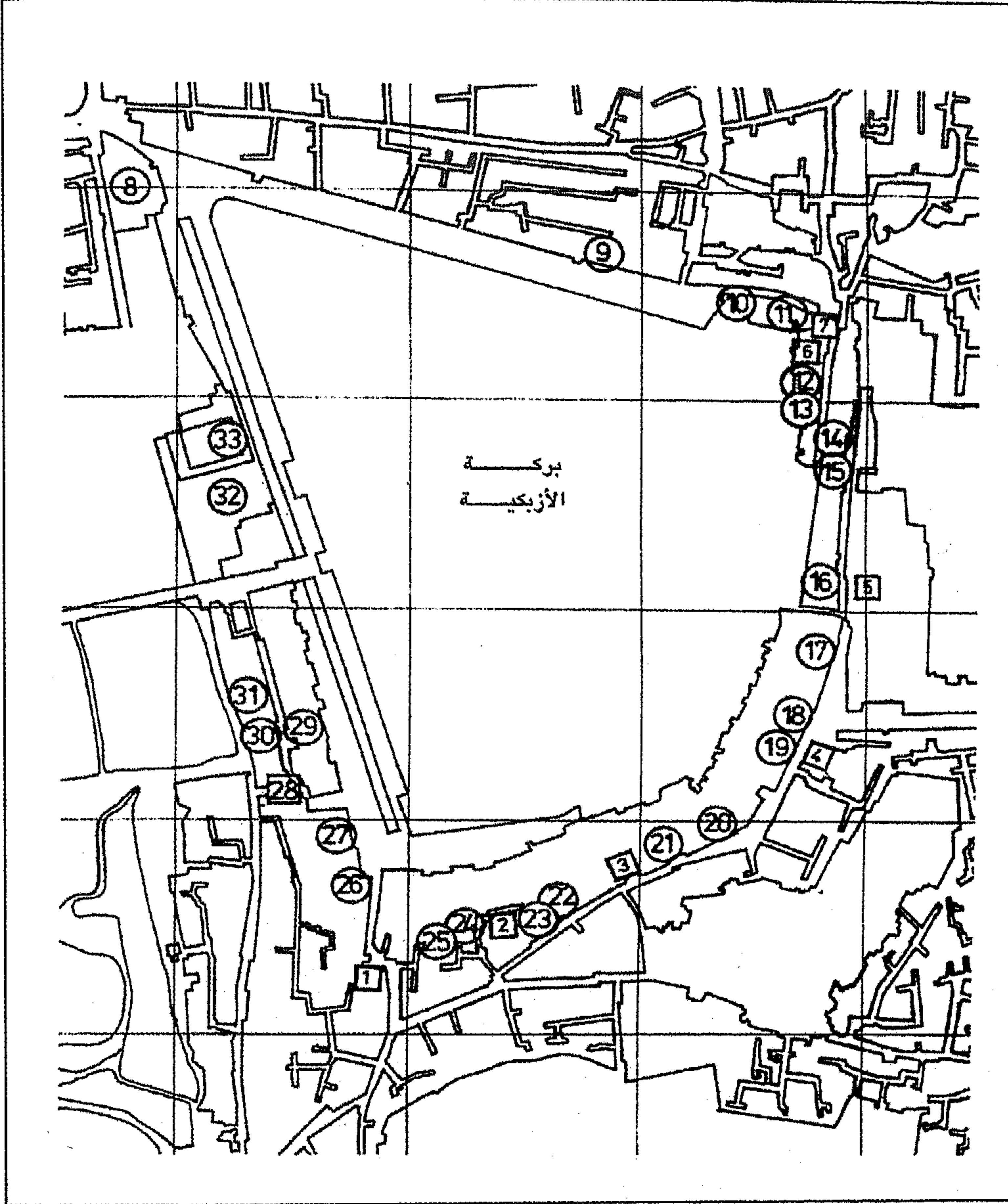
وكالة السلطان قايتباي - العصر المملوكي

دار الشرايبي

كانت هذه الدار تقع على الشاطئ الجنوبي لبركة الأزيكية، وتوارث سكانها شخصيات كان لها تأثيرها في مصر، وكانت أسرة الشرايبي "أكبر تجار مصر في القرن ١٨م، يصفها الجبرتي بأنها "إحدى دور المجد والفخر والعز"، وكانت تتكون من اثني عشر مسكنا متجاورا، كل مسكن كان بيتا متسعا على حدة، وكانت هذه الدار ملتقى أمراء مصر وأدبائها وضيوفها، وكانت تقع مقابل جامع أزيك، ثم انتقلت ملكية الدار إلى الأمير رضوان كتحدا الجلفي (ت ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م)^٢ الذي كان يتقاسم السلطة والنفوذ مع إبراهيم كتحدا القازدوغلي، فأدخل عليها تعديلات ووسع حدائقها وأباحها للنزهة لجميع الناس وبخاصة أيام الفيضان، وعقد على مجالسها العالية قبابا عجيبة منقوشة بالذهب واللازورد والألوان والزخارف الدقيقة،

عوامل إيجابية

يمكن أن نسمى هذه العوامل بعوامل الجذب، فقد كان للمساحات الكبيرة التي أتاحها الأزيكية أثر كبير في إقبال الأمراء والأثرياء على اتخاذ مساكن لهم بها، تسمح باتخاذ حاشية وحرس". وأدى تقلص الدور السياسي للقلعة بخاصة في القرن الثامن عشر إلى أن أصبحت السلطة الحقيقية في قصور الأمراء المسيطرين، ومع سكن هؤلاء في بركة الفيل والأزيكية خاصة الأخيرة، أصبح لهذه المنطقة أهمية سياسية متزايدة ساعد عليها أيضا سكن كبار التجار والمشايخ بها. ولكي نستطيع أن نستقرئ الدور السياسي في إدارة حكم مصر من خلال هذه الضاحية فنستعرض بعض دورها التي كان لها تأثير واضح.



بركة الأزبكية، عن دوريس أبو سيف

محمد بك أبو الذهب^{١١}، الذي حكم مصر في أعقاب انقلابه على سيده على بيك الكبير، كان أبو الذهب قد تزوج من محظية رضوان كتحدا المذكور، ثم انتقلت الدار بعد ذلك

وعمل بوائك على البركة مباشرة، كانت بمثابة سوق عامرة وقت الفيضان، كانت هذه الدار بفخامتها وبذخ أثاثها محل وصف الشعراء^{١٢}، ثم انتقلت ملكية الدار بعد ذلك للأمير

إلى طاهر باشا الكبير^٥، ثم انتقلت إلى أحمد باشا طاهر^٦. فهدمها ووسعها بدور بجوارها وشيدها مرة أخرى، وأحكم بناءها واستمرت بيد الورثة إلى أن اشتراها عباس باشا الأول فهدمها ووسعها وبنائها بناء فخما لوالدته^٧.

دار إبراهيم كتحدا

كما كان إبراهيم كتحدا الانكشاري^٨ شريكا لرضوان كتحدا فى ممارسة السلطة فقد جاوره فى الإقامة فى الأزبكية أيضا، فكان بيته مجاورا لبيت رضوان، وبيت إبراهيم كان فى الأصل ملك محمد شلبي بن إبراهيم الصابونجي^٩. وقد أعطى وجود هذين الأميرين الشريكين لضاحية الأزبكية فى منتصف القرن ١٢هـ / ١٨م، مكانة سياسية واجتماعية كبيرة استمرت بعد ذلك^{١٠}.

دار على بك الكبير

تعد الدار التى أنشأها على بك الكبير^{١١} من أهم الدور التى شيدت على بركة الأزبكية، وكان يعقد بها الديوان حتى كادت أن تكون مقر الحكم الرئيسى فى مصر^{١٢}. وقد أنشأها على بك لمحظيته نفيسة خاتون^{١٣}، وألحق بها حوضا وساقية وطاحون. توفى على بك بها عام ١١٨٧هـ / ١٧٨٣م.

ولما مات على بك الكبير تزوج الأمير مراد بك من نفيسة خاتون وأقام معها على الرغم من أنه كان يملك بيتين آخرين بالمنطقة نفسها.

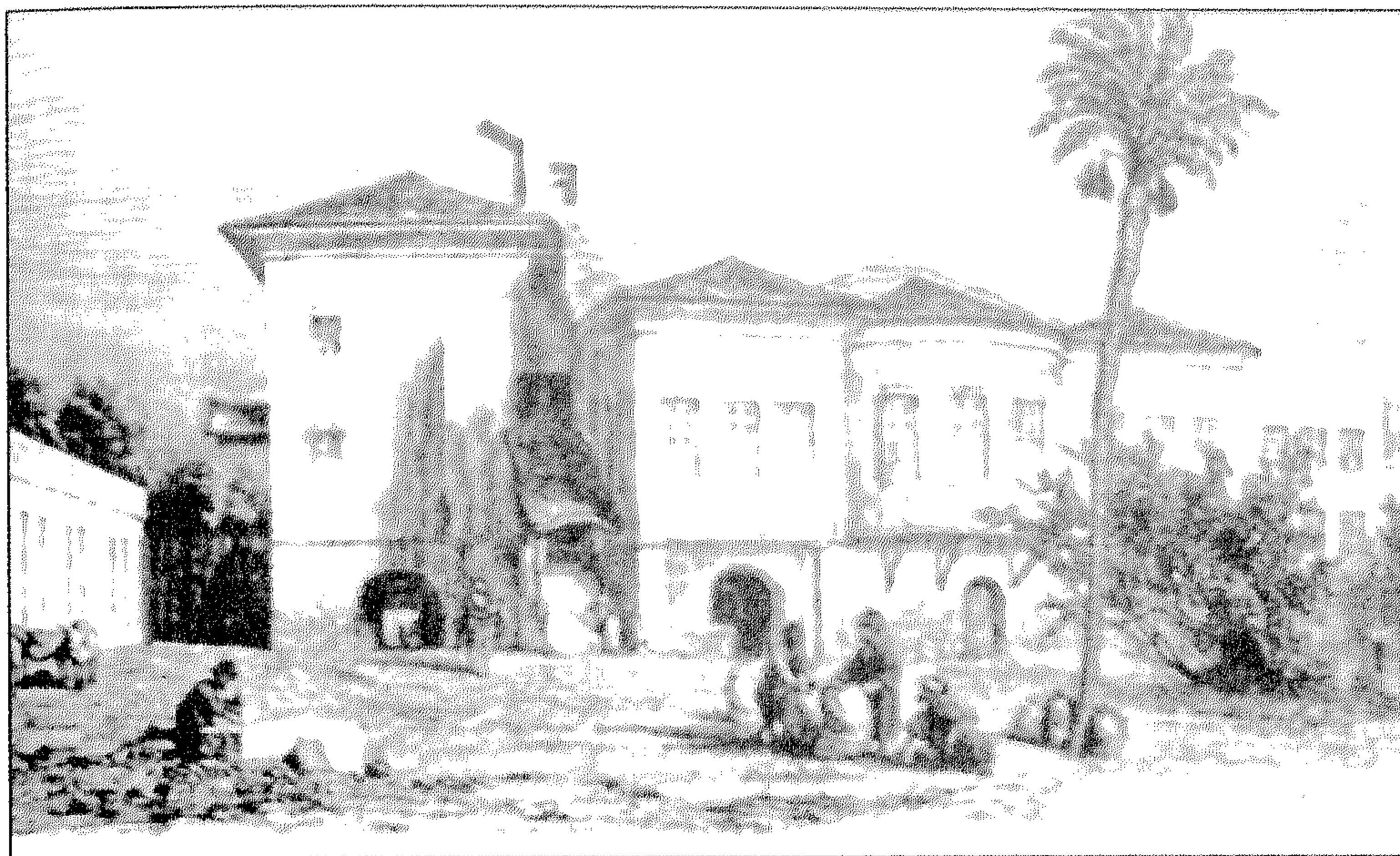
قصر الألفى^{١٤}

يعتبر تاريخ هذا القصر تجسيدا للتحولات السياسية وأثرها على العمارة، يعود هذا القصر إلى القرن ١٢هـ / ١٨م، شيده إبراهيم بن السيد سعودى إسكندر أحد فقهاء الحنفية، وقد أباحه للجمهور، ذكر الجبرتى فى هذا الأمر "أنه جعل فى أسفل القصر قناطر وبوائك ناحية البركة وجعلها برسم فرجة لعامة الناس فكان يجتمع به عالم من أجناس الناس أولاد البلد شيء كثير وبها قهاوى وبياعون وفكهاينة ومغان وغير ذلك، ويقف عندها مراكب وقوارب

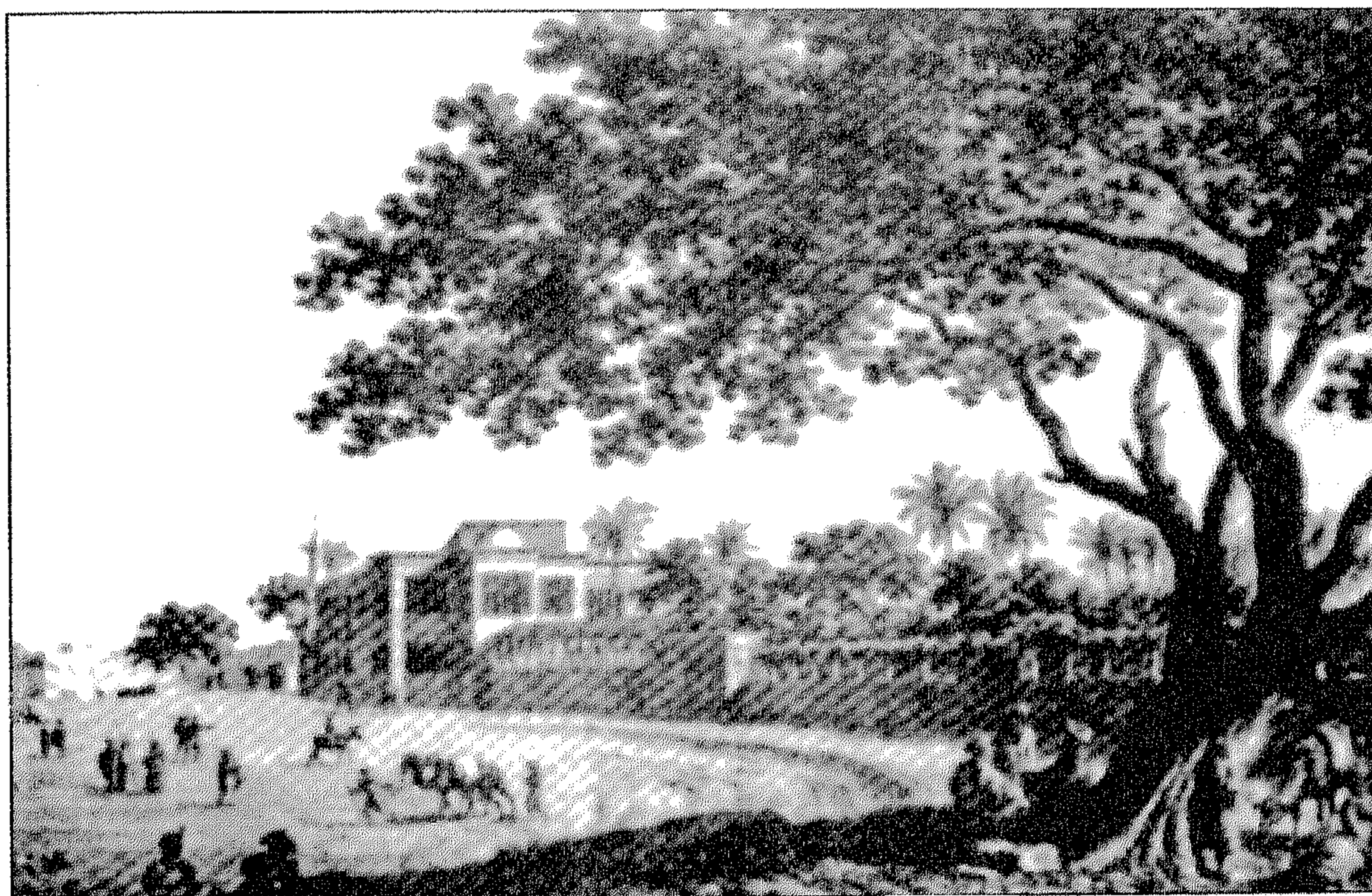
بها من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار إلى آخر الليل من الحظ والنزاهة ما لا يوصف^{١٥}. ثم انتقل القصر إلى ملكية الأمير أحمد آغا شويكار فباعه إلى الأمير محمد بك الألفى فى سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م فهدمه وأضاف إلى مساحته دارين آخرين كانتا إلى جواره، وأنشأ مكانه قصرا كبيرا وضع تصميمه بنفسه لأنه كان مغرما بالهندسة.

شيد الألفى قصره دون خارجات ولا حرمادات ولا رواشن بارزة عن أصل البناء، حرصا على متانته وطول البقاء، وجعل به قاعات واسعة بها عدة نافورات وجعل له شبابيك من الخشب الخرط والزجاج، وجعل به حمامين أحدهما علوى والآخر سفلى، وألحق به طباقا للمعاليك، وجعل به بستانا وأنشأ به جملونا مستطيلا متسعا به دك وأعمدة^{١٦}.

ومنزله هذا يقارب طراز الروملى من حيث الشكل الخارجى ويبدو فى إحدى اللوحات التى تصور فناءه الداخلى مدى تأثره بعمارة إستانبول فى تلك الفترة من حيث استخدام الأسقف المسطحة التى تبرز منها ملاقف الهواء والنوافذ المسطحة ولكن من المرجح أن تصميمه الداخلى كان خليطا من الطرز المعمارية المحلية ومن الطرز الوافدة. أنجز العمل فى هذا القصر فى آخر شعبان ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م. ولم يمكث به الألفى سوى عشرين يوما حتى أتت الحملة الفرنسية فاتخذ مقرا لقيادة الحملة الفرنسية فى مصر، حيث أقام به قواها على التوالى نابليون بونابرت وكليبر ومينو^{١٧}، الذين عدلوا فى القصر وجددوا به طبقا لعمارتهم. بعد مغادرة الفرنسيين مصر دخل الجيش العثمانى والإنجليزى القلعة^{١٨} إلا أن الصدر الأعظم ضيا باشا لم يسكن القلعة، بل سكن خلال فترة تواجده فى منزل أحد أمراء المماليك بالقاهرة، لأن الفرنسيين كانوا قد دمروا مقر باشاوات مصر بالقلعة^{١٩}. وهذا يفسر لنا سبب إعادة محمد على إنشاءه مرة أخرى. عندما تولى خسرو باشا ولاية مصر سكن فى قصر الألفى بك بالأزبكية^{٢٠}. وبدأ فى ترميم القصر وما تهدم منه أثناء المعارك مع الفرنسيين، فبنى بوابة جديدة لقصر



قصر محمد بك الألفي - طابع أوروبي



قصر محمد بك الألفي - وصف مصر

ولعل ذلك كان دافعا لمحمد علي لنقل إقامته إلى القلعة^{٣١}، واختياره إقامة قصر له في شبرا خارج المدينة. سكن إلى جوار محمد علي في الأزبكية أقاربه وابنه إبراهيم. ولكن اكتسبت الأزبكية منذ ذلك الحين أهمية سياسية، لعدة أسباب لعل أولها نقل عدد من الدواوين من القلعة إليها، حيث اتخذ قصر طاهر باشا مقرا لها^{٣٢}. وكان ذلك في سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م. لقد كان محمد علي - كما وصفه كلوت بك - أول عثمانى أدرك الأفكار النافعة في نظام الحكومة والإدارة لإحكام قبضته على البلاد، وكلوت بك يتحدث عن سطوة الدولة على المجتمع في المفهوم الغربي، قسم محمد علي إدارته إلى أقسام، فشكل مجلسا من كبار رجال دولته للمشاورة في مختلف الأمور، وأنشأ مجلسا من المتخصصين لكل فرع من فروع الإدارة، كما أنشأ مجلسا للنظر في أمور المجالس السابقة (الديوان العالي) ويرأسه كتحدا بك، ثم تطور الأمر إلى إنشاء الدواوين كالدخالية والحربية والبحرية والأشغال العمومية والمعارف^{٣٣} ديوان المدارس^{٣٤} - عرف إلى سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م بمجلس شورى المدارس - وكان يشرف في البداية على المصانع والمالية والخارجية والتجارة، كما أنشأ ديوانا للإشراف

الألفى وطباقا لجنده في القصر، وشيد هذه الطابق فوق الإسطبل، وهي تلتف حول صحن أوسط. وسكن حريم الباشا في قصر البكري^{٣٥}، على الشاطئ الجنوبي من بركة الأزبكية، وهذا يعني أن قصر الألفى لم يستخدم إلا لإدارة دفة أمور الحكم، إذ سرعان ما ثار الجند الأرناؤوط ضد خسرو باشا سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م. وهو ما أدى إلى تدمير القصر وتعرضه للاحتراق^{٣٦}.

الأزبكية ومحمد علي

سكن محمد علي باشا في قصر عائلة البكري، والذي كان يقيم به حريم خسرو باشا، شهد هذا القصر حدثا تاريخيا، عندما تلقى به محمد علي فرمان السلطان العثماني بإقراره على حكم مصر، وكان من شهود هذا الحدث كبار العلماء وأبنا محمد علي إبراهيم وطوسون^{٣٧}. لم يستخدم هذا القصر من قبل محمد علي لفترة طويلة، بل حتى إقامته به بعد فترة أصبحت نادرة. ويعود ذلك لوقوع بيت الباشا بالقرب من قلب المدينة، وهو ما يسهل الهجوم عليه في أي وقت في حالة حدوث أي اضطراب، وهو ما حدث فعلا في عامي ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م^{٣٨}. و ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م^{٣٩}.



منزل محمد علي - الأزبكية



إبراهيم باشا

بنقل الدواوين إلى خارج القلعة وإنشاء دواوين جديدة. ولا يعنى هذا أن القلعة فقدت جاذبيتها أو أهميتها كمقر للحكم، بل كان محمد على يستخدمها فى أوقات عديدة لإدارة دفة الأمور، وصار يتردد بين القلعة وبيت الأزبكية وقصرى شبرا والجيزة^{٧٠}. كما أن مجلس شورى النواب اتخذ إلى نهاية عصر إسماعيل القلعة كمقر له فى ديوان الكتخدا أو الغوري^{٧١}.

علما بأن القلعة فى العصر المملوكى كانت تضم عددا من الدواوين مثل ديوان الإنشاء وديوان النظر وديوان الأوقاف والديوان الخاص وديوان المفرد وديوان المظالم. غير أن هذه الدواوين كانت علاقاتها بالمجتمع محدودة، بل بالحركة العمرانية كانت فى إطار ما يخدم السلطة. من ناحية زيادة الإيرادات، ولكن بدءا من عصر محمد على بدأت الدولة تلعب دورا من خلال الدواوين متزايدا داخل المجتمع، على حساب المجتمع المدنى الذى كان يشكل التجار والعلماء بعامته الأساسية، والذى كانت فيه الأوقاف الفاعل الأول.

أدى تفتت مقر الحكم منذ عهد محمد على إلى ظهور أشمل لفكرة العاصمة الكبيرة التى تضم ضواحي مترامية الأطراف، على عكس ما كان سابقا من وجود إطار محدود لمقر الحكم داخل الأسوار، عد خلاله مقر الحكم مدينة مستقلة بذاتها لها مرافقها.

أنشأ محمد على إلى جانب منزل الأزبكية والقلعة عددا من القصور لإقامته وللتنقل بينها، من بينها قصر أثر النبي، ذكر هذا القصر فى حوادث سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م. وحينما تولى محمد على حكم مصر عين الخوaja محمود حسن بزرجان باشا فى رجب سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م لتجديد القصر والمسجد المعروف بالآثار النبوية الذى كان فى حالة معمارية سيئة، فجدهما على ما كانا عليه، ثم هدم محمد على القصر وبناء على الطراز الأوروبى على الهيئة الرومية التى انتشرت فى عهده، وكان ذلك سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م، حيث إنه بات هناك ليلتين فأعجبه الطقس، فأمر بإعادة بناء هذا القصر، وأخذ يتردد عليه كباقي قصوره^{٧٢}. وجدد محمد على أيضا

على صناعة النسيج وديوانا للصحة وديوانا للموازين^{٧٣}. وأنشأ سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤ - ١٨٢٥م مجلس الحفانية، ثم أنشأ المجلس العالى سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، وكان يضم نظار الدواوين بالإضافة إلى اثنين من العلماء واثنين من التجار واثنين عن كل مديرية ينتخبهما الأهالي. ووضع سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م ما سمي القانون الأساسى أو "السياست نامه" وقسم فيه فروع الإدارة المصرية إلى: الديوان الخديوي، ديوان الإيرادات، ديوان الجهادية، ديوان البحر، ديوان المدارس، ديوان الأمور الإفرنكية والتجارة المصرية، وديوان القبريات^{٧٤}.

مست إذن منذ ذلك الوقت المركزية المطلقة لمقر الحكم فى مصر، وهى القلعة، وبالتالي مركزية السلطات المطلقة فى يد الحاكم، وأصبح للأوتوقراط، أى الموظفين المتخصصين دور أوسع فى إدارة شئون إدارتهم والتخطيط لها. وقد كان أول ديوان ينشئه محمد على فى الأزبكية هو ديوان المحاسبة فى عام ١٨١٢م. وتوالى بعد ذلك نقل الدواوين إليها، غير أن حادث حريق القلعة أسرع



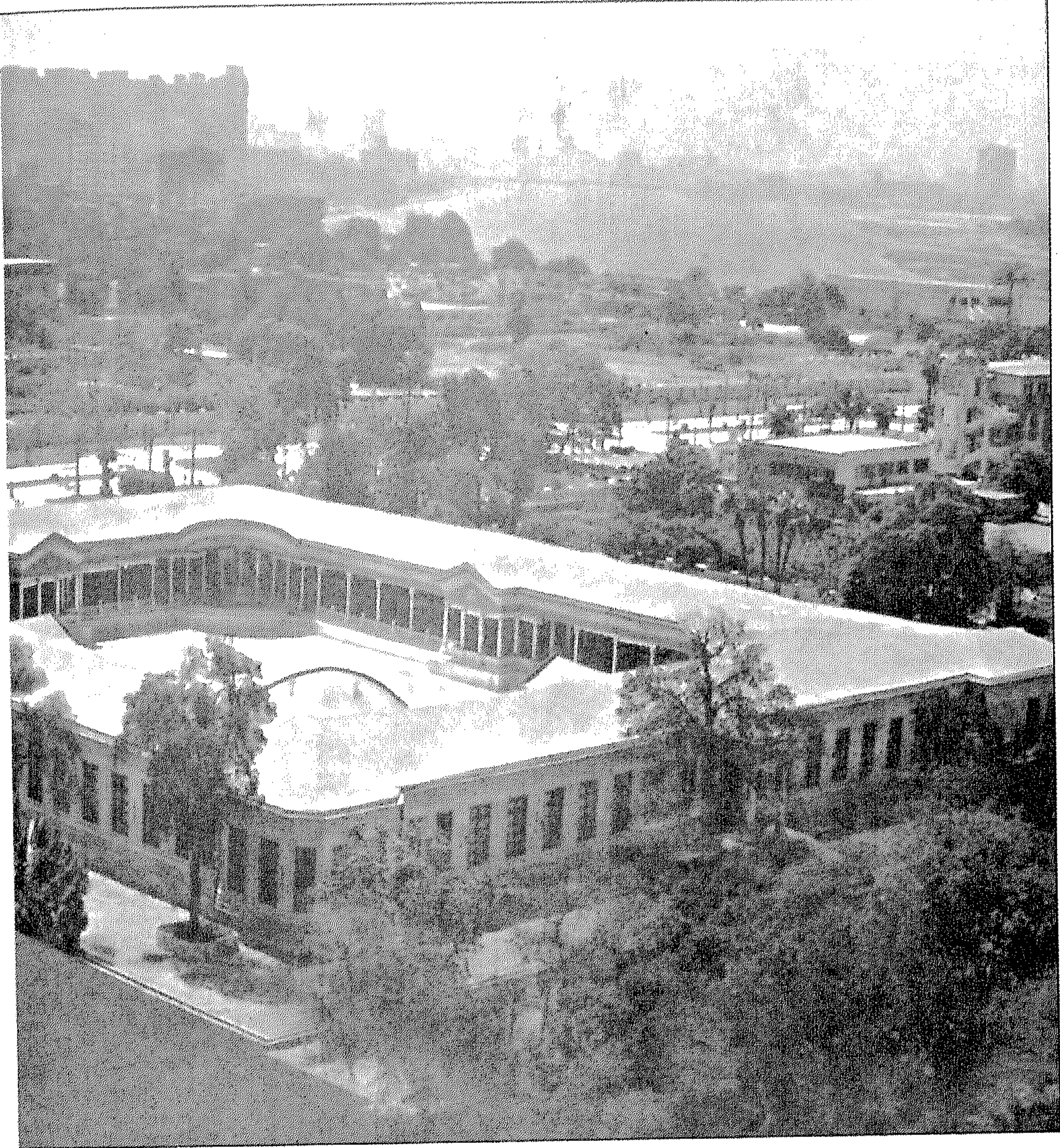
الخدوى إسماعيل

قصرًا فى الجزيرة الوسطى شيده عبد الرحمن كتحدا للقادمين إلى مصر من الولاة والأغاوات ورجال الدولة العثمانية^{٧٢}.

سراى شبرًا

كان هذا المكان كشكا فى العصر العثمانى يقيم به الولاة عند رغبتهم فى التنزه^{٧٤}، ولما تولى محمد على حكم

مصر شرع فى إقامة العديد من الأبنية بهذا المكان سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م^{٧٥}، حتى صار مقر إقامته المفضل فى أخريات عصره بخاصة بعد أن احترقت سراى الأوبكية عام ١٨٤٠م^{٧٦}. وهناك العديد من الأسباب التى دفعت محمد على إلى اختيار هذا المكان ليكون مقر إقامته المفضل، لعل أبرزها، القلاقل التى أثرت داخل المدينة فى بداية حكمه، ورغبته فى الاعتزال عنها بمقر حكمه، وأخيرا تأثره بقصر



سراى شبرا

روى فى مذكراته أن محمد على قد طلب منه تصميم قصر فى شبرا. وضع باسكال تصميمًا يتضمن أربعة جواسق وممرات محاطة بالأشجار وبركة مياه كبيرة ومسجد صغير وساحة لسباق الخيل^{٧٦}. ومن المرجح أن دور دورفتى لم يتعد الاستشارة فى بعض الأمور الخاصة بالسراى. وقد

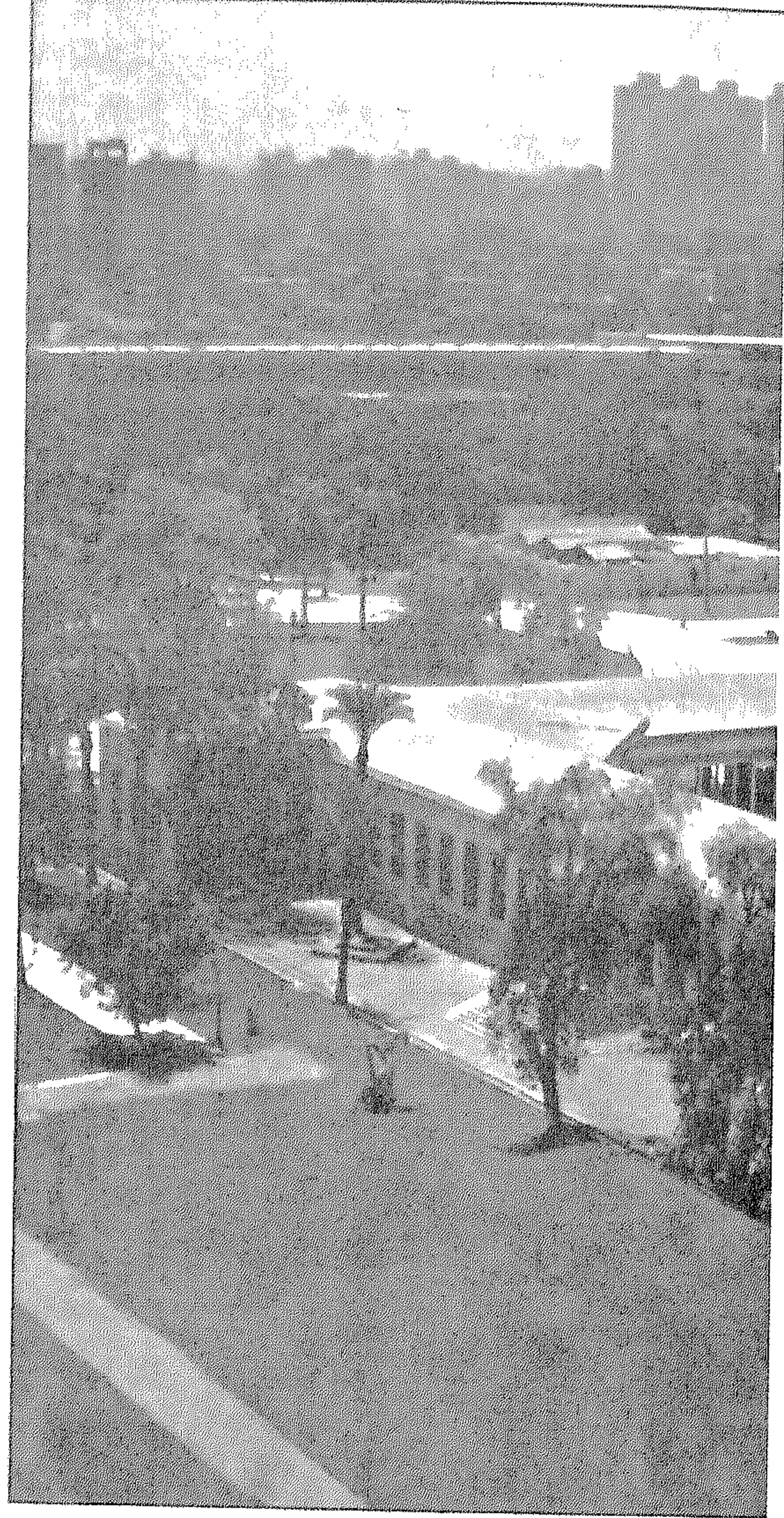
طوب قابو سراى وغيره من القصور التى شيدت فى شرق أوروبا على شواطئ الأنهار.

ذكر حسن عبد الوهاب أن مسيو دورفتى^{٧٧} قنصل فرنسا فى مصر فى عهد محمد على هو الذى صمم هذه السراى^{٧٨}، غير أن المعمارى الفرنسى باسكال كوست

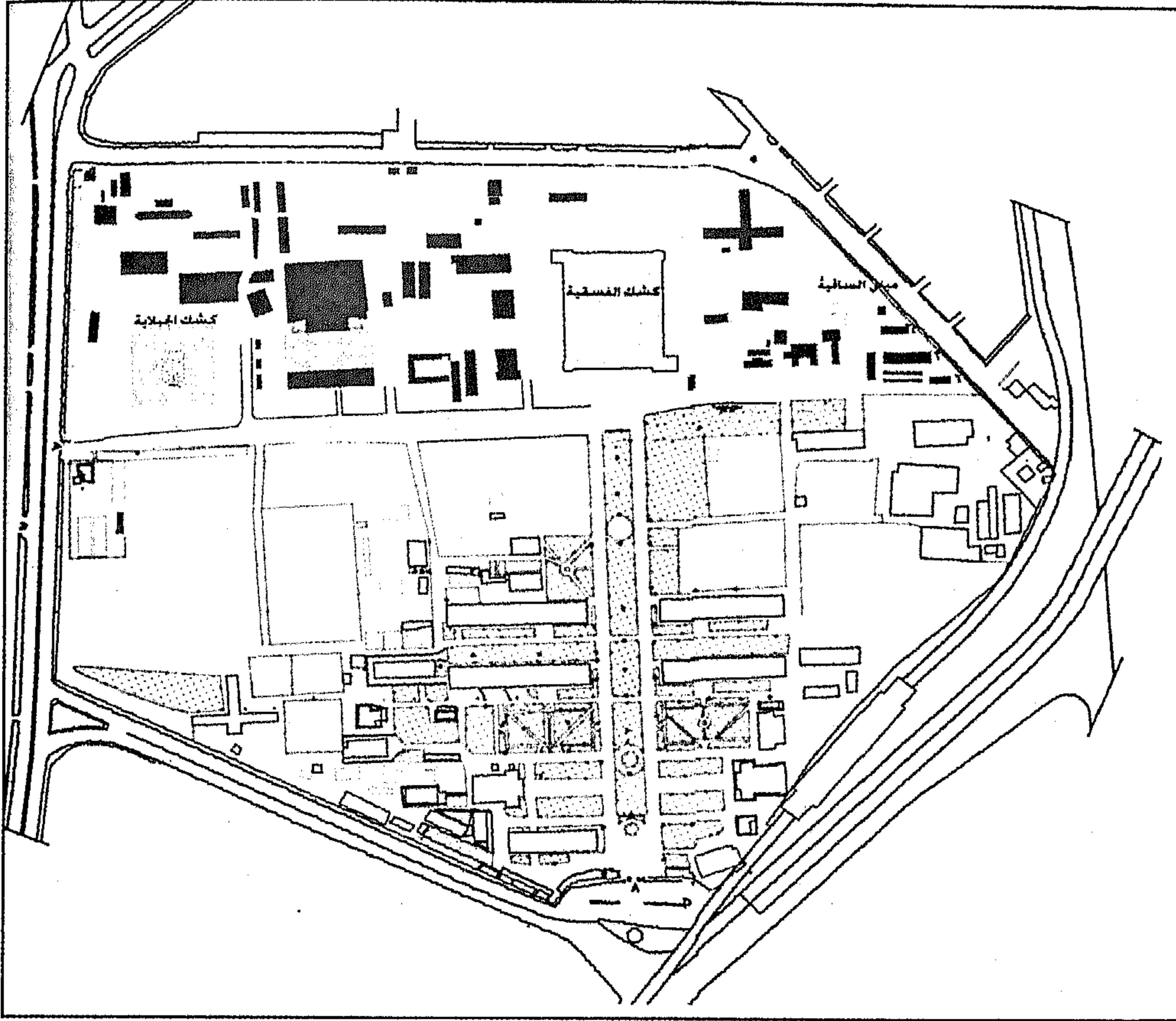
تتكون هذه المجموعة من:

قصر الوالي، ملحقات القصر، مسكن البواب (مبنى الحرس)، نافورة، شرفة عليها جوسق الجبلية، بركة الفسقية وحمام شرقي (سراى الفسقية)، معمل لتحضير غاز الاستصباح، البهو الأخضر من غاب البامبو (غابة البامبو)، طريق مزروع من الصنوبر الحلبي (غابة الصنوبر)، تكعيبية كرم، مجموعة الموالح (حديقة الموالح)، أشجار فاكهة ذات أوراق متساقطة، مدخل من شارع شبرا، روضة الزهور، حديقة الخضر^{٨١}.

يصف لينان دي بلفون قصر شبرا بأنه لم يكن سوى منزل عادي جدا لا يبدو عليه أي مظهر من مظاهر الفخامة والترف لا في البناء ولا في الأثاث أو حتى في الخدمة، وكانت غرفة الاستقبال تتكون من بهو يفصله عن قاعة الانتظار وشرفة مكشوفة نثرت في جنباتها بعض أرائك قليلة الفخامة لتزين البهو، وكانت كل نافذة مغطاة بستار من قماش هندي وطولها يبلغ ارتفاع النافذة تقريبا ومثبتة فيها بمسامير عادية، فإذا أقبل المساء كانت وسيلة الإضاءة الوحيدة شمعتين كبيرتين داخل شمعدانين من الفضة موضوعين على الأرض، وكان يضئ قاعة الانتظار حيث يجتمع الرؤساء وكبار الموظفين عند حضورهم للسراى مصباح زيت معلق داخل إطار من جريد النخيل^{٨٢}. إذا كانت هذه رؤية أحد رجال دولة محمد علي لقصر شبرا، فإن جيرار دي نرقال الرحالة الفرنسي له رأى آخر في قصر شبرا حيث يقدم صورة فائقة للحياة فيه حيث يقول "توجد مقصورة زجاجية تشرف على سلسلة من الشرفات المتدرجة على شكل الهرم، وتبرز في الأفق في مشهد أخاذ ثم نعود للنزول بعد أن أعجبنا بترف القاعة الداخلية والستائر الحريريّة المتطايرة في الهواء الطلق بين أكاليل الزهور والورود في الحدائق الغناء. ونسير في ممرات طويلة من أشجار الليمون المشدبة على هيئة المرن، ونعبر غابات أشجار الموز ذات الأوراق الشفافة واللامعة كالزمرّد، وعند الطرف الآخر من الحديقة نصل إلى غرفة حمام في غاية الروعة والتي لا يمكن وصفها هنا وخلال ليالي الصيف يتنزه الباشا ببركة المياه مستقلا قاربا^{٨٣}".



أوردت الوثائق أسماء بعض المهندسين الذين قاموا بالإشراف على بناء السراى، بخاصة سراى الفسقية، ومن المرجح أنهم أدخلوا تعديلات على التصميم الأصلي الذي لم يتفد كله، ومن هؤلاء أمين أفندي المعمار، عمر آغا ناظر المبانى بسراى شبرا وعبد الله آغا المهندس باشي^{٨٤}.



سراى شبرا - الموقع العام

أما أقسام هذا القصر في عصر ازدهاره فهي:

- سراى الوالى

كانت تطل بواجهتها على النيل وبها قسم للحريم. اتخذت هذه السراى عدة أسماء منها، سراى الوالى، القصر العالى، قصر الوالى الخاص^{٨٤}. وتشير الوثائق إلى أن هذا القصر كان يتكون من طابقين، خصص الطابق الثانى منهما لإقامة محمد على حيث خصصت أكبر حجراته لنومه، رمم هذا القصر فى عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م^{٨٥}. وقام عباس باشا بإهداء سراى شبرا الكبيرة لعمه عبد الحليم بك فى عام

١٨٥١م^{٨٦}. وتشير وثائق الديوان الخديوى إلى أسماء بعض حجرات هذا القصر يمكن من خلالها تخيل الطابق الأول الذى كان يتكون من السلامك والفناء أو الفسحة، والثانى الذى كان يضم حجرتين واحده بحرية تطل على النيل وأخرى قبلية بينهما مساحة مسقفة بقبة، وملحق بهذا الطابق حمام^{٨٧}.

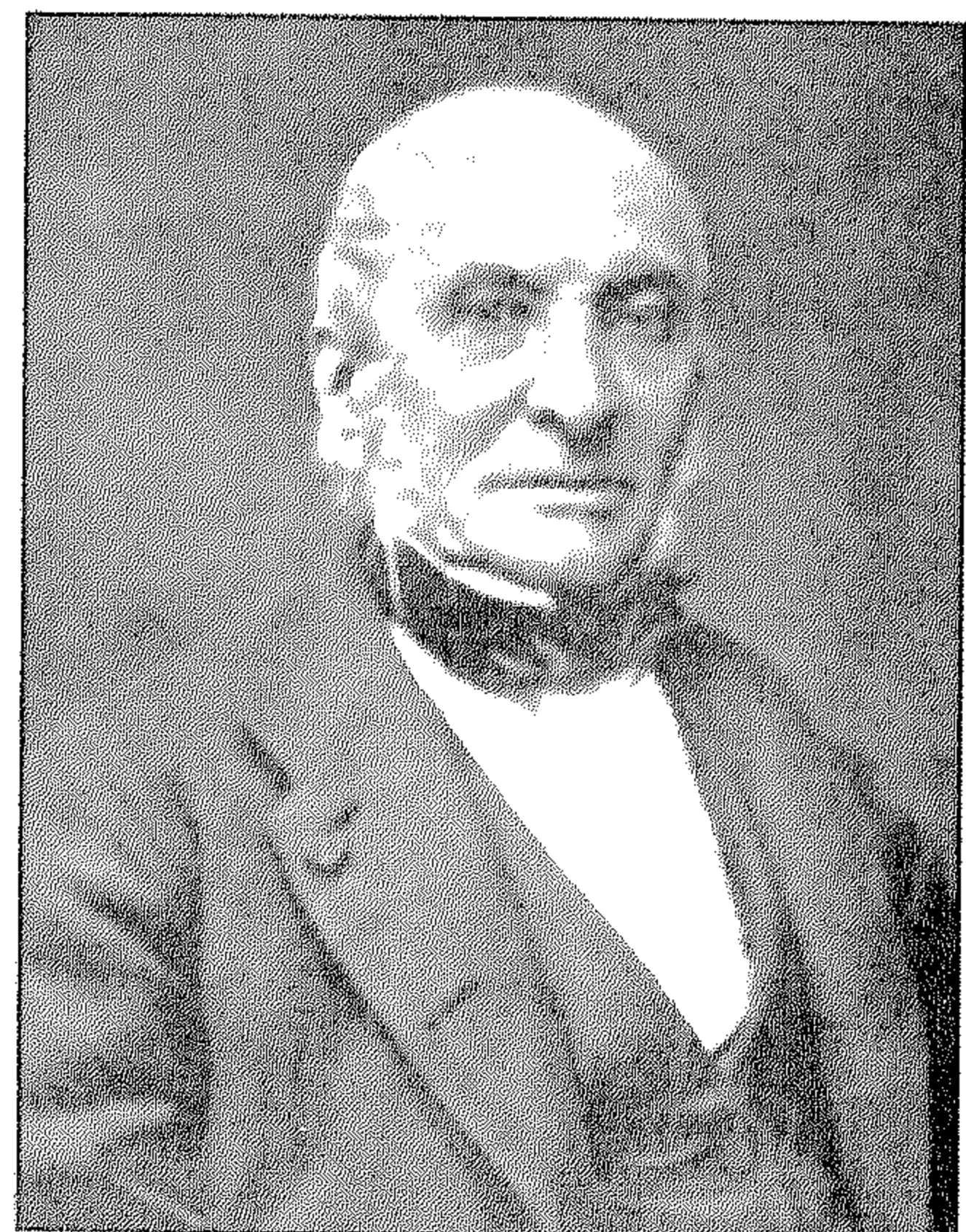
- سراى الفسقية

تذكر الوثائق هذه السراى باسم الكشك، وقد بدأ العمل فيه عام ١٨٢١م. وكان العمل مستمرا بها عام ١٨٢٣م^{٨٨}. وهو مستطيل المساحة ٧٦,٥٠ × ٨٨,٥٠م،

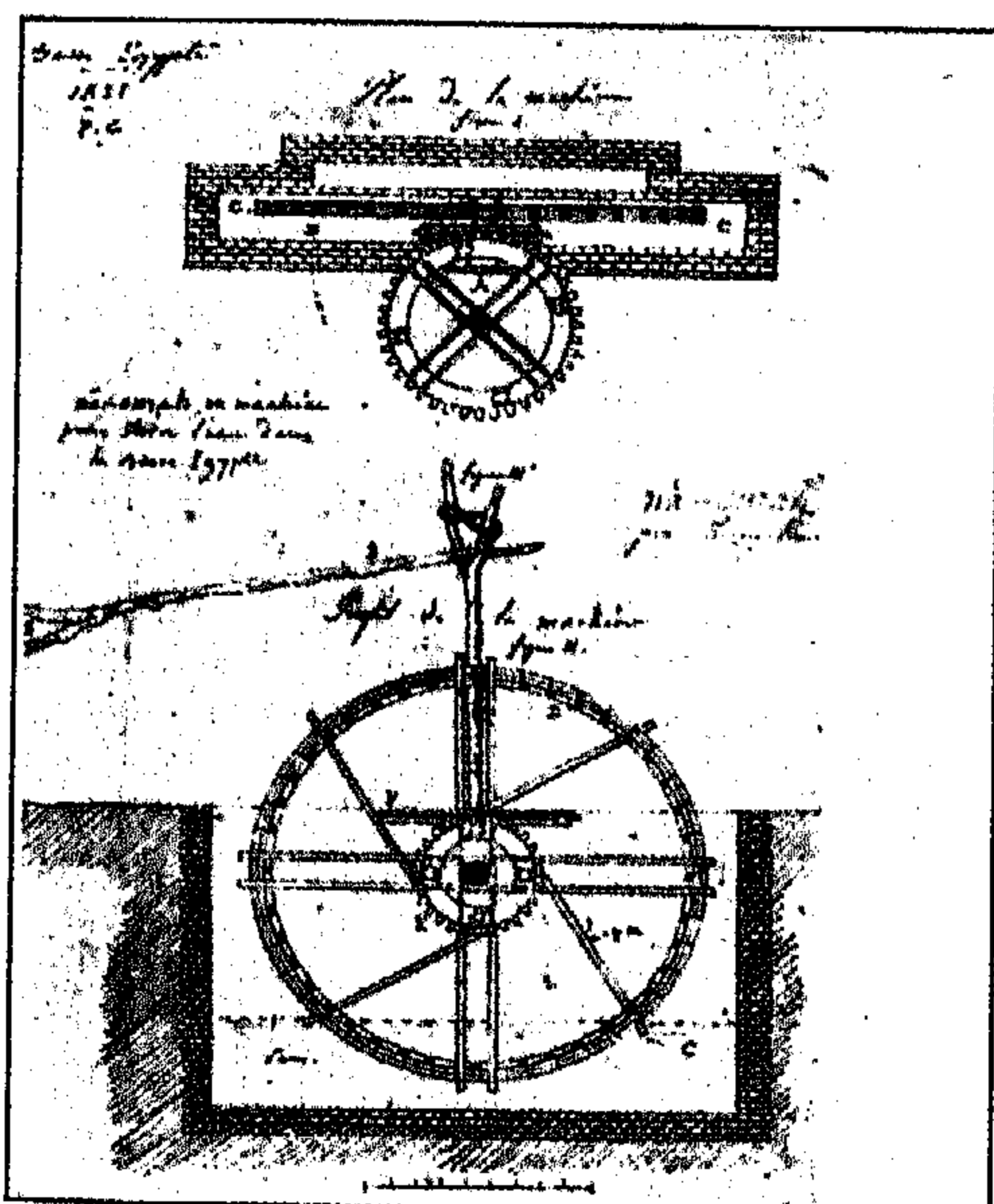
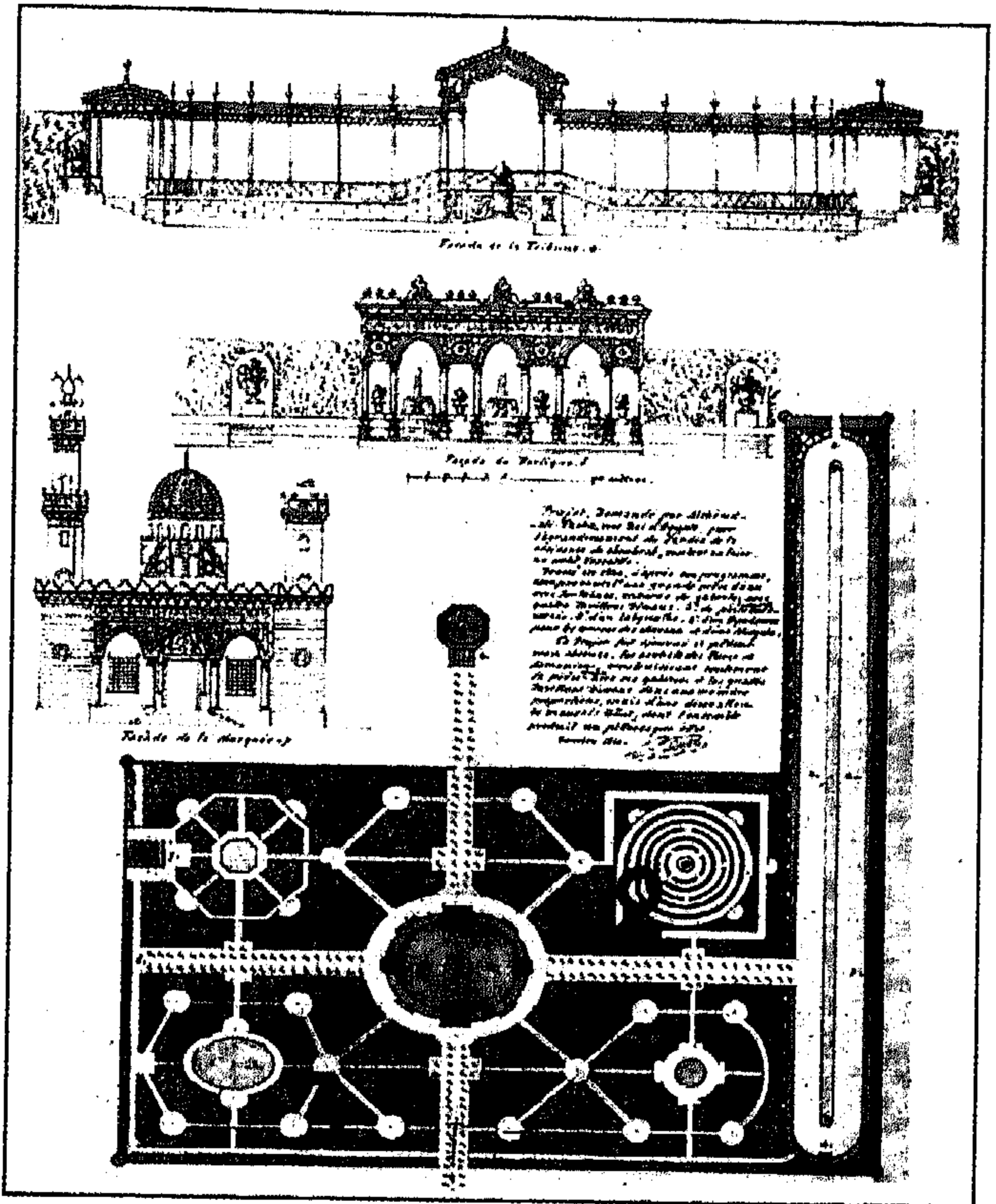
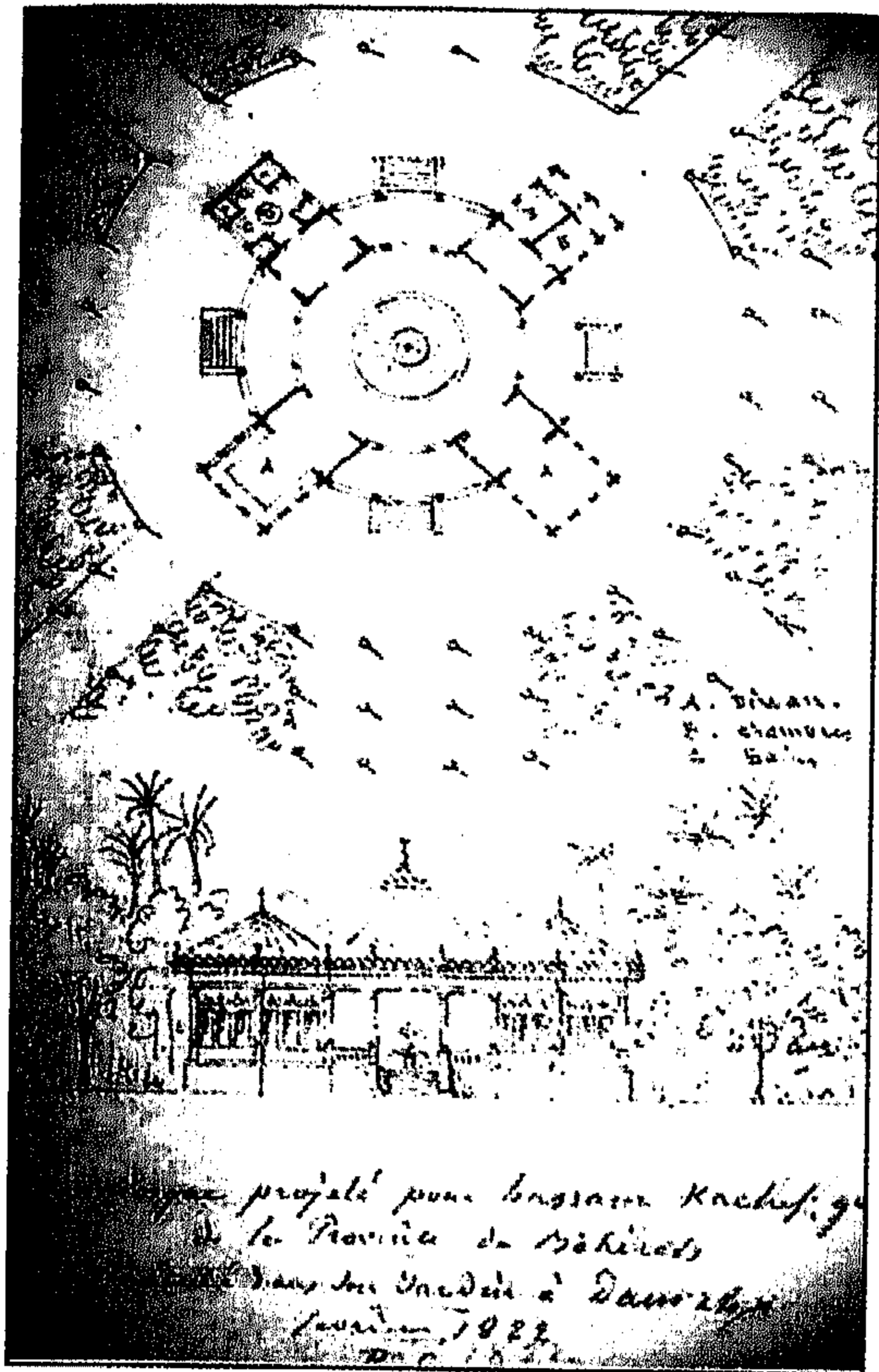


طوب قابو سراي - إسطنبول

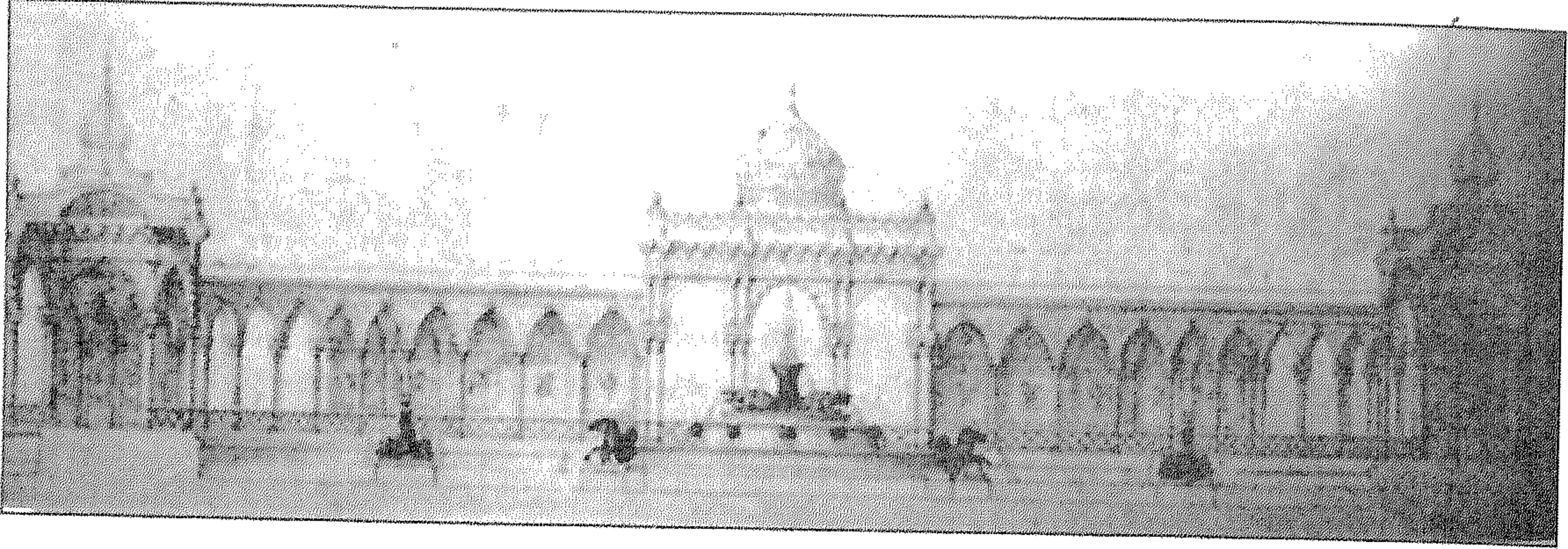
وهو ذو مطابق واحد. تفتح بأواسط أضلاعها أربعة أبواب محورية، يتقدم كل باب منها سقيفة محمولة على أعمدة ويغطيها سقف جمالوني، ويتقدم كل سقيفة درج من ثمانى قلابات، ويشغل كل ركن من أركان البناء حجرة تبرز واجهتها عن جدرانها، على هيئة مضلع فى الركنين الشمالى الشرقى، والجنوبى الغربى، ومستطيل فى الركنين الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى. يتوسط البناء حوض أو بركة تنخفض أرضيتها عن أرضية البناء من الداخل، بمقدار ١,٥ م. وبهذه البركة فسقية أو نافورة تستمد ماءها من النيل بواسطة آلة بخارية" وفى حافتها تماثيل تماسيح استوردت من الخارج". وأسندت بعض أعمال هذه البركة إلى المهندس الإنجليزى "جالواى" ويبدو أن



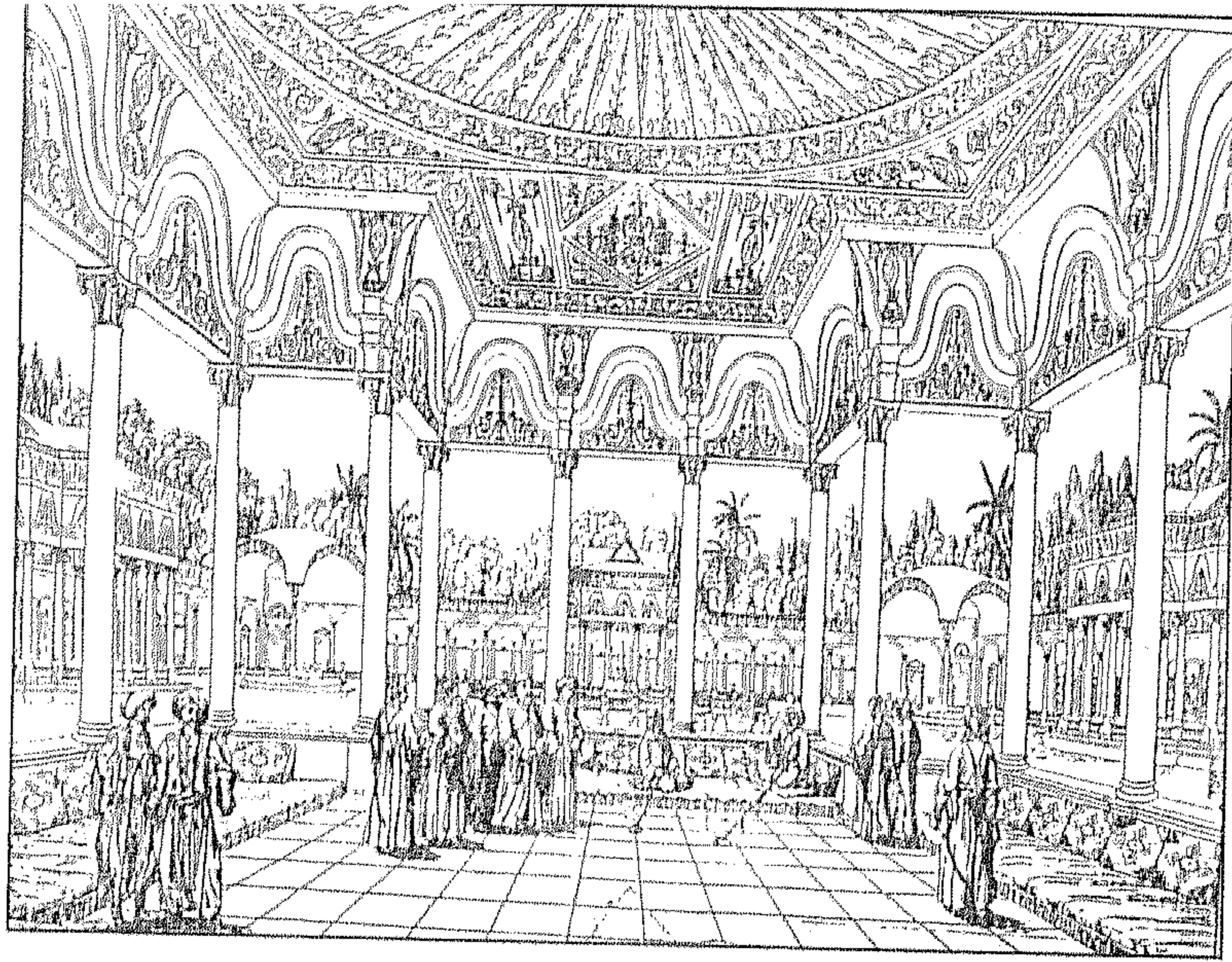
باسكال كوست



تصميمات سرای شیرا - پاسکال کوست



سرای شیراز - باسكال كوست



سرای شیراز من الداخل

الماء، ويحيط بالبركة أربعة أروقة محمولة على مائة عمود أسطواني، وفي وسط كل ضلع من أضلاع البركة يبرز جوسق. أما أركانها فيوجد بها عقد موقر في كل ركن يبرز عن سقف الأروقة. تضم سراي الفسقية في أركانها أربعة قاعات هي:

قاعة الجوز: استمدت هذه القاعة اسمها من استخدام خشب الجوز بها في تجليد الأسقف

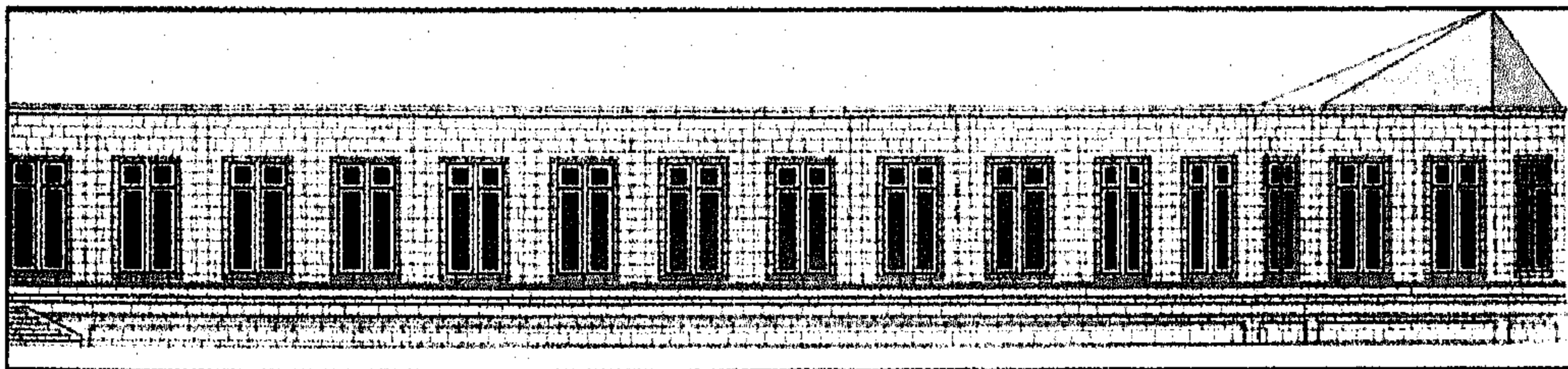
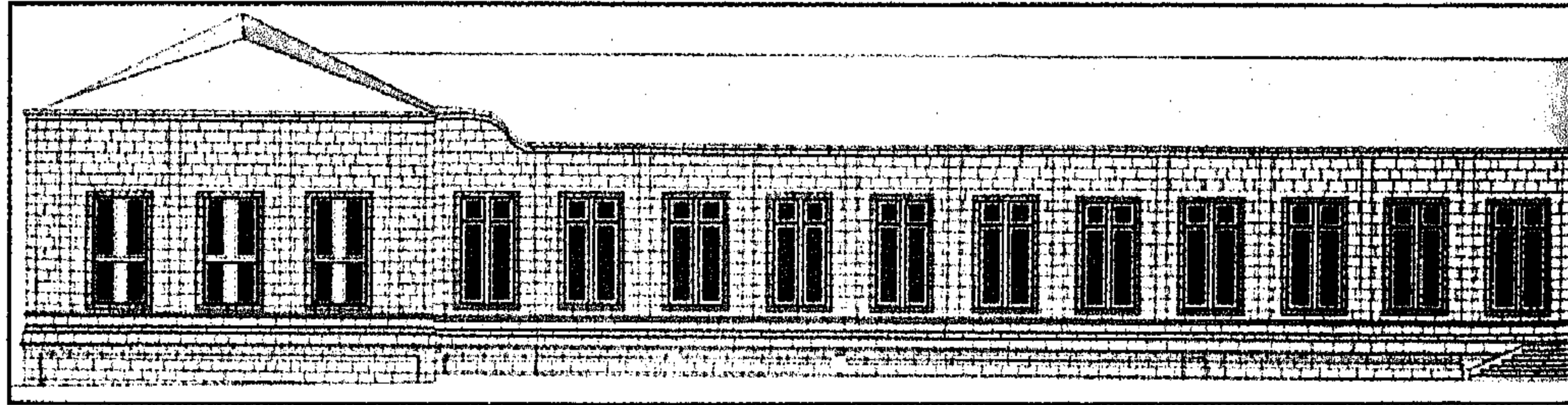
هذه الأعمال تتعلق بالماكينة البخارية التي تضخ المياه إلى البركة^{١١}، كما شارك مهندس إنجليزي في أعمال البركة هو "كلدي" ولعله كان مختصا بشبكة الصرف وتصميم البركة^{١٢}. وفي الأركان الأربعة للبركة أربعة أسود رابضة تخرج المياه من أفواهها. وفي أرضية هذه المثلثات التي ربيضت عليها هذه الأسود حفرت أنواع الأسماك بحركاتها المختلفة وهي تسبح في

وزين السقف بأشكال زخرفية هندسية مذهب بها رسوم طيور وحيوانات ونساء وتتوسطه صرة خشبية ذات زخارف محفورة تتدلى منها سلسلة الثريا، وإزار السقف مقسم إلى حشوات زخرفية^{١٢}.

قاعة البلياردو: تقع هذه القاعة بالركن الشمالى الغربى لمبنى سراى الفلسقية، وهى قاعة مستطيلة، يقع مدخلها فى الركن الجنوبى الشرقى منها، أما الركن الشمالى الشرقى فتشغله حنية نصف دائرية استغلت كدولاب حائطي. وبالجدار الشرقى حنية متسعة يتوجها عقد نصف دائري، رسم بها معبد مصرى قديم^{١٣}. ويتوج قمة المدخل والحنيتين الشرقية والشرقية عقد ثلاثى مرتد الواجهة، رسمت عليها مناظر لنساء عاريات ورسوم مناظر طبيعية. وبالحائط الشمالى أربعة نوافذ وفى كل من الحائطين الغربى والجنوبى ثلاث نوافذ. والسقف مزخرف بأشكال هندسية ونباتية ورسوم نساء وبوسطه صرة من الخشب المذهب المزخرف بالحفر الغائر. وتأخذ واجهة قاعة البلياردو وملحقاتها ربع الدائرة.

والأرضيات. وفى الدواليب الحائطية بها وعددها ثلاثة دواليب. ويوجد بالقاعة فى طرف الضلعين الشمالى والجنوبى مرآة ضخمة داخل إطار خشبى مزخرف بالحفر بوحدات عبارة عن أوانى زهور. ويتوج الإطار ثلاثة عقود نصف دائرية، وقد طلى هذا الإطار بماء الذهب، وفوق النوافذ والدواليب يلتف إطاران من الزخارف المنحوتة تحتها بارزا فى الخشب وهى مذهب وزخارفها عبارة عن فرع نباتى تخرج منه الزهور، ويعلو ذلك شريط عريض من الزخارف النباتية داخل مناطق مستطيلة ذات أرضية زرقاء، لونت زخارفها بالذهب. وتعرف هذه القاعة أيضا بقاعة الجلسات^{١٤}.

قاعة الطعام: تقع هذه القاعة فى مواجهة قاعة الجوز على الطرف الغربى من الرواق الجنوبى، ومسقطها مثنى غير منتظم من الداخل، وقد شطفت أركانها وفتحت بكل ركن نافذة تطل على الحديقة والجداران الشرقى والجنوبى فتحت بكل منهما نافذتان، أما الجداران الآخران فيفتح بكل منهما باب يؤدى إلى حجرة من الحجرات الملحقة.



سراى الفلسقية - الواجهة الغربية

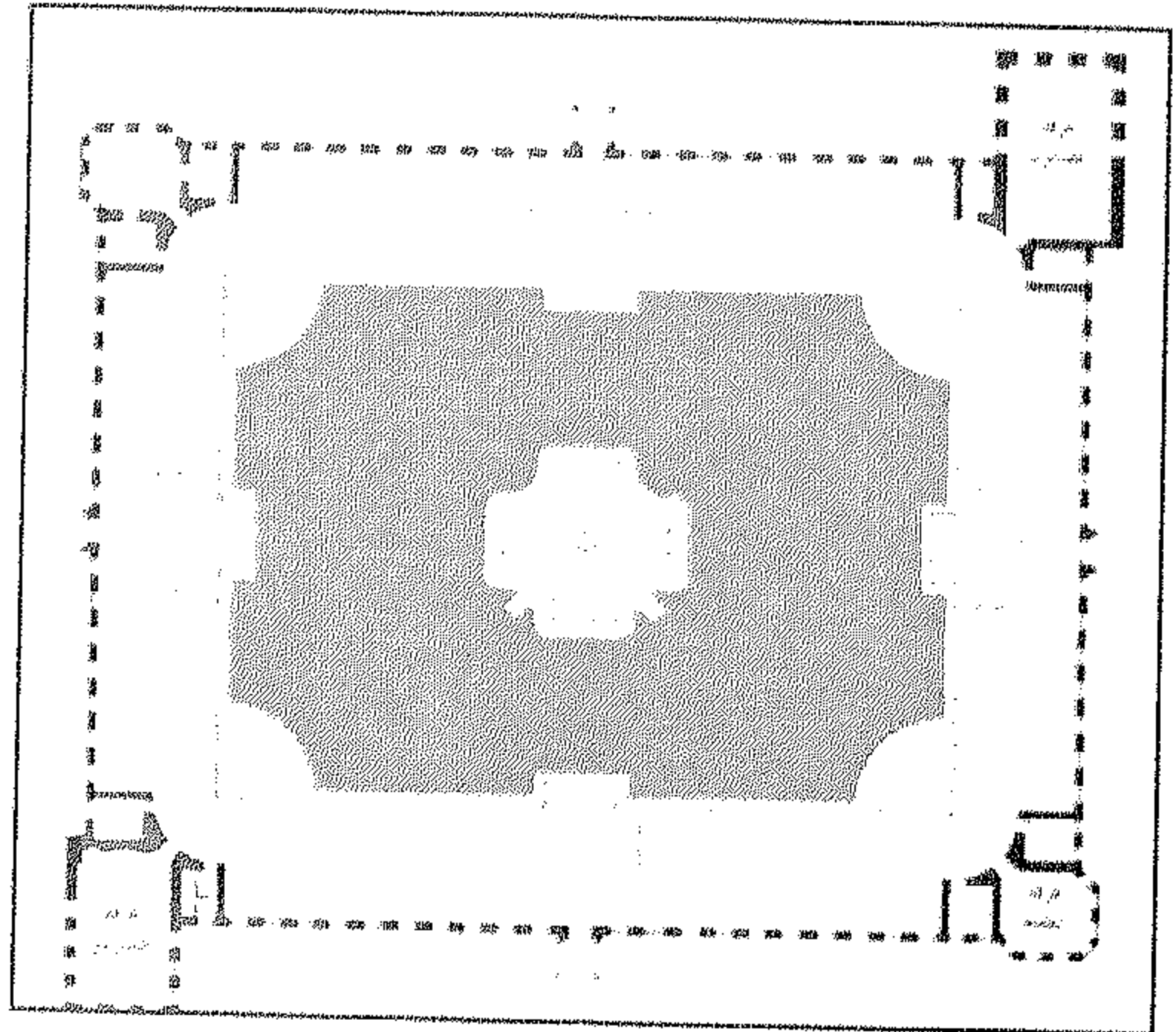


سراى الفسقية

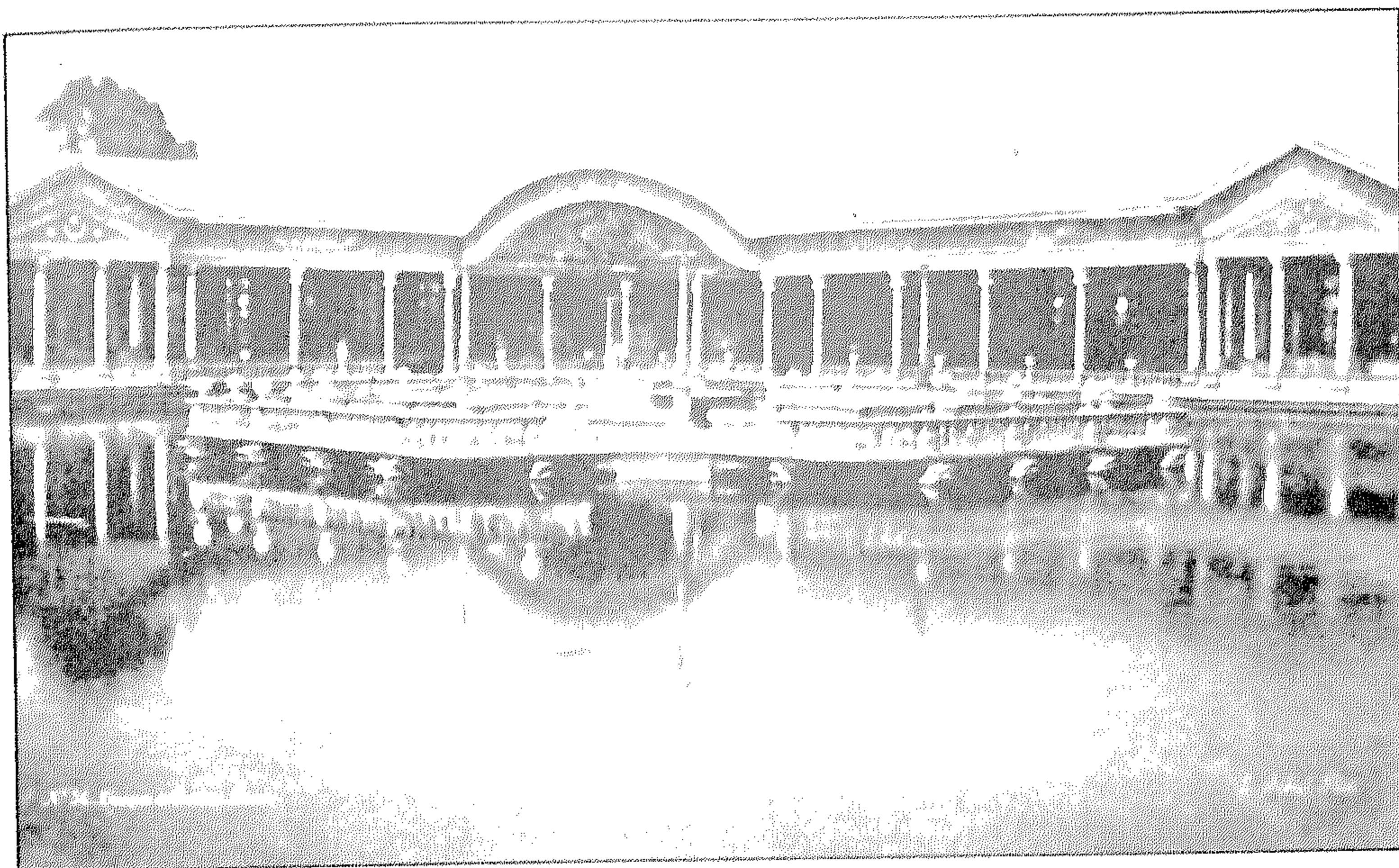
القاعة العربية: تقع هذه القاعة بالركن الشمالى الشرقى، سميت بالقاعة العربية لغلبة الزخارف العربية عليها، ومسقطها مثنى، وهى ذات أركان مشطوفة، بكل شطف نافذة، وبكل من الحائطين الشمالى والشرقى نافذتان، وأما الحائطان الجنوبى والغربى ففتح بكل منهما باب يودى إلى حجرتين ملحقتين بالقاعة. وسقف القاعة به زخارف نباتية مذهبة وملونة بعدة ألوان، به زخارف كتابية بها اسم محمد على باشا وإبراهيم باشا وتحوى تاريخ ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م.

سراى شبرا الصغيرة

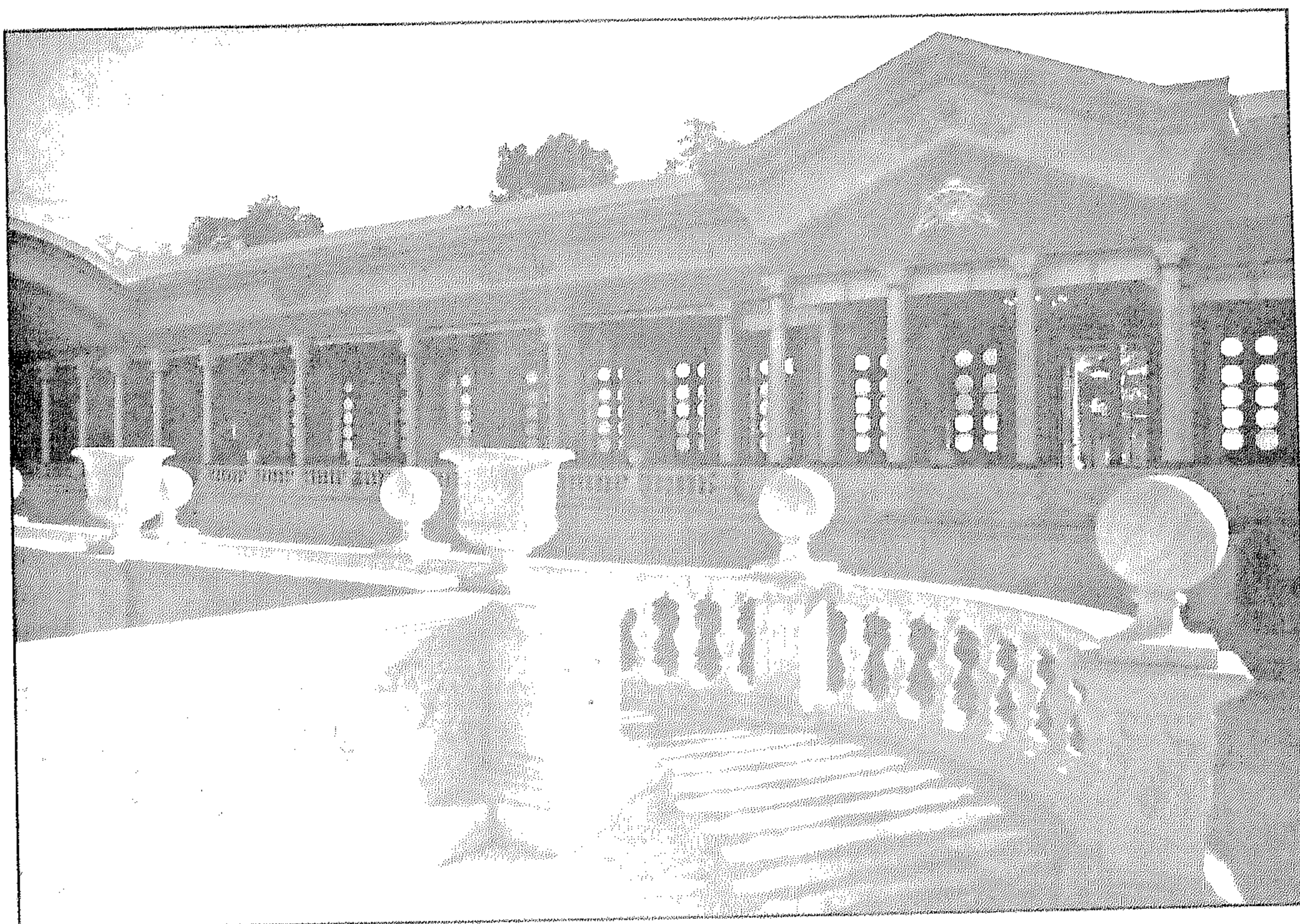
بدأ التفكير فى إقامة هذه السراى فى ١٩ محرم ١٢٥٠ هـ / ٢٩ مايو ١٨٣٤ م حينما ورد أمر عال إلى ناظر شبرا بانتخاب مساحة من الأرض قدرها ٨ أفدنة داخل حديقة شبرا، وأن يُبنى داخلها كشك أرضى أى من طابق واحد، يحتوى على خمس أو عشر حجرات، وكلف



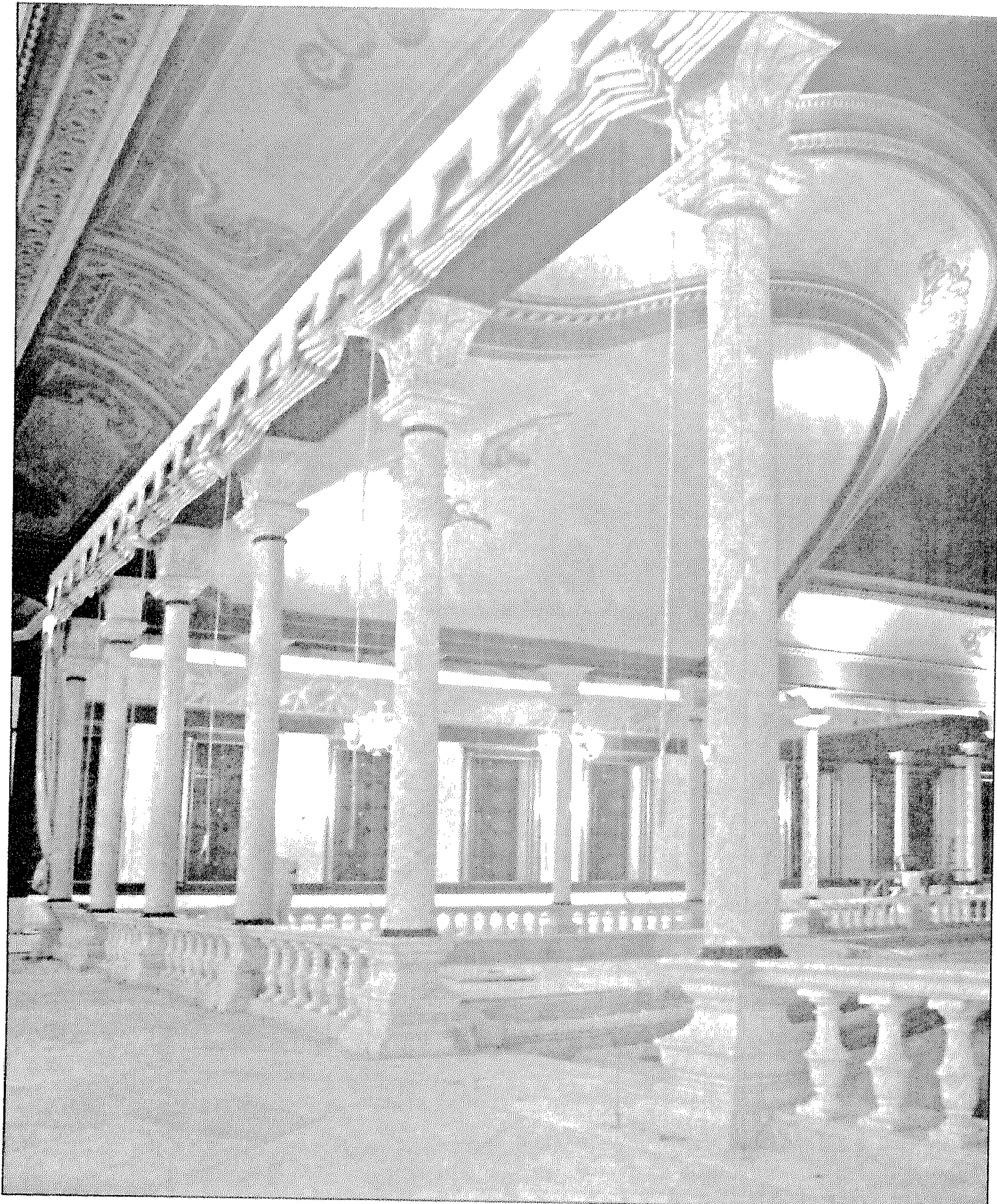
سراى الفسقية - مسقط أفقى



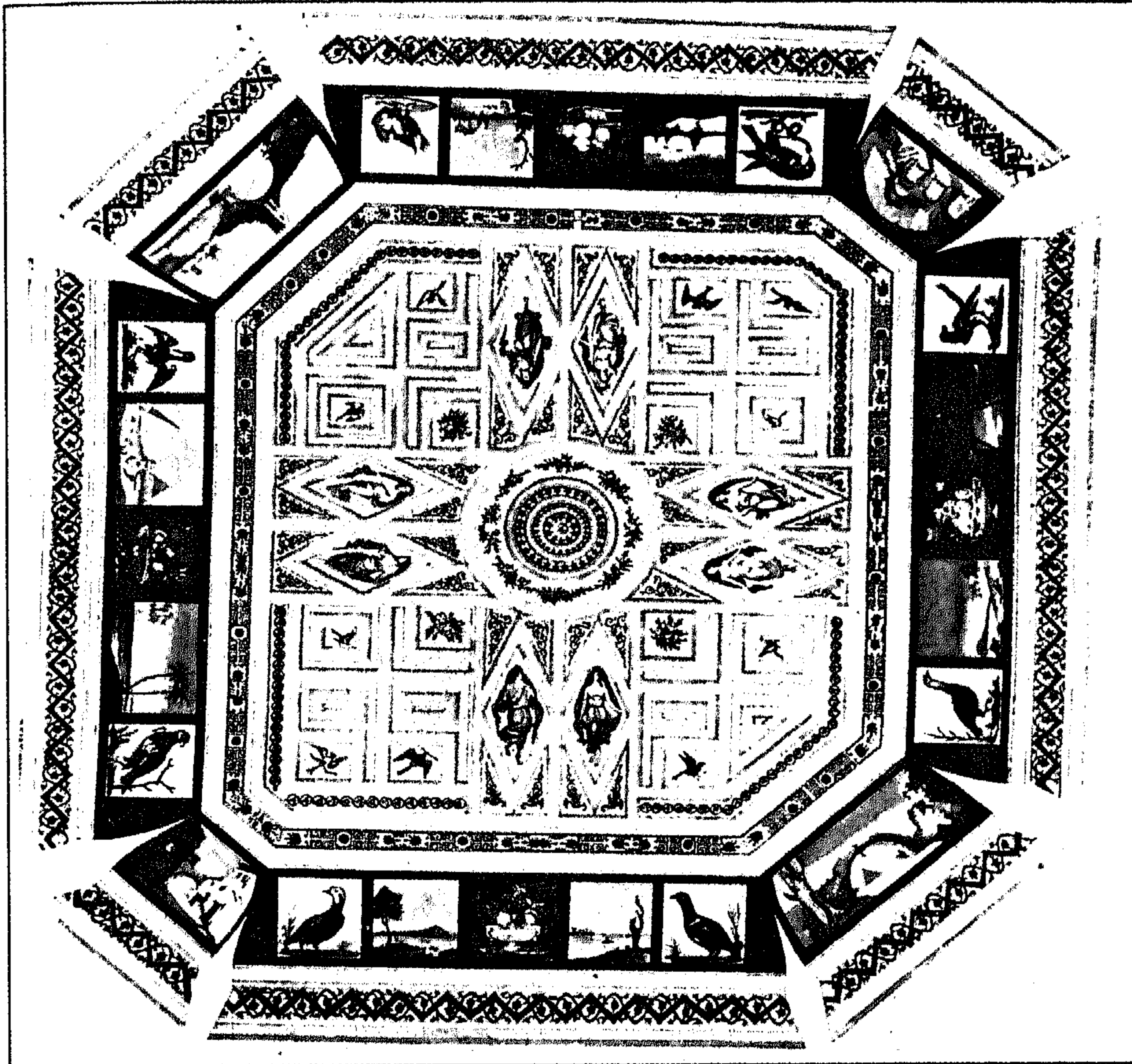
سراى القسقية - تفاصيل



سراى القسقية - تفاصيل



سراى الفسقية - تفاصيل



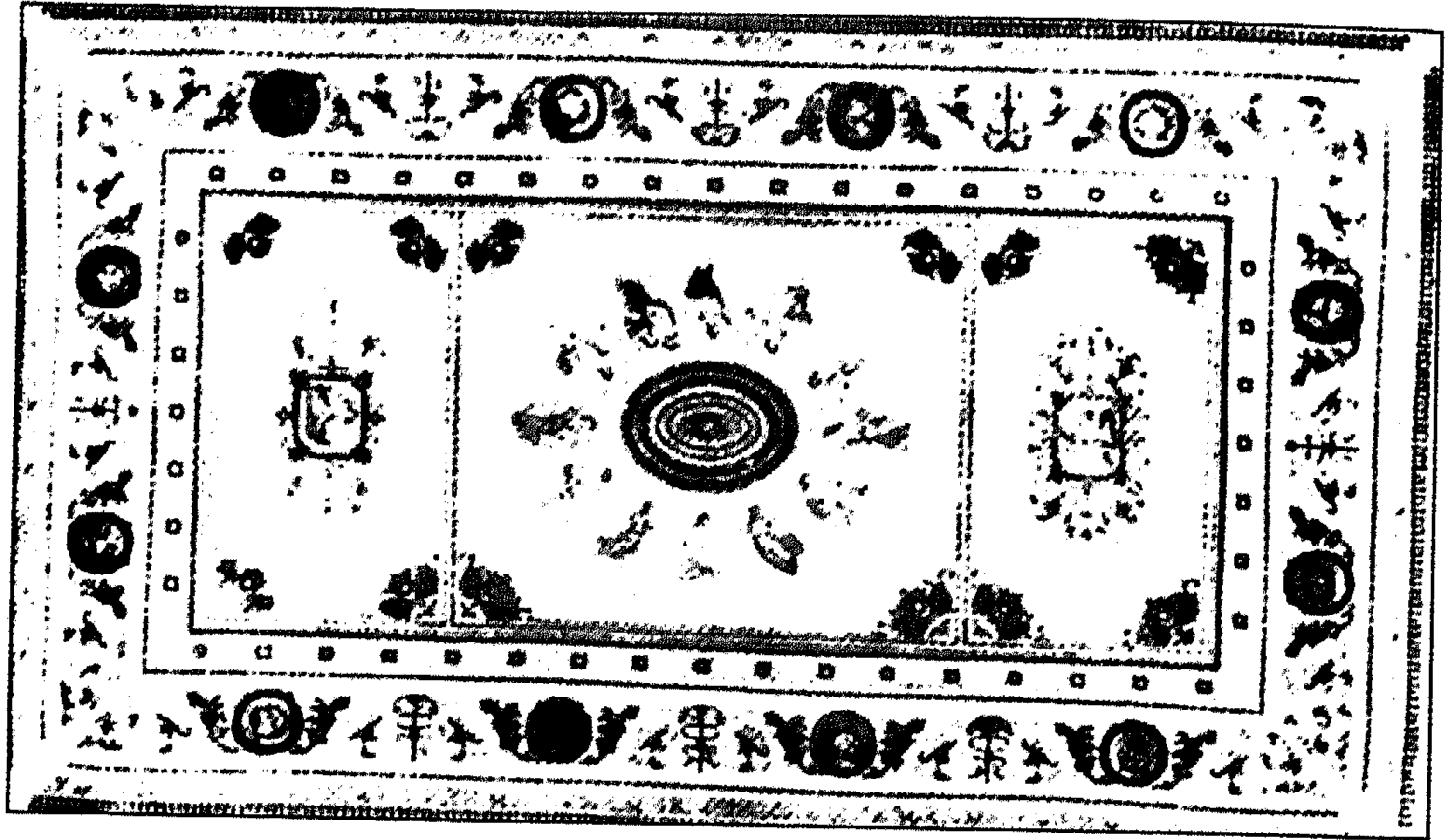
قاعة الطعام - زخارف السقف

بها تجديدات في عصر عباس الأول^{١٣}. ومن المرجح أنه كان يتوسطها بركتان للمياه، تم تخصيص ظلمة مياه لهما حتى لا يدخل السقاءون إليهما. وربما خصصت هذه السراي للحريم^{١٤}.

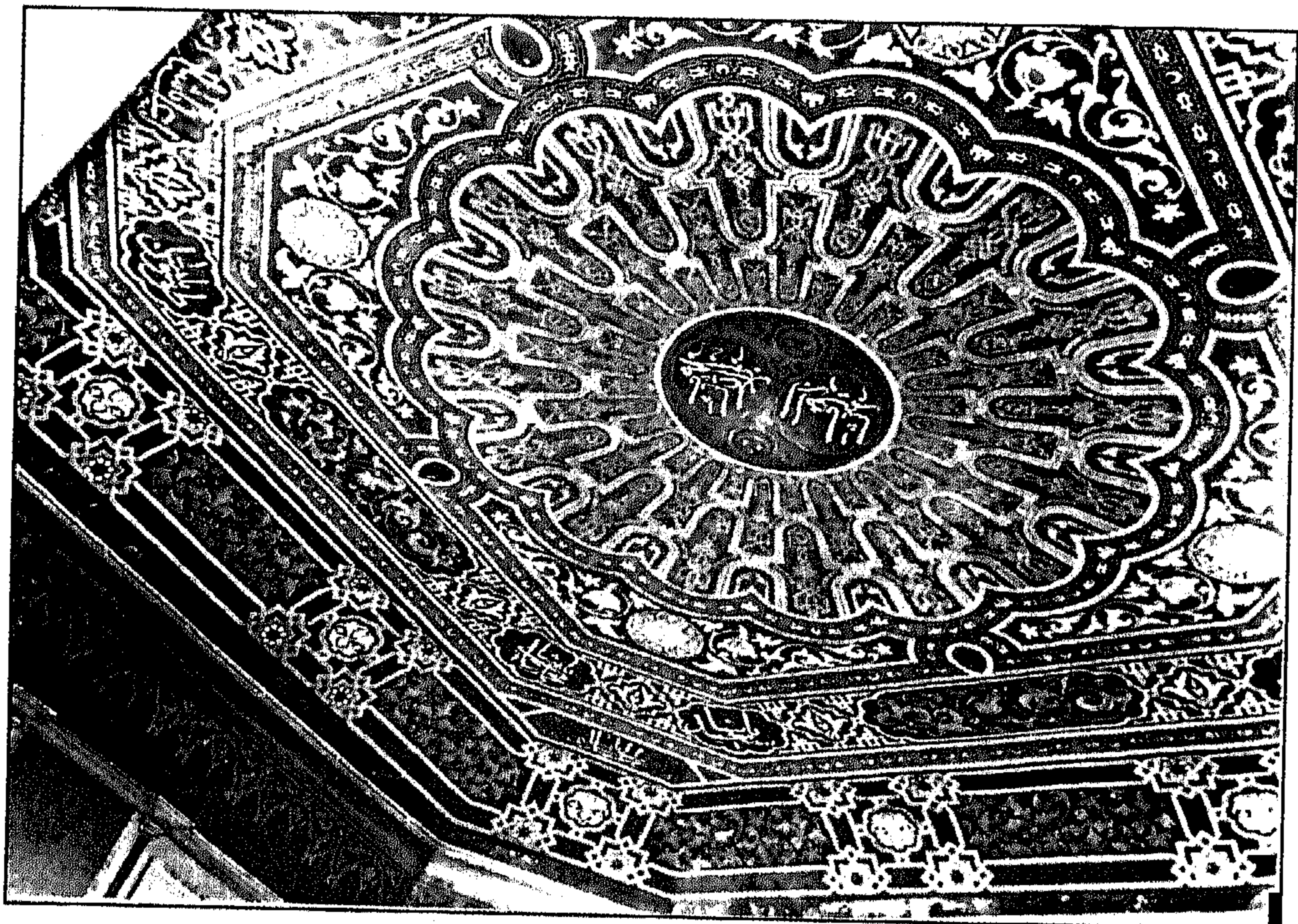
سراي الجبلية

أقيمت هذه السراي على جبلية أو تل صناعي، بدأت أولى خطوات إقامته في ٣ شعبان ١٢٥٢هـ / ١٤ نوفمبر ١٨٣٦ م. عندما عرض أحمد بك مفتش الأبنية على محمد

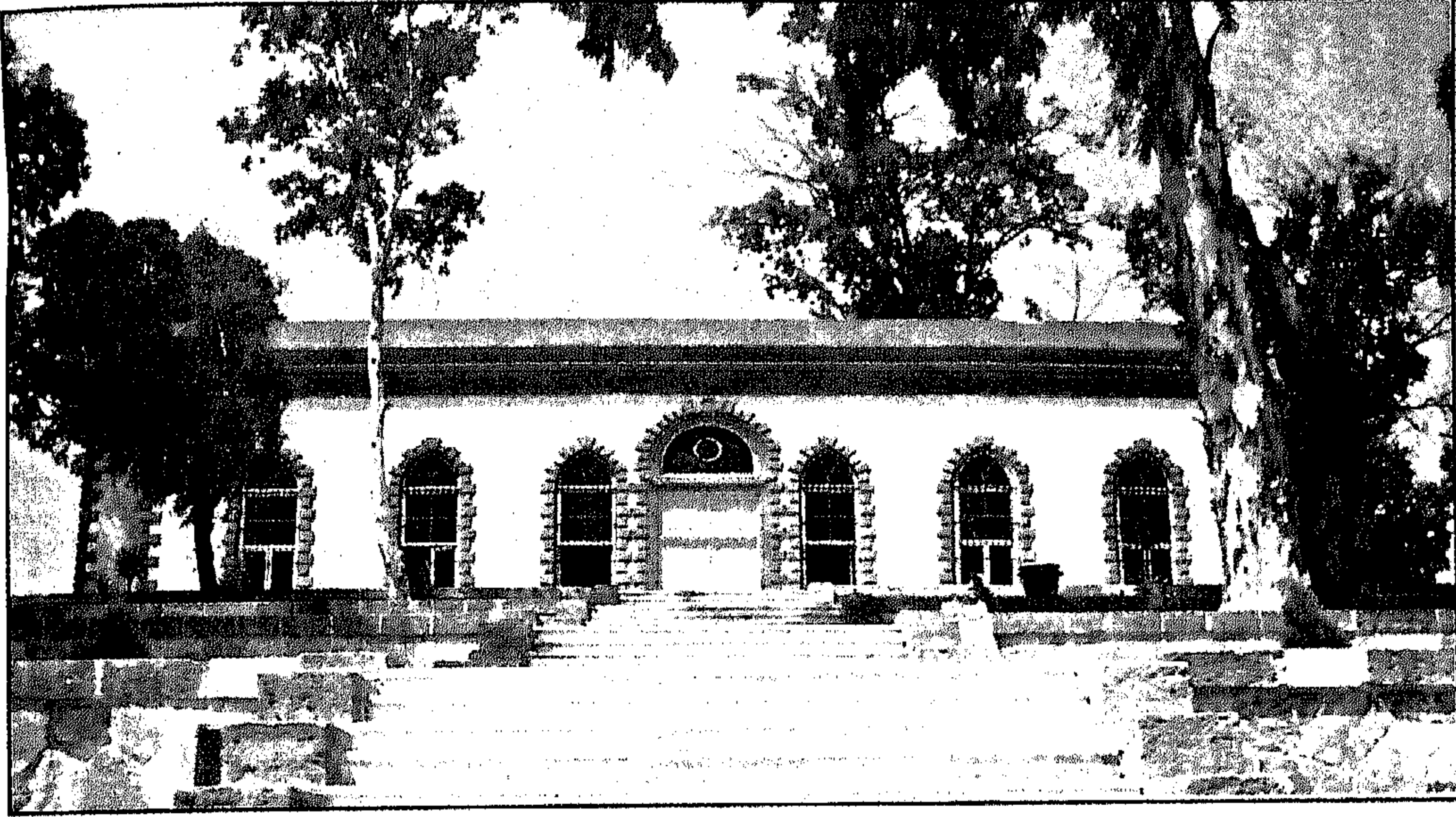
حكيكيان وهو مهندس أرمني^{١٥} بعمل عدة تصميمات للكشك المذكور^{١٦}. وطلب محمد على أن يراعى في ذلك الكشك أن تكون جميع نوافذه مطلّة على الحديقة من جميع جهاتها الأربع^{١٧}. وأن تصنع الأعمدة الخشب اللازمة لهذا الكشك في ورشة بولاق^{١٨}. وضع محمد على حجر أساس هذا الكشك بنفسه في رجب ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م^{١٩}. وذلك بعد أن توافرت مواد البناء المحلية والمستوردة بالموقع ومنها الرخام^{٢٠} والطوب، هذا عدا الجير والخشب والأحجار من جبل طرة^{٢١}. ويبدو أن هذه السراي حدثت



قاعة البلياردو - زخارف السقف



القاعة الغربية - زخارف السقف



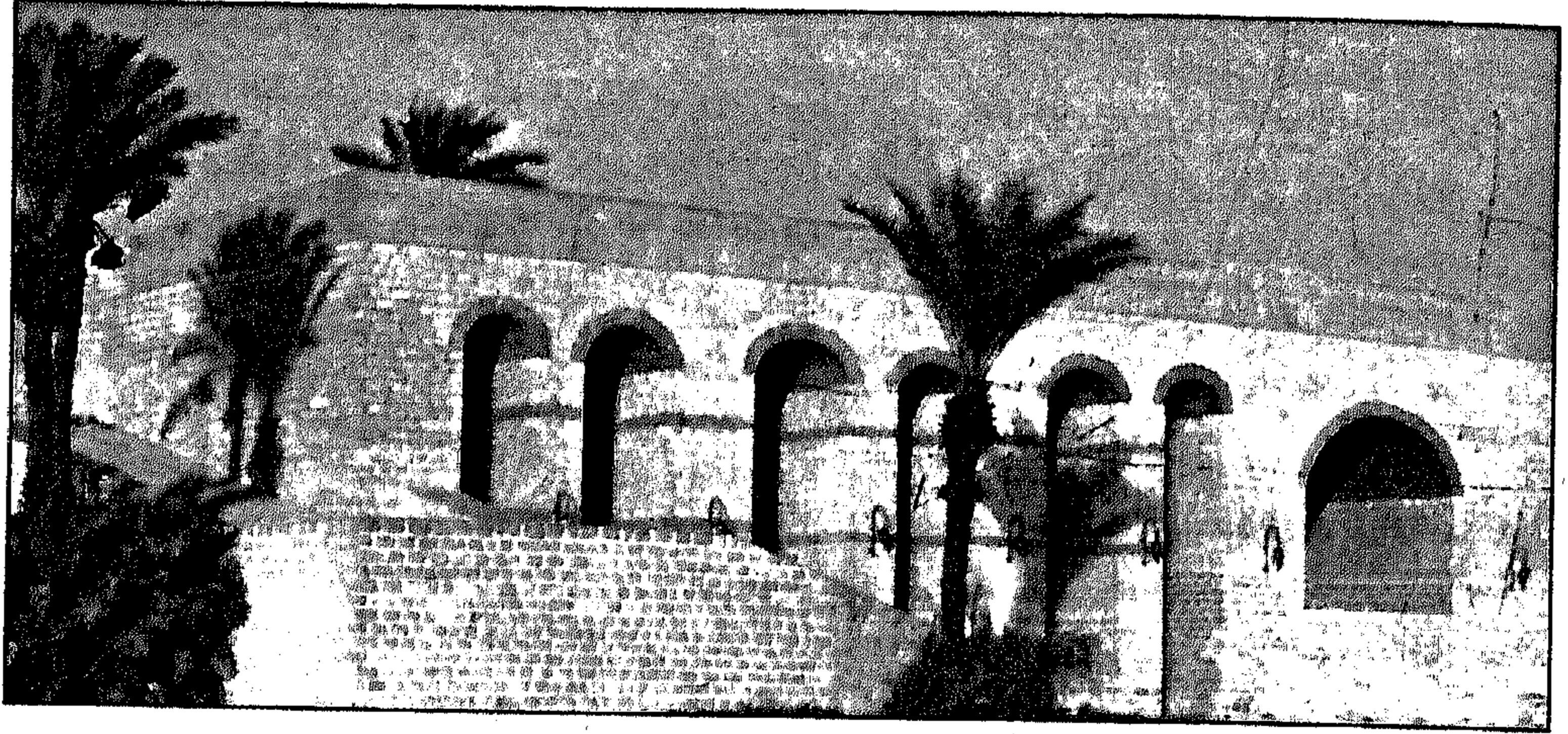
سراى الجبلية

المعمار أطراف الواجهات، وكذلك فتحات النوافذ والأبواب بمداميك حجرية غائرة وبارزة على هيئة الجنزير.

يعتمد التصميم الداخلى للسراى على كتل محورية تلتف حولها وحدات التصميم المكونة للسراى، وهذه الكتلة عبارة عن صالة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب، ويتخذ منتصف هذه الصالة مسقطاً دائرياً تتوسطه فوارة مستديرة من الرخام تسقفها قبة ضحلة مزخرفة بتفريعات نباتية قسمتها ثمانى مناطق، وفى مركز القبة أشكال تيجان يحيط بها زخارف نباتية وزهور مذهب. وبقية سقف الصالة خال من الزخارف غير أن السقف يبدأ بطى زخرفى يعتمد على زخرفة البيضة والسهم. والقطاع الجنوبي من السراى يمتد بطول الصالة ويفتح عليها بثلاثة أبواب، تؤدي إلى ثلاث حجرات تفتح الجانبين منها على الوسطى ببابين، ويشبه القطاع الشمالى سابقه، وتعد الحجرة الوسطى بمثابة قاعة كبيرة^{١١٤}. وألحق بهذه السراى مطبخ وكلار، وذلك أسفل بروز الواجهة الجنوبية.

على تصميمها لإنشاء جبل صناعى على شكل هرم مدرج فى محل الكرم القديم أمام سراى شبرا، وبمقتضى الرسم يحتاج التنفيذ إلى ١٠٠٠ ذراع من البناء، ونال هذا التصميم موافقة محمد على^{١١٥}. وفى ٤ سبتمبر تم إخبار محمد على بانتهاء العمل فى هذه الجبلية، وسألت الوثيقة عن رأى الباشا فى ألوان القماش الذى يراد تأثيث كشك الجبلية به^{١١٦}. ويذكر دليشفالرى أن سلم الجبلية يبلغ عدد درجاته ١٥٠ درجة مصنوعة من الحصى المرصوف على شكل فسيفساء وجانباه من المرمر الأبيض وغطيت السلالم بأشجار دورانية فأصبح هذا السلم أشبه بالنفق^{١١٧}. وتم تزويد كشك الجبلية بفسقية. توقف العمل بها بوفاة محمد على، وأكمل فى صورته النهائية فى عصر الخديوى عباس حلمى الأول^{١١٨}.

يقع بناء السراى على سطح مستوى أعلى الجبلية، ويعتبر السلم الغربى هو الرئيسى لمواجهته سراى محمد على، وتبلغ المساحة الكلية للسراى ٤٠,٣٤٥ م وهو مبنى مستطيل ولاستقلاله عن أية أبنية مجاورة له. فقد أولى المعمار لواجهاته عناية خاصة، فحدد



سراية شبرا - الساقية

معمل لتحضير الغاز

كان أول استعمال للإنارة بغاز الاستصباح فى مصر فى قصر شبرا، وتبقى بعض أعمدة الإنارة به فى الجبلية، حيث وضعت على المدرجات^{١٢٧}. كان إدخال هذه الوسيلة للإنارة على يد المهندس جالوى سنة ١٨٢٤م فى احتفال يسمى أقيم فى الرابع والعشرين من مارس من هذه السنة^{١٢٨}. وذلك بعد الانتهاء من إنشاء معمل لتحضير هذا الغاز بالقصر.

إذا كانت هذه المنشآت هى أبرز معالم قصر شبرا، فإنه تجدر الإشارة إلى أن حديقة القصر كانت تضم بعض الأبنية المتناثرة مثل مسرح السمر المبنى على الطراز البيزنطى. فضلا عن العديد من الوحدات المعمارية الخدمية.

حديقة شبرا

تكشف حديقة شبرا السبب الظاهر لاتجاه محمد على نحو هذه المنطقة، إذ بين دلشالفرى أنه أراد أن يتخذها مصيفا، ويبدو أن هذا كان جزءا من وظيفتها فى عصر الولاة العثمانيين، تم تأسيس هذه الحديقة عام ١٨٠٦م. أى قبل شروع محمد على فى إقامة العديد من المنشآت لإقامته هناك بدءا من عام ١٨٠٩م. بلغت مساحة حديقة شبرا سبعين فدانا وكانت تقع شرق قصر شبرا^{١٢٩}. وهى منشأة على النمط المصرى المنتظم، تتخللها

القصر المستجد

أنشئ هذا القصر فى عهد عباس حلمى الأول. وورد الأمر ببنائه فى شوال ١٢٦٦ هـ / أغسطس ١٨٥٠م، ونص أمر البناء على تشييد قصرين أحدهما فى المنيل وآخر فى شبرا. ومن المرجح أنه شيد عوضا عن قصر آخر احترق فى محرم ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥م. وكان محمد على وافق على تشييد القصر الجديد، ولكن حالت وفاته دون البدء فى هذا المشروع. ولكن عندما تولى عباس الحكم أمر بإتمام البناء^{١٣٠}.

السواقي والصهاريج

ألقى بقصر شبرا عدد من السواقي والصهاريج إحداها كانت من صنع المهندس الإنجليزى برسيد، كان معظمها يقع على خط مستقيم مع قصر شبرا الكبير. وقد تبقى برج إحدى هذه السواقي إلى الآن، وهو يعود لسنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١١م.

برج الطيور

تذكر الوثائق اسم هذا البرج لأول مرة فى ١١ شوال ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥م، حينما طلب المهندس حكيكيان تصنيع ١١٦ عامودا^{١٣١}. فى ورشة الحديد ببولاق خاصة بأبنية تبني فى شبرا من ضمنها هذا البرج.

طرق مستقيمة ممتدة في جميع الاتجاهات، والأقسام المحصورة بين الطرق زُرعت بأشجار الفاكهة ونباتات الزينة. وجلبت لها النباتات من كل مكان لأنها استغلت في التجارب. وشاب هذه الحديقة عيب كبير، حيث لم يكن ردمها كافياً، وهو ما أدى إلى غرقها في مواسم فيضان النيل^{١١١}. وحال ارتفاع تكلفة إصلاحها دون ذلك أحياناً. واقتطع جزء من هذه الحديقة قدره ٨ أفدنة لتقام به حديقة خصوصية بُنى بداخلها كشك للحريم^{١١٢}. وأهملت هذه الحديقة فيما بعد، بخاصة بعد أن آلت بالوراثة إلى الأميرة هانم ابنة الخديوي إسماعيل، بعد أن ورثتها عن أمها، فأمر إسماعيل نظارة المالية بشرائها لصالح الدولة^{١١٣}.

ولا نستطيع أن نتخيل شبرا كمنطقة مختارة كأحد مقار الحكم في عصر محمد علي، دون أن يكون لها اتصال بالمدينة الرئيسية القاهرة، فكان هناك طريقان: الأول، طريق النيل، وقد استخدم مرات عديدة من قبل محمد علي. والثاني طريق برى فتحه محمد علي في سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٦م. عرف بشارع شبرا، امتد من ميدان رمسيس حالياً وحتى قصر شبرا، وغرس الأشجار على جانبيه. وبني على جانبه الغربي عدة قصور. وهو ما ساعد على نمو شبرا عمرانياً^{١١٤}.

لقد كان محمد علي متأثراً في قصره بسلطين العثمانيين، حين قام ببناء القصور المحاطة بالحدائق والجواسق^{١١٥}. وإذا كان التأثير العثماني محدوداً فيما سبق، وكان أبرز وضوح له في المنشآت الرسمية من قبل الولاة في عصر قوتهم بمصر والمنشآت المشيدة من قبل السلاطين، إلا أن استدعاء محمد علي لصناع من الدولة العثمانية وأوروبا^{١١٦} ساعد على قوة انتشار ما يعرف بالطراز الرومي المنسوب لبلاد الروم أي إستانبول والقسم الأوربي من الدولة العثمانية، وهو يعتمد على الأخشاب كعنصر إنشائي أساسي، ورغم اعتراف محمد علي بفشل هذا الطراز وضعفه إلا أنه استمر في استخدامه في العديد من منشآته^{١١٧} علماً بأن العديد من العناصر المعمارية والزخرفية الأوروبية تفلقت في هذا الطراز.

مقر الحكم في عهد عباس حلمي الأول^{١١٨}
تعددت القصور التي أقام بها عباس حلمي الأول خلال فترة حكمه لمصر والتي امتدت من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٤م. ويمثل عباس حلمي صورة لحاكم أغلق بلده في وجه الأجانب خوفاً عليها منهم، وحاول في ظل الصراعات الدولية آنذاك أن يحفظ كيانه، وكال له الأجانب وتبعهم المؤرخون اتهامات لا حصر لها. بينما تدل أعماله العمرانية على بعد نظره، والذي أثبتته التوسع العمراني للقاهرة في العصور التالية لعصره.

تركزت قصور عباس حلمي في عدة محاور، لعل أولها المحور الداخلي بالمدينة القديمة وتمثل في سراي الخرنفش وسراي الحلمية. والمحور الخارجي وتمثل في سراي العباسية وسراي الدار البيضاء وسراي بنها.

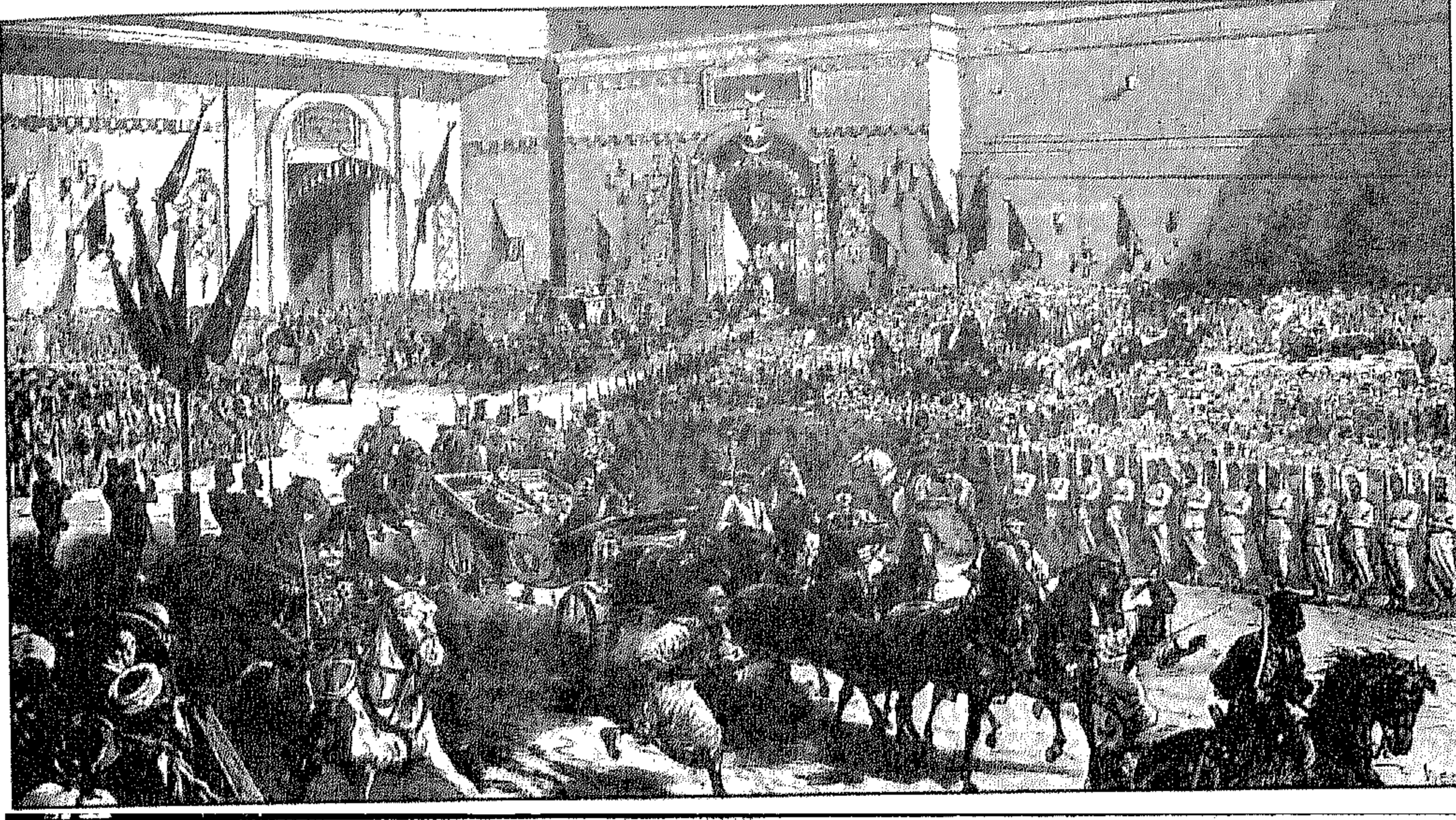
المحور الداخلي

تعد سراي الخرنفش التي شيدها داخل المدينة القديمة أكثر تأثراً بطرز العمارة الإسلامية في مصر عن باقي سراياته، إذ كانت ذات إيوانات وفناءين وبستان صغير. وعرفت بالإلهامية نسبة لابنه إبراهيم إلهامي باشا^{١١٩}. أما سراي الحلمية فتعود أهميتها لقربها من القلعة، ولأنها كانت محل إقامة العديد من الأمراء بدءاً من العصر المملوكي، وزادت في العصر العثماني رغبة كبار الأمراء والتجار في السكن في هذه المنطقة الواقعة على ضفة بركة الفيل^{١٢٠}.

أمر عباس ببناء هذه السراي عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م. وبالف في تشييدها وسعتها، أنشأها في مكان بيت إبراهيم بك شيخ البلد وبيت مراد بك وبيت محمود بك كتحدا محمد علي وبيوت أخرى لأمراء سابقين. وكلف عباس على باشا مبارك - بعد عودته من فرنسا - بعمل تصميم لميدان وإسطبل وعريخانة وجبخانة وسجن ملحقة بالقصر وميدان يجدد هواء المنطقة^{١٢١}. وهذه السراي جمعت في عمارتها بين الطراز الرومي والعمارة الأوروبية الوافدة وبعض التأثيرات المحلية. وقام بتأثيث هذه السراي الخواجة بتراكى بمفروشات استوردت من أوروبا^{١٢٢}.



عباس حلمي الأول



سراى الحليمية

سراى العباسية

أثبتت الحوادث ومجريات الأمور بعد عصر عباس بعد نظره حين أقام قصرا له في صحراء الحصوة أو الريدانية، وكان لسياسات عباس التي تهدف إلى تحييد مصر في الصراع الدولي ومحاولاته الحصول على استقلالها، وكرمه الفرثيين مما كان له أثر في نشأة آراء ضده لدى المؤرخين، ولم يكن قصر عباس، مكانا منفيا بالصحراء، بل شيد في منطقة تعد امتدادا عمرانيا طبيعيا للعاصمة، حيث انتهت قرافة الممالك، بل دخلت قبة العادل طومان باي ضمنه. فضلا عن قربها من منطقتي الظاهر وباب الشعرية، وهما الامتداد الشمالى للمدينة، وصحب إنشاء قصر عباس تشييد حى سكنى جديد عرف بالعباسية وزعت أراضيه على أعيان مصر وأثريائها وأفراد الأسرة المالكة. ويتضح من المصادر التاريخية أن العباسية خطت كحى سكنى حديث. كان عباس قد أصدر أمرا في ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ/ ٢٠ مايو ١٨٤٩م إلى رئيس مجلس الأحكام بسرعة تنفيذ هذا المشروع لتعمير مدينة القاهرة، وحث رجال الدولة على سرعة البناء ووضع عقوبات على عدم أو تأخر التنفيذ، ونص هذه الإرادة:

"غنى عن البيان أن أبنية موطننا العزيز مدينة القاهرة ليست على الطراز الحديث - وهذا يعنى أن عباس أراد تشييد مساكن العباسية على الطراز الرومى أو الأوروبى الذى بدأ يشيع فى مصر - وأن المساكن الموجودة فيها قديمة ومشرفة على الخراب، وحيث إن البلاد وما حوالها والحمد لله فى أمن وأمان وأمرأها كلهم من أصحاب الثروة واليسار، وهنا يشير إلى الاستقرار الذى حدث فى مصر بدءا من عام ١٨١١م حين نجح محمد على فى القضاء تدريجيا على خصومه وبالتالى نرى الاضطرابات المستمرة التى كانت تسود القاهرة - وحيث إن صحراء الحصوة ممتازة بجودة هوائها فيجب فى هذه الحالة إقامة العمارة بها والإقامة فيها والاستفادة والتمتع من بهائها - الطقس الجيد هنا أحد أسباب رغبة عباس فى إقامته هذا الحى السكنى - لهذا قد صدرت إرادتنا بعد عودتنا من الأستانة لوضع خريطة وافية لهذه الصحراء وتقسيمها قطعاً أساسية وتوزيعها على أمراء وذوات مصر ليبنى كل واحد قصرا فخما لنفسه...".^{١٣٧} ويؤكد باقى الأمر على عدم التزام الأمراء والذوات بالبناء فى العباسية إلا عدد قليل منهم، وشدد عليهم بسرعة البناء.

القصر

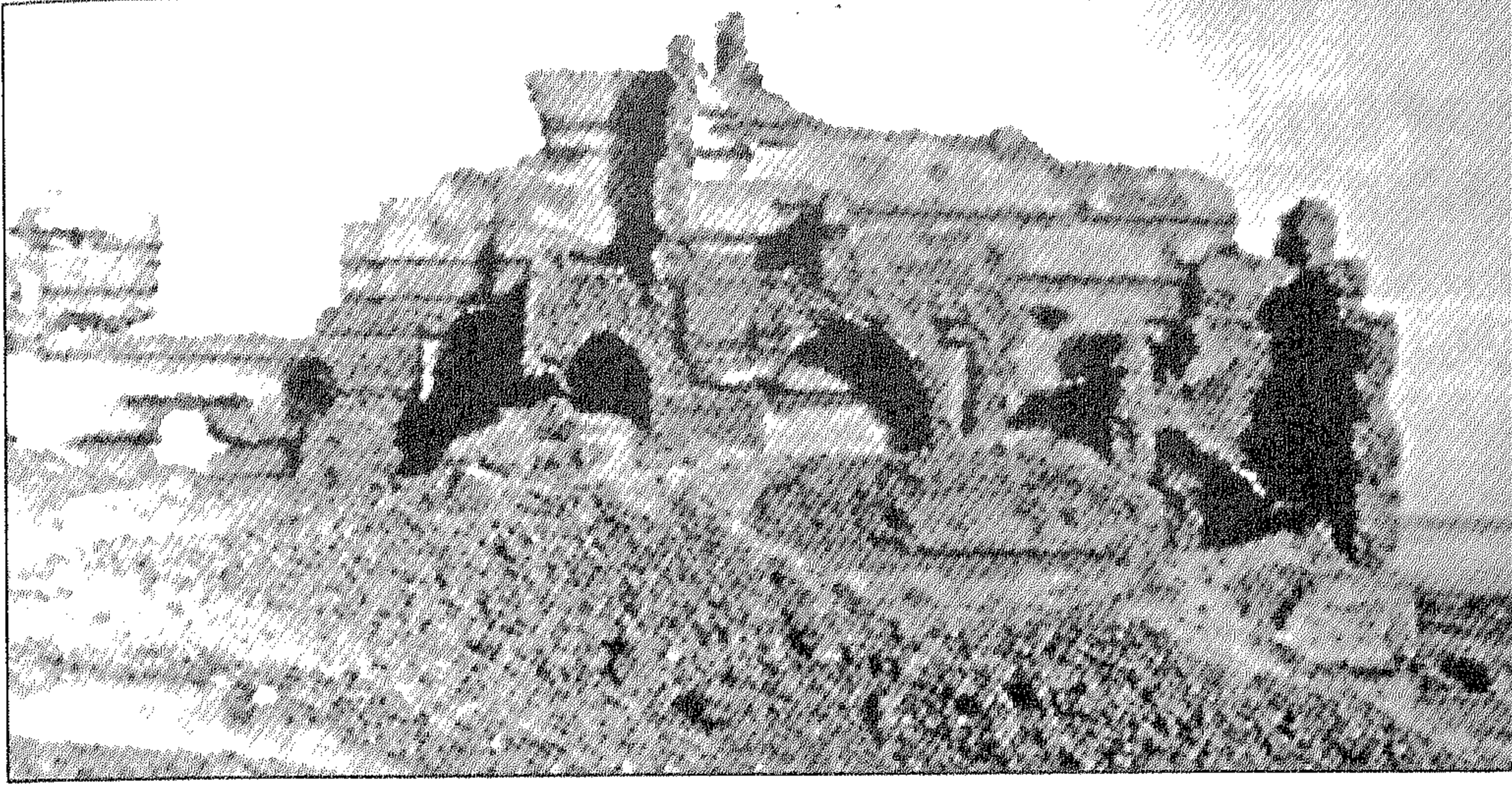
اتسم قصر عباس باشا بالعباسية والذي يقع في المساحة الواقعة الآن من طريق صلاح سالم حتى الكلية الفنية العسكرية، وذلك من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب من معهد إعداد فنى القوات المسلحة وحتى ميدان العباسية، وقد وصف القصر العديد ممن شاهدوه من الأجانب ومنهم جاسبرن الذي شاهد القصر عام ١٨٤٨م. وذكر أن كل شيء أتى من باريس ما عدا ثلاثة أشياء هي: نسيفساء صالة البلياردو، الأرضية الرائعة المكونة من البلاطات الكبيرة من الألبستر المحلى، الحمام^{١٣٠}.

وفي عام ١٨٥٥م يصف فرديناند ديليسبس هذا القصر بأنه يضم ٢٠٠٠ نافذة، وهو ما يعكس ضخامته^{١٣١}. أما شارل دبدر في عام ١٨٦٠م، فيرى أن عمارته ليس لها مثيل في القاهرة، والتي يرى أنها تفقد روح وعاطفة الفن الشرقي، وكان من جراء ذلك أن ضاعفت من قيمة ما تبقى من هذا الفن^{١٣٢}. والتكوين المعماري للقصر أمكن التعرف عليه بصورة مبدئية، فهو يشمل السلامك، والذي كان به الاستقبال ومكاتب عباس باشا وبعض الدواوين بخاصة ديوان الخديوى وأماكن الحرس الخاص، والحرملك وهو القسم الخاص بالحريم، ويبدو أن القسمين كانا متوازيين، ويتكون كل منهما من طابقين بينهما أدوار مسروقة^{١٣٣}. وألحق بقصر العباسية إسطليل كبير حوى أندر أنواع الجياد، كما زُود أيضا ببرج للحمام به أشهر أنواع الحمام العربي، وألحق به أيضا حديقة عرفت باسم فرحة النفوس^{١٣٤}. تعود نظرة الأجانب لهذا القصر إلى أنهم ينظرون إلى القاهرة في تلك الفترة على أنها مدينة ألف ليلة وليلة وبالتالي هم ينتظرون أن يروا فيها كل ما هو يتصل بروح الشرق وعمارته التي جاءت في الليالي، وما رأوه في عمارة قصر عباس ضخامة مستلهمة من العمارة الأوروبية المعاصرة فاستهجنوا ذلك.

أهمل هذا القصر بعد وفاة عباس وآل بالشراء إلى الخديوى إسماعيل، الذي شيد به مجمعا عسكريا وميدانا لسباق الخيل عام ١٨٤٦م، وبني هناك كشكا سماه "الأنفياترو" يشرف على ميدان السباق لكى يستطيع هو

والأمر يكشف عن تحول خطير في توجهات الدولة تجاه السياسة العمرانية، وبدأ تدخلها بصورة مباشرة في التخطيط العمرانى للمدينة، بل وإلزامها السكان بطرز محددة، وهو ما نرى صدها بقوة في عصر إسماعيل. غير أن محاولة عباس لم تتجج بصورة جيدة، لأن الأرستقراطية وطبقة الحكم لم تستجب له رغم محاولاته، وربما مرجع هذا أن الاعتراض من قبل صفوة المجتمع على الإقامة هناك يرجع إلى قلة القطاع الخدمى في العباسية، حيث لم توفر الحكومة البنية الأساسية للتعمير مثلما حدث في الإسماعيلية مثلا، ولكنها تركتها رهنا لرغبة الناس في وقت لم تكن فيه وسائل المواصلات تتيج فرصة للاتساع في نطاق يبعد كثيرا عن القاهرة مقر الأعمال والمصالح في تلك الفترة، بل في بيئة أكثر صحراوية من شبرا مثلا، لكن المحاولة أصبحت أكثر جرأة ونجاحا في عصر إسماعيل، ونحن نرى أن قصر فترة حكم عباس، وهى ست سنوات غير كافية للحكم على هذا المشروع، إذ إن المشروعات العمرانية تتطلب وقتا كافيا لكى تكتمل بخاصة في مشروع لم يعتد المصريون على مثله من قبل، إذ كانوا غالبا ما يرغبون في السكنى إلى جوار المدينة القديمة وفي داخلها أو بالقرب من شاطئ النيل لا في الصحراء.

وإعادة تعمير المدينة القديمة يحتاج إلى أموال طائلة بخاصة إذا أراد عباس فتح شوارع جديدة أمام حركة العربات، وإقامة قصور له على نحو ما فعل إسماعيل. بينما الأسهل والأقل كلفة الانتقال إلى خارجها. وكان لعلاقة عباس القوية مع القبائل العربية التي كان يراها ظهره الذى يحميه ويرتكز عليه في مواجهة أعدائه، بخاصة تركيا والأجانب، مع العلم بأنه سعى إلى إعلان مصر دولة مستقلة عن تركيا، كما سعى إلى نقل ولاية العهد لابنه إلهامي، كان لهذه العلاقة أثر في اختيار قصوره خارج المدينة حتى لا يسببوا أية اضطرابات أمنية بها، وحتى يسهل له الاتصال بهم، بخاصة في قصر الدار البيضاء الواقع على طريق القاهرة السويس^{١٣٥}. وكان قد شرع في بناء هذا القصر في عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م^{١٣٦}.



سراى الدار البيضاء

مقر الحكم في عهد سعيد باشا

تعددت مقار إقامة الحاكم منذ عصر محمد على، ولكن ظلت للقلعة رمزيتها كمقر رئيسى للحكم، فقد شهدت تولية عباس باشا الحكم فى قصر الجوهرة، فى حفل حضره أفراد أسرة محمد على وكبار العلماء ورجال الدين وكبار رجال الدولة^{١٣٥}، كما شهدت تولية سعيد باشا واستخدامه لها كمقر للحكم^{١٣٦} على الرغم من شرائه قصر النيل وإعادة بنائه له. وكذلك قصر النزهة. والقصران الآخران استخدمتا من قبل سعيد باشا فى إدارة دفة الحكم إلى جانب القلعة.

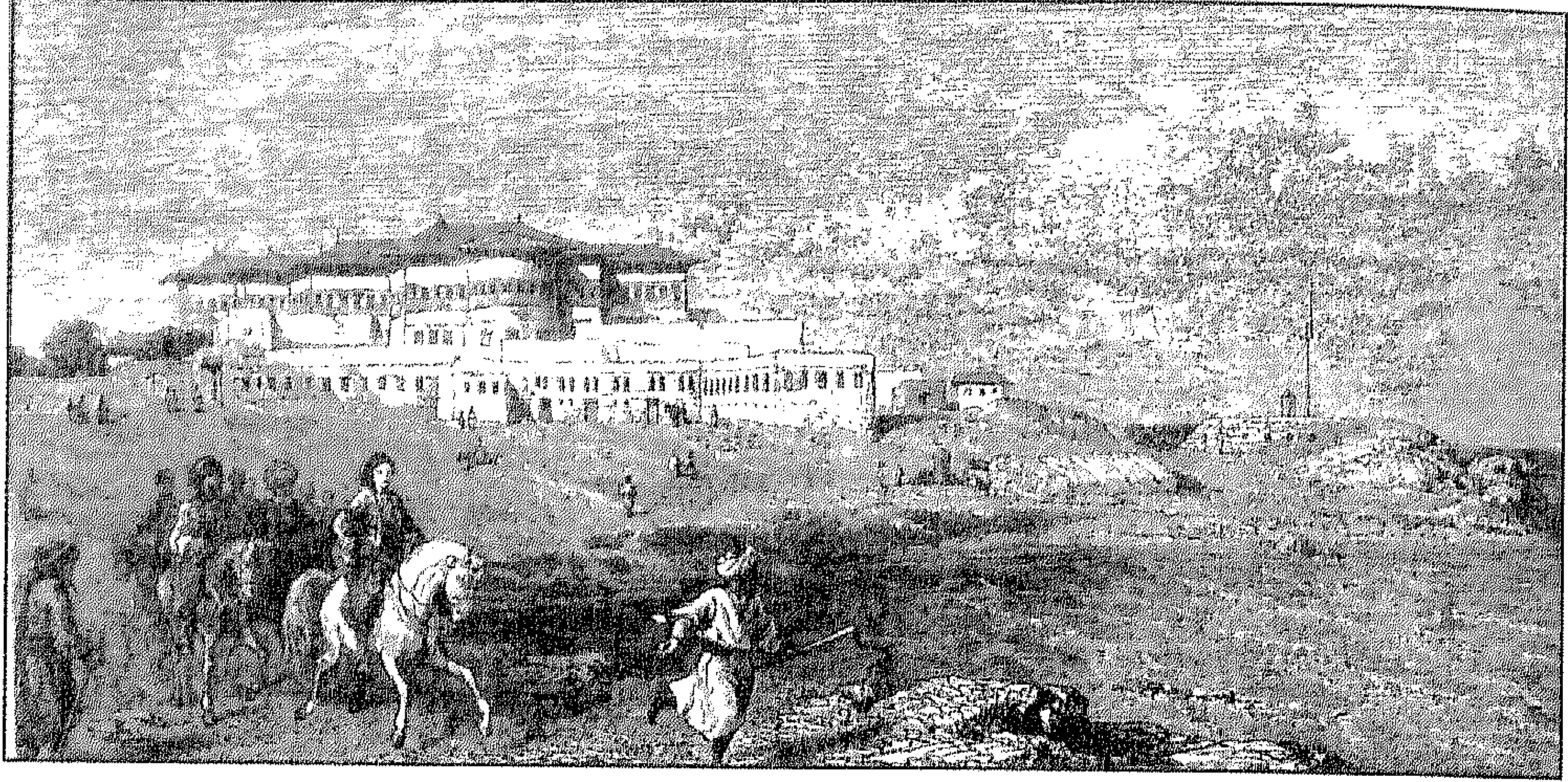
قصر النيل

بنى هذا القصر لنانزلى هانم ابنة محمد على باشا على ساحل النيل أمام جزيرة إبراهيم (الزمالك)، وأصلح فى ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧ م، ثم اشتراه سعيد باشا وهدمه بعد ذلك ووسعه وألحق به ثكنات للجيش تسع ستة آلاف جندي، ومد إليه خط سكة حديد. قام بتصميم هذا القصر المعمارى الإيطالى كىرو بانتيللى^{١٣٧} CIRO PANTANEELLI، كما قام بتوريد مواد البناء له المقاول الإيطالى الشهير لوريا Loria الذى قام فى عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠ - ١٨٦١ م

وضيوفه الأجانب مشاهدة المسابقات^{١٣٨}. واهتم إسماعيل بربط العباسية بالقاهرة بطريق سمي بسكة العباسية. كما شيد قصرًا بالعباسية، احترق فيما بعد وتستخدم بقاياها كمستشفى للمجانين حالياً^{١٣٩}.

وصفوة القول أن العباسية كانت مشروعاً عمرانياً لم تتح له فرصة النمو الكاملة، ولكن أثبتت الأيام جدواه، ولو كان عباس نجح فى نقل الحكم إلى ابنه لاكتسبت المنطقة أهمية متزايدة، لكن التحول السياسى بنقل السلطة إلى سعيد باشا ثم إسماعيل من بعده، كان له الأثر فى التحول العمرانى تجاه المنطقة المحصورة بين القاهرة وشاطئ النيل. وقد بقيت بعض الأجزاء من القصر وثكناته إلى اليوم.

كان لاستقرار الحكم فى أسرة محمد على أثره أيضاً فى ظهور عدد من القصور الريفية، وقصور خارج القاهرة، كقصر رأس التين بالإسكندرية، وقصر بنها الذى شيده عباس واغتيل فيه^{١٤٠}. وكان القصر الأخير يقع على الشاطئ الشرقى من النيل، على خط سكة حديد القاهرة الإسكندرية، وكان متسعاً ذا جدران مزخرفة، ألحق به بستان عرف بالأورمان وألحقت به بيوت لأتباع عباس باشا^{١٤١}.



سراى رأس التين - الإسكندرية

مصر، والذي بدأ فى عهد محمد على، ويعود نقل مقر الحكم من القلعة لأسباب عدة منها انتهاء عصر المماليك، أو الفرسان المحاربين بالسيوف، نتيجة لتطور المدفعية والبنادق وتحولهما إلى سلاح أساسى للدفاع والهجوم وبالتالي قلة أهمية القلاع كمراكز للتحصن وصاحب ذلك تغير تركيبة الطبقة الحاكمة من جنود محاربين يعتمدون على الشجاعة فى إثبات شرعيتهم، إلى طبقة متمدينة تعتمد على العلم، وعلى توارث الحكم بينها، وظهور الجيوش النظامية التى تخضع وتربى للولاء للحاكم.

قصر عابدين

سكن الخديوى إسماعيل قبل توليه حكم مصر فى منطقة عابدين، حيث اشترى دارين إحداهما لخورشيد باشا المعروف بالسناوى، والأخرى لإبراهيم بك الخوجة دار. وهدم أجزاء منهما لى يدمجهما فى بعضهما، هذه الخطوة من المرجح أن إسماعيل قام بها بعد عودته من إستانبول، عند تولى عمه حكم مصر، أى بين عامى ١٨٥٤م و١٨٦٠م، وهو عام تولى سعيد حكم مصر. هذا ما ذكره لنا عبد الحميد نافع عن القصر^{١٦} الذى أضاف أن إسماعيل قام بردم بركة اليرقان^{١٧} التى تقع إلى الشرق من السراى وجعلها ساحة أمامها^{١٨}.

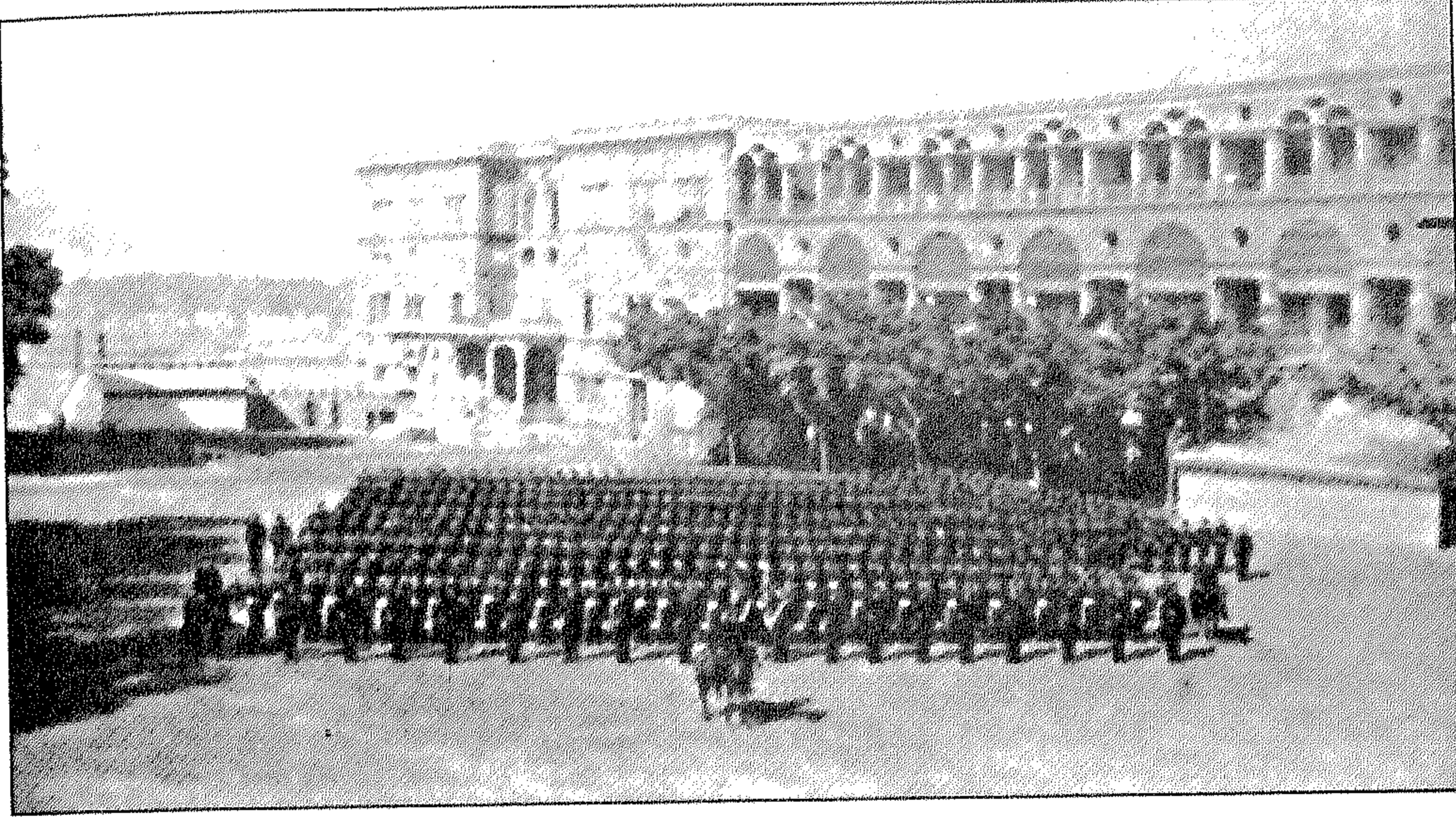
بتوريد ٢٥٠ برطوم خشب للقصر^{١٩}. سجل هذا القصر فى عداد الآثار الإسلامية فى ٩ يناير ١٩٥٢م، ثم أخرجته مصلحة الآثار من عداد الآثار الإسلامية فى ٢٦ مايو ١٩٥٤م لوقوعه فى امتداد شارع كورنيش النيل الذى فتح فى هذا الوقت، مع التوصية بالاحتفاظ بالزخارف الخشبية الإسلامية الطراز التى كانت توجد فى القاعة الكبرى الشرقية. والأعمدة الرخامية التى كانت توجد فى الشرفة الغربية المطلة على النيل^{٢٠}. وحل محل هذا القصر الآن فندق النيل هيلتون وجامعة الدول العربية .

قصر الفزهة

كان هذا القصر يقع بالقرب من جزيرة بدران، بناه القنصل الفرنسى لى بورت، ثم اشتراه سعيد وأضاف إليه قصرا إلى الجنوب منه^{٢١}، ثم استخدمهما فى بعض مهام الحكم، وكان سعيد قد اشتهر بحبه للإسكندرية، ولذا كان يكثر الإقامة بها، حتى توفى هناك فى عام ١٨٦٣م، حيث دفن فى مسجد النبى دانيال^{٢٢}.

مقر الحكم فى عهد إسماعيل

جاء نقل مقر الحكم من قصر النيل والقلعة فى عهد إسماعيل، ليجسد تكريس النفوذ المعمارى الغربى فى



قصر النيل

المحددة لها، إذ بلغت الزيادة المطلوبة لهذا الغرض في عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، ٢٨ ألف جنيه إنجليزي، واستوفى المبلغ من سندات الدين^{١٥٣}. كان الخديوي إسماعيل مهتماً بمتابعة العمل بنفسه، وعندما يتفقد خارج البلاد كان إسماعيل صديق المعروف بالمفتش، يتفقد العمل يوميا بصحبة توفيق باشا^{١٥٤}.

توضح الوثائق السابق ذكرها أن إسماعيل بدأ في إعادة بناء سراي عابدين لتكون مقرا للحكم عام ١٨٦٣م، حين أمر في ٥ نوفمبر، بشراء ما حول السراي، وهو العام نفسه الذي تولى فيه حكم مصر، واستمرت هذه المرحلة خمس سنوات، حيث لم يبدأ المهندس (دي كوريل دل روسو De Cuirel del rousseou)، العمل في تشييد السراي الجديدة إلا عام ١٨٦٨م، وظل العمل جاريا بها إلى عام ١٨٧٥م. وخلال تلك الفترة استمر إسماعيل في شراء المباني التي حول القصر، إذ قام مراد باشا غالباً بأمور خاصة خديوية في عام ١٨٧٢م بشراء منزل من حسين آغا خربوتلي وزوجته، روشان بنت عبد الله^{١٥٥}. واشترى مراد باشا سنة ١٨٧٣م قطعة أرض مجاورة للإسكندرية والعربخانة الخاصين بقصر عابدين، وهي

ولكن حدث تطور مهم أدى إلى تغيير خطط إسماعيل بالنسبة لهذه السراي، إذ رأى إسماعيل في عام ١٨٦٨م، أن يحول السراي بعد أن أصبح حاكماً لمصر إلى مقر للحكم على النمط الأوروبي، كما فعل من سبقوه مثل عباس في قصرى العباسية والحلمية وسعيد في قصر النيل، وتم وضع خطة لنزع ملكية العديد من المنشآت في المنطقة المحيطة بالسراي، منها منازل وجوامع وزوايا وحدائق في دائرة مساحتها ٢٤ فدانا، شملت سراي الشربتلي ودار محمد بك ودار عثمان بك ابن إبراهيم الكبير والدرب الجديد بما فيه من دور، وعطفا التوتة، وحارة الزير المعلق التي أصبحت مبنى السلامك، والحوش القبلي، ومنافع وميضأة جامع عابدين بك^{١٥٦}. وأقام ديوان أمور خاصة بدفع ٢٠٤٨ كيسه وكسور ثمناً للمنازل والحديقة التي نزع ملكيتها من أجل بناء السراي^{١٥٧} وقام الخديوي إسماعيل باستبدال أرض وقف عابدين بك أحد الأمراء العثمانيين، وكان أميراً للواء السلطاني، والتي بنى عليها القصر بخمسة وأربعين فدانا في الأقاليم^{١٥٨}. وبلغ المصروف الشهري لبناء السراي ٢٠٠ كيسه شهرياً^{١٥٩}، وتجاوزت المصروفات الخاصة بهذه السراي المخصصات المالية

من الأفنية، وله عدة مداخل، تتركز الرئيسية منها فى الواجهة الشمالية، والباقي فى الواجهة الجنوبية ومداخل هذه الواجهة باب باريس، وباب رجب آغا، وباب ٢٢ الذى يواجه مرأب السيارات.

كان كوريل أشرك مجموعة من الفنانين الإيطاليين والفرنسيين والأتراك والمصريين لعمل الزخارف^{١٥٦}. ومن هؤلاء فوريه وجيرار اللذين أجريا أشغال الزخرفة بالقصر تحت إشراف المسيو جران والمسيو أركولاني وبلغت قيمة هذه الأعمال ٥٣٥٦٨ فرنكاً^{١٥٧}. وبلغت تكلفة القصر ٧٠٠٠٠٠ جنيه إنجليزي^{١٥٨}، عدا الأثاث الذى تكلف ٢ مليون جنيه^{١٥٩}. كما قام المقاول الفرنسى "بارتملى ريموندي" بتنفيذ العديد من الأشغال فى هذا القصر^{١٦٠}.

ووصلنا وصف للطابق الأول من القصر فى عصر إسماعيل حيث يذكر مكاون عنه (وهذا القصر هو صرح قسيح ولكنه بناء وضع الشكل من الوجه الهندسي، وقد خصص جانب منه لدواوين الحكومة ومصالحها، وفى هذا الجانب بهو للحفلات والمآدب التى يقيمها سموه فى أوقات معينة، وفيه أيضا مجموعة من الغرف فى الطبقة الأولى يشرف فيها سموه على أعمال الدولة ويستقبل فيها زواره، وعلى مقربة منه سكرتيره الخاص وحاجبان مصريان يقفان على قمة السلم خارجا، أما البهو نفسه فلا يشف أثاثه أو زخرفه عن أى شيء من العظمة، ففيه سجادة عجمية كثيفة ومتكأ مكسو بالحريز وبضعة كراس بنسيج يلائم نسيج المتكأ، وسجف الفواقد من ذلك النسيج عينه، وستة مصابيح للوربة معلقة على الجدران المزخرفة زخرفا عربيا، ومنضدة صغيرة مذهبة يجلس وراءها الأمير^{١٦١}).

وهذا رأى فى القصر، خاص بصاحبه، ولكننا

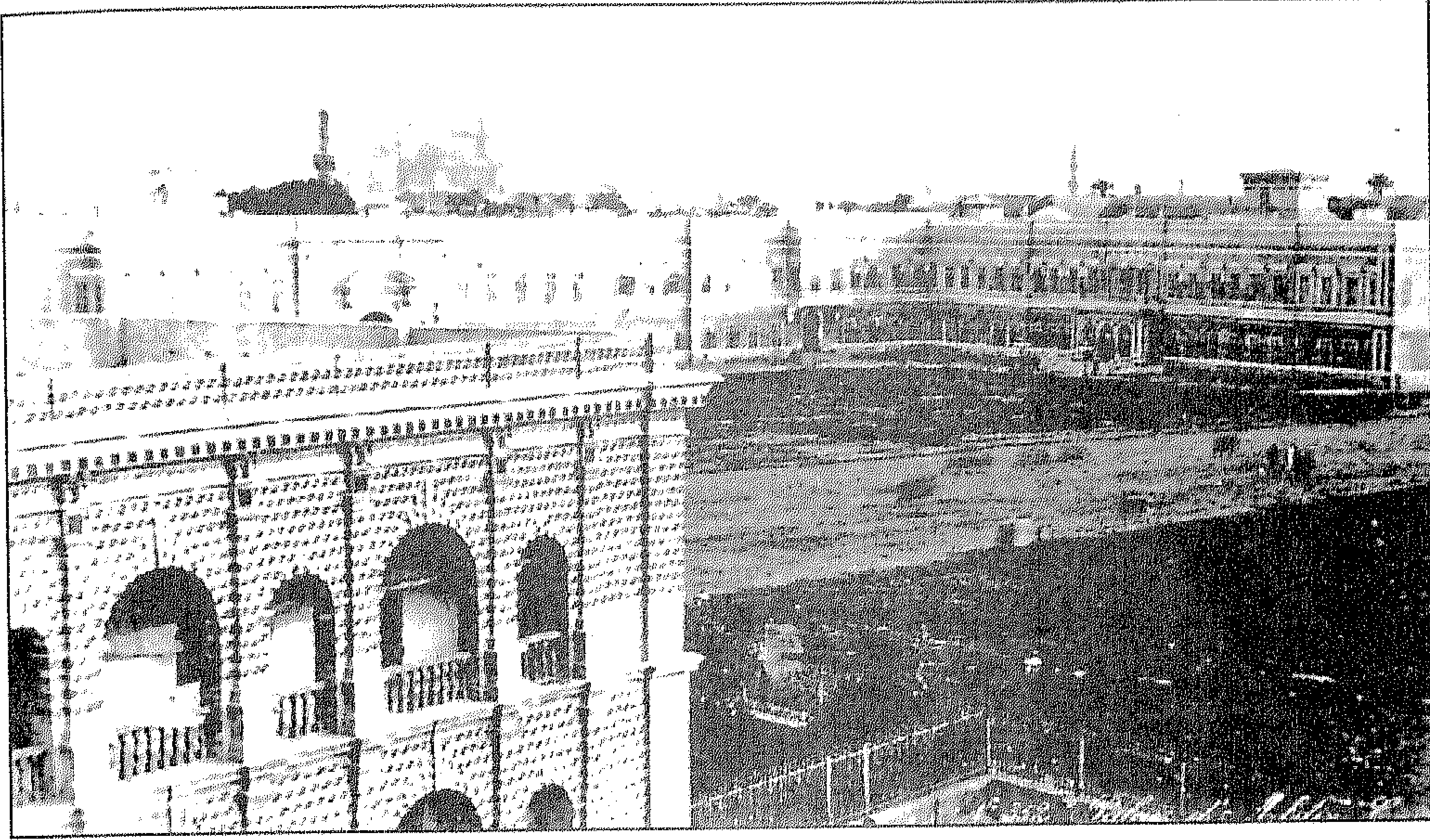
نستشف منه العديد من الملاحظات منها:

- أن جانبا من القصر خصص مقراً للدواوين الحكومية ومصالحها.
- أن بالقصر قسما للحفلات والمآدب العامة.
- أن القصر شمل قسما خاصا بمكاتب الخديوي.
- هذا يعنى أن مكاون يتحدث عن السلالة، وهو

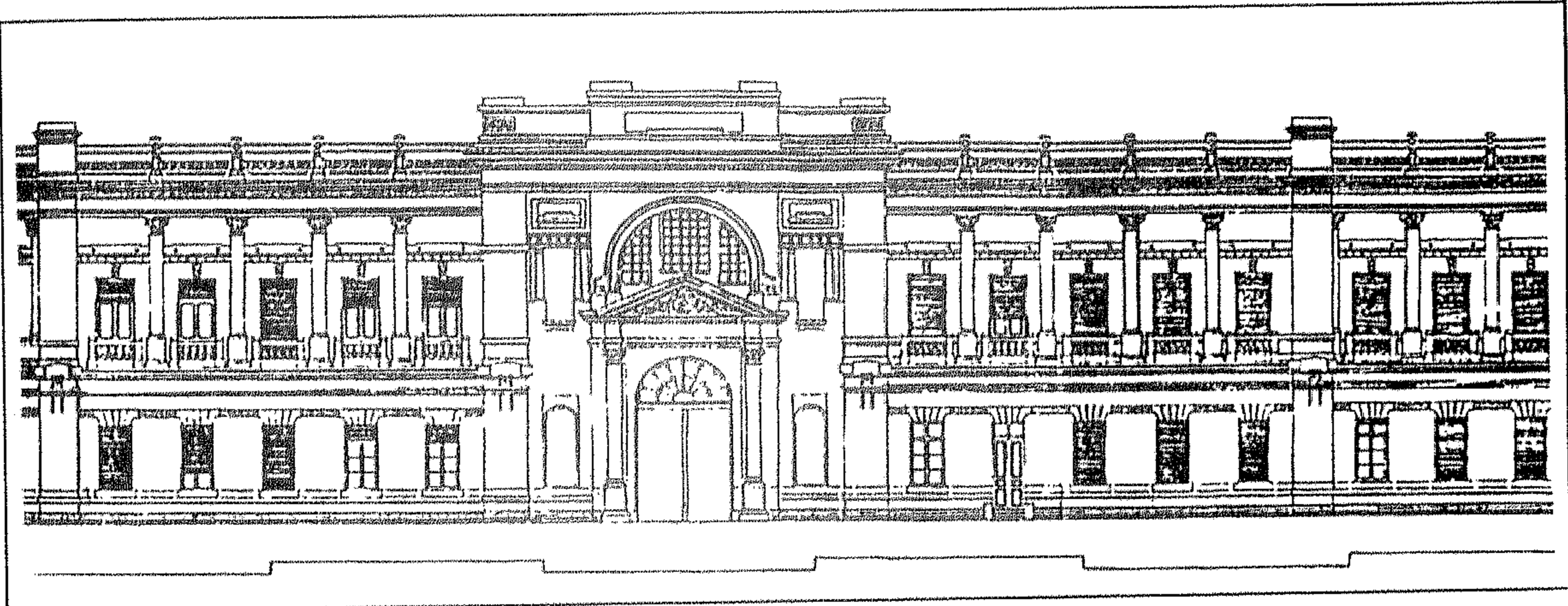


محمد توفيق باشا

نصف حصّة خاصة بخورشيد أفندى طلعت بن عبد الله معتوق المرحوم أمير اللواء يعقوب بك، وتعرف هذه القطعة بحوش الجراكسة، وهى تقع جنوب قصر عابدين. ومن الواضح من هذا كله أن القصر بلغ مساحته الحالية فى عصر إسماعيل، وهو يتكون من طابقين بينهما عدد



قصر عابدين



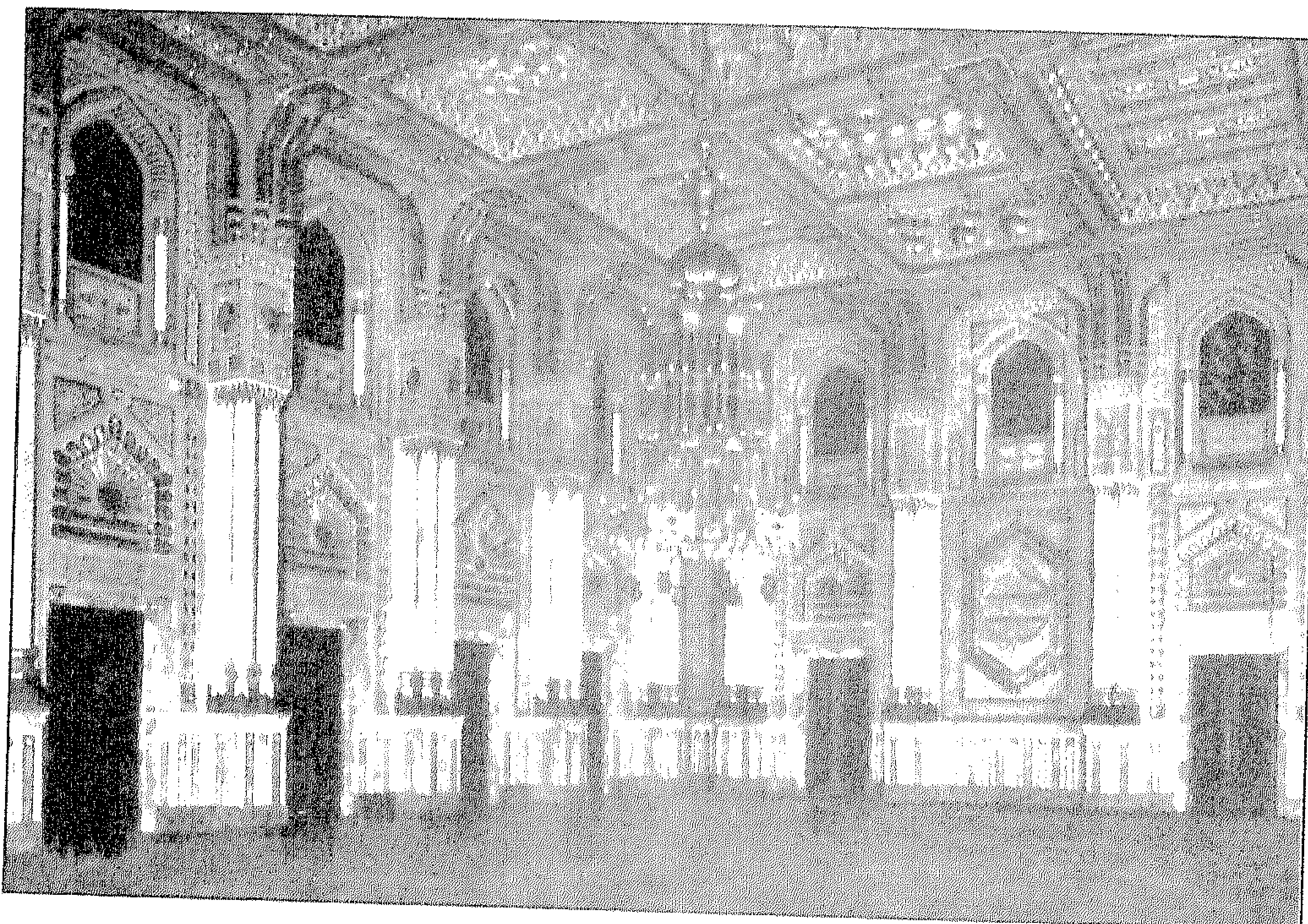
قصر عابدين - الواجهة الشمالية

الغربية، أكبر حدائق القصر، والتي ما زال باقيا بها من عصر إسماعيل كشك الشاي القبلي. كان القصر قد تعرض لعدد من الحرائق بدءا من عام ١٨٧٩م. أول حريق شب في القصر، حيث بدأ من الطابق الأول الذي به السلامك وامتد إلى الحرمك الذي اشتعل عن آخره، كما احترقت الغرف المجاورة له^{١٦٢}.

الجانب الشمالي من القصر المواجه لميدان عابدين، وضم بالإضافة إلى تلك الدائرة السنية الخاصة بإدارة أملاك الخديوي. كان القصر مقسما إلى قسمين رئيسيين هما السلامك السابق ذكره، والحرمك ويقع خلف القسم السابق ويحتل قسم منه الطرف الشرقي من واجهة القصر، بالإضافة إلى المطابخ، والحديقة الجنوبية





قصر عابدين - صالون قنافة السويس



قصر عابدين - قاعة العرش

قام الخديوى توفيق بتدمير الجانب الجنوبى الشرقى من قصر عابدين، عند توليه السلطة فى عام ١٨٧٩م بالديناميت وأدخله ضمن حديقة القصر، وكان هذا الجانب مخصصا لإقامة إسماعيل باشا المفتش^{١٦٣}. وفى ٢٢ يوليو ١٨٩١م شب حريق فى القصر دمر الجناح الذى كانت تشغله الدائرة السنية (أو الخاصة الملكية فيما بعد)، ووصل الحريق إلى قاعة المائدة

	
<p align="center"><i>Déjeuner</i></p> <p>✓ Cravettes au riz</p> <p>✓ aiguillettes de bœuf aux olives</p> <p>✓ Haricots verts au jus</p> <p>✓ Langues fumées et poulet à la gelée</p> <p>✓ Salade à la Russe</p> <p>✓ Timbale de fruits au Marasquin</p> <p align="center"><i>Dessert</i></p>	<p align="center"><i>Déjeuner</i></p> <p>✓ Macaroni à la</p> <p>✓ Volaille sauce</p> <p>✓ Aubergines</p> <p>✓ Pâtes à la</p> <p>✓ Salade de</p> <p>✓ Corniche</p> <p align="center"><i>Dessert</i></p>
<p><i>Palais d'été</i></p> <p><i>Le 15 Novembre 1924</i></p>	<p><i>Palais d'été</i></p> <p><i>Le 16 Novembre 1924</i></p>

الجزء العلوى منها كشرفة. يظهر منها الخديوى فى المناسبات الرسمية والاحتفالات. تم أيضا تجديد موبيليات القصر فى عام ١٨٩٣م، حيث قام كل من بوانيه بك وفانيسا لكو بتقديم مذكرة أوضحا فيها أن الموبيليات والأبسطة الموجودة فى مخازن القصر غير صالحة للاستخدام، وطلبت لجنة سراى عابدين من نظارة المالية فتح اعتماد قدره ٨٦٨٧

الذى مازالت باقية عليه إلى اليوم، وأثناء أعمال الترميم اتضح أن بناء سراى عابدين ردىء، مما أتى بنتائج غير متوقعة، إذ تهدمت أجزاء كثيرة أثناء عمليات الإصلاح، وهو ما تطلب زيادة المبالغ المرصودة لإعادة إعمارها. وصاحب ذلك إدخال الكهرباء لإضاءة قصر عابدين". وأحدث تغيير فى السلامك فى أثناء ذلك، فقد تم فتح باب على ميدان عابدين مباشرة، تتقدمه ظلة مستقل

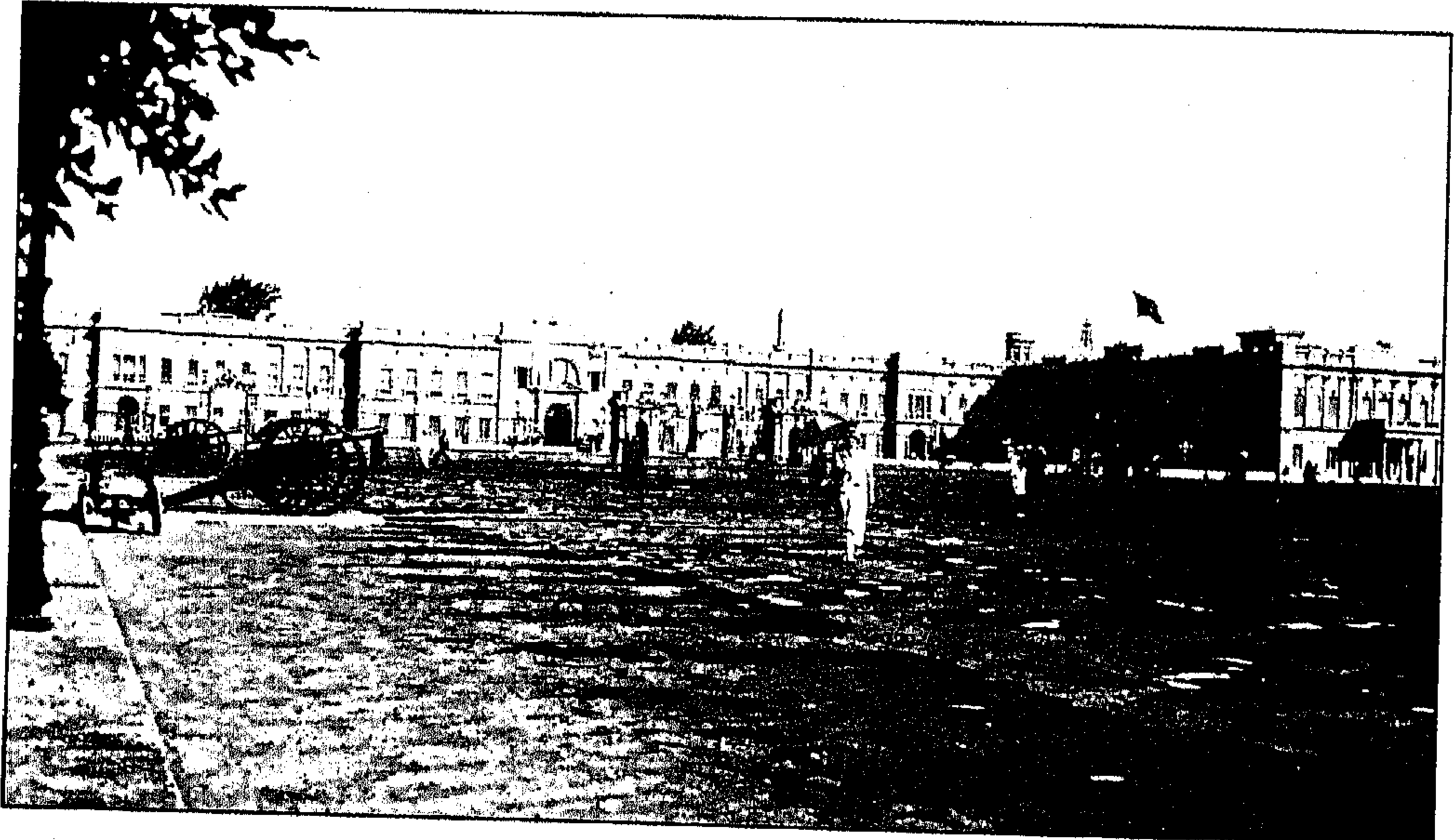


الملك أحمد فؤاد الأول

جنيهاً مصرياً لفرش السراى بوجه نهائي. وتم نقل الموبيليات القديمة لمخازن المالية لبيعها^{١٦٧}. وفى عام ١٨٩٥م أجريت بعض التجديدات بقصر عابدين، ويتضح من كشف الموظفين المستخدمين الذين اشتركوا فى هذا التجديد أن من بينهم الفرنسيين جران بك مدير عموم المباني الذى وصلت مدة خدمته للحكومة إلى أكثر من ٢٥ عاماً ونال رتبة الميرميران فى سنة ١٨٩١م. ومسئو أنسز المهندس بالقلم المعماري بنظارة الأشغال^{١٦٨}. وأضيف إلى السراى فى عصر الملك فؤاد الأجزاء الشمالية الغربية من السراى والتي استخدم الجزء المطل منها على ميدان المبدولى كمقر للخاصة الملكية والجزء الخلفى مقراً للأوقاف الملكية. وبصفة عامة فقد طال التجديد جميع أنحاء السراى التى يبلغ عدد غرفها ٥٠٠، ولكننا نستطيع أن نقرر أن العديد من الأجزاء المجددة تعود أصولها إلى عصر الخديوى إسماعيل، ولو أن بعضها جدد بكامله، فقد جدد على الأصول القديمة، ونقرر فى اطمئنان أن من هذه الأجزاء، صالون قناة السويس، حجرة البلياردو المهداة من أوجينى ملكة فرنسا لإسماعيل، وصالون محمد على، والصالون

الأبيض، وقاعة العرش وهى على النمط العربى، وكانت تعرف قبل ذلك بالقاعة العربية، وقاعة الطعام وهى على الطراز العربى، وكان المهندس الإيطالى إيليو برنزفالى ELIO PRINZIVLLI قد قام بتصميم زخارف هاتين القاعتين وهو من أبرز المعماريين الأجانب الذين تخصصوا فى الزخارف الإسلامية. وقد جددت القاعتين فى عهد الملك فؤاد وهذه الأقسام خاصة بالسلامك، أما أقسام الحرملك، وهو ينقسم إلى عدد من الأجنحة والغرف والصالونات، وقد جرى تجديدها فى عصر الملك فؤاد، وحملت بعض أجزائها حرف F نسبة إليه. وكان نتيجة اهتمام إسماعيل بسراى عابدين، واستقراره بها كمقر للحكم، أن تحولت المنطقة المحيطة بها إلى ثكنة عسكرية، وبنى بها قشلاق له سور فتحت به نوافذ حديدية وزرعت حول هذه المنطقة الأشجار^{١٦٩}.

كان لانتقال السلطة إلى ذرية إسماعيل^{١٧٠} أثره فى استمرار سراى عابدين كمقر للحكم، إذ أتاح ذلك فرصة لارتباطها بهم، لتكوين مقر دائم للحكم، على العكس مما حدث عندما انتقلت السلطة من أكبر أفراد أسرة محمد على إلى الأكبر، كما حدث فى عهد عباس وسعيد.



قصر عابدين سنة ١٩٢٤

في مصر. وهي جالية كانت أقرب إلى الشرق عن غيرها من الجاليات الأوروبية^{١٧١}.

كان الانتقال إذن من القلعة من بناية يتمترس الحاكم داخلها، ويحيط فيها المؤامرات لضرب خصومه الذين كانوا ينازعونه السلطة، بخاصة من كبار الأمراء المماليك، إلى بناية تعبر عن استقرار الحكم المركزي الذي صنعه محمد علي بكل تقاليده الجديدة التي أرساها إسماعيل. كان هذا الانتقال تعبيراً عن تغير نمط السلطة وتغير نمط العمارة السائدة في مصر بل وتغير في التقاليد. وتمثلت التقاليد الجديدة في استقبالات ولى النعم والاحتفالات التي تحدد لها مواعيد بعينها، وما ارتبط بذلك من تطبيق قواعد البروتوكول والإتيكيت، تختلف عن تلك التي كانت تتم في القلعة^{١٧٢}. ونقل لنا أحمد شفيق في مذكراته، وقائع استقبال الزائرات في سراي عابدين، وتقضى القواعد بأن يتقدم الأغا ويساعد الزائرات على النزول من العربة، ويرافقهن إلى باب الحريم، وهو الباب الواقع على يسار الواجهة الشمالية الرئيسية للسراي، وهنا تأتي جوارٍ مدربات يرافقن الزائرات إلى الدور الأسفل، وهو مؤثث بالأثاث الفرنسي، ثم تتوجه الزائرات إلى الصالون الخصوصي للأميرات في الدور الثاني^{١٧٣}.

مارس إسماعيل حكم مصر على النظم الغربية من حيث الشكل، وعلى سطوة السلطة من حيث الفكر، فمن حيث الشكل وهو محور دراستنا، نجده يأكل وينام ويستقبل ضيوفه، على الطريقة الغربية المحضة، وليس أدل على ذلك من صنع آنية مائدة تحمل حرف E بالذهب الخالص^{١٧٤}. وهي ظاهرة ظلت مستمرة حتى عهد كل من فؤاد وفاروق، حيث صُنعت لهم أوانٍ تحمل أول حرف من اسميهما.

قصر الجزيرة

كان قصر الجزيرة أحد القصور التي أعاد بناءها الخديوي إسماعيل، وهو في الأصل كان يعرف بالقصر الكبير، شيده عبد الرحمن كتحدا قبل سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م. وذلك لإقامة الباشاوات المعينين لحكم مصر عند قدومهم



الملك فاروق

مثل انتقال الحكم إلى قصر عابدين، العديد من الدلالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت عمارة القصر على النمط الأوروبي على طراز عصر النهضة الفرنسي المستحدث صدى لها، لعل أولى هذه الدلالات، التأثر بالنشأة الإيطالية للبلاط الملكي، تلك النشأة التي أثرت في سائر أوروبا، فالبلاط بمفهومه الحديث نشأ في إيطاليا خلال عصر النهضة، وساعد عليه ظهور المجتمع المدني بها مبكراً عن بقية أوروبا، ففي الوقت الذي كان فيه الأمراء الإقطاعيون لا يزالون قابعين في قلاعهم الحصينة وسط فرسانهم وأفنانهم، كان أمراء المدن الإيطالية قد بنوا قصورهم الأنيقة داخل مدنها التي كانت تعج بالتجار والصناع. وكانت الإضافة الأساسية لتقاليد البلاط الملكي جاءت من فرنسا في عهد لويس الرابع عشر (١٦٦٠ - ١٧١٥م) ولكن جاء التأثير الإيطالي في مصر للقرب الجغرافي، ولعدم وجود أطماع سياسية إيطالية في مصر فضلاً عن وجود جالية إيطالية كبيرة

إليها قبل انتقالهم إلى القلعة المقر الرسمى للحكم، وأيضا لإقامة كبار رجال الدولة العثمانية عند زيارتهم لمصر^{١٧٥}. كان هذا القصر يتكون من عدد كبير من الوحدات المعمارية، تصطف على طول شاطئ النيل، وهذه الوحدات هي: باب يودى إلى مجاز ودركاة بمسطبة، يتوصل منها إلى صحن كبير على يمينه إسطبل بجواره طاحونة وفرن، ويوجد بهذا الصحن باب الحريم وخمس حواصل وسلم يصعد منه إلى أماكن علوية، وباب آخر يدخل منه إلى قاعة سفلية تشتمل على إيوانين ودور قاعة وثلاث سدلات، وبالإيوانين الكبير والصغير شباكان يطلان على النيل، أى أن القاعة موازية للنيل، وبالدور قاعة فسقية من الرخام الملون، ويتوصل من باب بالقاعة إلى مساكن علوية، وبالقصر قاعة أخرى مطلة على النيل تتكون من إيوان واحد وسدلة، وبها شبابيك تفتح على النيل، وتطل على النيل أيضا غرف لإقامة الممالك، وبالقصر قاعة علوية كبرى بإيوان واحد ودور قاعة وسدلتان إحداهما مطلة على النيل والأخرى مطلة على المقعد، والمقعد يتكون من ستة عقود ترتكز على خمسة أعمدة من الرخام الأبيض وهو مطل على النيل، يوجد أسفله ديوان مطل على النيل

بسته عقود ترتكز على خمسة أعمدة، بالمقعد باب يودى إلى مساكن الحريم، وغرف ومطبخ وحمام. كما خصصت غرفة بالقصر لتناول القهوة. كما ألحق بالقصر حديقة وصهريج ومصلى وبلغت مساحة هذا القصر فدائين ونصف^{١٧٦}.

قام إبراهيم بن محمد على بهدم هذا القصر وإعادة بنائه مرة أخرى^{١٧٧}، ويبدو أنه كان مستغلا أيضا لاستقبال ضيوف الدولة، حيث شيد إبراهيم قصرًا لإقامته فى منطقة جاردن سيتى عرف بالقصر العالى^{١٧٨}.

آل هذا القصر إلى الخديوى إسماعيل عن أبيه، وهدمه فى عهد سعيد باشا وأعاد بناءه^{١٧٩} ثم تغيرت خطته بالنسبة لهذا القصر بتوليه حكم مصر، فقد رأى استغلاله لإقامة ضيوف مصر الأجانب أثناء حفل افتتاح قناة السويس، وأعيد بناء القصر من ثلاثة أقسام رئيسية، وهى الحرمك والسلامك الصغير، والسلامك الكبير وشبه عدد كبير من المعمارين هذا القصر بجواسق قصور الحمراء بغرناطة، غير أنه فى الواقع يجمع فى الشكل الخارجى بين طراز الروملى الذى بدأ يشيع فى مصر منذ عهد محمد على، وغلبة الزخارف الإسلامية عليه، أما



قصر الجزيرة - السلامك

التصميم الداخلي فهو يجمع بين طراز الروملي والطرز الأوروبية للقصور في ذلك العصر. وقد تبقى من ذلك القصر السلامك الكبير. قام بتصميم هذا القصر المهندس النمساوي يوليوس فرانس باشا^{٨٠}، كما قام المعماري الألماني كارل فون ديبيتش بتنفيذ البوائك الحديد وأعمال التذهيب والزخارف الداخلية التي بلغت تكلفتها ١١٠٠ جنيه إسترليني، كما قام كل من الإيطاليين آرنستو فيروتشي وأنجلو أركولاني ببعض أعمال الزخارف والديكورات للقصر^{٨١}، وأشرف على البناء حسن بك نور الدين^{٨٢} ويصف بيلشيفالري السلامك الكبير بقوله "إن طوله يبلغ أكثر من مائة متر تحمله عدة أعمدة منقوشة بأجمل النقوش العربية، ووسط هذا القصر عبارة عن ردهة فسيحة الأرجاء لا يحجبها شيء عن السماء أرضها من الممرز قائمة على عمد بينها نافورة أثرية، وفي أحد جناحي القصر حجرات مفروشة بأجمل الأثاث روعة وزخرفا، ومنها غرفة فاخرة أولم فيها الخديوي إسماعيل وليمة لولى عهد إنجلترا وقرينته وحاشية بلاطه في عام ١٨٦٩م، في الجناح الآخر لهذا القصر أبهاء الاستقبال والمخادع وحجرات الزينة والحمامات وكلها فاخرة الأثاث مصنوعة على أجمل الطرز الشرقية"^{٨٣}.

شيد السلامك الصغير (قصر الأعياد) على ضفاف النيل، أمام مرسى بولاق، وكان أحب مساكن إسماعيل إليه، وكانت تقام به أعياد الجلوس في ٨ يناير من كل عام^{٨٤}، وهو من المناسبات التي اقتبسها إسماعيل من الغرب. وأمام المدخل البحري لقصر الأعياد بساط سندس تزيينه أجمل أنواع الأزهار وأينعها طوال الشتاء، وفي وسطه نافورة بديعة من الممرز الناصع المنقوش، نصب بها تمثال أوزيريس في وسط حوض مستدير الشكل منحوت من قطعة واحدة من الممرز الأبيض محيطها اثني عشر مترا^{٨٥}، ويرى تيموثي ميتشيل أن تصميم بعض غرف هذا القصر تماثل تصميم غرف قصر التويلري بفرنسا، وكأن الخديوي إسماعيل أراد بتصميم هذا القصر أن يجمع بين القاهرة ألف ليلة وليلة التي ولع بها الأوروبيين في القرن التاسع عشر في تصميم واجهاته

على النمط الإسلامي وبين رغبته في كسب ود الأوروبيين في تشييده عمائر تظهر مدى ولائه للحضارة الأوروبية في اتباعه التصميم الأوروبي لداخل القصر، وكلف إسماعيل المهندس الفرنسي بارييل بتحويل الأرض الزراعية المحيطة بالسراي إلى حديقة^{٨٦}، فقام بردم أرضها بارتفاع مترين^{٨٧}. وقسمت الحديقة إلى عدة حدائق هي:

– الحديقة الخديوية لفلاحة البساتين وأقلعة النباتات: كانت تستخدم في التجارب، وكان بها في عام ١٨٧٦ م ما يربو على مليون من النباتات الأجنبية بعضها للزينة وبعضها للإثمار.

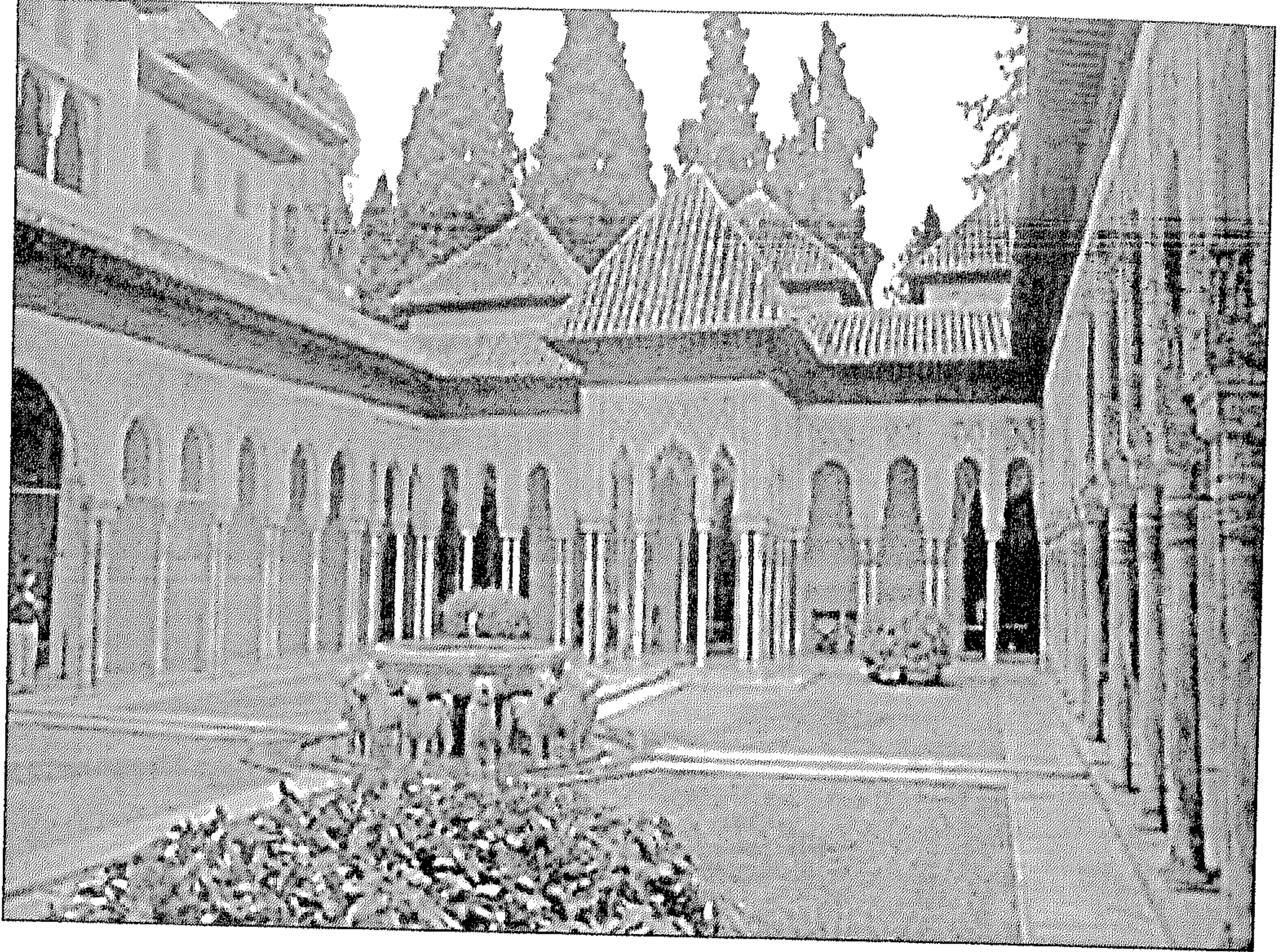
– الحديقة الخديوية لقصور الجزيرة: وهي التي بها القصر، ويقع شمالها طريق الجزيرة، وهو يبدأ من ضفاف النيل، ثم يؤدي إلى طريق الموصل إلى الجزيرة ومنه إلى طريق الهرم.

– حديقة الأسماك: وهي عبارة عن أكمة (جبلية) ذات كهوف كلف الخديوي إسماعيل كوبماز ودومبليو الخبيرين المتخصصين في مثل هذه الأعمال بتنفيذها، وغرست فوق سقفها أشجار جبلية باسقة مستوردة، تقع غرب حديقة القصر. ومازالت هذه الحديقة باقية إلى اليوم.

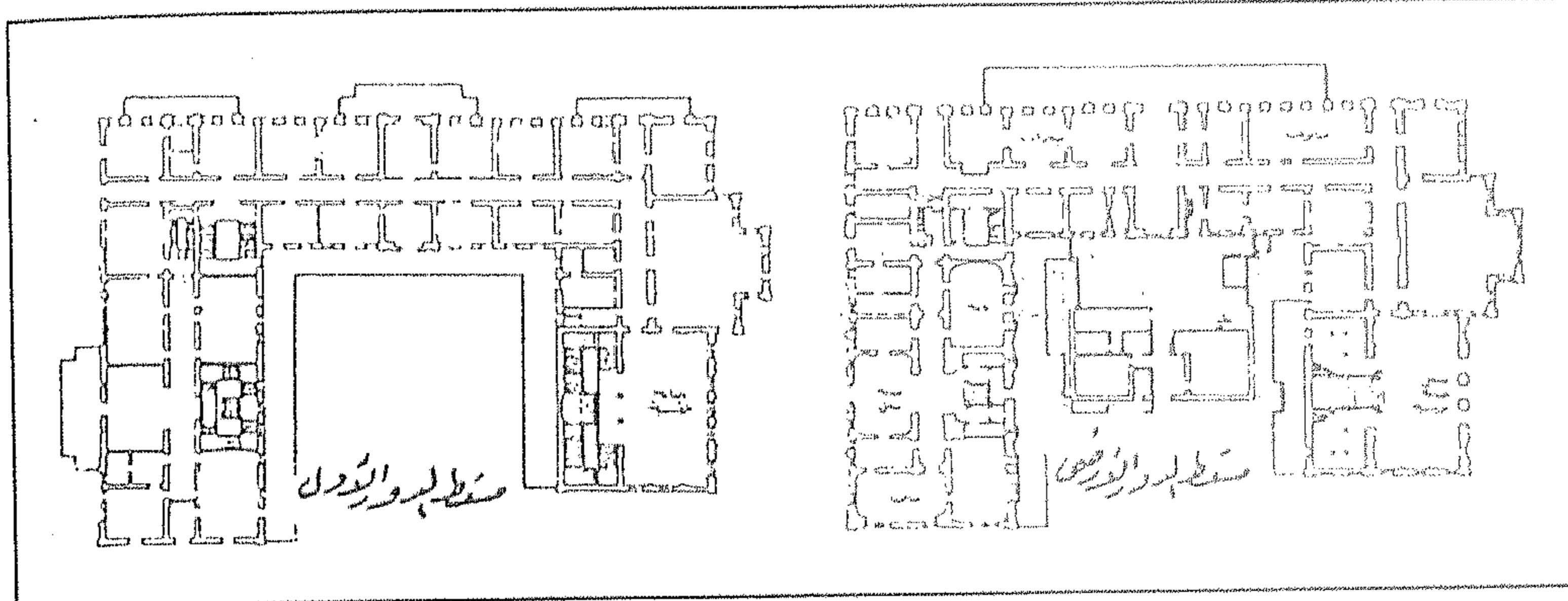
– الصخرة: وهي عبارة عن تبة من كتلة واحدة وتقع بالقرب من قصر الأعياد، قام ببنائها المهندس العثماني (م. سيبوز) وتحت هذه الصخرة أنفاق وسرايب تقضى إلى جوسق مركزي وضعت في أركانه مقاعد من خشب متحجر جيء به من الصحراء، وشد بعضه إلى بعض بالأسمنت، ومن هذه الصخرة تنفجر عيون فياضة تتدفق في جدول ينساب في أرجاء الحديقة والسلامك، وإلى الجنوب توجد بحيرة في وسطها جزيرة صغيرة وكهوف للطيور المائية النادرة.

وألحق بهذه الحدائق صوب لنباتات أوراقها زخرفية جميلة اخرت لتزين الحفلات والأعياد التي كانت تقام في القصور الخديوية.

– روضة الزهور: تقع هذه الروضة قبالة جسر كوبري قصر النيل وبها أنواع عديدة من الزهور المستوردة^{٨٨}.



قصور الحمراء - الأبنية والشرقات



قصر الجزيرة - مسقط أفقي للسلاملك

سراى الإسماعيلية الصغرى

كانت عند كوبرى قصر النيل، وقد صرف فى أجر الصناع والمفروشات والتقوش ونحو ذلك ٢٠٠٢٨٦ جنيهًا، وسميت بهذا الاسم لأن إسماعيل شيد بالقرب منها سراى الإسماعيلية الكبرى.

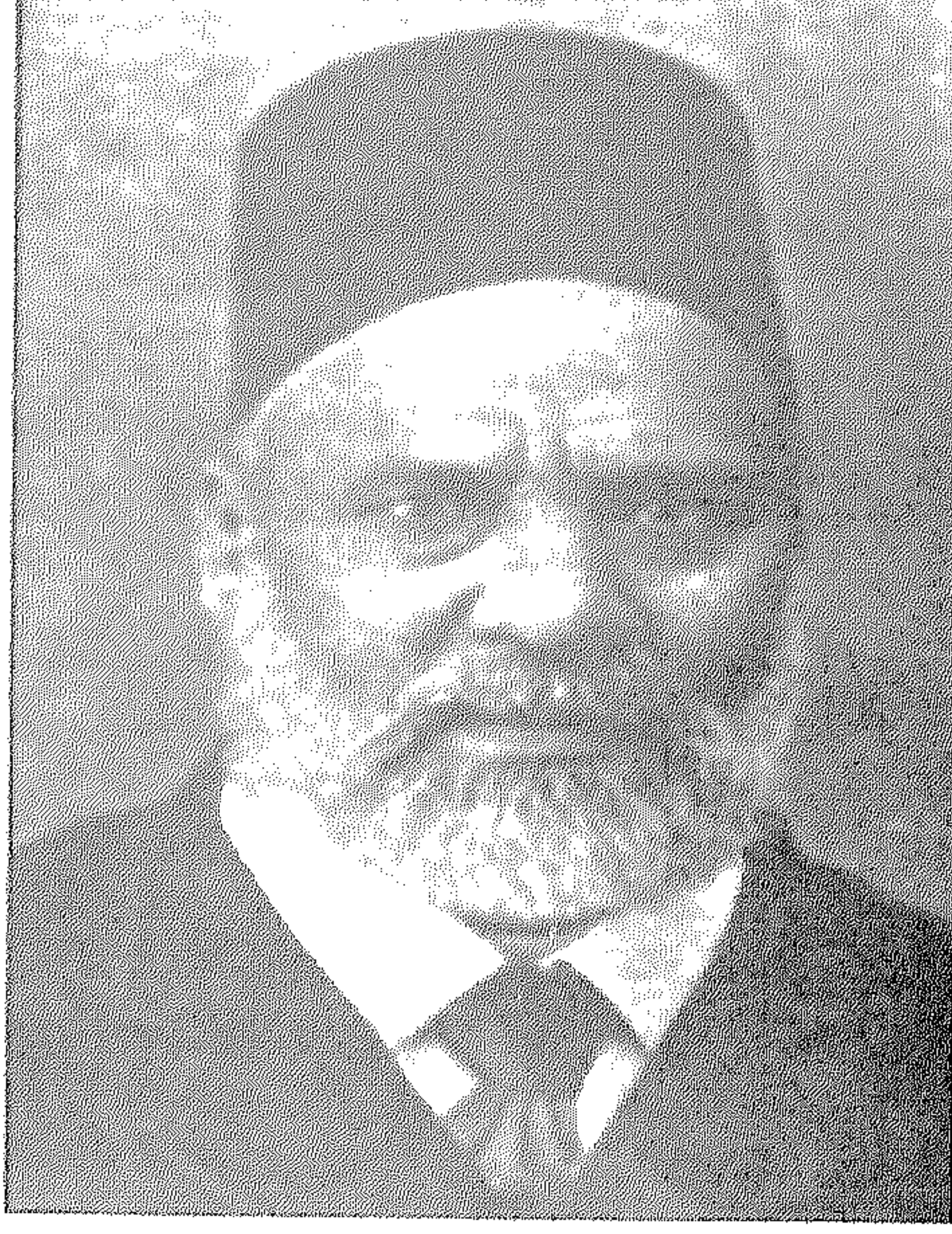
سراى الإسماعيلية الكبرى

اشترى إسماعيل موقع هذه السراى فى عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م. ويحتل موقع هذه السراى الآن مبنى وزارة الخارجية القديم، ومجمع المصالح الحكومية، وكانت مقسمة كذلك إلى سلاملك وحرملك^{١٨}، واشتهرت ممرات الحرملك بأنها مغطاة بالبلور الملون وتحيط بها مجموعة من الأشجار النادرة^{١٩}.

وعلى الرغم من اتخاذ القصور مقار لأسرة محمد على فإن القلعة ظلت لها رمزيته، فقد شهدت مراسم توليتهم، وكان آخر من نصب منهم فى القلعة الخديوى توفيق فى حفل حضره السفراء وكبار الأعيان وأعضاء مجلس شورى النواب وغيرهم، وقرأ فى هذا الاحتفال فرمان توليته^{٢٠}، غير أن الخديوى عباس حلمى قرأ فرمان توليته فى حفل أقيم فى الفناء الأمامى لقصر عابدين فى حفل حضره الأعيان والعديد من الشخصيات الأجنبية والمصرية^{٢١}.



الخديوى عباس حلمى الثانى



أحمد عرابى باشا

حددت إحدى وثائق مجلس النواب المصرى الصادرة فى ١٨٨٢ السرايات الخديوية التى اشترتها الدولة لتكون مقرا للخديوي، وهى سرايات عابدين، النزهة، الرمل، رأس التين، والأخيرتان بالإسكندرية بالإضافة إلى قصر الجوهرة بالقلعة. ووضعت كلها تحت إدارة واحدة تشرف على مصروفاتها من خلال ميزانية يقرها مجلس النواب^{١٩٢}. ومن الواضح تصاعد دور هذا المجلس فى الحياة السياسية فى مصر تدريجيا منذ عصر محمد على. ظل أمر الحكم فى يد الوالى أو الحاكم غير أن تأثر أسرة محمد على بالنظم الأوروبية دفعهم إلى اتخاذ سياسات تنحو نحو إقامة مجلس للنظر تحت مسميات عديدة، غير أن الضغوط الأوربية أجبرت إسماعيل على تشكيل مجلس للنظر برئاسة نوبار باشا له سلطات واسعة^{١٩٣}. وكان إسماعيل قد بدأ فى تشييد مبان لهذه النظارات ما زال باقيا منها إلى اليوم مبنى نظارة الأشغال، الذى كان عقد مجلس النواب اجتماعاته فى قاعته فى أخريات عصر إسماعيل وحوكم فى هذه القاعة أحمد عرابى^{١٩٤}. وكان قد أعيد بناؤها بعد ذلك لتكون مقرا لمجلس الشيوخ.

الحواشي

٢١ يعتبر هذا المقعد من أكثر المقاعد انتشارا في العماثر السكنية في العصر المملوكي والعثماني، وهو يتكون من مساحة مستطيلة مفتوحة بالكامل على فناء الدار في اتجاه الضلع الطويل لمسقط المقعد. وتتألف واجهة المقعد من بائكة مكونة من عدد من العقود أكثرها ستة عقود تتركز على خمسة أعمدة وأقلها ذو عقدتين يرتكزان على عمود في المنتصف. غزوان ياغى، المقاعد في عماثر القاهرة السكنية في العصرين المملوكي والعثماني، ص ١٩٦: ٢٠٤. رسالة ماجستير، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٩ م.

٢٢ وثيقة وقف الأمير على أغا، رقم ١٢٩، سطر ٤١: ٤٢، غرة ربيع الأول ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م.

٢٣ وثيقة وقف رضوان بيك، رقم ٩٩٤، سطر ٤٦، ٤٧.

٢٤ وثيقة وقف رضوان بيك، رقم ٩٩٤، سطر ١٦٥.

٢٥ غزوان ياغى، المقاعد في عماثر القاهرة، ص ٢١١.

٢٦ ثلثى حنا (دكتور)، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر، ص ٨٩.

٢٧ حسام إسماعيل، أربعة بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية، ص ٦٨: ٧٦. حوليات المعهد الفرنسي للآثار، المجلد ٢٤، ١٩٨٨ م.

٢٨ الأمير أزيك من ططخ نسبة إلى الأشرف برسباي ثم الظاهري نسبة للظاهر جقمق، جلبه تاجر الممالك ططخ من بلاد الجركس، فاشتراه الأشرف برسباي سنة ٨٤١ هـ، فجعله أحد كتبته، ثم انتقل لولده العزيز، ثم اشتراه الظاهر جقمق فأعتقه وزوجه ابنته فلما ماتت تزوج أختها، وقد تدرج في الرتب حتى وصل إلى أمير مائة مقدم ألف، وهي أعلى رتبة في رتب الممالك، وكانت أهم وظيفة تقلدها أزيك هي آخر وظيفة له أتابك العساكر أي مقدم الممالك السلطانية وقائد الجيش، وذلك في بداية حكم السلطان قايتباي سنة ٨٧٢ هـ، واستمر بها نحو ٢٨ عاما، وكانت له جولات عديدة في التجاريد والحملات، انتصر فيها على أعداء الدولة التركمانية المتاخمة لحدودها، وكذلك انتصر على الدولة العثمانية عدة مرات، وكان عظيم القدر والمهابة، حج عدة مرات، وكان ينوب عن السلطان في الاحتفال بكسر سد الخليج وإمارة الحج والسفارات وغير ذلك، وكان عظيم الثراء وخلف ثروة طائلة، توفي يوم الأحد ٢٤ رمضان ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م. عن عمر يناهز ٨٤ عاما. ودفن بترية أستاذه الملك الظاهر جقمق، وهي تربة قاني باي الجركسي. انظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٣، ص ٢٧٠، ٢٧٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤١١، ٤١٢؛ أنا ماري شميل، الأتابكي أزيك من ططخ مؤسس الأزيكية، ص ١٨: ٢٥، مجلة فكر وفن، عدد خاص بالعيد الألفي للقاهرة ١٩٦٩ م

٢٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٧؛ نزهة الأمم في العجائب والحكم، ص ٢٥٩: ٢٧٥. مكتبة مدبولي - دون تاريخ.

٣٠ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٨.

١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٤٩.

٢ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٦١.

٣ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٦٨.

٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٦٨ - ١٦٩.

٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٨٠، ١٨٤.

٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٩٣، البكري، المنح الربانية، ص ٨٨.

٧ أنشأ هذا القصر السلطان قايتباي في سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م، ليكون سكنا لابنه محمد، وكان نزول ابن السلطان لذلك القصر لأول مرة في صفر ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م. ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٩٤؛ عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمدي، ص ١٩٧.

٨ جين هاثواي، سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية، ص ١٦، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢ م.

٩ ثلثى حنا (دكتور)، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر وأثره على وظائف قصور الأمراء في القاهرة، ص ٨٣ - ٨٤، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (٥٧) ١٩٩٢ م: جين هاثواي، سياسات الزمر الحاكمة، ص ٢٣١ - ٢٣٩.

١٠ محكمة الباب العالي، سجل ٣٠٢ مادة ٦٨٧، ص ٤١١: ٤٢١؛ ثلثى حنا (دكتور)، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر، ص ٨٥.

١١ ثلثى حنا، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر، ص ٨٥.

١٢ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٢٧.

١٣ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٤٢٧.

١٤ انظر: الدمرداش، الدرة المصانة، ص ٦٠؛ الشانلي، ذكر ما وقع لعسكر مصر، ٢٢٤: ٤٠٠؛ ثلثى حنا (دكتور)، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر، ص ٨٦.

١٥ الدمرداشي، الدر المصانة، ص ١٤٨.

١٦ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٨٨.

١٧ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٦٥، ٢٧٥.

١٨ ثلثى حنا (دكتور)، التغير في الهيكل السياسي في القرن الثامن عشر، ص ٨٩.

١٩ وثيقة وقف رضوان بك، رقم ٩٩٦، سطر ١٥٦. ١٥ رمضان ١٠٤٧ هـ / ١٦٢٧ م.

٢٠ وثيقة وقف رضوان بك، رقم ٩٩٤، سطر ٥٣: ٥٥. جماد أول ١٠٢٨ هـ / ١٦٢٨ م.

٣١ القيسارية: اسم يطلق على أحد أنماط المباني، ويرجع أن الكلمة مشتقة من اليونانية بمعنى إمبراطورى (قيصرى سوق القيصر) وهناك إشارات إلى أنها نشأت بجوار المعابد، وكانت تحت إشراف ملكى، بينما القيسارية فى العصر الإسلامى غلب عليها الطابع الخاص، وكان بالاسكندرية معبد للقيصر ألحق به سوق ومخازن مما يوضح منشأ هذه التسمية. واستعملت الكلمة أيضا للدلالة على مبان تجارية فى مناطق كانت تحت الحكم البيزنطى. والقيسارية عبارة عن مبنى به عدة معمرات مسقوفة توجد حول صحن كبير ويكمن له عدة مداخل متشابهة 'وهى تحتوى على محلات تجارية. صالح لمعى (دكتور) التراث المعمارى الإسلامى فى مصر، ص ٦١-٦٢، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.

٣٢ نشر محمد الششتاوى وثيقة وقف أزيك من طلع التى توضح مدى عمارة الأزيكية على يد أزيك نشرها علميا فى كتابه متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، ص ١٥٥، ١٦٢.

٣٣ أنا ماري شميل، الأتابكى أزيك من طلع مؤسس الأزيكية، ص ٢٤.

٣٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٣٧.

٣٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٩٦، ٢٣٣.

٣٦ أندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى، ص ١٨٢.

٣٧ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٨٦.

٣٨ أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ص ٢٧٧.

٣٩ عبد الرانق معاذ (دكتور)، سوق صاروجا والأزيكية، دراسة مقارنة، ص ١٢٣، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٥٧ ١٩٩٢ م. نلى حنا (دكتورة) تجار القاهرة فى العصر العثمانى، ص ٢١٢-٢١٣، ترجمة الدكتور روف عباس، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧ م.

٤٠ a. Raymond , grandes villes araes a l epoque ottoman , p 170 , paris , 1985

٤١ أسرة الشرايبي من أصل مغربى، وكان أفرادها أكبر تجار مصر فى القرن ١٢هـ / ١٨ م. وكان يتردد إلى منزلهم الطعام والأدياء والفضلاء، وكان لديهم مكتبة مفتوحة للاستعارة والاطلاع، وكان صالونهم الأدبى لا ينقطع. المصرى، التاريخ العيى، ص ٥٨٩.

٤٢ كان رضوان كتحدا الجلفى منصرفا إلى لذاته وخلعته، وإليه تنسب عمارة باب العزب بالرميلة، وقد آلت إليه أملاك عديدة من قصور وأراض بطرق شرعية وغير شرعية. الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٨٤، ٢٨٩.

٤٣ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٨٥.

٤٤ على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ٣٧٩.

٤٥ هو الأمير طاهر باشا الأرناؤوطى، تولى مصر ٢٦ يوما فقط، وقتل فى رابع صفر ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م، ودفن بقبته ببركة الفيل الملحقة بجامع حسن باشا طاهر. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ٢٨١ - ٢٨٢؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٣٥٧.

٤٦ هو الأمير حسن باشا طاهر يقال إنه ابن أخت محمد على باشا، كان ناظرا على ديوان الجمارك ببولاق، وقد تولى فى جمادى الآخر ١٢٣٣هـ / ١٨١٨ م. ودفن بقبته التى تقع جنوب مسجد السيدة زينب، ثم دخلت فى توسعته. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ٢٧٩؛ محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة، ص ١٦٥.

٤٧ أطلق على تلك المنطقة منذ ذلك الحين عتبة الخضراء بدلا من العتبة الزرقاء، واختلاف التسمية يرجع إلى اختلاف لون عتبة كل قصر، وبقي قصر والدة عباس باشا إلى عصر الخديو إسماعيل، حيث هدم بسبب إعادة تنظيم المنطقة وبقي جزء منه كان به المحكمة المختطة. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ٢٧٩؛ محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة، ص ١٦٥.

٤٨ الأمير إبراهيم كتحدا انتهت له السيادة فى مصر، هو وقسيمه رضوان كتحدا الجلفى، وكان هو الذى يتولى الحكم بشكل فعلى بينما اكتب رضوان كتحدا على ملذاته، امتك إبراهيم عدة دور وقصور بالقاهرة منها داره المجاورة لدار رضوان كتحدا، ودار بباب الخرق وهى دار زوجته بنت الباربدى، والقصر المنسوب لها بمصر القديمة، والقصر عند سبيل قايماز بالعالية، مات عام ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤م، وهى نفس سنة ولادة رضوان كتحدا. الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٨٢، ٢٨٤.

٤٩ مات الأمير إبراهيم شوربدى الصابونجى عزبان فى شوال ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م، وكان له عزوة وأتباع ومماليك. الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١، ٢٩٢.

٥٠ أندريه ريمون، فصول من تاريخ القاهرة الاجتماعى، ص ١٨٤.

٥١ هو الأمير على بك الكبير، قاد حركة استقلال مصر عن الدولة العثمانية، وطد حكمه وقضى على الفتن، واستتب الأمن فى عهده، وقد خانه قائد جيوشه وزوج ابنته محمد بك أبو الذهب الذى اتفق مع العثمانيين فانقلب عليه وتغلب عليه، وجرح على بك الكبير فى معركة معه لتوفى متأثرا بجراحه بعد أسبوع فى صفر ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م. ودفن بقرية أستانه إبراهيم كتحدا بالإمام الشافعى. الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٣٠، ٤٢٧.

٥٢ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٤٦، ٤٣٧.

٥٣ هى نفيسة خاتون إحدى المعمرات الخيرات، كانت تتمتع بالعز والسيادة والكلمة النافذة وقد تزوجت مراد بك بعد موت على بك الكبير، وظلت مكانتها مرموقة حتى توفيت عام ١٨١٦ م. الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٥٢٨، ٥٣٩؛ محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة، ص ١٦٧.

٥٤ الألفى هو الأمير محمد بك الألفى المرادى، كان من كبار الأمراء فى نهاية الدولة العثمانية. وقد لعب دورا كبيرا فى الدولة، وكان شجاعا فارسا ومماليكه أكفاء مدربين، وكان له أملاك عديدة، وكان له اهتمامات أدبية وعلمية، وله عدة قصور بالقاهرة، وكان كثير التنقل بالأقاليم، قاوم الحملة الفرنسية عند دخولها مصر، تولى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م. ويموته اضمحل شأن المماليك فى مصر وصفا الجو لمحمد على ليرسخ قواعد دولته .

٥٥ الجبرتى، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٥٦٧.

ودرس القانون ثم عمل محاميا في تورين. وفي عام ١٧٩٧ م عمل سكرتيرا لدى ضابط في سلاح الفرسان. وفي ٢٨ يوليو ١٨٠٠ عمل في وزارة الحربية الفرنسية. وفي عام ١٨٠٢ أصبح مسئولاً عن العلاقات التجارية الفرنسية في الإسكندرية، كان دورفتي من المغرمين بالآثار ونقل تحفا كثيرة من مصر إلى فرنسا. لمزيد من التفاصيل عن حياته انظر: drovetti (v): Koenig et l egypte de mohamad aly, p 237: 245, annales islamologiques, tome, xviii, i. F.O, le caire, 1982

٧٨ حسن عبد الوهاب، قصر شبرا، مجلة العمارة، ص٢٥، المجلد الثالث، العدد ٣، ٤. ١٩٤١ م.

wiet, mohammed ali et les beauxants, p ٧٨ 1340

٨٠ ديوان خديو تركي، سجل ١١، مادة ٥٧٧، شعبان ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م.

٨١ حسن عبد الوهاب، قصر شبرا، ص ٢٧. مجلة العمارة، المجلد الثالث، العدد (٣، ٤). ١٩٤١ م.

٨٢ ليتان دي بلفون، أعمال المنافع العامة، ص ٢٢٩.

٨٣ روبرت سوليه، مصر ولع فرنسي، ١١٠، ترجمة لطيف فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م .

٨٤ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٣٠.

٨٥ محافظ ديوان خديو تركي، م٧، ترجمة الوثيقة رقم ١١، من محمد على إلى باقي بك وكيل ديوان مصر الملكي ٢٢ محرم ١٢٦١ هـ / ٣١ يناير ١٨٤٥ م.

٨٦ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٣٠ .

٨٧ سجلات ديوان خديو، تركي، سجل رقم ٧٦٢، ترجمة المكاتبات رقم ٢٤٣ من الجناح العالي إلى أمين دار الأمتعة في ١٢ شعبان ١٢٥٢ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨٣٦ م.

٨٨ سجلات ديوان خديو، تركي، سجل رقم ٧٦٢، ترجمة المكاتبات رقم ٢٤٣ من الجناح العالي إلى أمين دار الأمتعة في ١٢ شعبان ١٢٥٢ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨٣٦ م.

٨٩ دلفالري، حقائق القاهرة، ص ٣٣. ترجمة يوسف شتباي، القاهرة ١٩٢٤ م.

٩٠ سجلات المعية تركي، سجل رقم ١١، ترجمة الوثيقة رقم ٥٧٧ من الجناح العالي إلى الخراجة بوغوص، ٢٧ شعبان ١٢٣٨ هـ / ٩ مايو ١٨٢٣ م.

٩١ سجلات الديوان الخديو تركي، سجل رقم ٧٢٩، ص ٥١، ترجمة الوثيقة رقم ٦٥٦. من الديوان الخديوي إلى ناظر شبرا مصطفى أغا، غرة صفر ١٢٤٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٨٢٦ م.

٩٢ سجلات ديوان خديو تركي، سجل رقم ٨٦٨، ص ٢٣٢، من الديوان الخديوي إلى عمر أغا ناظر البناء في سراي شبرا، والمهتراباشي

٥٦ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٨.

٥٧ كريستوفر هيرولد، بونايرت في مصر، ص ١١٠.

٥٨ الدردلي، عزت حسن أفندي، ضيائنا، ص ٣٥٣، ٣٥٥.

٥٩ الدردلي، عزت حسن أفندي، ضيائنا، ص ٣٥٥.

٦٠ الدردلي، عزت حسن أفندي، ضيائنا، ص ٣٩١ .

٦١ doris abouseif, azbakiyya and its environs, p 81. I. F a.0. 1983

٦٢ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٢٤٤.

٦٣ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٣٣١، ٣٤٤. Gaston wiet mohammed ali et les beauxants, p 223. Le caire. 1950

٦٤ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٧٠.

٦٥ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٢٢: ٢٢٥.

٦٦ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٧٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

٦٧ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩ .

٦٨ كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ج ٢، ص ١٢-١٣. ج ٣، ص ١٦٠، ١٦١، ٢٢٠. ج ٤، ص ١١٥؛ محمد فؤاد شكرى وآخرون، بناء دولة مصر محمد على، ص ٨: ١٤. دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨ م.

٦٩ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٤، ص ١١٦؛ حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٨٨.

٧٠ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١١، ٩١، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٥، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٨٣.

٧١ عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ٢، ص ٩٦، دار المعارف. ١٩٨٧ م؛ يونان لبيب رزق (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ج ١، ص ١٢٩. الأهرام ١٩٩٥؛ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ج ١، ص ١٣٠، سلسلة تاريخ المصريين (٨٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.

٧٢ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٨٣.

٧٣ كتاب وقف عبد الرحمن كتخدا، رقم ٩٤٠، بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م. ص ١٤، ١٥، ١٦. أرشيف وزارة الأوقاف المصرية؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٩٨.

٧٤ المصري، أوضح الإشارات، ص .

٧٥ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٦٣.

٧٦ عبد الحميد نافع، ذيل المقرري، ص ٥١. أمين سامي، تقويم النيل، ج ٢، ص ٢٩٨. حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٧٢.

٧٧ شغل دورفتي منصب قنصل فرنسا في مصر مرتين: الأولى من ١٨٠٤ إلى ١٨١٤ م، والثانية من ١٨١٩ إلى ١٨٢٩، وكانت علاقته وطيدة بمحمد على، وساعده كثيرا بالمشورة عند الغزو الإنجليزي لمصر عام ١٨٠٧ م. ولد دورفتي عام ١٧٧٦ في مدينة بيمونت

- عبد الله، ٧ صفر ١٢٤٢ هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٢٦ م. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٣٢.
- ٩٣ حسن عبد الوهاب، قصر شبرا، ص، ٢٥؛ مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي، ص ٨٢-٨٣. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٣٠.
- ٩٤ مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي، ص ٨٤-٨٥؛ محمد علي عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ٢٣١ - ٣٣٢، gaston wiet, mohammed ali et les beauxants, pl xxiv
- ٩٥ حسن عبد الوهاب، قصر شبرا، ص ٢٥؛ محمد علي عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ٢٣٢-٢٣٣، gaston wiet, mohammed ali et les beauxants, pl xxiii.
- ٩٦ هو يوسف بك حكيميان ولد عام ١٨٠٧ م وتوفي عام ١٨٧٥ م. تولى نظارة مدرسة المهندسخانة. والعديد من المناصب المتعلقة بالتعليم في مصر في عصر محمد علي. محمد رفعت، الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر، ص ١٢٥، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢. طبع بدار نوبار القاهرة ١٩٩٥؛ محمد علي عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ص ٩٩، ١٦٨.
- ٩٧ سجلات المعية تركي، سجل رقم ٥٦، ص، ١٦، ترجمة الوثيقة رقم ٧٧، من المعية السنوية إلى ناظر شبرا، ١٩ محرم ١٢٥٠ هـ / ٢٩ مايو ١٨٣٤ م. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٢٣.
- ٩٨ سجلات المعية تركي، وثيقة رقم ٨٩، ص ٢٠، من المعية السنوية إلى ناظر شبرا، ٢٢ محرم ١٢٥٠ هـ / ١ يونية ١٨٣٤ م.
- ٩٩ سجلات المعية تركي، سجل رقم ٦٢، مكاتبة رقم ٣٩٢، من الجناح العالي إلى ناظر الأبنية في ١١ شوال ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م.
- ١٠٠ سجلات المعية تركي، سجل رقم ٦٧، ص ٧، وثيقة رقم ٥٤، من المعية السنوية إلى خير الله أفندي، رجب ١٢٥١ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٣٥ م.
- ١٠١ سجلات المعية السنوية تركي، سجل رقم ٦٦، وثيقة رقم ٦٣٠، من المعية السنوية إلى خير الله أفندي، ٢٨ جمادى الأولى ١٢٥١ هـ / ٢١ سبتمبر ١٨٣٥ م. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٢٣.
- ١٠٢ ديوان مدارس عربي، سجل رقم ١٥٠، صابر، ص ٢٠٨٧، ديوان المدارس إلى المالية، ٤ جمادى الآخرة ١٢٦٦ هـ / ٢٩ أبريل ١٨٤٩ م.
- ١٠٣ سجلات المعية عربي، سجل رقم ١٦٤، مكاتبة رقم ١٦٥، من ناظر عمارات شبرا إلى ديوان المدارس، ذو الحجة ١٢٦٥ هـ / أكتوبر ١٨٤٨ م. سجلات المعية السنوية، سجل رقم ٤٢، ص ١، ٤، من المعية السنوية إلى قسم شبرا، في ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٣٤.
- ١٠٤ ديوان المدارس عربي، سجل رقم ٢٥، صابر، ص ١٧٣٥، مكاتبة رقم ٢٧٤، من ديوان المدارس إلى المعية، ٦ جمادى الأولى ١٢٦٧ هـ / ٧ فبراير ١٨٥٢ م.
- ١٠٥ سجلات المعية تركي، سجل رقم ٨٩، وثيقة رقم ٣١١، من الجناح العالي إلى مفتش الأبنية، ٨ شعبان ١٢٥٢ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٣٦. أمين سامي، تقويم النيل، ج ٢، ص ٤٧٨.
- ١٠٦ محافظ ديوان خديو تركي، ٨ م. من الجناح العالي إلى باقي بك وكيل الديوان، ٨ رمضان ١٢٦١ هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٤٥ م. ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٢٤.
- ١٠٧ بليشفالري، حقائق القاهرة، ص ٣٢.
- ١٠٨ ديوان المدارس عربي، سجل رقم ١٥٨، ص ١٦٢، وارد وثيقة رقم ٣٠٧. من ديوان الأبنية إلى ديوان المدارس، ٢ ذى الحجة ١٢٦٥ هـ / ١١ أكتوبر ١٨٤٩ م. سجلات المعية عربي، سجل رقم ٤٢، ص ٧٠، من المعية السنوية إلى ناظر الأبنية الميرية، ١٧ جمادى الأولى ١٢٦٦ هـ / ٣١ مارس ١٨٥٠ م.
- ١٠٩ حدثت تجديدات بهذه السرائ في عصر الملك فؤاد. انظر مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي، ص ٩٨.
- ١١٠ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٢٢؛ مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي، ص ١٠١، ١٠٧.
- ١١١ سجلات المعية تركي، سجل رقم ٦٢، وثيقة ٤١٥، من المعية السنوية إلى ناظر شبرا، ١٩ شوال ١٢٥٠ هـ / ١٩ مارس ١٨٣٥ م.
- ١١٢ مختار الكسباني (دكتور)، تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي، ص ٩٠.
- ١١٣ علي شافعي، أعمال المنافع العامة في عصر محمد علي، ص ١٤، ١٥. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٠ م.
- ١١٤ عبد الحميد نافع، نيل المقريري، ص ٥١؛ الرجبي، تاريخ الوزير، ص ١٨٦، ١٨٧.
- ١١٥ بليشفالري، حقائق القاهرة، ص ٢٩: ٣٤.
- ١١٦ سجلات ديوان المدارس عربي، سجل رقم ١٥ ج، وارد دواوين الأقاليم، من ديوان الخديو إلى ديوان المدارس ١٧ محرم ١٢٦٠ هـ / فبراير ١٨٤٤ م.
- ١١٧ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٢٧.
- ١١٨ حسن عبد الوهاب، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، ص ١٧، دار النشر للجامعات ١٩٥٧ م. حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ٦٠. Jane I. Abo lughod, cairo 1001 years of the city victorou. P 89
- ١١٩ tarek (m.R.S), early twentiethet century islamic architecture ,p 8. The american university in cairo press 1992 .
- ١٢٠ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٧٧.
- ١٢١ الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩.
- ١٢٢ ولد عباس حلمي بن طوسون باشا بن محمد علي سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨١٢ م. وتنقل في عدد من الوظائف الحكومية أثناء حكم جده

وعمه، واشترك في حروب إبراهيم باشا بالشام وتولى مديرية الغربية سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٢٣م، فمفتشا للأقاليم البحرية سنة ١٢٥١هـ / ١٨٢٥م، فمفتشا عاما على الدواوين المصرية سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٢٦م ثم كنخدا بك حتى عين واليا على مصر بعد وفاة عمه ابراهيم سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م. كلوت بك، لمحة عامة، ج ١، ص ٨٧ - ٨٨؛ أمين سامي، تقويم النيل، ج ٣، ص ٤؛ عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ١٥: ٢٧. دار المعارف ١٩٨٧م.

١٢٣ عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٥٤؛ على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٨٤؛ أمين سامي، تقويم النيل، ج ٣، ص ٧١؛ حسن عبد الوهاب، العمارة في عصر محمد علي، ص ٢٠، مجلة العمارة، العدد (٣، ٤).

١٢٤ محمد الششتاوي، منتزهات القاهرة، ص ١٠٥: ١٣٥.

١٢٥ على باشا مبارك، الخطط، ج ٢، ص ١٦٥؛ حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ١٦١.

١٢٦ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢٤٢.

١٢٧ أمين سامي، تقويم النيل، ج ٣، ص ٢١، ٢٢.

١٢٨ ميخائيل شاروبيم، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج ٤، ص ١٠٧. المطبعة الأميرية.

١٢٩ محافظ أبحاث، م ١٢٨، دوسيه متنوعات من عباس إلى ديوان المدارس، ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م.

Mme de gasparin, journal de un voyage au levant, p 12,13,14. Paris 1848. Wiet, Mohammed Ali et beaux art, p 121 .

١٣١ عبدالرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ص ١٦.

Charles didier, les nuits du caire, p 118, ١٢٢ 119. Pairs, hachette 1860 .

Nihal tamraz, nineteenth century cairene houses palaces, p 40: 55.

١٣٤ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢١١.

١٣٥ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ص ٢١١.

١٣٦ على مبارك، الخطط، ج ١، ص ٢١٢.

١٣٧ أنور لوقا، إدريس أفندي في مصر، ص ١١٠: ١١٢، كتاب اليوم ١٩٨٨ م؛ الرافعي، عصر إسماعيل، ص ٢٤: ٢٦.

١٣٨ عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٥١ - ٥٢.

١٣٩ أنور لوقا، إدريس أفندي في مصر، ص ١٠٦.

١٤٠ إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل، المجلد ٢، ص ٢٦، ٢٧، بار الكتب ١٩٢٣ م؛ أنور لوقا، إدريس أفندي في مصر، ص ١١٨.

١٤١ أحمد عبد الوهاب رزق، تطور العمارة في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ص ٦١ رسالة

ماجستير، كلية الهندسة، جامعة الأزهر، ١٩٩١ م.

١٤٢ محمد على عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص ٢٣.

١٤٣ على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٨٣. عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٤٩، ٥٠. أمين سامي، تقويم النيل، ج ٣، ص ٤٣٣. كراسات لجنة حفظ الآثار العربية، كراسة ١١، ص ١، ٢. حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ١٨٧، ١٩٨.

١٤٤ عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٥٢.

١٤٥ الرافعي، عصر إسماعيل، ص ٧١.

١٤٦ عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٥٢.

١٤٧ عرفت هذه البركة في العصر المملوكي ببركة الشفاف أو الفراهين، وقد أطلق عليها هذا الاسم في أواخر العصر المملوكي، وموضعها اليوم في المكان الذي يشغله ميدان عابدين ومبنى محافظة القاهرة. محمد الششتاوي، منتزهات القاهرة، ص ١٤٢: ١٤٤ .

١٤٨ عبد الحميد نافع، ذيل المقریزی، ورقة ٥٣.

١٤٩ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥؛ حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

١٥٠ سجلات المعية عربي، سجل رقم ١٩٠٧، الرقم الحديث س ١ / ١ / ٤٤، ص ٤٤٠، أوامر كريم إلى ديوان أمور خاصة ٢٣ جماد أول ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م. ثناء عميرة، تحديث مدينة القاهرة، ص ٢٤٢.

١٥١ محافظ أبحاث، م ١٢٨، مذكروم خاص به محفوظات تاريخية من ديوان جلالة الملك، مذكرة عن أصل أرض سراي عابدين.

١٥٢ سجلات المعية عربي: سجل ١٩٢٧، الرقم الحديث، س ١ / ١ / ٣٩ أوامر، أمر كريم إلى ديوان أمور خاصة، ٢٦ محرم ١٢٨٦هـ / ٨ مايو ١٨٦٩م، ص ١١١ .

١٥٣ سجلات المعية عربي: سجل رقم ١، الرقم الحديث س ١ / ١ / ٥٦ أوامر، أمر كريم إلى ديوان خاصة، ٢٣ جمادى ثاني / ٣٠ ستمبر ١٨٦٩ م، ص ٢٠.

١٥٤ محافظ المعية السنية، م ٤٢، الرقم الحديث ٩٢، من إسماعيل صديق ناظر المالية إلى أحد رجال المعية، ٢٢ ربيع الآخر ١٢٨٥هـ / أغسطس ١٨٦٨ م.

١٥٥ وثيقة رقم ١٤٠٦، أرشيف وزارة الأوقاف. (وثائق أوقاف الأسرة المالكة).

١٥٦ مصطفى فهمي، عصر إسماعيل، القصور والمنشآت العامة والمتنزهات، ص ٩؛ محمود الجوهري، قصور وتحف من محمد على إلى فاروق، ص ١٥. دار المعارف ١٩٥٤ م.

١٥٧ ديوان المعية السنية عربي، سجل ١٩٣٦، أوامر، أمر ٢٩٨، ص ١٣٤، ٢٠ رجب ١٢٩١هـ / ١٨٧٤ م.

١٥٨ ثناء عميرة، تحديث القاهرة، ٢٤٤؛ محمود الجوهري، قصور وتحف، ص ١٦.

- ١٥٩ محمود الجوهري، قصور وتحف، ص ١٦. محمد على عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ص ٤٨.
- ١٦٠ محمد على عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ص ٤٩.
- ١٦١ بيير كرابيتس، إسماعيل المفترى عليه، ص ٤٣، ٤٤. ترجمة فؤاد صروف، دار النشر الحديث، ١٩٣٧ م؛ حسام إسماعيل (دكتور)، مدينة القاهرة، ص ٢٩.
- ١٦٢ محافظ عابدين، م ٢٨٥، أمر كريم إلى طلعت باشا محرم ١٢٩٦ هـ/ يناير ١٨٧٩م.
- ١٦٣ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ج ١، ص ٩٠، سلسلة تاريخ المصريين (٨٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م
- ١٦٤ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ج ١، ص ٥١٩، ٥٢٠؛ يونان لبيب رزق (دكتور) الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، ج ٣ ق ١، ص ٢٢٤: ٢٢٨. الأهرام ١٩٩٩م.
- ١٦٥ محفوظات مجلس الوزراء، البيت الحاكم ٢، السرايات والقصور، مكتبة بتاريخ ٢٥ يوليو ١٨٩١م من المعية السنية. أرشيف دار الوثائق القومية.
- ١٦٦ محفوظات مجلس الوزراء، البيت الحاكم، السرايات والقصور، ترجمة مكتبة بتاريخ ٢٧ مايو ١٨٩٣م، من ديكران باشا بشأن المصروفات اللازمة للعمليات المقتضى إجرائها بسراى عابدين.
- ١٦٧ محفوظات مجلس الوزراء، البيت الحاكم، السرايات والقصور، ترجمة مذكرة إلى مجلس النظار، بتاريخ ٢٨ يونية ١٨٩٣م.
- ١٦٨ محمد على عبد الحفيظ، دور الجاليات الاجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر، ص ٤٩.
- ١٦٩ سجن أحمد عرابي وزعماء الثورة العرابية في أعقاب فشلها في قشلاق عابدين مما يدل على مدى حصانته. الأهرام العدد ١٨٩، ص ٢، ٣١ أغسطس ١٨٨١ م؛ يونان لبيب رزق (دكتور) الأهرام ديوان الحياة المصرية، ج ١ ق ١، ص ٢٨٢.
- ١٧٠ نجح إسماعيل في إصدار فرمان من السلطان عبد العزيز في ٢٧ مايو ١٨٦٦، بنقل ولاية العهد إلى أكبر أبنائه، وهو ما أثار غضب أخيه الوارث الأصلي للحكم. وعمه عبد الحليم الذي كان يتطلع إلى الحكم، وسبب هذا صراعا داخل أسرة محمد على، وتولى توفيق الحكم بموجب هذا فرمان. عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ٧٩، ٨٢.
- ١٧١ يونان لبيب (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ص ٩٨.
- ١٧٢ يونان لبيب (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ص ٣٣.
- ١٧٣ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ص ٨١، ٨٢.
- ١٧٤ إلياس الأيوبي، تاريخ مصر، ج ٢، ص ٢١١.
- ١٧٥ كتاب وقف عبد الرحمن كتحدا، رقم ٩٤٠ أوقاف، ص ١٦.
- ١٧٦ كتاب وقف عبد الرحمن كتحدا، رقم ٩٤٠ أوقاف، ص ١٤، ١٥، ١٦.
- ١٧٧ عبد الحميد بك نافع، ذيل المقريزي، ورقة ٢.
- ١٧٨ هدم هذا القصر وقسمت أراضيه سنة ١٩٠٠ م، وأصبح مكانه حتى جاردن سيتي، وثبقى منه واجهته التي نقلت إلى عائلة الوراق بقرالة الممالك شرقى القاهرة، وسجلت مؤخرا في عداد الآثار الإسلامية. سيد كريم، قاهرة إسماعيل في ميزان التاريخ، ص ٢٣، مجلة العمارة، مجلد ٥، سنة ١٩٤٥م. عدد (٦، ٧).
- ١٧٩ عبد الحميد بك نافع، ذيل المقريزي، ورقة ٥٠.
- ١٨٠ خدم هذا المعمارى ستة وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين منذ تعيينه موظفا في الحكومة المصرية ابتداء من ٦ يوليو سنة ١٨٥٨ م وحتى إحالته على المعاش في ١٥ مايو ١٨٨٨ م، وقد عين في البداية رساما بديوان الجهادية برتبة صاغقول أغاسى ثم نقل إلى الدائرة الخاصة حيث عين مهندسا مقيما للإشراف على الأعمال الجارية في سراى ثمرة ٣ بالإسكندرية، ثم عمل بدائرة سعيد باشا بوظيفة رسام حتى ١٨٦٠م وفى ١٨ نوفمبر ١٨٦١م عين مهندسا بقلم الهندسة بنظارة الأشغال العمومية وفى سنة ١٨٦٢م عينه إسماعيل مهندس الدائرة الخاصة وفى عام ١٨٧١م نقل إلى العمل في نظارة الأشغال إلى جانب قيامه بتدريس مادة العمارة في المدارس الملكية وفى سنة ١٨٧٥م نقل إلى الدائرة الخاصة وعين ناظرا لحمامات حلوان وأشرف على توزيع أراضى مدينة حلوان، وتقلد وظيفة ناظر قلم هندسة الأوقاف وفى عام ١٨٨٥م منح رتبة الميرميران "أمير الأمراء" ووقع راتبه إلى ٨٠ جنيها شهريا. محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية، ص ٦٧-٦٨.
- ١٨١ Fehle (i) maurisch kiosk in linderhof der carl von diebitsch munh, p 8, 1992.
- محمد على عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر ٧٧.
- ١٨٢ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٨٠، ٨٤، ج ١٢، ص ٦٠.
- ١٨٣ دليشفالري، حداثى القاهرة، ص ٤.
- ١٨٤ دليشفالري، حداثى القاهرة، ص ٨.
- ١٨٥ دليشفالري، حداثى القاهرة، ص ٩.
- ١٨٦ كمال الدين صلاح الدين أحمد، تأثير العمارة الغربية على العمارة المصرية حتى عام ١٩٥٢ م، ص ١٣٢، رسالة ماجستير، الكلية الفنية العسكرية ١٩٩٣ م.
- ١٨٧ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٢١٣.
- ١٨٨ دليشفالري، حداثى القاهرة، ص ٢: ٥.
- ١٨٩ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٨٥؛ سيد كريم، قاهرة إسماعيل، ص ٢٢؛ حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٢٩٨.
- ١٩٠ محمود رمزى، قاهرة إسماعيل، ص ١٧١، ضمن كتاب القاهرة في عصر إسماعيل لعرفة عبده، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨ م.
- ١٩١ أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ص ٨٨؛ يونان رزق (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ج ٢، ص ١٦٧.

١٩٢ يونان رزق (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ج٣، ص ١٢، ١٣.

١٩٢ محفوظات مجلس الوزراء ٢، البيت الحاكم، السرايات الخديوية، مذكرة نظارة المالية بشأن السريات الخديوية ٢٢ فبراير ١٨٨٢ م.

١٩٤ عبد السميع الهراوي، لغة الإدارة في مصر في القرن التاسع عشر، ص ٣٩٩، ٤٠٠. القاهرة ١٩٦٣ م.

١٩٥ يونان رزق (دكتور)، الأهرام ديوان الحياة المصرية، ج٣، ص ٢٢٧.

الفصل السادس

العمارة والسياسة - دراسة تحليلية للعلاقة بينهما

تعددت المناهج التي درست العمارة الإسلامية^١، ومعظمها درس من منظور بسيط غير مركب، وهو ما أدى إلى أحادية النظرة لهذه العمارة، وبالتالي إلى قصور في إدراك ماهيتها. وكانت معظم الدراسات خلال العقود الماضية تركز على الدراسة الوصفية التي ترسم الشكل المعماري من خلال الكلمات، دون البحث عن البنية التي صاغت هذه العمارة ونحتت زخارفها المبهرة نحتاً يخطف الأبصار، أو تأصيل عناصرها المعمارية والزخرفية إلى أن تصل أحياناً بها إلى عمارة ما قبل الإسلام، دون أن يدرك هذا المنهج التأصيلي أن هناك بوتقة صهرت فيها هذه العناصر، وأعيد إنتاجها مرة أخرى بما يتوافق مع روح الحضارة الإسلامية، بطريقة تحمل في أغلب الأحوال إبداعاً يفوق ابتكار العنصر نفسه.

مستويات الدراسة

إذن فنحن أمام عدد من مستويات الدراسة ومحدداتها لكي نستطيع أن ندرس العمارة الإسلامية. وأول هذه المحددات هو تحديد بنية العمارة الإسلامية، ونحن نقصد هنا بالبنية، العلاقة المتشابكة بين المكونات المادية والفكرية للعمارة، فالبنية هنا تربط بين الكل الواقعي أو تجمع أجزائه، لذا فالبنية تعد القانون الذي يضبط هذه العلاقة. يجب هنا التمييز بين (البنية السطحية) و(البنية العميقة)، فالبنية السطحية هي هيكل الشيء ووحدته المادية الظاهرة، أما البنية العميقة فهي كامنة في صميم الشيء، وهي التي تمنح الظاهرة هويتها وتضفي عليها خصوصيتها. وعادة ما يعي المرء إدراك البنية السطحية المادية المباشرة، فإدراكها أمر متيسر، أما إدراك البنية الكامنة فهو أمر أكثر صعوبة، يتطلب استخدام الحواس وإعمال العقل والخيال والحدس؛ لذا عادة ما يعيش البشر داخل بنى اجتماعية وتاريخية واقتصادية يستبطنونها فتؤثر في سلوكهم وتشكيل رؤيتهم للكون وتحدد خطابهم الحضاري دون وعي منهم^٢.

لذا لكي نصل إلى بنية العمارة الإسلامية، يجب أن نفكك هذه العمارة ونعيد تركيبها مرة أخرى، وعبارة (فك

الشيء) تعني فصله وفرق أجزائه بعضها عن بعض، وعكسها (ركب الشيء) أي -جعل الشيء بعضه فوق بعض- وضمه إلى غيره- وهذه العملية تهدف إلى فصل مكونات العمارة، ثم إلى إعادة ضمها إلى بعضها، من خلال نموذج تفسيري يوضح هذه العملية، وبذلك يمكن الوصول إلى ماهية العمارة الإسلامية.

وتعتمد هذه الدراسة في بناء النموذج التفسيري على دراسة العلاقة بين التحول السياسي، والذي يعني انتقال السلطة من جماعة سياسية إلى أخرى، وهو ما يطلق عليه ابن خلدون العصبية السياسية^٣ التي تقوم عليها الدول، على نحو ما حدث من انتقال للسلطة من الأيوبيين إلى المماليك في مصر، ومن المماليك إلى العثمانيين ثم إلى محمد علي وأسرته.

وهذا الانتقال عادة ما يصاحبه تغير في نمط أو طراز العمارة وفي تخطيط المدن، ولا يكون مثل هذا التغير سريع الحدوث، بل يأخذ وقتاً من الزمن، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون (في أن رسوخ الصنائع في الأمصار، إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدتها)^٤. ونستطيع أن نترجم هذه العبارة معمارياً بأن الطراز المعماري المميز لأي عصر لابد له من وقت لكي تتضح معالمه وهذا التميز المصاحب لأي طراز لابد أن ينشأ في ظل استقرار سياسي يتيح للمعماري الإبداع.

هناك ثلاثة مستويات من البنى تحدد العلاقة بين العمارة والسياسة:

- المستوى الأول: العمارة كشاهد سياسي. وهو يمثل البنية السطحية: وفي هذا المستوى تكون العمارة سجلاً للعديد من الأحداث السياسية التي مرت عليها، أو حدثت في المنشأ المعماري، أو تركت أثرها عليها، ومن أمثلة ذلك باب زويلة الذي شيد في العصر الفاطمي^٥ ليكون أحد أبواب حصن القاهرة مقر حكم الفاطميين بالعاصمة المصرية، وكان ذا وظيفة حربية، إذ إنه كان يغلق على الحصن الذي كان يضم قصور الفاطميين ومسجدهم الجامع وجندهم ومواليهم.

ولكن منذ عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م، حين وسط المظفر قطز أحد رسل التتار بظاهر باب زويلة ثم علق رءوس رسل التتار الأربعة على باب زويلة^١. اكتسب الباب منذ ذلك الوقت وظيفة سلطوية سياسية بخاصة مع تضاعف دوره الحربي^٢، وتوالت حوادث الإعدام عليه، منذ ذلك الحين حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وأعدم السلطان المملوكي طومان باي آخر سلاطين المماليك على هذا الباب^٣، وكان هذا الإعدام رمزا لبداية عصر العثمانيين في مصر ونهاية عصر المماليك. وفي العصر العثماني وعصر محمد علي توالت عمليات تنفيذ حكم الإعدام على هذا الباب^٤ حتى عصر الخديوي إسماعيل. كان لجلوس متولى الحسبة^٥ بالقاهرة عند هذا الباب أثره في تغير اسمه لدى العامة إلى باب المتولي. وبمرور الوقت نسي الناس السبب الحقيقي لهذه التسمية، وتصوروا أن المقصود بالمتولي أحد الأولياء الصالحين، ومن ثم ظل هذا الباب يتقرب إليه بعض العامة بربط الخرق بمساميره^٦.

كما يسعى السلاطين بإثبات انتصاراتهم على عمائرهم بصورة أو بأخرى لتكون شاهدا على هذه الانتصارات، ومن ذلك تعليق خوذة ملك قبرص على باب مدرسة السلطان الأشرف برسباي بالقاهرة، والتي انتهى من تشييدها عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م، وهي السنة التي فتحت فيها قبرص^٧. وظلت هذه الخوذة باقية حتى القرن ١١ هـ / ١٧ م^٨.

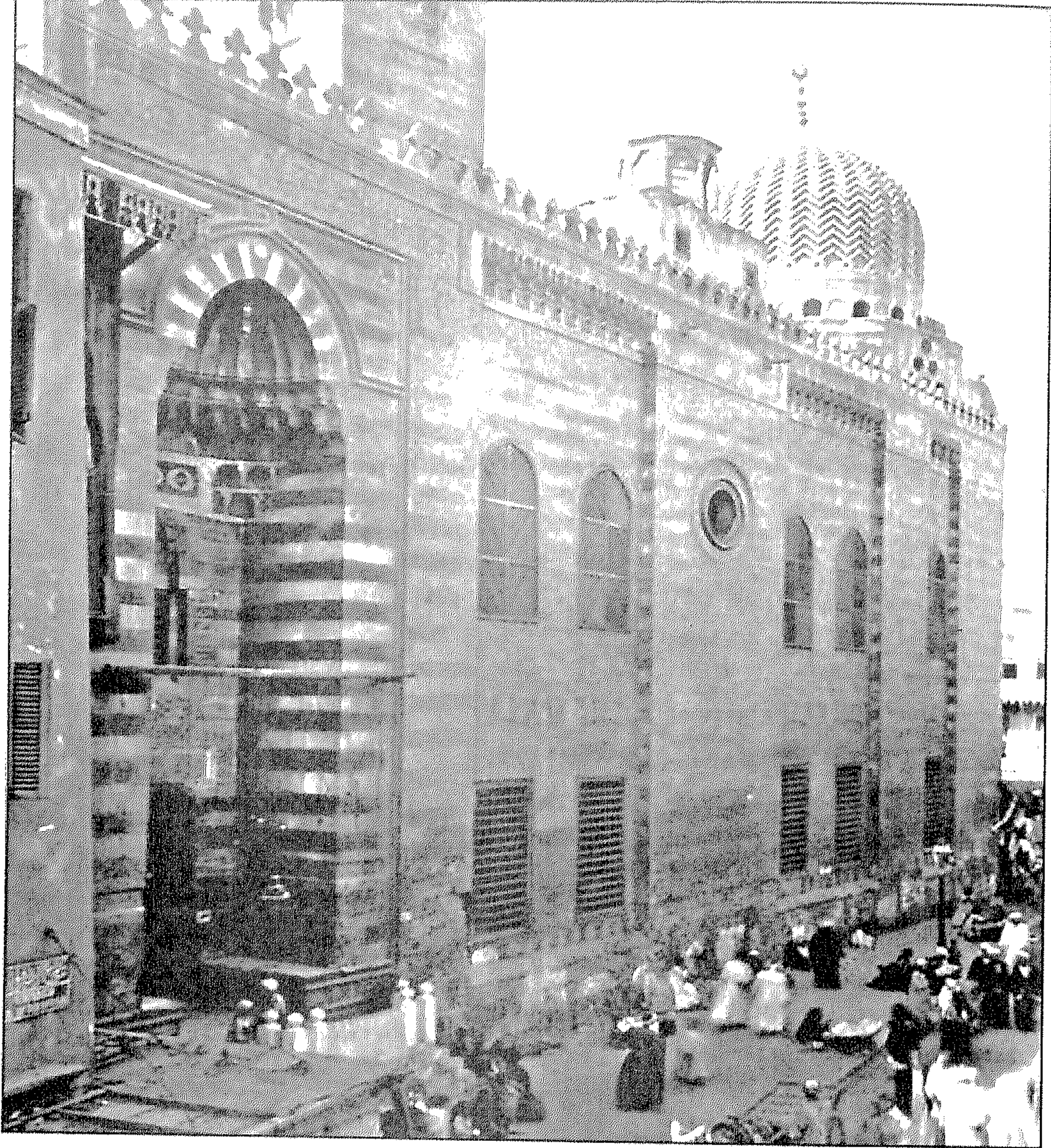
– المستوى الثاني: الرمزية السياسية للعمارة. وهو يمثل أحد جانبي البنية العميقة: في هذا المستوى تجسد العمارة قوة الدولة وتوجهاتها السياسية. ومثل هذا النوع من العمائر شاع في العمارة الإسلامية. تتمثل هذه الرمزية في عدد من المدلولات المعمارية، يحمل بعضها مضمونا حضاريا وبعضها الآخر مضمونا سلطويا سياسيا، ويجمع بينهما أحيانا بعض العمائر ذات الدلالات المتعددة.

تعد قبة الصخرة والحرم القدسي الشريف حولها أبرز العمائر التي تحمل مضمون حضاري^٩ يعود تشييد القبة إلى العصر الأموي، الذي شهد نزاعا حضاريا بين

الدولة الأموية والدولة البيزنطية على السيطرة على العالم القديم. واتخذ هذا النزاع صورا متعددة. منها تعريب طراز أوراق البردي التي كانت تصنع في مصر^{١٠}. وتعريب النقود في إطار سياسة رسمها عبد الملك بن مروان الهدف منها إرضاء الشعور الديني والسياسي للمسلمين، ورغبته في إعطاء حق ضرب النقود إلى الخلافة في شخص الخليفة كمظهر من مظاهر الملك والسلطان بعد أن انتزع حق ضرب النقود كثير من الولاة والناظرين فكان الإصلاح النقدي سببا مهما في القضاء على الفوضى السائدة تحقيقا للاستقرار السياسي، فضلا عن أن النقد العربي الخالص يعبر عن سيادة الدولة وخروجها من تحت عباءة النفوذ الاقتصادي البيزنطي، لذا اتجه عبد الملك إلى الاستقلال الاقتصادي بتعريب النقود، فضلا عما يتيح هذا من توحيد النظام النقدي في دولة تمتد عبر مساحات شاسعة من الأراضي^{١١}.

اتجه عبد الملك بن مروان في إطار هذا المخطط الشامل إلى العمارة التي ترمز إلى سيادة الدولة واتجاهها الفكري، ففي القدس تبنى مشروعا ذا طابع سياسي ديني حضاري، يركز على الاهتمام بعمارة الحرم القدسي الشريف بخاصة قبة الصخرة والمسجد الأقصى لارتباط هذا الحرم بالعقيدة الإسلامية فهو أول القبلتين، وفيه صلى الرسول بالأنبياء وإليه كان إسراؤه ومنه كان معراج^{١٢}. ولما كانت عمارة الحرم آنذاك بسيطة لا تتناسب مع ما حولها من كنائس، بخاصة كنيسة القيامة المقدسة لدى المسيحيين، ومع ما قد تحدثه عمارة الكنائس في نفوس بعض المسلمين، ورغبة عبد الملك في إثبات الهوية الحضارية الجديدة للمدينة^{١٣}. تبنى مشروع عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

ويلفت الانتباه من هذا المشروع قبة الصخرة، أبرز آثار الحرم، فهي تعد أول عمل معماري واع لعظمته بل متباه بها، انتهى من بنائها عام ٧٢ هـ / ٦٩٢ م. وهي ترى من مسافات بعيدة، وهي مبنية فوق صخرة مقدسة، حولها ممران يدوران حولها بمسقط مثنى، شامخة في الهواء في مركز الحرم القدسي على تل من تلال القدس.



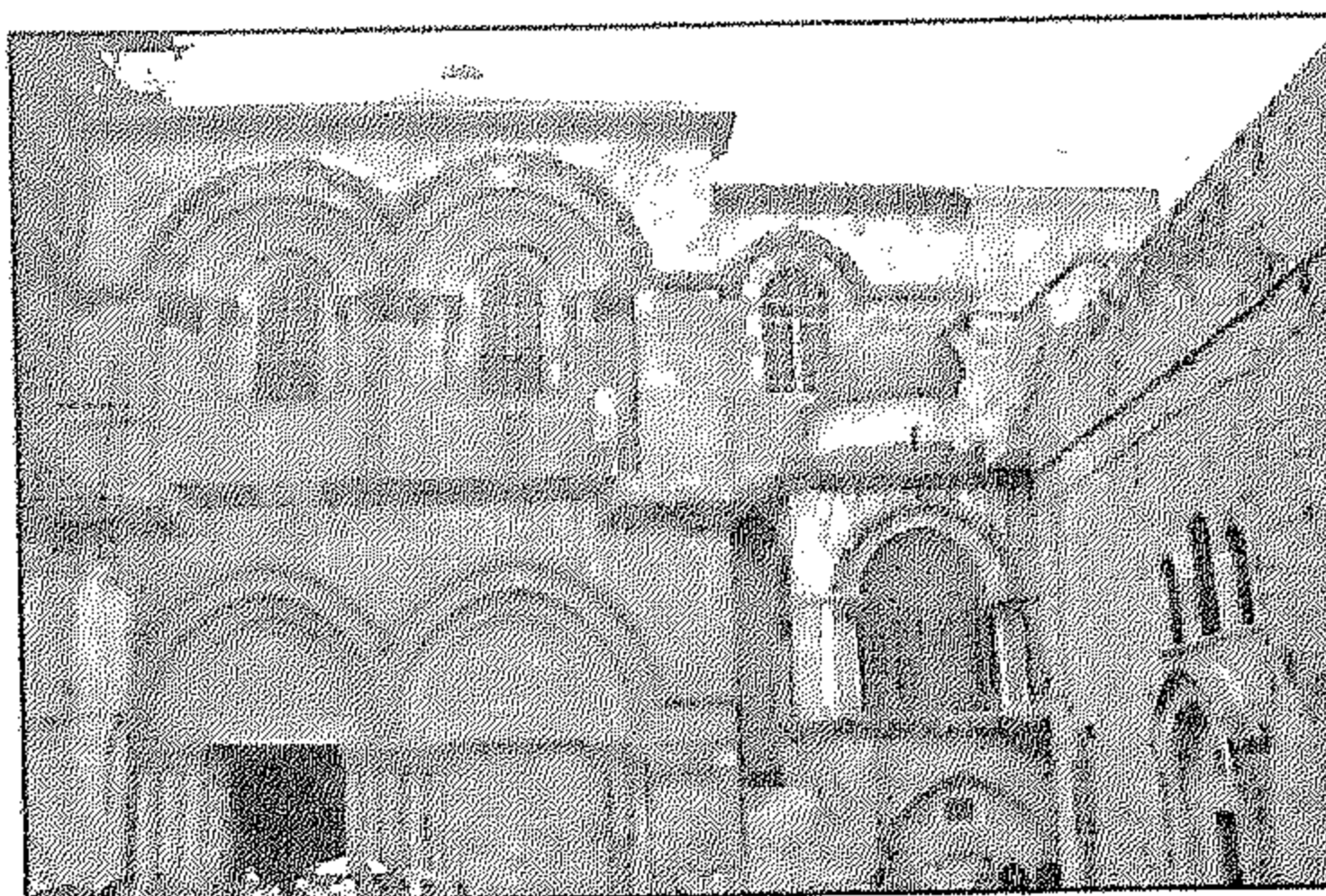
مدرسة الأشرف برسباي

كلنا لأن جزءا كبيرا من الفسيفساء الأموية فُقد، ولكننا نملك بعض الشواهد على هذه الموضوعات من فسيفساء الرواق المثلث الداخلي، يمكن عند ربطها بدقة عمارة القبة الانتهاء إلى الرمزية السياسية لها.

مخطط القبة ليس غريبا بالدرجة التي يبدو بها اليوم، يرى بعض المستشرقين وعلماء الآثار العرب أن تخطيط قبة الصخرة ذو أصل روماني يعرف بمخطط ضريح

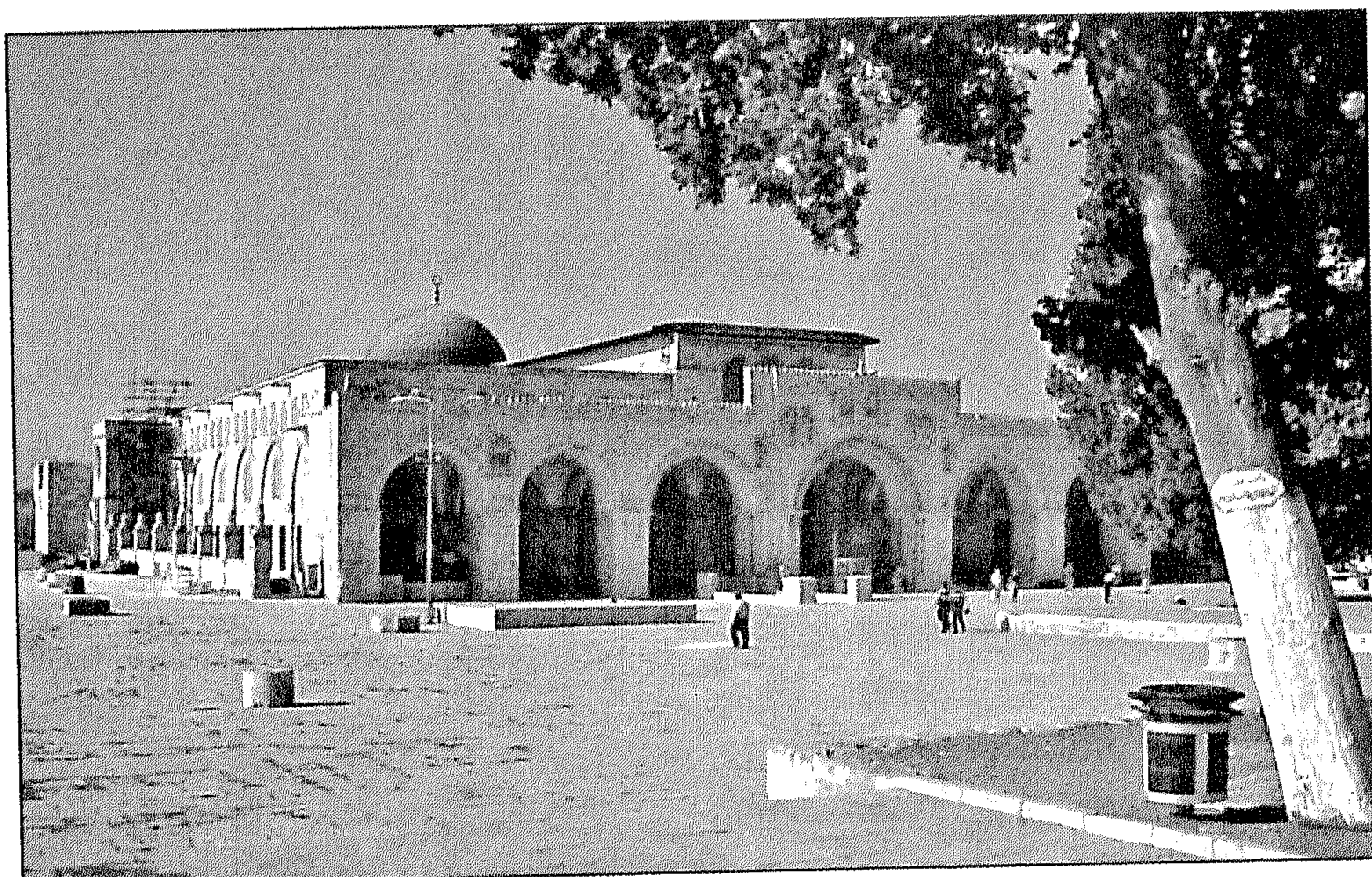
وهذه القبة ذات التصميم الهندسي الذي يصل لحد الكمال والروعة كانت مزخرفة بالفسيفساء على كل سطوحها داخلا وخارجا، وكانت ومازالت تبهر الراثين حتى إن كثيرا منهم لم يملكوا أنفسهم من إضفاء كل صفات البريق واللمعان عليها، مهملين في الوقت نفسه، للأسف، أن يخبرونا ماذا كانت تلك اللوحات الفسيفسائية تمثل، ولا نستطيع أن نحكم على موضوعات فسيفساء القبة حكما

في عهد جوستينيان (حكم ٥٢٧ - ٥٦٥ م). ولكن قبة الصخرة أكثر هذه المخططات توازنا هندسيا، وهي من دون أى شك قد قصد بها التمايز والتنافس مع قبة قبر المسيح في كنيسة القيامة التي تطل عليها من أعلى جبل مورياه^{١٨}. ويرى الدكتور فريد شافعى أن تخطيط قبة الصخرة لا يطابق أى تخطيط لنماذج العماثر البيزنطية في منطقة بلاد الشام أو في غيرها، بل هو تحويل واقتباس منها ليتفق مع الغرض الذي شيد من أجله البناء وهو أن يحيط بالصخرة، وهي البقعة المباركة التي عرج منها محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء حين أسرى به ربه من مكة المكرمة إليها. ولذا فقد روعى في التخطيط أن يوفر غرض تعيين تلك البقعة، ثم غرض الطواف حولها للتبرك بها. وهو أمر يختلف تماما عن الذي شيدت من أجله تلك العماثر الدينية البيزنطية ذات التخطيطات المشابهة التي عادة ما توجه نحو الحنية، ولا تتعدد فيها المداخل كما تعددت في قبة الصخرة، ومهما يكن من أمر فإن تخطيطات تلك العماثر الدينية البيزنطية ليست إبتكارات



كنيسة القيامة

الشهيد، وهو عبارة عن مخطط مركزي يتحلق حول بؤرة مهمة كضريح عظيم أو تمثال إله لتمكن الزوار الطواف حوله، وظيفته إذن طقوسية طوافية. وهو لهذا السبب استعمل في الفترة المسيحية المبكرة في بلاد الشام، وفي مجمل الأراضي البيزنطية، في عمارة العديد من الكاتدرائيات المهمة، ككاتدرائية بصرى في حوران التي لا تزال بقاياها قائمة إلى اليوم، وكنيسة القيامة في القدس نفسها، وهما الاثنتان تعودان إلى فترة الحكم البيزنطي



المسجد الأقصى

بيزنطية أو سورية، بل كانت في الأصل تخطيطات رومانية دينية سابقة، أخذت بدورها من أصول إغريقية^{١١}.

وتعد فسيفساء قبة الصخرة من الناحية الحرفية امتداداً للفسيفساء البيزنطية في بلاد الشام والدولة البيزنطية، ولها العديد من الأمثلة في كنائس بلاد الشام والعاصمة القسطنطينية، وأشهرها آيا صوفيا، وكنائس سالونيك الإغريقية، غير أن فسيفساء قبة الصخرة ذات مواضيع معقدة في أصولها وكيفية اختيارها ومعانيها، فعلى خلاف النماذج البيزنطية التي تنتشر وإياها في التقنية، تركز لوحات قبة الصخرة على المواضيع المحورة عن الطبيعة، وتحصرها بالكتابات القرآنية والتسجيلية وبالتوريق والزخارف النباتية، بعض الأشكال الغامضة اليوم، والتي ربما تكون تحويراً لتيجان ملوك ومستلزمات وظيفتهم من صولجانات ومجوهرات وما شابهها.

إننا هنا أمام تساؤلات عديدة تطرح نفسها حول هذا المبنى ورمزيته. إن التوجهات السياسية والإعلامية والعقيدة تبرز في الآيات القرآنية المختارة بدقة، وفي تركيز وضع صور تيجان الملوك في الرواق حول القبة وبمواجهتها، فالنص القرآني يحتوى على كل الآيات التي تتكلم عن المسيح في موقعه الإسلامي المختار كنبى مرسل^{١٢}. والتيجان تبدو أشبه ما يكون بالتيجان الحقيقية للملوك المغلوبين، التي كان أباطرة الرومان والبيزنطيين يضعونها في معابدهم وكنائسهم كعلامات نصر ورمز إيمان بأفضلية معتقدهم. وبالتالي يمكن هنا أن ننظر إلى هذين العنصرين الزخرفيين على أنهما بالنسبة لبناء قبة الصخرة وسيلتا دعاية لدينهم ولدولتهم المنتصرين، خاصة إذا تذكرنا أن قبة الصخرة قد بنيت في القدس التي كان أغلب سكانها المسيحيين ما زالوا يدينون بالولاء لإمبراطور القسطنطينية البيزنطية، في وقت كانت الدولة الأموية فيه في خضم صراع مرير مع البيزنطيين في شمال بلاد الشام^{١٣}.

فالقبة مبنى معماري ذو رمزية سياسية ينبئ في القدس عن رغبة الدولة الأموية في بث حضارة جديدة تعبر عن أتباع الدولة المقيمين في المدينة، ويوجه رسالة

إلى الآخرين عن مدى قوة الدولة ومضمون رسالتها. وظلت قبة الصخرة بلونها الذهبي رمزا لمدينة القدس، يعلوها الهلال الذي يوازي اتجاه القبلة. وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال من فوق قبة الصخرة، وأقاموا مكانه صليبا من الذهب. وعندما استرجع صلاح الدين القدس مرة أخرى سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٧م، تسلى بعض المسلمون القبة واقتلعوا الصليب، وأعادوا الهلال إلى مكانه^{١٤}. هكذا شكل الموقع الذي شيدت عليه قبة الصخرة جانبا من الرمزية السياسية.

وإذا كان للقباب في بعض استخداماتها رمزية سياسية مباشرة كانت أو غير مباشرة، فقد استخدمت أيضا للتعبير عن مقر الحكم أو العرش بصورة صريحة فقد كان يعلو قصر الإمارة في دمشق قبة خضراء أعطت القصر اسمه^{١٥}. كما قام الحجاج بتقليد سادته بإقامة قبة خضراء لدار الإمارة في واسط^{١٦}. وكان يعلو قاعة العرش أو الحكم بقصر الذهب في بغداد قبة كبيرة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح يعبر عن قوة الدولة وبطشها في مواجهة أعدائها^{١٧}. وفي سامراء تميزت الدار الخاصة بالخليفة المعتصم بجناح قاعة العرش المؤلف من قاعة مربعة مركزية مسقوفة بقبة^{١٨}. واستخدمت القبة الخضراء كذلك لتسقيف دار العدل في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، التي شيدها الناصر محمد بن قلاوون لتكون مقرا لنظر المظالم ولاستقبال السفراء وكذلك للعرش المملوكي، ومقرا للاحتفالات الرسمية، هكذا كان للقبة مدلول سلطوي رمزي منذ فترة مبكرة في تاريخ العمارة الإسلامية.

- المستوى الثالث: يتمثل في العلاقة الفكرية بين السياسة والعمارة. هذه العلاقة هي التي تحكم طبيعة العمارة وموضوعاتها وحركيتها وتخطيطها. وهي تنبع من التوجه السياسي للسلطة، هذا التوجه يكون أيديولوجيا، ينعكس على العمارة في صور متعددة، وهو لا يحدث دفعة واحدة، بل يطل على العمارة القائمة على مراحل حتى يكسبها عند التحول من نمط إلى نمط بتغير السلطة شخصية جديدة، تعرف عند الأثريين والمعماريين بالطران المعماري.

تنشأ السلطة السياسية عادة من حاجة البشر إلى التجمع، فالإنسان مدني بطبيعته أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، وهي في اصطلاح ابن خلدون تعنى العمران^{٢٧}. فسر ابن الأزرق^{٢٨} ما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن بقوله إن "الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية عندهم -الفلاسفة- ليحفظ به وجوده وبقاء نوعه إذ لا يمكنه انفراده بتحصيل أسباب معاشه"^{٢٩}. وتحدث ابن تيمية عن الاجتماع المدني. وقال "إن بنى آدم لا تتم مصلحتهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون، التعاون على جلب منافعهم والتناحر لدفع مضارهم" وينهى كلامه بقوله: "ولهذا يقال إن الإنسان مدني"^{٣٠}.

مما سبق نرى أن الاجتماع الإنساني فطرة مجبول عليها الإنسان للحصول على منفعته في الدنيا بدأت بالعجز الفطري والذي دفع إلى الخضوع للخالق ومن ثم البحث عن الرزق، ثم التعاون لسد حاجات البعض للبعض، لتنتهي إلى اتخاذ المدن، وهي الصورة الإنسانية للاستقرار المؤقت الذي يدوم بدوام الحياة. والإنسان عند بداية ظهوره على الأرض تعاون مع أخيه الإنسان فقامت الحضارات، وظهرت الزراعة والقرى والمدن التي تتشكل منها أقاليم ثم من الأقاليم دولة. هكذا كان الحال في حضارتى مصر والعراق.

هذا ما عبر عنه القزويني^{٣١} عند حديثه عن ضرورة المدن بقوله: "إنه عند حصول الهيئة الاجتماعية لو اجتمعوا - يقصد البشر - في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والريح، ولو تستروا بالخيام والخرقاهات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها، لم يأمنوا صولة ذئ البأس، فآلهمهم الله تعالى اتخاذ السور والخندق والفصيل، فحدثت الأمصار والمدن والقرى والديار، ثم إن الملوك الماضية لما أرادوا بناء المدن، أخذوا آراء الحكماء في ذلك، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد، وأفضل مكان من السواحل والجبال ومهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها، واحترزوا من الآجام والجزائر وأعماق الأرض، فإنها تورث كربا وهربا.

واتخذوا للمدن سورا حصينا، وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج، بل يدخل ويخرج من أقرب باب إليه. واتخذوا لها قهندزا لمكان ملك المدينة والنادى لاجتماع الناس فيه، وفي البلاد الإسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات، ومراكض الخيل، ومعاطن الإبل، ومرابض الغنم، وتركوا بقية مساكنها لدور السكان، فأكثر ما بناها الملوك العظماء على هذه الهيئة، فترى أهلها موصوفين بالأمزجة الصحيحة والصور الحسنة، والأخلاق الطيبة، وأصحاب الآراء الصالحة والعقول الوافرة، واعتبر ذلك بمن سكنه لا يكون كذلك مثل الديالم والأكراد، والتركمان وسكان البحر في تشويش طباعهم وركاكة عقولهم واختلاف صورهم.

ثم اختصت كل مدينة لاختلاف تربتها وهوائها بخاصية عجيبة، وأوجد الحكماء فيها طلسمات غريبة، وأحدث بها أهلها عمارات عجيبة، ونشأ بها أناس فاقوا أمثالهم في العلوم والأخلاق والصناعات"^{٣٢}.

وحديث القزويني يحمل العديد من الدلالات المعمارية والتي تتعلق بتكوين ارتباط العمارة بالسلطة، فعندما تكون الهيئة الاجتماعية تتشكل المدن التي تحتاج إلى سور يوفر لها الأمن، وأشار إلى القيمة الحضارية لحياة المدينة وما تتميز به عن غيرها، وتميز المدن عن بعضها. وفي هذا إدراك مبكر للفروق بين المدن سواء كانت طبيعية أو ناشئة عن أنشطة ساكنيها. ويظهر من كلام القزويني تأثيره بنمط مقر الحكم في مدن أواسط آسيا، حيث إنه ولد بقزوين وطاف بهذه المنطقة وبلاد فارس والعراق (ويطلق على مقر الحكم هناك القهندز^{٣٣}). وهو عبارة عن قلعة داخل المدينة قد تكون على تبة جبلية منفصلة، أو سور يحيط بقصر الحكم والدواوين يتوسط المدينة، بينما يحيط بالمدينة ككل سور كبير، وأشهر الأمثلة على ذلك في مدينتى بخارى وسمرقند^{٣٤}. وفرق القزويني بين المدن الإسلامية وغير الإسلامية من حيث التكوين الداخلي.

وهذا يعنى أن هناك ترابطاً تلازمياً بين المدينة والعمارة والسلطة الحاكمة، وهى مكونات تتكامل مع بعضها، وتؤثر فى بعضها، وربط بناء المدن بالتطور

الحضارى للإنسانية، وبوجود ملوك عليها يتولون بناءها. أو حكام لها يقومون عليها، فيبنون الأسوار والمرافق العامة. وفى ضوء هذه العلاقة نستطيع أن نرى الصيغة التى تربط بين مكوناتها، هذه الصيغة عادة لا تكون مرئية بصوره مباشرة لأنها الفكر الذى يشكل المجتمع. نرى هذا منذ وقت مبكر فى تاريخ الإنسانية، حيث ارتبط اصطلاح السياسة police بمعنى المدينة ونسب إلى الاصطلاح الإغريقى politia بمعنى اجتماع المواطنين وممارستهم شئون الحكم والسلطة فى إطار دولة المدينة^{٣٢} وهذا ما كان يتم فى أثينا حيث نشأ الاصطلاح، كان ينقص أثينا الكثير من مظاهر الراحة المادية، مقارنة بكبريات المدن، فقد كانت مدينة للمزارعين الذين يتوجهون إلى أراضيهم للعناية بها، تناولت أثينا السلطة، بطريقة مثالية، فكان يتم اختيار ممارسى السلطة بالقرعة من بين الذكور، وعندما كانت تنشأ الحاجة الماسة إلى محترفين لإدارة شأن من شئون المدينة، كان المختارون بالقرعة يعينون مجالس من المحترفين لإدارة الأمور الفنية كالإدارة المالية أو بناء أحواض السفن. وتتخذ القرارات المصيرية بالنسبة لمدينة على يد مجلس الجماهير الذى يضم كل من له حق التصويت بالمدينة. وقامت إلى جانب ذلك منشآت معمارية أثرت الحياة والمشاركة الحياتية لأهل أثينا، مثل الأكروبول الذى يشرف على المدينة. وفى مهرجان الباناثينيا panathenea كان يتجمع الأثينيون لتقديم الهدايا للربة أثينا.

ولقد كان المسرح الأثينى، وهو شبه دائرة هائلة من الدرجات التى نحتت فى جبل منحدر متنفسا للمشاركة بالمدينة، إذ شهد عروضاً مسرحية تعكس طبيعة هذا المجتمع إذ كان المشاهد والممثل يتبادلان الأدوار. وكان هذا مما يعمق الوعي الخاص والتعبير الحر. لعب المسرح فى أثينا دوراً سياسياً مهماً حيث عكس واقع المجتمع وعمق من المشاركة الاجتماعية لأهل المدينة. وبرز هذا الدور أثناء الغزو الإسبرطى لأثينا حين قدم أريستوفانيس مسرحية أهل أرخاميا the archarnians التى قام بطلها بعقد سلام خاص مع العدو.

تمثل أرسطو مدينته الفاضلة من خلال حياة أهل أثينا التى جمعت بين العمل والمشاركة الشعبية التى تتطلب وقت فراغ بقوله "إن المدينة يجب أن تكون على نحو يمكن سكانها من العيش مع الاستمتاع بوقت الفراغ باعتدال وحرية"^{٣٣}.

كان أرسطو أقل انبهاراً من أفلاطون بالأشكال المثالية، وأشد اهتماماً بالمسار والهدف والنمو والإسكان بالنسبة للمدينة، وهو ما أعطى رؤيته درجة من الحيوية.

كان من المتوقع أن يتأثر الإسكندر الأكبر أشهر تلاميذ أرسطو بأستاذه، حين شيد سبعين مدينة أطلق على معظمها اسم الإسكندرية، كتب البقاء منها للإسكندرية المصرية، التى شيدها الإسكندر لتكون عاصمة للحضارة الهلينية فى مصر. اتبع الإسكندر فى تخطيط هذه المدن صورة أقرب لمدينة أفلاطون^{٣٤}. كان أرسطو فى دراسته للمدينة الفاضلة، أشد تقديراً للتنوع والتعدد والاحتياجات المحلية الخاصة من أستاذه أفلاطون. إن مدينة أفلاطون المثالية هى بمثابة المطلق الهندسى، قوامها ٥٠٤٠ مواطن و ٥٠٤٠ قطعة أرض، وثلاث طبقات من الناس تتعلم وتعيش منفصلة، والمدينة مقسمة إلى اثنى عشر قسماً ينفرد كل منها بإلهة ومعبد. ويمتد كل بيت منها كالسور (وتتخذ المدينة هيئة المسكن الواحد) كل ما فيها - باختصار - منظم وموحد. نشأت هذه الرؤية الأفلاطونية من إعجابه بالانضباط والتنظيم العسكرى الإسبرطى^{٣٥}. ولعلها الجذر الذى اشتقت منه فكرة النظام التى خضعت لها الدولة ومن ثم المدينة فى الفكر الأوروبى المعاصر. وتركت آثارها بصورة واضحة على المدينة الغربية.

صمم الإسكندر مدينته الإسكندرية المصرية، بعد أن ربط بينها وبين الجزيرة التى تتقدمها على شاطئ البحر بلسان، فشق الطرق العريضة بها على شكل مستطيل متشابك، تمتد الطرق الطويلة منها شرقاً وغرباً بحذاء اللسان. أما الطرق القصيرة فتمتد شمالاً وجنوباً من البحر إلى البحيرة. ويصل اتساع الشوارع ما بين ١٨ و ١٩ قدماً، أما الشارع الرئيسى الممتد شرقاً وغرباً،

وهو شارع كانوبيس، فلعله كان يصل في اتساعه إلى مائة قدم^{٢٨} وهكذا نجد أن كل شيء صمم لضمان الحركة المناسبة المباشرة. لقد كان الهدف أن تكون الإسكندرية مثلاً يحتذى في الفاعلية والبساطة الواضحة. فكانت الإسكندرية المثل الأعلى لحاكم سيطر على العالم، ويريد أن يظهر إتساع سلطاته وانتظامه، ونموذجاً لقائد أجنبي يخشى التهديد المحتمل من جانب أحياء وطنية تحميها شوارع ضيقه ملتقة^{٢٩}.

لقد عكست الإسكندرية رغبة السلطة في السيطرة عليها، بل وزرعت الإبهار والرغبة في نفوس زائريها، ومثل ذلك نص ذكره الروائي اليوناني "أخيل تاتيوس" "Achilles Tatius" الذي زار المدينة في أوج ازدهارها حيث قال "بلغنا الإسكندرية بعد رحلة استغرقت ثلاثة أيام، ودخلتها من بوابة يقال بوابة الشمس وبهرنى على التو جمال المدينة الأخاذ الذي ملأ عيني بالبهجة. فقد كان هناك صفان متوازيان من الأعمدة يمتدان في خط مستقيم، من بوابة الشمس إلى بوابة القمر (وهما المعبودان اللذان يقومان على حراسة المدخل) وقرب منتصفها يقع الجزء المكشوف من البلدة، ويتفرع منه عدد من الشوارع يبلغ من الكثرة حدًا يجعلك تتخيل، حينما تمر بها، أنك في بلاد أخرى، مع أنك مازلت فيها. ولما تقدمت قليلاً، وجدتني في الحى الذى أطلق عليه اسم الإسكندر - يقصد الحى الإغريقى - وقد قسمت هذه المدينة الرائعة إلى مربعات صف من الأعمدة يقطعه صف آخر مساو له في الطول بزاوية قائمة ... وقد جلت في شوارعها، فلم يشيع منى النظر أيضاً. لقد راعنى شيئان غريبان شاذان بصفة خاصة وكان يستحيل على أن أحدد أيهما أعظم. حجم المكان أم جماله، المدينة نفسها أم سكانها، فالمدينة كانت أكبر من قارة، والسكان يفوقون الأمة عددًا. ولما تطلعت إلى المدينة شككت في أن يتمكن أى جنس من الأجناس من أن يملأها، ولما نظرت إلى أهلها سألت نفسى إن كان يمكن لأى مدينة أن تتسع فتستوعب هؤلاء جميعاً. ومع ذلك فقد بدأ التوازن تاماً في كل شيء"^{٣٠}.

هكذا نجح البطالمة في جعل الإسكندرية مبهرة، فقد أصبحت أكبر مدينة في العالم بعد تأسيس الإسكندر لها عام ٣٣١ ق. م بقرن. وتكونت من ثلاثة أحياء أساسية: الحى اليونانى ويقع على الساحل والحى المصرى الوطنى في الغرب، والحى اليهودى في الشرق، بالإضافة إلى أحياء الوافدين، وكانت هذه الأحياء مدناً قائمة بذاتها. وهو ما يكرس العنصرية البطلمية أو الرومانية ضد المصريين من خلال العزل المديني، وليس هناك وجه للمقارنة بين أحياء المدينة المنفصلة. فقد بنى الإسكندر وكل من تبعه من البطالمة والرومان قصورهم الخاصة كوسيلة لزيادة فخامة المدينة بشكل متصاعد. فاحتلت القصور ما بين ربع وثالث المدينة. وكان بها إستاند ضخمة، ومسرح مدرج، وحدائق عامة غناء، وفنار عده القدماء إحدى عجائب الدنيا^{٣١}.

تعكس الإسكندرية فلسفة السلطة في الحضارة الهلينستية التى تسعى إلى تجميل الحياة باعتبارها أثراً تالداً أو فناً أو فكراً أو قوة، وهو ما جعل المدن الهلينستية ومنها الإسكندرية تفقد التفاعل الإنسانى والتلقائية، لخضوعها لفكرة النظام الصارم والقوة المتنامية، واستعويض في الإسكندرية المدينة ذات الفخامة والإبهار المطلقين عن البشر بالصروح، وعن الإحساس بالفن بالمتاحف وعن الشعراء بالقصور حتى تحولت المدينة إلى عمل فني، وتحول الناس من فاعلين مؤثرين، إلى متفرجين مشغولين لا ينتهى بصرهم من التأمل في كل شيء، وسعى الحكام إلى هذا فجعلوا على سبيل المثال مواكبهم حدثاً ينتظره الناس بشغف لمشاهدته، وحاولوا أن يبلغوا به حدًا لا نستطيع أن نراه في أى عنصر آخر. لاحظ لويس مفورد هذا: "تأمل المسرح" المعد لتتويج فيلادلفوس البطلمي، وهو نموذج لملوك هذا العصر في قمة قوتهم، لقد جهز موكب تتويجه ليشارك فيه ٥٧ ألف من المشاة، ٢٣ ألف من الخيالة وعدد لا يحصى من العربات بينها ٤٠٠ تحمل أواني من الفضة و٨٠٠ مليئة بالعطور، وعربه سيلينوس (أبو ديونيوس إله الخمر) التى يجرها ٣٠٠ رجل تتلوها عربات تجرها الأيائل والجاموس والنعام والحرر الوحشية. فهل ثمة سيرك حديث يمكن أن يطاول

هذا السيرك الأقدم؟ مثل هذا الموكب ما كان ليستطيع أن يشق طريقه حتى بنظام مختل، عبر شوارع أثينا في القرن الخامس^{٤٢}. ويبرز ممفورد من خلال ذلك اختلاف طبيعة السلطة بين أثينا والإسكندرية وأثر ذلك على المدينتين، فيؤكد على (أن النظم الديمقراطية تضمن بإتفاق المال على الأغراض العامة، لأن مواطنيها يشعرون بأن المال مالهم، أما الملوك والطغاة فيسبسون أيديهم كل البسط لأنهم يدسونها بحرية في جيوب غيرهم. زيادة على ذلك لم يكن التتويج هو المشهد الوحيد الرائع في المدينة، وإنما كانت الحياة بأسرها مشهداً من هذا النوع. ويرى ممفورد أن المدينة الهلينستية^{٤٣} لم تعد ساحة لدراما ذات مغزى، لكل إنسان فيها دور يقوم به وأبيات يقولها، بل أصبحت مكاناً مبهرجاً لاستعراض القوة، ولم تقدم شوارعها إلا واجهات ذات بعدين فقط، لكي تكون بمثابة قناع لإخفاء نظام الإخضاع والاستغلال الشامل^{٤٤}.

وإذا انتقلنا من هذا النموذج السلطوي من المدن والذي بلغ أسوأ أمثلته في روما، حيث تحولت حياة اللهو إلى غاية بلغ فيها الأمر التلذذ بالوحوش تأكل البشر، بعيش الأثرياء ومدراء السلطة في فخامة تامة في عزلة عن باقي أهل المدينة. إلى الفسباط ذلك المجتمع العمراني الذي شكل على أسس ولغايات مغايرة، كان ذلك في عصر الخلافة التي قامت على اختيار الحاكم من بين أفضل أفراد المجتمع، قبل أن يتحول الأمر إلى ملك عضود.

بعد أن استقر الأمر لعمر بن العاص اختار تشييد عاصمة جديدة لمصر قرب منف العاصمة الوطنية التي ترمز إلى وحدة دلتا النيل في الشمال مع الصعيد في الجنوب، وبدأ أولى خطواته لتخطيط المدينة، بتشديد مسجده الجامع، والذي بلغت مساحته ١٥×٢٥ م^{٤٥}، وهو أساس التنظيم العمراني للمدينة، وفي شرق الجامع بنى عمرو دار الإمارة، والتي عرفت بدار عمرو الكبرى، وإلى جوارها بنى عبد الله بن عمرو داراً له، عرفت بدار عمرو الصغرى، وترك عمرو أمام داره فضاء ليكون ميداناً واسعاً لدواب الجند، والتفت الأسواق حول المسجد^{٤٦}.

ولما وجد عمرو القبائل تتنافس على المواضع المحيطة بالمسجد، اختار أربعة من قواده يمثلون القبائل الكبرى للفصل بين المتنافسين، وتقسيم الخطط بينهم، حتى لا تنشب نزاعات.. وهؤلاء الأربعة الذين أسندت إليهم هذه المهمة هم: معاوية بن حديج التجيبي، وشريك بن سمي الغطيفي، وعمرو بن قحزم الخولاني، وحبويل بن ناشر المعافري، وباشر هؤلاء توزيع الخطط على القبائل^{٤٧}، وعند هذا الحد ينتهي دور السلطات الإدارية بالمدينة، حيث يقف عند التخطيط العام والإشراف على المناطق الرئيسية، وقد تولت كل قبيلة بعد ذلك تقسيم خططها بين أعضائها. فجاءت هندسة الخطط بسيطة، حيث تقيم القبيلة منازل لأفرادها على حدود خطتها، وتترك ما يدور عليها فضاء، وأخذ هذا الفضاء يضيق شيئاً فشيئاً، نتيجة للهجرات التي كانت تتوافد على المدينة، بحيث أصبحت الخطة كتلة من المباني تتخللها الدروب والأزقة.

كانت كل خطة تحتوى على مرافقها الخاصة، بصورة مصغرة، وأول هذه المرافق مساجد الخطط، والمعروف أن أول ما بنى بالقسطاط هو المسجد الجامع، وهو المسجد الرئيسي الذي يجتمع فيه المسلمون جميعاً، ويؤدون فيه صلاة الجمعة، ولكن كان إلى جانب هذا المسجد مساجد أخرى صغيرة خاصة بالقبائل، وتقع في داخل خططها، ذلك أن عمر بن الخطاب لما فتح البلدان كتب إلى ولاة البصرة والكوفة ومصر يأمر كل منهم أن يتخذ مسجداً للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة^{٤٨}.. فكان لكل قبيلة مسجدها الخاص في خططها، وربما أكثر من مسجد، ومن أمثلة مساجد القبائل بالقسطاط، مسجد لخم^{٤٩} ومسجد عنزة بن ربيعة^{٥٠} ومسجد مهرة^{٥١} والمسجد الأبيض^{٥٢}.. إلخ. عرفت هذه المساجد بمساجد الصلوات الخمس.

قامت مساجد الخطط بدور كبير في حياة المدينة، لاسيما في العصور الإسلامية الأولى، فلم يكن المسجد مكان عبادة فحسب، وإنما كان مكان اجتماع ومدرسة علم، ومجلس حكم، ولذلك كان لكل قبيلة مجلس وربما

مجلسان، مجلس في مسجد الخطة، وثنان في المسجد الجامع. ومن هنا يفهم أن المجلس كان مرفقاً حيوياً للخطة، ففيه كان أبناءها يجتمعون، وعلماءها يعلمون، وقضاتها يحكمون، وربما عن طريق هذه المجالس كانت تبلغ التعليمات الرسمية وقرارات الوالى إلى القبائل^{١٠}. وبالإضافة إلى مساجد القبائل الخاصة، كانت الخطط تحتوى على الأسواق الخاصة بها، وعلى المطاحن والأفران، بحيث تتوفر فيها الخدمات الخاصة بالحياة اليومية لسكانها، واحتوت بعض الخطط كذلك على حمامات عامة^{١١}.

لم يفكر عمرو بن العاص في إحاطة الفسطاط بسور، إذ كان موقعها تحميه التلال من الشرق والجنوب، ويحميه مجرى مائى طبيعى هو نهر النيل في الغرب. وهناك سبب أساسى في عدم تفكير عمرو بن العاص في تحصين المدينة بسور يدور حولها، وهو أنه جاء إلى مصر بهدف نشر الإسلام بها، وهو المشروع الفكرى الذى من أجله فتحت، وفي حالة تسوير مدينته سيعزلها عما حولها، وستتحول إلى مدينة سلطوية خاصة بالطبقة الحاكمة وجيشها، بينما أراد هو أن يفتح وجيشه على مصر والمصريين، وهذا يفسر سماحه بإقامة الأقباط بها وبنائهم كنائس، فقد اندمج العرب مع المصريين وهو ما ساعد على سرعة انتشار الإسلام بمصر.

مما سبق نستطيع أن نستخلص العديد من النقاط التى أثرت في عمارة المدن الإسلامية في الفترات الزمنية التالية وهى:

- أن تدخل السلطات في الشئون الإدارية للمدينة، يقف عند حد الخطة المركزية لها، التى تشتمل على المسجد الجامع، ودار الإمارة، وبيت المال، والسوق، والشوارع الرئيسية.
- أن تقسيم الأحياء من الداخل يتعلق بالقاطنين فيها، وفي ذلك يتحمل المجتمع داخل الحى إدارة نفسه بنفسه.

- أصبح توفير المرافق بكل حى مسئولية القاطنين فيه، فإدارة المدينة بنت المسجد الجامع والقاطنين

في الخطة أو الحى بنوا مسجد خطتهم، وكان لهم مجلس يجتمع كبارهم فيه، للبت فيما يتعلق بشئون الحى.

وفي ذلك توزيع للمسئولية، مسئولية إدارة المدينة بصفة عامة، فالإدارة العامة تقع على عاتق والى المدينة، وإدارة شئون الأحياء تقع على عاتق القاطنين فيها، ومثل هذا النوع من توزيع المسئولية، يولد تفاعلاً بين الناس وبيئتهم العمرانية، تفتقده المدن المعاصرة، ويعمق الإحساس بالمسئولية لدى كل أفراد المجتمع.. واشتق توزيع المسئوليات هذا من قول رسول الله صلى عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" (متفق عليه).

تميزت الفسطاط بوجود إطارين من السلطة، السلطة العامة التى تحتاج إليها المدن في المرافق العامة كالطرق والأسواق والمساجد الجامعة. ومثل هذه السلطة نظرت حدودها وطبيعتها من قبل علماء السياسة الشرعية، والإطار الآخر السلطة داخل الخطة، وهى سلطة تخضع لقيم المجتمع وقوته على أفرادها، وهى نظرت من قبل الفقهاء فيما يعرف بفقه العمارة.

وهنا نرى الفارق بين المدينة الإسلامية وعمارتها وبين عمارة أثينا والإسكندرية فقد جمعت الفسطاط بين طبيعة المدينتين دون أن تتعدى أى سلطة على الأخرى بخاصة مع تطور حاجات الإنسان، واندماج المدن في دول كبرى. واستحالة نموذج أثينا، وهو نموذج المدينة الدولة المحدودة الإمكانيات والحاجات.

رؤية علماء السياسة الشرعية لعمران المدن:

تقوم السياسة على الفاعلية الحركية للحاكم والتى يسعى من خلالها إلى تحقيق مصالح المحكومين، وتنبيه فقهاء السياسة الشرعية إلى ذلك، فذكروا بأن "للسلطان سلوكاً سياسة، وهى الحزم عندنا، ولا تقف على ما نطق به الشرع"^{١٢}.

وهو الأمر الذى فصله ابن عقيل الحنبلى صاحب التعريف السابق من خلال إحدى مجادلاته لفقيه شافعى

قال "لا سياسة إلا ما وافق الشرع"، فرد عليه "بأن السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا نزل به وحى، فإن أردت بقولك: لا سياسة إلا ما وافق الشرع: أى لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع فغلط وتغليب للصحابة".^١

كما يترابط معه تعريف ابن نجيم الحنفى فى البحر الرائق "وظاهر كلامهم هنا أن السياسة: فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بها دليل جزئى".^٢ ومن هذه التعريفات يمكن الوصول إلى مضمون السياسة وجوهرها فى النقاط التالية:

- أن شرعية السياسة تستند فى حد ذاتها إلى ضرورتها المبدئية، قبل أى معنى لبناء شرعيتها على أساس القبول الفردى أو الجماعى.
- أن العلاقات الإنسانية التى تتناولها السياسة ليست علاقات فردية بقدر ما هى تعبير عن علاقات جماعية: فرد بجماعة وجماعة بجماعة .
- أن السياسة بجوهرها لا تنفصل عن مقصدها وغاياتها، فتصبح غاياتها غايات بوسائل^٣.

فإذا ما حاولنا تطبيق تلك الأسس فى رؤية السياسة الشرعية لأمكننا مجدداً التأكيد على عدة عناصر أساسية تشكل الدلالات الاصطلاحية لمفهوم السياسة الشرعية منها، أن السياسة تقوم على فقه المصالح فيما لا نص فيه. فإن أساس السياسة هى المصلحة المعتبرة. وهى فاعلية حركية تستهدف التوافق مع مضمون الشرع^٤. والسياسة إذن تخضع لرؤية الحاكم لمصلحة الأمة المرتبطة بضوابط شرعية. وفى هذا الإطار نستطيع أن نستقرئ رؤية علماء السياسة الشرعية لدور الحاكم فى المجال العمرانى.

وضع الماوردى ضوابط عامة لمواطن الاستقرار، بمعنى أنه لا يمكن اعتبار المكان صالحاً للاستيطان ما لم يتضمن هذه الضوابط، حددها عند حديثه عن المقصود بالمصر أى المدينة، حيث يذكر أن المقصود بالمصر

خمس أمور:

- الأول: أن يستوطنها أهلها طلباً للسكون والدعة.
- الثاني: حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة.
- الثالث: صيانة الحريم والخرم من انتهاك ومذلة.
- الرابع: التماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة.
- الخامس: التعرض للكسب وطلب المادة^٥.

إن المتأمل لهذه الضوابط يجدها صالحة لكل زمان فإنك لا تجد موطناً صالحاً للاستقرار يخلو من هذه الضوابط الجامعة المانعة لأنها تشمل السكون، وحفظ الأموال، وحفظ الحرمات، التماس الصناعة والحاجات الأساسية، وأخيراً طلب الكسب والسعى لطلب مواده، لهذا فقد غطى الماوردى الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والأمنية، ولهذا تجده يجزم بأن المكان الذى يخلو من هذه الضوابط لا يصلح لاستقرار الإنسان^٦ كما فى قوله "فإن عدم أحد هذه الأمور الخمسة فليست من مواطن الاستقرار وهى منزلة قبيحة ودمار"^٧.

حدد علماء السياسة الضوابط الواجب مراعاتها من قبل الحاكم عند اتخاذ المدن والحوضر وإنشائها وفقاً لشروط دقيقة، من هذا ما ذكره ابن خلدون فى شروط اختيار مواضع المدن وهى:

- ١- أن تحاط بسور يدفع المضار عنها.
- ٢- أن تحتل موضعاً متمنعاً من الأمكنة على هضبة أو على نهر أو باستدارة بحر.. إلخ.
- ٣- مراعاة الموقع الذى يتمتع بطيب الهواء للسلامة من الأمراض.
- ٤- جلب الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائه عيون عذبة.
- ٥- طيب المراعى لسائماتهم.
- ٦- مراعاة المزارع، فإن الزروع هى الأقوات^٨.

وهذه الضوابط تتيح لأى مدينة أن تنمو وتتطور فصل ابن الأزرق ما تحدث عنه ابن خلدون، فأشار إلى أن ما يجب مراعاته فى أوضاع المدن أصلاً من مهمات: دفع المضار،

وجلب المنافع، ثم يذكر أن المضار نوعان: أرضية، ودفعها بإدارة سور على المدينة أو وضعها في مكان ممتنع أو محصن طبيعياً حتى لا يهمل إليها العدو. والنوع الثاني من المضار سماوي ودفعه باختيار المواضع طيبة الهواء لأن ما خبث منه يركوده أو تعفن بمجاورته مياه فاسدة، أو منافع متعفنة، أو مروج خبيثة، يسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة، كما هو مشاهد بكثرة.

ويضرب لذلك مثلاً بفاس التي كانت عند استعمار العمران بإفريقية كثيرة السكان فكان ذلك معيناً على تموج الهواء وتخفيف الأذى منه، فلم يكن فيها عفن ولا مرض، وعندما خف ساكنوها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثرت العفن والمرض. ويضرب مثلاً عكسياً ببلاد أخرى وضعت، ولم يراع فيها طيب الهواء، وكانت أمراضها كثيرة لقلّة ساكنيها وعندما كثروا انتقل حالها من ذلك، كدار الملك بفاس لهذا العهد المسمى "فاس الجديد" وكثير من ذلك في العالم^{٣١}.

والأصل الثاني، وهو جلب المنافع يتأتى بمراعاة أمور منها: توفر الماء كأن يكون البلد على نهر أو يارائه عيون عذبة لأن وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية. وطيب المراعى للسائمة وقربة، إذ لا بد لذي قرار من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ومتى كان المرعى الضروري لها كذلك كان أوفق من معاناة المشقة في بعده، وقرب المزارع الطيبة لأن الزرع هو القوت، وكونها كذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله، والشجر للحطب والخشب، فالحطب لعموم البلوى به وقود النيران والخشب للمباني - وكثير مما يتحصل فيه ضرورى أو كمالي، وقربه من البحر لتسهيل الحاجة القصية من البلاد النائية، ولا خفاء في أن هذه الأمور تتفاوت بحسب الحاجة وما تدعو إليه ضرورة الساكن^{٣٢}.

وإذا كان ما ذكره ابن خلدون هو شروط تتعلق بالموضوع، فقد انتقل ابن أبي الربيع بنا إلى دور الحاكم في تخطيط المدينة، ونراه يحدد هذا الدور بدقة شديدة، فهي بالنسبة للحاكم مسئوليات عليه تنفيذها. ولخصها ابن أبي الربيع في ثمانى نقاط هي:

إحداها: أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف.

الثانية: أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالثة: أن يبنى فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليقترب على جميع أهلها.

الرابعة: أن يقدر أسواقها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب.

الخامسة: أن يميز قبائل سكانها بأن لا يجمع أصدقاءً مختلفة متباينة.

السادسة: إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفاً له من سائر جهاته.

السابعة: أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة.

الثامنة: أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة إلى سكانها^{٣٣}.

يتضح من كلام ابن أبي الربيع المتوفى سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٥م، مدى الفهم المقرون بالتحليل المنطقي في أسس إنشاء المدن، ففي سوق المياه للمدينة للشرب، لتسهيل مهمة الحصول عليه "دون عسف" دليل على وصول المخطط الحضري إلى مرحلة الحرية في اختيار الموقع المدنى متخطياً ما يسمى بالحتمية الطبيعية (de termanism) التي تحتم على المخطط أن يبنى مدنه بالقرب من وديان الأنهار والمواقع ذات الثروات الطبيعية^{٣٤}.

- فابن أبي الربيع يشترط على الحاكم لعمارة المدينة التي قد يكون موقعها بعيداً عن مصادر المياه، أن يجلب الماء إليها، وهو ما حدث فعلاً في العديد من المدن الإسلامية، فقد جلب المسلمون الماء إلى مدينة مدريد من تلال بها مياه جوفية، تبعد عن المدينة بما يتراوح بين سبعة واثني عشر كيلومتراً، وذلك في قنوات تجرى بها المياه في انحدار متدرج، يسمح بجريان الماء إلى المدينة.

ويتراوح الفرق بين ثمانية ومائة متر. ولذا لم يكن من الغريب أن يطلق الأندلسيون على مدينتهم الجديدة لفظًا مثل (مجريط)، وهو مركب من كلمة مجرى العربية، ومن تلك النهاية اللاتينية الدارجة (... يط)، التي تدل على التكثير، فمعنى الكلمة إذن (المدينة التي تكثر فيها المجارى)، والإشارة هنا إلى المجارى أو القنوات المائية الجوفية، التي كانت تحمل الماء إلى سكان المدينة.

- أما الشوارع فيرى ابن أبي الربيع أن تقدر بصورة تناسب الاستخدام البشرى، ووسائل النقل المتاحة آنذاك والتي كانت إما على الدواب وإما بواسطة الإنسان. وإذا حدثت طفرة في وسائل النقل كالتى بدأت في العصر الحديث وصاحبها انتشار استخدام العربات التى تجرها الخيول ثم السيارات، فيجب أن تتناسب الشوارع مع وسيلة النقل وطبيعة استخدامها فى كل عصر، ولذا فإن من درسوا المدن الإسلامية وعابرو عليها ضيق شوارعها، درسوها من منظور المتطلبات المعاصرة لحركة النقل، فلم يراعوا طبيعة العصر الذى شيدت فيه هذه المدن.

- أما اشتراط المركزية فى مواقع المساجد، فهذا غاية فى اختيار الموقع المناسب لمرفق يستخدمه الناس خمس مرات فى اليوم، فالمركزية تسهل الوصول إليه من جميع الأماكن المحيطة، بمسافات متقاربة نوعًا ما. ولعل اختيار قلب المدينة ليكون مسجدها، يعود كذلك إلى المكانة التى يحتلها الإيمان فى قلب كل مسلم، وأن المسجد الجامع كذلك يمثل العلاقة الترابطية بين جميع أنحاء المدينة، فكما تحتل الكعبة مركز العالم الإسلامى، ويتوجه إليها المسلمون خمس مرات فى اليوم لأداء الصلاة، فإن المسلمين يتوجهون إلى المسجد الجامع فى قلب المدينة لأداء الصلاة.. ولعل الفارق بين المسجد الجامع ومساجد الصلوات الخمس، يعود إلى أن المسجد

الرئيسى هو الجامع ليشمل المدينة كل يوم جمعة، فى خطبة أمير المدينة التى عادة ما تحمل مغزى سياسيًا واجتماعيًا.

- أما شرط تقدير الأسواق بكفايتها، فيدل على أمور كثيرة منها: ألا تزيد عن حاجة السكان، فتنهار الأسعار، وتبور البضائع، وألا تقل أيضًا عن الحاجة فترتفع أسعارها. كما أن فى ذلك إشارة لتحديد الحجم المناسب للأسواق بصورة تناسب حجم السكان^{١١}.

- أما شرط تمييز قبائل ساكنيها، وخطورة خلط الأضداد فى القطاع السكنى فى المدينة. فهذا غاية العبقرية فى التخطيط الإسكانى المبني على الفهم الدقيق للأجناس البشرية. بمعنى آخر هو يحرص على إيجاد ما يسمى بالانسجام العرقى الحضري (Ethno - urban Homogeneity) ونبذ التضاد العرقى الحضري (- Ethno urban Hetrogenity) لأنه سيؤدى بالتالى إلى التكتل segregation وتحويل المدينة إلى بقاع عرقية موزعة توزيعًا غير منسجم (groups of divers). وفى الواقع أن الكثير من المخططين المعاصرين لم يعيروا هذه الظاهرة اهتمامًا كثيرًا فى خططهم المدنية، مما أدى بالتالى إلى عودة السكان مرة أخرى إلى الهجرات الداخلية وراء القراة العرقية والعائلية.

- أما شرط إحاطة المدينة بسور فهذا من خصائص المدن قبل الثورة الصناعية، حيث كانت الأسوار تؤدى وظيفتين رئيسيتين الأولى: حفظ المجتمع الداخلى كأسرة واحدة، وهذا مصداق قول ابن أبي الربيع "لأنها بجملتها دار واحدة" .. والوظيفة الأخرى: الحماية، وذلك نظرًا لمحدودية السلاح آنذاك وكثرة الحروب، وبخاصة فى المدن الحدودية. وسنجد أن العديد من المدن الإسلامية لم تكن ذات أسوار، ولكن أدى تفتت دولة الخلافة إلى دويلات ونشوب النزاع بينها، إلى تشييد مدن

ترتفع ارتفاعاً كبيراً محل الأسوار في الدفاع عن المدن، فكانت قذائف المدافع تغوص فيها، وتضيع دون جدوى، ثم اتخذوا تبات في أكثر المواضع ارتفاعاً، أسموها كافالييه cavaliers أى خيالة، وضعوا عليها المدفعية الدفاعية. أثبت هذا النظام، فاعليته حتى عمم في أوروبا. واستخدم نابليون هذا النظام، فأقام طابية على تلال الدراسة، ضربت القاهرة والأزهر منها وذلك أثناء ثورة القاهرة الأولى^{٢٠}. أدى ذلك إلى توارى أهمية أسوار المدن وكذلك القلاع وإلى ظهور مفاهيم جديدة للدفاع عن المدن حتى أزلت باريس أسوارها لعدم جدواها عام ١٩١٩م^{٢١}.

– اشترط ابن أبى الربيع على الحاكم أن ينقل إلى المدينة ما تحتاجه من الصنائع. وهو شرط يؤدي إلى ازدهارها، وتوافر الحاجات الضرورية بها.

ومن الملاحظ أن علماء السياسة الشرعية لم يضيفوا الكثير لما ذكره ابن أبى الربيع، وإن كان ما ذكره قد خضع لمزيد من التفسير والتوضيح على نحو ما ذكر كل من ابن خلدون^{٢٢} والماوردي^{٢٣}.

نظرة علماء السياسة الشرعية للصروح المعمارية:

يبقى لنا تساؤل حول نظرة علماء السياسة الشرعية للصروح المعمارية المرتبطة بالسلطة، قدم ابن خلدون صاحب المقدمة رؤية لهذه العلاقة، فهو يربط بين قوة الدولة وعظم آثارها المعمارية، فعلى قدر قوة الدولة يكون الأثر، أكد ابن خلدون على تفاوت روعة العمران وروبهته وقوته بتفاوت قوة الدول وهو في ذلك يقول "فإن أحوال العمران متفاوتة ومن أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها، ونحن إذا ما اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى أمية والعبيديين وناسبنا الصحيح من ذلك، والذي لا شك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا، وهو لما بينها من التفاوت فى أصل قوتها وعمران ممالكها، فالآثار كلها جارية على نسبة الأصل فى القوة كما قدمناه ... فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول فى قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها^{٢٤}". وعد ابن رضوان

ذات أسوار للدفاع عنها وأدى الغزو الصليبي لبلاد الشام وتهديده مصر إلى تشييد الأسوار حول المدن والاهتمام بها وتجديدها. فعندما تولى صلاح الدين حكم مصر. حمل معه مشروعا جهادياً للدفاع عن مصر وتحرير بلاد الشام من الصليبيين وتضمن هذا المشروع تأمين الجبهة الداخلية بإقامة سور حول العاصمة المصرية بشقيها القاهرة والفسطاط، ليسهل الدفاع عنهما، بخاصة أن الفسطاط أحرقت على يد الوزير الفاطمي شاور خوفاً من وقوعها فى يد الصليبيين لعدم وجود سور لها يحميها، وأيضاً تداعى أسوار القاهرة الفاطمية، وكان قد ثبت لصلاح الدين من خلال التجربة الفاطمية صعوبة الدفاع عن الفسطاط والقاهرة فى وقت واحد، فرأى أنه لو بنى لكل واحدة منهما سوراً مستقلاً لاحتاجت كل مدينة إلى قوة منفردة للدفاع عنها، وبالتالي سينقسم الجيش المخصص للدفاع عن العاصمة إلى قوتين، وفى ذلك إضعاف له، ولذا كان من الضروري بناء السور ومدة ليضم الفسطاط، وبناء قلعة بينهما تكون مقراً لقيادة الجيش المدافع عن العاصمة^{٢٥}.

وأدى تطور سلاح المدفعية من القرن الخامس إلى القرن التاسع عشر إلى تلاشى أهمية أسوار المدن تدريجياً، فقد كانت الأسوار تنهارى أمام قذائف المدافع. وهذا التطوير للمدفعية تم على يد العثمانيين والأوروبيين، فقد أحدث العثمانيون بتييران المدفعية رعباً غير مألوف فى ذلك الزمان، ففى معركتهم مع المجريين فى موقعه "موهاتش" قسمت نيران المدفعية خط الحشود المجرية إلى قسمين، وبلغت قذائف المدفعية العثمانية التى سقطت على القوات المدافعة عن مالطة فى عام ١٥٦٥م ستين ألف قذيفة، أما عدد القذائف التى أمطر بها العثمانيون فاما جوستا من عام ١٥٧١م إلى ١٥٧٢م فكانت ١١٨٠٠٠ قذيفة^{٢٦}. بدأت ردود أفعال فى أوروبا على تهاوى الأسوار أمام المدفعية تدريجياً، وحلت المتاريس الترايبية الكثيفة التى لم تكن

المالقي^{٣٢} المآثر المعمارية من مفاخر الدول وعمارة وإصلاح المملكة وسبل الخيرات وأخذ يعدد ما شيده ملوك المسلمين من صروح ومنشآت معمارية^{٣٣}.

غير أن الفقهاء نظروا إلى هذه الصروح نظرة مغايرة، فعندما أشرف الخليفة الناصر في الأندلس في البناء حتى إنه اتخذ قراميد مغطاة ذهباً وفضة في قبته بقصر الزهراء أنفق عليها مالا كثيراً، وجعل سقفها صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة تستلب الأنظار، جلس فيها إثر تمامها يوماً لأهل مملكته، فقال لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من ذلك وما يتصل به من البدائع الفتانة وقال هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين، إنك لأوحد في شأنك كله، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره، فأبهجه قولهم وسره. وبينما هو كذلك إذ دخل القاضي منذر بن سعيد، وهو ناكس الرأس، فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قاله لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على إبداعه. فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته، وقال له: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته، وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين، فانفعل الناصر، وقال: انظر ما تقول، وكيف أنزلتني منزلتهم. قال: نعم أليس الله يقول (لولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون...) الزخرف آية ٣٣. فوجم الخليفة وبكى خشوعاً لله تعالى وشكر القاضي وأمر بتقض السقف الذهبي^{٣٤}.

كان ابن خلدون حصيفاً حين ربط بين العمران والدولة وأطوارها وحركية العمران، فعند ابن خلدون يمر التمدن بأربعة أطوار رئيسية. طور تكون فيه النواة الحضرية الأولى صغيرة ومساكنها وسكانها قليلين، يليه طور تزداد فيه المساكن وتتوزع كما يزداد السكان، وطور ثالث تتوقف فيه المباني عن التعدد ويقف السكان عند حدود معينة ويقل النمو. ثم مرحلة نهائية، وهي العودة

مرة أخرى إلى الحالة الأولى: حالة البساطة واندثار الحضارة وأحياناً فينشئ الله تعالى غيرها قرناً آخرين^{٣٥}. يذكر ابن خلدون المرحلة الأولى فيقول "أعلم أن الأمصار إذا اختطت أولاً تكون قليلة السكان وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما مما يعال على الحيوان كالزليج والرخام والربيع والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدوياً وآلاتها فاسدة"، ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية: "فإذا عظم عمران المدينة وكثر سكانها كثرت الآلات بكثرة الأعمال حينئذ وكثر الصنائع إلى أن تبلغ غايتها من ذلك". وهذه مرحلة ازدياد السكان وكثرة الخطط بالمدينة، وبداية ظهور مواد التأنيق كالرخام والفسيفساء.

أما المرحلة الثالثة: "فإذا تراجع عمرانها وخف سكانها قلت الصنائع لأجل ذلك فقدت الإجابة في البناء.. ثم تقل الأعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما... ويصير بناؤها وتشبيدهم من الآلات التي في مبانيهم فينقلونها من مصنع إلى مصنع لأجل خلاء أكثر المصانع والقصور والمنازل بقلة العمران" وهذه المرحلة كما هو واضح مرحلة تراجع النشاط العمراني بشتى صوره بسبب قلة السكان، والتي يقل على أثرها جلب مواد البناء، ويستعاض عنها باستخدام مواد بناء من المباني القائمة^{٣٦}.

أما المرحلة النهائية: "ثم لا تزال تنقل من قصر إلى قصر ومن دار إلى دار إلى أن تفقد الكثير منها جملة فيعودون إلى البداوة في البناء". وهنا العودة إلى الأصل مرة أخرى، فهي إذا دورة مشابهة للدورة الحياتية للإنسان حيث يبدأ طفلاً ثم شاباً ثم إلى أرذل العمر، وهذا قريب بشكل كبير إلى الواقع لأن التمدن ظاهرة بشرية تشب وتشيب مع الإنسان وظروفه^{٣٧}.

ويضيف ابن خلدون أن هذه الأطوار مرتبطة بعمر الدولة نفسها، فطور الدولة الأول هو التأسيس وهو طور البداوة والبعد عن الترف وفيه الشدة والشجاعة، ثم طور ثان أسماه بطور "الانفراد بالملك" وهو طور الانتقال من حياة البداوة الخشنة أو العمران البدوي إلى الحياة

المرتفة أو العمران الحضري، أما الطور الثالث وهو طور نسيان البداوة والخشونة والانغماس في الترف وتمكن الجبن وفقدان الرجولة والشجاعة وهو طور "الفراغ والدعة"، ثم المرحلة النهائية وهي مرحلة تنتهي في الغالب الدولة فيها إلى الانقراض "حيث تذهب الدولة بما حملت" كما يقول ابن خلدون، وهذا يعنى زوال الحضارة نفسها^{٨٧}. وقيل ابن خلدون أشار الماوردي لهذا بقوله: "إن الدولة تبدأ بخشونة الطباع وشدة البطش لتسرع النفوس إلى بذل الطاعة، ثم تتوسط باللين والاستقامة لاستقرار الملك وحصول الدعة، ثم تختتم بانتشار الجور، وشدة الضعف لانتقاص الأمر وقلة الحزم"^{٨٨}.

وإذا كان الترف المصاحب للعمارة وزخرفتها في كثير من الأحيان مظهرًا حضاريًا يدل على الارتقاء فإنه من جانب آخر عامل مهم من عوامل سقوط الدول سياسيًا يقول ابن خلدون في ذلك: "النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة يؤدي إلى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو إليه من توابيع ذلك، فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة، ويتنعمون فيما أتاهم الله من البسطة. وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجتهم ويستتكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقًا لهم وسجية فتنتقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبهم إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض"^{٨٩}.

ويذكر ابن خلدون "إذا تهادى الناس في الترف ظهرت بينهم صناعات لا يستدعيها إلا من فرغ من الضروريات كالغناء مثلاً وهي آخر صفة في الحضارة" يقصد الفنان فيها وجعلها وظيفة^{٩٠}. ومن خطورة الترف أن يعجز الإنسان عن الدفاع عن نفسه لأنه قد عود نفسه على النعيم فهو قد استأجر من يقوم بأعماله ويؤدي مهماته إلى أنه وصل به الأمر إلى الاستعانة بمن يدافع عنه باستخدام أمواله. ومعلوم أن المرتزقة والمستأجرين للدفاع عن البلاد أكثر خطرًا عليها^{٩١}، يقول ميكافيللي في السبب "لأنها

قوات غير مجدية لأنها مجزأة وطموحة لا تعرف النظام ولا تحفظ العهود والمواثيق وتتناهى بالشجاعة أمام الأصدقاء وتتصف بالجبن أمام الأعداء فهي إذن إيذان بدمار الدولة إما عن طريقها وإما عن طريق تسهيل مهمة الطامعين من خارج البلاد"^{٩٢} وما ذكره ميكافيللي يحمل درجة عالية من الصدق، غير أن هناك في التاريخ حالات خاصة، تخرج عن ما ذهب إليه. وإن كانت تحمل في باطنها في أخريات عصرها صفات المرتزقة، ومن ذلك المماليك كظاهرة مشابهة.

ظاهرة المماليك

كان المماليك من أكثر الفئات حبًا للعمارة، ولما كانوا في الأصل ظاهره سياسية، فقد كان للسياسة دور في تشجيعهم على تشييد المنشآت - ويجيء ذلك من كون النظام المملوكي فريدًا، إذ لا يوجد ما يشبهه في الحضارات القديمة على الرغم من اعتمادها على الرق في إعداد جيوشها. وتأتي فريدة النظام المملوكي في تمكنه من التحول إلى مؤسسة لها قوانينها الصارمة، وهو ما مكنتها من الاستيلاء على السلطة والدفاع عن نيار الإسلام ومحاربة أعدائه الشرسين الذين تمثلوا بالأخص في الصليبيين والمغول.

لقد تنبه المؤرخون المسلمون إلى أهمية النظام المملوكي وتمكنه من الدفاع عن الإسلام بعد أن انهارت الخلافة العباسية وسقطت بغداد في يد المغول، ومن أشهرهم ابن خلدون، الذي أرجع هذه الظاهرة، إلى انغماس العرب في الترف^{٩٣}.

وتعود نشأة المماليك في مصر إلى عصر الصالح نجم الدين أيوب، حيث كان له ممالك أتراك ثبتوا معه في محنته في الوقت الذي أنفض من حوله الأكراد، فأكثر من شرائهم ووضع نظامًا صارمًا لتربيتهم، حتى صاروا عصبية خاصة بعد معركة المنصورة التي هزموا فيها الصليبيين ومعركة عين جالوت التي هزموا فيها المغول^{٩٤}.

وصار لهم بعد ذلك الحل والعقد في بلاد الشام ومصر، ويقول القدسي في ذلك "إن الأتراك هم القائمون الآن عن عامة المسلمين، فالناس لا يحملون أي نوع من السلاح

مهما قل شأنه، وقد ألقى رعبهم في قلوب المفسدين، وأصبح أهل الإسلام مطمئنين على أهلهم. والناس يقبلون قول الأتراك^{٨٧}.

ولكن هذه المؤسسة أصابها الضعف والوهن لعدة أسباب أبرزها انعدام جلب الممالك صغار السن، وبالتالي تربيتهم، وبالتالي ضمان ولائهم للدولة، وعد ابن خلدون ذلك صناعة حيث يقول "أعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة يتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها، والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة إنما يتم بالنسب لأجل التناصر في ذوى الأرحام والقربى والتخاذل في الأجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تنزل منزلة ذلك، لأن أمر النسب وإن كان طبيعياً فإنما هو وهمي، والمعنى الذي كان به الالتحام إنما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحية بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة، وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر. وهذا مشاهد بين الناس واعتبر مثله في الاصطناع فإنه يحدث بين المصنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وإن لم يكن نسباً فثمرات النسب موجودة"^{٨٨}. انعكس هذا على مفهوم الأسرة لدى المماليك الذين حكموا مصر زهاء قرنين ونصف من الزمان (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١١٢٠-١٥٢٠ م)، حيث لم تكن الأسرة لديهم هي الأسرة المكونة من الأب والأم والابن، بل لم يكن لديهم حياة عائلية بالمعنى المعروف، ورغم أن غالبية أفرادها حرصوا على الزواج وعلى إنجاب الأطفال، وأيضاً على نظام التسرى واقتناء الجوارى والمحظيات، وذلك أن نظام المماليك قام على العلاقات التي جمعت بينهم من أواصر الرق والعنق والتربية والخدمة، وكذلك العلاقات بين المملوك الكبير والصغير والتي تشبه روابط البنوة، وأحياناً روابط الأخوة، ولم يكن في حياة المملوك من الروابط العائلية غير واحدة منها فقط، وخير ما يوضح ذلك معانى ألفاظ المصطلح المملوكى، فالأستاذ^{٨٩} هو الأب. والأغا^{٩٠} هو الأخ الأكبر، والآني^{٩١} هو الأخ الأصغر، وورد

في المصادر المملوكية ما يشير إلى أن لفظ أخ يرادف لفظ خشداش^{٩٢} ولفظ أخوة يرادف لفظ خشداشيه، وكان الابن في أحيان كثيرة لا يخلف الأب في مركزه ولا يرثه أيضاً في ثروته^{٩٣}.

وإنما المملوك هو الذى يحل محل أستاذه ويرثه حتى في الاستيلاء على حريمه^{٩٤}. وخير ما يوضح ذلك أن الواحد منهم كان لا يأكل مع أبنائه وحريمه إنما يفضل أن يأكل مع ممالكه، ونصت بعض الحجج الخاصة بأوقاف المماليك على أن الأستاذ أحق الناس بالتمتع بريع الوقف الذى يقفه المملوك^{٩٥}. ومن ثم فقد أصبحت الحياة العائلية لطبقة المماليك لا تقوم على أساس العلاقة بين الرجل وزوجته وأبنائه بقدر ما تقوم على أساس العلاقة بين الأستاذ وممالكه وبين المماليك وبعضهم البعض^{٩٦}.

غير أن هذه العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل وعلى حقوق الزمالة كان انهيارها مقدمة لانهاية دولة المماليك وسقوطها لتتبع الدولة العثمانية، ويروى القدسي حكاية في تاريخه تفسر فساد حال المماليك في الطباق بالقلعة حيث يدربون ويربون، حدثت في دولة الأشرف برسباي^{٨٢٥-٨٤١ هـ / ١٤٢٢-١٤٢٧ م} والحكاية فيها معنى ودلالة ولذلك آثرنا أن نلخصها هنا، تقوم الرواية على حكاية كتبها أحد العلماء لأبى حامد القدسي، وكان قد رواها بمجلس بعض الأمراء، وهو الشيخ شمس الدين فقيه الأسياد، إنه كان يقرئ المماليك السلطانية بقلعة الجبل. وقد تقاتل مملوكان فضرب أحدهما الآخر فقتله، فبلغ السلطان الخبر فطلب الفقيه المؤدب فأرسل إليه، فجاء بين يدي السلطان، فقال له هذا "أنت فقيه الطبقة؟" فقال "نعم ولى جامكية (أى مرتب) ولحم وعليق"، فقال السلطان "كم جامكيك؟"، فأجاب "ألف درهم وخمسة أرطال لحم وثلاثة وعلائق" فقال السلطان "يا قسم تأكل جامكية السلطان واللحم والعليق وتعلم المماليك يقتل بعضهم بعضاً؟" فقال له "يا مولانا السلطان أنا ما علمتهم إلا الإسلام والقرآن والصلاة والآداب، والذى علمهم يقتل بعضهم بعضاً غيرى وأنا أعرفه". فقال من هو؟ "فأجاب الفقيه "أقدر على تسميته فأنا أخشى حرمة"، ولكن

السلطان منحه الأمان وعندئذ قال له إن السلطان مسئول عن ذلك. ولما أراد السلطان أن يعرف جلية الأمر أوضح له الفقيه أن المملوك الجلب كان يجتاز أربع طبقات ويقضى في كل طبقة خمس سنوات في الطبقة الأولى كان يقدم النعال ويملا أباريق الرضوء ويكنس الطبقة، فإذا نجح في ذلك نقل إلى طبقة ثانية فيخرج يصلّي الجمعة في الجامع، وعندما يستحق أن يرقى يخرج إلى باب القصر يمسك نشابة أغا عند دخول الخدمة. فإذا تم الخمسة الثالثة نقل إلى الرابعة ويخرج له أكديش. وفي الطبقة الرابعة يطلع وينزل مع آغاته. وهكذا يمكث هذا عشرين سنة يتعلم من الفقيه ومن الأغوات ومن الخشداشين الآداب، ومن الضنك والحصار الذي هو فيه، فيبقى مع الناس صفة الحرير، ليس عنده تشويش على أحد. فيتهدب ويتربى على ذلك "أما الآن فيسمع مولانا" بأن فلانا وصل من بلاد جركس فيرسل له إلى حلب لملاقاته فرسا يسرج ذهباً وكنبوشاً وكاملية صرف. ويقف النائب بخدمته فلا ينسب الذنب يا مولانا السلطان إلى غير فاعله^{١٧}.

وهناك سبب آخر أساسي أدى إلى سقوط دولة المماليك وتبعيتهم للدولة العثمانية، وهو جمود المؤسسة المملوكية، فهي لم تكن قادرة على التطور والاستمرارية. بسبب عدم استيعابها للتحويلات التي حدثت في مجال فنون الحرب، وأهمها الاعتماد على الأسلحة النارية، فقد انتصر العثمانيون على المماليك في معركة مرج دابق عام ١٥١٦م بسبب حداثة معداتهم، بينما كان المماليك يمقتنون الأسلحة النارية ويعتبرون أن الحرب تقوم على الفروسية والبطولة الشخصية^{١٨}.

وهناك تساؤل حول نظرة العلماء إلى الحكم المملوكي الذي قام على عبيد مجلوبين تربوا تدريباً عسكرياً، ومدى شرعية هذا الحكم؟.

كان العلماء يتطلعون إلى النظام المملوكي من أجل حماية الجماعة ولما كانوا يفتقرون إلى المهارات القتالية والتنظيم فقد احتاجوا إلى مساعدة المماليك لحماية المجتمع، فاعتمدوا على نظام عسكري لضبط الأمن في المدن المصرية والشامية. ولحماية المجتمع من أي غزو خارجي، ولم يكن العلماء بالضرورة مواليين لأي نظام أو أي طائفة أو أي صيغة حكومية، فكل نظام عسكري مسلم مستقر يمكنه حماية الجماعة من الأذى كان يعتبر ملائماً. وتذهب نظريتهم السياسة إلى أن الدولة العسكرية كانت ضرورية لحفظ نظام سليم في المجتمع، وإنه في حالات الصراع المملوكي حول العرش، كانوا يعترفون للمنتصر في حقه بالحكم، جاعلين المجتمع في منأى عن هذه الصراعات وهذا يفسر أيضاً قبولهم في الشام ومصر بالسلطة العثمانية المنتصرة على المماليك^{١٩}. فأمن المجتمع وسلامته عندهم مقدم على كل شيء وساعد العلماء الظاهر ببيرس على نقل وإعلان الخلافة العباسية إلى مصر لإضفاء الشرعية على الحكم المملوكي. وكان العلماء يمثلون ذلك الجزء من المجتمع الإسلامي المثقف في الآداب والشرعية، والعقائد الإسلامية، لقد كانوا قضاة وأئمة، وفقهاء ومدرسين، وحفظة للقرآن الكريم، ورواة للحديث الشريف، وتولى بعضهم مناصب في الدواوين، وعمل البعض منهم محتسبين ووزراء في الدولة المملوكية. ولذا فقد كانوا حلقة الوصل في المجتمع بين الطبقة الحاكمة والمجتمع، هذه الحلقة ازدادت قوة باندماج أبناء المماليك فيها^{٢٠}.

الحواشي

- ١ ناقش الدكتور فريد شافعى مناهج المستشرقين فى كتابه العمارة العربية فى مصر الإسلامية. وبين مدى تعسفهم فى تناول العمارة الإسلامية. كما ناقش ودحض العديد من مقترياتهم خاصة كريسويل. انظر حول ذلك: فريد شافعى (دكتور)، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٩٤ م. Creswell (k. A. C), early muslim architecture, vol, 1,2. Oxford 1969; Briggs (m.S), muhammadden architectue in egypt and pallestine, oxford 1924.
- ٢ سامى خشبة، مصطلحات فكرية، ص ٤٦، ٥٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ م.
- ٣ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربى، المقدمة، ص ٩٢، دار ابن خلدون الإسكندرية ١٩٩٧ م.
- ٤ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٨٢.
- ٥ باب زويلة أحد أبواب حصن القاهرة الفاطمى، وهو يقع فى الضلع الجنوبى لهذا الحصن، والباب الحالى شيد به بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م. وكان الباب الأول الذى أنشأه القائد جوهر الصقلى يقع إلى الجنوب من هذا الباب عند زاوية سام بن نوح وينسب هذا الباب إلى قبيلة زويلة إحدى قبائل البربر التى جاءت إلى مصر مع الفتح الفاطمى لها. عبد الرحمن قهسى (دكتور)، أسوار القاهرة وأبوابها، ص ١٣٦، بحث فى كتاب القاهرة تاريخها وقنونها وآثارها، د. حسن الباشا وآخرون، الأهرام ١٩٦٩ م؛ حسن الباشا (دكتور)، أحداث عند أبواب القاهرة التاريخية، ص ١٦، بحث تحت النشر.
- ٦ المقرئى، السلوك، ج ١، ص ٤٢٩؛ قاسم عبده قاسم (دكتور)، السلطان المظفر سيف الدين قطز، ص ١١٢. دار القلم بمشوق ١٩٩٨ م.
- ٧ شجع صلاح الدين الأيووبى أفراد الشعب المصرى على الإقامة فى القاهرة. وذلك عقب إسقاطه الدولة الفاطمية. وبالتالي إنهاء دور القاهرة كحصن لهم. شحاتة عيسى، القاهرة، ص ١٢١، ١٢٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م.
- ٨ ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ٥، ص ٣٠٠. تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١ م.
- ٩ الجبرتى، عبد الرحمن الحنفى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج ٤، ص ٢٤٦، ٢٧٧.
- ١٠ حول الحسبة والمحتسبين: انظر: سهام أبو زيد، الحسبة فى مصر الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ م.
- ١١ حسن الباشا (دكتور)، أحداث عند أبواب القاهرة التاريخية، ص ٦.
- ١٢ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٢٢. حسنى نويمصر (دكتور)، العمارة الإسلامية فى مصر، ص ٤٢٦. مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦ م.
- ١٣ الإسحاقى، محمد بن عبد المعطى ابن أبى الفتح المنوفى، أختيار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، ص ١٢٢. الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨ م.
- ١٤ سعيد مغاورى (دكتور)، اليرديات العربية فى مصر الإسلامية، ص ١٣٥، ١٣٦. الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٦ م.
- ١٥ رأفت النبراوى (دكتور)، قصة أول نقود عربية فى الإسلام، ص ٥٨؛ ٦٢. مجلة القدس، العدد ١٣٤، ١٩٨٨ م.
- ١٦ الزركشى محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص ٢٧٥؛ ٢٩٨. تحقيق أبو الوفا المراغى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٠٣ هـ.
- ١٧ يوسف شوقى (دكتور)، قبة الصخرة، ص ١٦. وزارة الإعلام، سلطنة عمان ١٩٨٧ م.
- ١٨ ناصر الرباط (دكتور)، نحو إعادة تقييم للثقافة الفنية الأموية، ص ٩٩، ١٠٠. مجلة أبواب ١٩٠٠. دار الساقى ١٩٩٩ م.
- ١٩ فريد شافعى (دكتور)، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ص ٤٠، ٤١، ٧٧، ٧٨. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٤ م.
- ٢٠ نشر أولج جرابار هذه النصوص كاملة فى كتابه عن العمارة المبكرة فى القدس، ومنها: إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فأمَنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله كيلا، لن يستكف المسيح أن يكون عبد الله الخ. Olg Graybar , the shape of the holy , early Islamic Jerusalem , p 184 , 185 ,186. new jersey , 1996.
- ٢١ فريد شافعى (دكتور)، العمارة العربية، ص ١٠١.
- ٢٢ يوسف شوقى (دكتور)، قبة الصخرة، ص ٦٤.
- ٢٣ عفيف بهنسى (دكتور)، الشام لمحات أثرية وفنية، ص ١٤٦ – ١٤٧. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
- ٢٤ البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، ص ٢٨٨. دار المسيرة، بيروت ١٩٨٧ م.
- ٢٥ القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣١٤، ٣١٥. دار صادر بيروت ١٩٨٨ م؛ كمال الدين سامح (دكتور)، العمارة فى صدر الإسلام، ص ٦١. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م.
- ٢٦ عبد القادر الرياحى (دكتور)، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ص ١٠٧. جدة ١٩٩٠ م.
- ٢٧ ابن الأثرى، أبو عبد الله محمد الأندلسى، مؤلف كتاب بدائع السلك فى طبائع الملك، وهو كتاب نفيس، يقول محقق الكتاب الدكتور

محمد عبدالكريم، إن فيه رد زعم من زعم أن أول من عرف بأفكار ابن خلدون ودرس نظرياته هم الأوروبيون. وهذا الزعم باطل ليس له نصيب من الصحة بل هو باطل ومردود عليه. والصحيح أن ابن الأزرق الذي أتى بعد ابن خلدون بثلاث وعشرين سنة هو أول من عرف بأفكاره ودرس مقدمته دراسة عميقة استوجب تلخيصه إياها تلخيصاً محكماً ثم دمجه بهذا التلخيص في كتابه بدائع السلك. انظر ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص ٧. تحقيق محمد بن عبد الكريم. الدار العربية للكتاب تونس، ليبيا ١٩٧٧م.

٢٨ ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٠.

٢٩ ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص ٧١.

٣٠ ابن تيمية، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٦٢. مكتبة ابن تيمية. ١٩٨٢م.

٣١ هو زكريا بن محمد بن محمود أبو عبد الله جمال الدين أبو يحيى الأنصاري القزويني، ولد في قزوين من إقليم الجبال بفارس والعراق والشام، وشغل منصب قاضى واسط الحلة بالعراق. توفي سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م. ترك كتابين كبيرين أحدهما في الطبيعيات وهو عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. ويسمى أحياناً عجائب البلدان. والآخر في الجغرافيا وهو آثار البلاد وأخبار العباد.

٣٢ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦٥. دار صادر بيروت ١٩٩٠م.

٣٣ القهنتن: كلمة فارسية تعنى القلعة أو الحصن القديم، وتكتب بالفارسية كهنتن. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، ص ٩، تحقيق الدكتور أمين بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٩٣.

٣٤ النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٠ - ١١؛ أمجد بوهميل بورخانكا، بخارى، ص ٤٤، منظمة العواصم والمدن الإسلامية. ١٩٩٣م. فيتالي نوميكن، بخارى، ص ٢٠، ٢١، ١٢٣. ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافي أبو ظبي ١٩٩٥م.

٣٥ محي الدين قاسم (دكتور) السياسة الشرعية ومفهوم السياسة الحديثة، ص ٢٥. المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٩٩٧م.

٣٦ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١٠٢: ١٠٦. ترجمة عبد الوهاب المسيرى وهدي حجازى. مراجعة فؤاد زكريا (دكتور). سلسلة عالم المعرفة. العدد (٩٠) سنة ١٩٨٥م.

٣٧ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١٠٧.

٣٨ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١٠٨.

Mustafa El Abbadi , Alexandria thousand year capital of Egypt , p 35 , 38 In Alexandria the site and the history , Mobil oil Egypt , 1992 .

٤٠ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١٠٨.

٤١ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١٠٩؛ جونييليف هوسون ودومينييك فاليل، الدولة والمؤسسات في الفراعنة الأوائل

إلى الأباطرة الرومان، ص ٢٢٥ ترجمة فؤاد الدهان. دار الفكر للدراسات ١٩٩٥م.

٤٢ إبراهيم نصحي (دكتور)، مصر في عصر البطالمة، ص ١٩، ٢٠، ٢١. موسوعة تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليوناني الروماني والعصر الإسلامى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة. دون تاريخ.

٤٣ لويس مفورد، المدينة عبر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ص ٣٦٣، ترجمة الدكتور إبراهيم نصحي، مكتبة الأنجلو ١٩٤٦م؛ كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ص ١١١، ١١٢.

٤٤ لويس مفورد، المدينة عبر العصور، ص ٣٦٤.

٤٥ محمود الحسيني (دكتور) التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية، ص ٢٦. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

٤٦ يذكر المقرئى (أن الخطط التي كانت بالفسطاط، بمنزلة الجارات في القاهرة، فقليل لتلك خطة في الفسطاط وحارة في القاهرة) المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٢٩٦.

٤٧ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٤٦.

٤٨ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي، فتوح مصر والمغرب، ص ٨٦، طبعة ليدن، ١٩٢٢م.

٤٩ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٨٤.

٥٠ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٨٧.

٥١ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة والقضاة، ص ٣٦٠. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

٥٢ عبدالله خورشيد، القبائل العربية في مصر، ص ٢٢٢، ٢٢٣. القاهرة ١٩٧٧م.

٥٣ فريد شافعى (دكتور)، العمارة العربية، ص ٣٤٨.

٥٤ صالح المحمد الخالد الرشيد، أبو الوفاء بن عقيل، حياته واختياراته الفقهية، ج ٣، ص ٧٠١. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ١٩٧٩م.

٥٥ ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ٤، ص ٤٦٠، ٤٦١. دار الكتب الحديثة ١٩٦٨م.

٥٦ ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٥، ص ١١. وقد أورد كذلك في الجزء نفسه ص ٧٠: "ولم أر في مشايخنا تعريف السياسة. وقال المقرئى في الخطط: يقال ساس الأمر سياسة بمعنى قام به، وهو سائس من قوم ساسه وسوس، وسوسه القوم: جعلوه يسوسهم. والسوس: الطبع والخلق. فهذا أصل وضع السياسة في اللغة، ثم رسمت بأنها "القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال. والسياسة نوعان: سياسة عالة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الأحكام الشرعية، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وقد صنف العلماء في السياسة الشرعية كتباً عديدة. والنوع الآخر: سياسة ظالمة،

للالشرعية تهرمها: كما علق ابن عابدين في "منحة الخالق على البحر الرائق" أن المؤلف ذكر في باب حد الزنا: أن السياسة هو فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بها دليل جزئي. ولفت محي الدين قاسم، أن هذا التعريف لم يرد في كتاب السياسة الشرعية لابن نجيم الحنفي. المقرئ، الخط، ج ٢، ص ٢: ابن نجيم الحنفي، السياسة الشرعية، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، رقم ٤٩٦ مجاميع و٢٦٩ و٢٨٧: محي الدين قاسم (دكتور)، السياسة الشرعية، ص ٧٧، ٧٨.

٥٧ محي الدين قاسم (دكتور)، السياسة الشرعية، ص ٨٥.

٥٨ محي الدين قاسم (دكتور)، السياسة الشرعية، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨.

٥٩ الماوردي، أبو الحسن، على بن حبيب البصري الشافعي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك، ص ١٦١، تحقيق محي هلال السرحان، مراجعة حسن الساعاتي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ م.

٦٠ وليد المنيس (دكتور) الحسبة على المدن والعمران، ص ٤٦، ٤٧. حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السادسة عشر، الرسالة المائة وستة، ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م.

٦١ الماوردي، تسهيل النظر، ص ١٦١.

٦٢ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ص ٢٤٤، ٢٤٥. دار ابن خلدون الإسكندرية ١٩٩٨ م.

٦٣ ابن الأوزق، بدائع السلك، ج ٢، ص ٧٦٤.

٦٤ ابن الأوزق، بدائع السلك، ج ٢، ص ٧٦٥، ٧٦٦.

٦٥ ابن أبي الربيع، شهاب الدين، سلوك المالك في تدبير الممالك، ص ١٩٢، تحقيق ناجي التكريتي. دار الأندلس بيروت ١٩٨١ م.

٦٦ وليد المنيس (دكتور)، التفسير الشرعي للتمدن، ص ٢٢، وسائل الجمعية الجغرافية الكويتية، الرسالة ٢٢، فبراير ١٩٨٤ م.

٦٧ وليد المنيس (دكتور)، التفسير الشرعي للتمدن، ص ٢٢.

٦٨ أسامة عبد النعيم (دكتور)، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، ص ٣٥، ٣٦، ٣٧ رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٢ م.

٦٩ فرنان بوبل، الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية، ج ١، ص ٥٤٢، ٥٤٣. ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٢ م.

٧٠ الجبرتي، عبد الرحمن الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٣، ص ٣٤، ٣٥، مطبعة الأنوار المحمدية ١٤٠٢ هـ.

٧١ صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، ص ٤٥٢، مجلة العمارة، العدد التاسع ١٩٢٩ م.

٧٢ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

٧٣ الماوردي، تسهيل النظر، ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

٧٤ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٢٤، ٢٤٢، ٢٤٣.

٧٥ هو أبو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي، ولد عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م في مالقة بالأندلس، تولى القضاء في مالقة ثم رحل عن الأندلس، ليعمل في خدمة بني مرين في المغرب، توفي عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨١ م. له العديد من المؤلفات معظمها كتبها على هيئة رسائل لبني مرين. انظر مقدمة على ساسي النشار (دكتور) على تحقيقه لكتاب، الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، ص ٣: ٣١٠، دار الثقافة الدار البيضاء ١٩٨٤ م.

٧٦ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١٧.

٧٧ أكرم ضياء العمري (دكتور) قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ج ١، ص ١٣٦، سلسلة كتاب الأمة (٢٩) قطر ١٩٩٤ م.

٧٨ ابن خلدون، المقدمة، ج ٣، ص ٨٥٨، بتحقيق على عبد الواحد والي (دكتور). طبع لجنة البيان العربي ١٩٥٨ م.

٧٩ وليد المنيس (دكتور)، التفسير الشرعي للتمدن، ص ٤٨.

٨٠ زينب الحضري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص ٢٠٧: ٢١١. دار الثقافة بيروت القاهرة ١٩٧٩ م.

٨١ الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص ١٥٥.

٨٢ ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٤٢٤، بتحقيق على عبد الواحد والي.

٨٣ ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ٩٦٩.

٨٤ وليد المنيس (دكتور)، التفسير الشرعي للتمدن، ص ٥٠.

٨٥ ميكافيللي، الأمير، ص ٧٨، ترجمة خيرى حماد، دار الآفاق بيروت ١٩٨١ م.

٨٦ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٢.

٨٧ المقرئ، الخط، ج ٢، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

٨٨ القدسي، أبو حامد محمد بن عبد الله القدسي، دول الإسلام الشريفة البهية، ص ١١٩، ١٢٤. تحقيق صبحي لبيب وأولريش هارمان. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت ١٩٩٧ م.

٨٩ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٢٩، ١٣٠.

٩٠ الأستاذ لفظة معربة لأنه يقال إنه ليس في العربية كلمة عربية أصيلة تجتمع فيها الذال والسين، وهي فارسية تعنى السيد أو المشهور، وقد كان لقب الأستاذ يطلق في عصر المماليك أيضا على التاجر أو السيد الذي يقوم بشراء المملوك وتربيته. حسن الباشا (دكتور)، الفنون والوظائف على الآثار، ج ١، ص ٥٩: ٦٣؛ سعيد عاشور (دكتور) العصر المالكي في مصر والشام، ص ٢٨٩. دار النهضة العربية ١٩٦٥ م؛ أحمد عبد الرازق (دكتور)، المماليك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩، مجلة كلية الآثار، العدد الثاني ١٩٧٧ م.

٩١ الأغا: كلمة أصلها آقا وهي من الكلمات المغولية، ومعناها الأخ الأكبر وترد كثيرا في تاريخ المغول، ودخلت هذه الكلمة اللغة الفارسية واستخدمها الكتاب الذين جاءوا بعد غزو جنكيز خان وجمعها آقان أو آقوان أو أقاليان. حسن الباشا (دكتور)، الفنون والوظائف، ج ١، ص ١٣٦؛ أحمد عبد الرازق (دكتور)، المماليك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩.

- ٩٢ أنى أو أينى جمعها أنيات أصلها أنياك أو أيناك وهي من الكلمات المغولية، وتعنى الأخ الأصغر، وهي من الكلمات المألوفة في تاريخ المغول. أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩.
- ٩٣ خُشداش أو خُجداش معرب اللفظ الفارسي خواجهتاش أى الزميل في الخدمة أو الرق أو العتق. أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩.
- ٩٤ المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ٣، ص ٣٩٠؛ أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩.
- ٩٥ أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٨٩.
- ٩٦ حجة وقف الفوري، أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٨٨٣؛ أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٩٠.
- ٩٧ أحمد عبد الرازق (دكتور)، الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، ص ١٩٠.
- ٩٨ القدسي، دول الإسلام الشريعة البهية، ص ١٢٨، ١٣٠.
- ٩٩ انظر حول مقاومة الممالك للتطور التقني في مجال الأسلحة: عبدالرحمن زكي (دكتور)، ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية، ص ٩٧، كتاب ندوة ابن إياس دراسات وبحوث، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧م. وحول مفهوم الفروسية والقتال لدى الممالك انظر الحوار الذي دار بين السلطان سليم والأمير المملوكي كرتباي في أعقاب أسر العثمانيين له. إبراهيم طرخان (دكتور) مصر في عصر دولة الممالك الجراكسة، ص ٢٠١، ٢٠٢. القاهرة ١٩٦٩ م.
- ١٠٠ إير لابدوس، مدن إسلامية في العصر المملوكي، ص ٢١٩، ٢٢٠. ترجمة دكتور على ماضي. الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٧م.
- ١٠١ إير لابدوس، مدن إسلامية في العصر المملوكي، ص ١٨٢، ١٨٣.

المراجع والمصادر

المصادر العربية

- ابن أبي الربيع، شهاب الدين، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق ناجي التكريتي. دار الأندلس بيروت ١٩٨١ م.
- ابن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق روبن لوى، مكتبة المتنبي، القاهرة بدون تاريخ.
- ابن الأزرق، محمد بن علي أبو عبد الله الاصبحي الفرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب تونس، ليبيا ١٩٧٧ م.
- ابن الأزرق، محمد بن علي أبو عبد الله الاصبحي الفرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، تحقيق علي سامي النشار (دكتور)، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٧٨ م.
- ابن الحاج، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، الفدخل، ج٢.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق دكتور محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٧ م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، اللحة البدرية في الدولة النصرانية، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الآفاق الجديدة، بيروت. ١٩٨٠ م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، أعمال الأعلام فيمن بوبع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، الرياط ١٩٣٤ م.
- ابن الرامي، محمد بن إبراهيم اللخمي، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق دكتور فريد سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس ١٩٩١ م.
- ابن الرامي، محمد بن إبراهيم اللخمي، الإعلان بأحكام البنيان، مجلة الفقه المالكي، وزارة العدل المغرب، الأعداد (٢، ٣، ٤). ذي القعدة ١٤٠٢ هـ.
- ابن الشحنة، محب الدين محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق جوزيف أليان سركيس، بيروت ١٩٠٩ م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمسة أجزاء، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١ م.
- ابن أبيك الدودار، صفى الدين أبو بكر، كنز الدرر، ج٨ (الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية)، تحقيق أولرخ هارلمان، المعهد الألماني للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧١ م.
- ابن أبيك الدواداري، صفى الدين أبو بكر، كنز الدرر، ج ٩ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق أولرخ هارلمان، المعهد الألماني للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧١ م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار وعجائب الأسفار، طبعة مصورة بيروت ١٩٨٣ م.
- ابن تغرى بردى، يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج ٩ - ج ١٢، سلسلة تراثا، وزارة الثقافة ، القاهرة .

- ابن تيمية، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم، قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٣ هـ.
- ابن تيمية، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ج ٢٨، مكتبة ابن تيمية. ١٩٨٢ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية. ١٩٩٦ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون الإسكندرية ١٩٩٧ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون الإسكندرية ١٩٩٨ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ج٢، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. طبع لجنة البيان العربي ١٩٥٨ م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، ج٤، بيروت ١٩٧٠ م.
- ابن رضوان، أبي القاسم المالكي، الشهب الامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي التشار (دكتور)، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٤ م.
- ابن شاهين، غرى الدين خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤ م.
- ابن شداد، عز الدين محمد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، مملكة حلب، م١٠، ق١، تحقيق دومنيك سورديل، دمشق، ١٩٥٣ م.
- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي، فتوح مصر والمغرب، طبعة ليدن، ١٩٢٢ م.
- ابن عبد الظاهر، محى الدين بن عبد الظاهر. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض ١٩٧٦ م.
- ابن عراق، أبو نصر منصور بن علي، رسالة المسائل الهندسية، نشر جمعية المعارف العثمانية حيدر آباد.
- ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، دار الكتب الحديثة ١٩٦٨ م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد دمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١، تحقيق شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارتؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧ م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الافريقى، لسان العرب، المجلد الأول، إعداد يوسف خياط، وتديم مرعشلى. دار لسان العرب، بيروت.
- ابن نجيم الحنفى، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج٥.
- ابن نجيم الحنفى، السياسة الشرعية، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، رقم ٤٩٦ مجاميع ٢٦٩ و ٢٨٧.
- أبو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان النجارى الخزرجى، الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، تحقيق علي سامي النشار (دكتور)، دار الثقافة الدار البيضاء ١٩٨٤ م.

- أبو يعلى، محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى، الأحكام السلطانية، دار الفكر، القاهرة ١٩٧٤م.
- أحمد تيمور، المهندسون الإسلاميون، مجلة الهندسة، العدد (٢)، فبراير ١٩٢٣م.
- الاسحاقى، محمد بن عبد المعطى بن أبى الفتح المنوفى، أخبار الأول قيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨م.
- البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مصرية ١٩٨٨م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٧م.
- البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩م.
- التجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي، مستفاد الرحلة والاغتراب، الدار العربية للكتاب ليبيا بدون تاريخ.
- الجبرتي، عبد الرحمن الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الأجزاء ١، ٢، ٤، مطبعة الأنوار المحمدية ١٤٠٣هـ.
- الزركشي، محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٠٣ هـ.
- السرخسي، محمد بن أبي سهل، المبسوط، ج ٢، القاهرة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٧م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الحاوي في الفتاوى، ج ٢.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧ - ج ٩، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف ١٩٦٩م.
- العباسي، الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الأول، بولاق، ١٨٨٧م.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الألباس، ج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- العسقلاني، الحافظ بن حجر، إنباء الغمر بآباء العمر، ج ٢، تحقيق الدكتور حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م.
- العسقلاني، شافع بن علي الكاتب المصري، الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور، تحقيق دكتور عمر تدمري، المكتبة العصرية صيدا ١٩٩٨م.
- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار لابن العمري، تحقيق دورو تباكرافولسكي، بيروت ١٩٨٦م.
- الفراء، أبو يعلى محمد بن حسن، الأحكام السلطانية، القاهرة ١٩٦٦م.
- القدسي، أبو حامد محمد بن عبد الله القدسي، دول الإسلام الشريفة البهية، تحقيق صبحي لبيب وأولريش هارمان. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت ١٩٩٧م.
- القدسي، أبو حامد، الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة، تحقيق دكتورة آمال العمري، هيئة الآثار المصرية. سلسلة المائة كتاب ١٩٨٨م.
- القزويني، زكريا ابن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ١٩٨٨م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ١٩٩٠م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، ج ٢ - ج ٤ - ج ٥.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب المصري الشافعي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر بأخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي هلال السرحان، مراجعة حسن الساعاتي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب المصري الشافعي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب المصري الشافعي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي هلال سرحان، ومراجعة حسن الساعاتي (دكتور)، دار الكتب ببيروت. بدون تاريخ.
- المصري، أحمد شلبي بن عبد الغنى الحنفي، التاريخ العيني.
- المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧م.
- المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١ - ج ٣.
- النرشخي، أبي بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، تحقيق الدكتور أمين بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٩٣م.
- النوفوي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، روضة الطالبين، ج ٤، نشر المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.
- اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، كتاب البلدان، ليدن ١٨٩٢م.
- حجة وقف حسن آغا.
- حجة وقف الغوري، أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٨٨٣.
- سجلات محكمة الباب العالي بالقاهرة، سجل ٧٣، مادة ١٣.
- سجلات محكمة الباب العالي، سجل ٨٧، مادة ٤٥.
- سجلات محكمة الباب العالي، سجل ١٤٤، مادة ٧٤٦.
- سجلات محكمة الباب العالي، سجل رقم ١١٣، مادة ٨٨٣.
- سجلات محكمة الصالح طلائع بالقاهرة، سجل ٣٢٣، مادة ٥٨٢.

- أكرم حسن الطيبي، خطط دمشق، دار الطباعة دمشق ١٩٨٩ م.
- أكرم ضياء العمرى (دكتور) قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى، ج١، سلسلة كتاب الأمة (٣٩) قطر ١٩٩٤ م.
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها، مجلة علام الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول الكويت ١٩٧٧ م.
- الصمصامى أحمد المرسى (دكتور) استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الأفاق العربية ١٩٩٨ م.
- أمجد يوهيميل بورخازكا، بخارى، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ١٩٩٣ م.
- أنور طاهر رضا، سنان ... قمة الهندسة المعمارية الإسلامية، مجلة المنهل العدد ٥١٩ أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٤ م.
- أوقطاي أصلان آبا، فنون الترك وعماثرهم، ترجمة أحمد عيسى، أرسىكا، استانبول ١٩٨٧ م.
- أولج جرابار، العمارة، بحث فى كتاب تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس (دكتور)، العدد (٨). سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٨ م.
- اير لادوس، مدن إسلامية فى العصر المملوكى، ترجمة دكتور على ماضى. الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٧ م.
- برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان على (دكتور)، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٢ م.
- جان بول رو، الفن العثمانى فى الأراضى التركية، بحث ضمن كتاب تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، تحرير رويبير مانتران، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة ١٩٩٣ م.
- جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨ م.
- جونييفيف هوسون ودومينيك فاليل، الدولة والمؤسسات فى الفراغة الأواثل إلى الأباطرة الرومان، ترجمة فؤاد الدهان، دار الفكر للدراسات ١٩٩٥ م.
- حسام مهدى (دكتور) مجموعة السلطان قلاوون، دراسة معمارية أثرية، دراسة تحت النشر.
- حسن الباشا (دكتور) أحداث عند أبواب القاهرة التاريخية، بحث تحت النشر.
- حسن الباشا (دكتور) الفنون والوظائف على الآثار، دار النهضة العربية، ١٩٦٥ م.
- حسن الباشا (دكتور) عمارة تاج محل الفخامة والجمال، مجلة المنهل العدد (٥٧)، العام ٦١. أكتوبر نوفمبر ١٩٩٥.
- حسن عبد الوهاب، الرسومات الهندسية للعمارة الإسلامية، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، العدد الرابع عشر ١٩٥٨ م.
- حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦ م.
- حسن فتحي، عمارة الفقراء.

- سجلات محكمة الصالح بالقاهرة، سجل ٣٢٣، مادة ٤٥٣.
- على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج١ - ج٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.
- على باشا مبارك، تذكرة المهندسين وتبصرة الراغبين، القاهرة، طبع فى مطبعة المدارس الملكية ١٢٩٠ هـ.
- مؤلف مجهول، الفروسية والطعن والضرب والتبيلات، مكتبة الفاتح استنبول مخطوط رقم ٣٥٠٩.
- مؤلف مجهول، كتاب فى معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان، مكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٢٠٦٦.
- مؤلف مجهول، مجموع فى الفروسية والجهاد والصيد والقنص، مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوط رقم ١٢٠١.
- نظام الملك الطوسى، سياست نامه ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوى، القاهرة ١٩٧٦ م.

المراجع العربية والمعرية:

- إبراهيم بن يوسف الفائز، البناء وأحكامه فى الفقه الإسلامى، رسالة دكتوراة، معهد القضاء العالى جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٥ م.
- إبراهيم طرخان (دكتور) مصر فى عصر نولة الممالك الجراكسة، القاهرة ١٩٦٩ م.
- إبراهيم طرخان (دكتور)، النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٩٦٨ م.
- إبراهيم نصحى (دكتور) مصر فى عصر البطالمة، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية، العصر اليونانى الرومانى والعصر الإسلامى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة. بدون تاريخ.
- أحمد السعيد سليمان (دكتور)، تأصيل ما ورد من الدخيل فى الجبرتي، دار المعارف، ١٩٧٩ م.
- أحمد عبد الرازق (دكتور) الممالك ومفهوم الأسرة لديهم، مجلة كلية الآثار العدد الثانى ١٩٧٧ م.
- أحمد فؤاد متولى، قانون نامه مصر، مكتبة الانجلو، ١٩٨٦ م.
- أسامة عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتى عصر الممالك، رسالة ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٢ م.
- إسماعيل حقى أوزون، مدخل إلى مؤسسات الدولة العثمانية، عثمانلى دولتى تشيكلاقتنه مدخل، أنقره ١٩٧٠ م.
- إسماعيل سراج الدين (دكتور)، التجديد والتأصيل فى عمارة المجتمعات الإسلامية، جائزة الأغا خان للعمارة جنيف ١٩٨٩ م.

- حسنى نويصر (دكتور) العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦ م.
- حسنى نويصر (دكتور) عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية، أبحاث ندوة تاريخ المدارس، سلسلة تاريخ المصريين (٥١)، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ م.
- حسين لوزي النجار (دكتور) على مبارك أبو التعليم، سلسلة أعلام العرب، العدد (١٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.
- حسين مؤنس (دكتور) المساجد، سلسلة عالم المعارف (٢٧)، الكويت، ١٩٨١ م.
- خالد عزب، مشكلة المياه وحلولها في التراث الإسلامي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، القاهرة ١٩٩٥ م.
- خالد عزب، الخصائص المعمارية والفنية لمساجد قوة الأثرية، ندوة عمارة المساجد، المجلد ٧، جامعة الملك سعود ١٩٩٩ م.
- خالد عزب، فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٩٧ م.
- درويش النخيلي (دكتور) السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤.
- درجان كويان، سنان مبدع الأبنية القبايية، مجلة المتحف .
- رأفت النبراوي (دكتور) قصة أول نقود عربية في الإسلام، مجلة القدس، العدد ١٣٤، ١٩٨٨ م.
- رأفت النبراوي، النقود الإسلامية في مصر.
- رضوان السيد (دكتور)، " قضاء المظالم: نظرة في وجه من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الاسلامي " مجلة دراسات، المجلد ١٤، العدد (١٠)، ١٩٨٧ م.
- رفعة الجانجي، البعد الاجتماعي لما يبني، مجلة أبواب العدد (١٨)، ١٩٩٨ م.
- زينب الحضري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة بيروت القاهرة ١٩٧٩ م.
- سامي خشبة، مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ م.
- سامي عبد الحليم (دكتور)، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت الممالك في القاهرة، القاهرة ١٩٨٤ م.
- سامي نوار، المنشآت المائية بمصر، دار الوقاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٩٩ م.
- سعيد عاشور (دكتور) العصر الماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٥ م.
- سعيد عاشور (دكتور) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية ١٩٦٢ م.
- سعيد مفاوري (دكتور) البرديات العربية في مصر الإسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٦ م.
- سليمان بن وائل التويجري، حق الإرتفاق، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراة مخطوطة، بجامعة أم القرى ١٤٠٠ هـ.
- شحاتة عيسى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م.
- شربل داغر، الفن الإسلامي في المصادر العربية، صناعة الزينة والجمال، دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٩٩ م.
- صالح محمد الخالد الرشيد، أبو الوفاء بن عقيل، حياته واختياراته الفقهية، ج ٣، رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ١٩٧٩ م.
- صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، مجلة العمارة، العدد التاسع ١٩٢٩ م.
- طارق عبد الرؤوف، عمارة ما بعد الحداثة، رسالة ماجستير، كلية الهندسة جامعة القاهرة ١٩٩٦ م.
- عبد الحميد سليمان (دكتور) نظم إدارة الأمن في مصر العثمانية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد (٧٥) ١٩٩٢ م.
- عبد الحى الكتانى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية والولايات الدينية، ج ٢، دار الكتاب العربى، بيروت، بدون تاريخ.
- عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، ج ١، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨٢ م.
- عبد الرحمن النفيسة (دكتور) مسئولية المهندسين والبنائين، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة السادسة العدد (٢٢)، ١٤١٥ هـ.
- عبد الرحمن زكى (دكتور) ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية، كتاب ندوة ابن إياس دراسات وبحوث، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م.
- عبد الرحمن زكى (دكتور) غرناطة زينة الدنيا، مجلة الفيصل العدد (١١)، السنة الأولى، مايو ١٩٧٨ م.
- عبد الرحمن زكى (دكتور)، الفن الاسلامى، دار المعارف ١٩٨٤ م.
- عبد الرحمن زكى (دكتور)، قلعة صلاح الدين.
- عبد الرحمن فهمى (دكتور) أسوار القاهرة وأبوابها، بحث في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وأثارها، دكتور حسن الباشا وآخرون، الأهرام ١٩٦٩ م.
- عبد القادر الريحاوى (دكتور) العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة ١٩٩٠ م.
- عبد القادر الريحاوى (دكتور) قصور الحكام في دمشق، الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٢٢، ١٩٧٢: ١٩٧٣ م.
- عبد القادر المعاضيدى، واسط في العصر العباسى، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد ١٩٨٣ م.
- عبد المنعم جميعى (دكتور) مشايخ حارات القاهرة في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (٣٩)، ١٩٩٦ م.
- عبدالله خورشيد، القبائل العربية في مصر، القاهرة ١٩٧٧ م.

- عفيف بهنسي (دكتور) الشام لمحات أثرية وفنية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
- علي غالب (دكتور) التناسب في عمارة مدارس العصر المملوكي في القاهرة، مراجعة دكتورة آمال العمرى. كتاب تحت النشر في سلسلة المائة كتاب، المجلس الأعلى المصري للآثار.
- عوض الإمام (دكتور) الأصول الوثائقية الجامعة لأوقاف الغورى، رسالة دكتوراة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط ١٩٨٨ م.
- فرنان بوبل، الحضارة المانية والاقتصاد والرأسمالية، ج١، ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الفكر للدراسات. القاهرة ١٩٩٣ م.
- فريد سليمان (دكتور) الفقهاء والمدينة، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس، العدد (٩ - ١٠). ١٩٩٤.
- فريد شافعى (دكتور) العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود ١٩٨٢ م.
- فريد شافعى (دكتور) العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٩٤ م.
- فيتالى نوميكن، بخارى، ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافى أبو ظبى ١٩٩٥ م.
- قاسم عبده قاسم (دكتور) السلطان المظفر سيف الدين قتلز، دار القلم، دمشق ١٩٩٨ م.
- كافين رايلي، الغرب والعالم، القسم الأول، ترجمة عبد الوهاب المسيرى وهدي حجازى، مراجعة فواد زكريا (دكتور). سلسلة عالم المعرفة، العدد (٩٠) سنة ١٩٨٥ م.
- كريم عوف، حسن فتحي، أحد رواد العمارة الإسلامية المعاصرة، مجلة المنهل، العدد (٥١٩) المجلد ٥٦، أكتوبر نوفمبر ١٩٩٤ م.
- كمال الدين سامح (دكتور) العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م.
- لويس مفوردي، المدينة عبر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة الدكتور إبراهيم نصحي، مكتبة الانجلو ١٩٤٦ م.
- محمد التميمي، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، مجلة المتحف العربى، السنة الثانية، العدد الثالث، مارس ١٩٨٧ م.
- محمد الجمل (دكتور)، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٩٣ م.
- محمد الششتاوى، ميايدين القاهرة في العصر المملوكي، دار الأفاق العربية، ١٩٩٩ م.
- محمد الكحلاوى (دكتور) آثار مصر في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٤ م.
- محمد الكحلاوى (دكتور) أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمارات الدينية بالقاهرة، مجلة كلية الآثار، العدد السابع، ١٩٩٦ م.
- محمد أمين (دكتور) و ليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠ م.
- محمد بن عبد الله نويصر (دكتور) خصائص التراث العمرانى في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٩٩٩ م.
- محمد حرب (دكتور) العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم دمشق ١٩٨٩ م.
- محمد حرب (دكتور) آليات اتخاذ القرار في الدولة العثمانية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة العدد (١٢)، شوال ١٤١٦ هـ / مارس ١٩٩٦ م.
- محمد حسام الدين إسماعيل (دكتور) بعض الملاحظات على العلاقة بين مرور المواكب ووضع المياني الأثرية في شوارع القاهرة، حوايات إسلامية، المعهد الفرنسي للآثار، المجلد ٢٥، ١٩٩٥.
- محمد حمزة، السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولى ١٩٩٣ م.
- محمد صدقي البرنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- محمد عارف، خلاصة الأفكار في فن المعمار، بولاق ١٣١٩ هـ.
- محمد عبد الستار عثمان (دكتور) نظرية الوظيفية بالعناصر الدينية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠٠٠ م.
- محمد عبد اللطيف البهراوى (دكتور) من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- محمد عبد الله عنان (دكتور) الآثار الأندلسية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٩٩٧ م.
- محمد كرد على، خطط الشام، ج ٥.
- محمد نور الدين (دكتور) قصر دولما بهجه في استنبول.
- محمود الحسينى (دكتور) التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية، رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧ م.
- محي الدين قاسم (دكتور) السياسة الشرعية ومفهوم السياسية الحديثة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة ١٩٩٧ م.
- مصطفى الموسوى، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢ م.
- مصطفى بركات (دكتور)، دراسة للخط والأقناب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعناصر العثمانية بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير كلية الآثار، ١٩٨٨ م.
- ميكافيللى، الأمير، ترجمة خيرى حماد، دار الأفاق بيروت ١٩٨١ م.
- نادر عبد الدايم (دكتور) التأثيرات العقائدية في الفن العثمانى، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآثار. جامعة القاهرة ١٩٩٠ م.

- Creswell (k.A.C), early muslim architecture, vol, 1,2. Oxford 1969.
- De planhol (x), les fondements geograhiques de la histoire de islam. Pairs 1968.
- Doris behrens Abousief, The citadel of Cairo, stage for mamluk ceremonial. Annules islamologiques.
- Doris behrens abousief, the minarets of calro. Cairo 1985.
- Evliya celebi, seyahat namesi, mumln cevik. Istanbul 1984.
- Jorgen nielson: "mazalimand dar al adel under the early mamluks", the muslim world. Vol 66 , n2. (April 1976).
- Lila ibrahim and j.M. Rogers "the hangah of the emir qawsun". Mitteilungen des deutschen archaologischen Instituts, abteilung kairo 30,1 (1974).
- Michael meinecke " die mamlukischen faience dekorationen: eine werkstatte aus tabrizin kairo (1330 – 1335). Kunst des orientis 11 (1976 – 77).
- Mostafa el abbadl, alexandria thousand year capital of egypt, in alexandria the site and the history, mobil oil egypt ,1992.
- Nasser rabbt,the citadel of calro.
- Olg garber, the case of the mosque, p.P. 35-36; The formation of Islamic art. London, 1973.
- Pelagia astrnidou , the architect in ottoman period.
- بحث في الكتاب التذكاري الذي صدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي تكريما لمايكل كيل، تونس ٢٠٠٠ م
- Ronald lewcock, materials and techniques.
- The encyclopedia of islam 2 (e 12),art. " lwan " by olg graber , vol 1v.
- ناصر الرباط (دكتور) نحو إعادة تقييم للثقافة الفنية الأموية، مجلة أبواب، ١٩، دار الساقى ١٩٩٩ م.
- ناصر الرباط ناصر (دكتور)، دار العدل : قصة منشأة إسلامية قروسطية، مجلة الاجتهاد، العدد ٢٢ السنة السادسة، ١٩٩٤ م.
- نصر عارف، في مصادر التراث السياسى الإسلامى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى. هيرندن ليرجيتيا. ١٩٩٤ م.
- هدايت تيمور، جامع الملكة صفية. دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٧٧ م.
- هشام جعيط (دكتور)، الكوفة، نشأة المدينة العربية الإسلامية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ١٩٨٦ م.
- وليد المنيس (دكتور) التفسير الشرعى للتمدن، رسائل الجمعية الجغرافية الكويتية، الرسالة ٢٢، فبراير ١٩٨٤ م.
- وليد المنيس (دكتور) الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية السادسة عشر، الرسالة المائة وستة، ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م.
- وهبه الزحيلي، الفقه الإسلامى وأدلته، ج ٥، مؤسسة الرسالة ١٩٨٤ م.
- يوسف شكرى فرحات (دكتور) غرناطة فى ظل بنى الأحمر.
- يوسف شوقى (دكتور) قبة الصخرة، وزارة الإعلام، سلطنة عمان ١٩٨٧ م.

المراجع الأجنبية:

- Ballbas (t), les villes musulmames de espagne, 1942, 1947.
- Briggs (m.S), muhammadden architectue In egypt and pallestine, oxford 1924.
- Chevalier (d), la ville arabc notre vision historique ,espaceocial ville arabe,pairs,1969.
- Christel kessler, funeray arhitecture wilhin the city.
- بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، دار الكتب المصرية. ١٩٧١ م

الفهرس

٣	المقدمة
٧	تمهيد
	الفصل الأول
١١	مقر الحكم فى مصر من الفتح الإسلامى حتى بداية العصر الأيوبى
	الفصل الثانى
٢٥	نشأة القلعة
	الفصل الثالث
٦٧	مقومات القلعة كمقر للحكم
	الفصل الرابع
١٢٣	القلعة فى عصر محمد على وخلفائه
	الفصل الخامس
١٦٧	التحول السياسى واتخاذ القصور كمقار للحكم
	الفصل السادس
٢٢٧	العمارة السياسة - دراسة تحليلية للعلاقة بينهما
٢٥٣	المصادر والمراجع

المراجعة اللغوية : آمال الديب
الإشراف الفني : نسرين كشك

هذا الكتاب يرصد مقر الحكم في مصر: مكانه وتطور عمارته، منذ فتح مصر على يد عمرو بن العاص الذي أنشأ الفسطاط كمقر لعسكره وعاصمة يحكم منها مصر، إلى أن تغير اسمها إلى مدينة مصر لكونها تجمع كل المصريين عند التقاء الوجه البحرى بالصعيد، وهو المكان نفسه الذى شيدت فيه منف من قبل لتعبر عن تواصل مصر من الشمال إلى الجنوب عبر نهر النيل، ثم يرصد الكتاب ظهور ضواحي شمال الفسطاط التى اتخذت مقاراً للحكم مثل العسكر والقطائع، ويعرج على الحصن الفاطمى الذى سمي القاهرة، شيده الفاطميون ليكون حصناً معزولاً عن مدينة مصر "الفسطاط"، ثم يدرس تفصيلاً قلعة صلاح الدين الأيوبي التى شيدها ببراعة بهاء الدين قراقوش، ومقومات هذه القلعة كمقر للحكم من دواوين وأسوار وأبراج وقصور ودار عدل وغيرها من المنشآت التى توحى بوجود مقر سلطاني يليق بدولة عظمى، استمر حتى ظل الحكم العثماني مقراً للحكم في مصر.

